ديوان

محمود سامي البارودي

المحتويات

تقديم ديوان البارودي

بقلم محمد حسين هيكل

شِعر البارودي حياته؛ فكل قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسية من حالات هذا الشاعر الملهم، والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه، وللبيئة التي أحاطت به، وللنهضة المتوثبة في الحياة حوله، وللثورة التي تمخضت عنها تلك النهضة، وللنكسة التي أصابت النهضة والثورة كلتيهما، والتي نقلت الشاعر من وطنه إلى منفاه ليقيم به سبعة عشر عامًا وبعض عامٍ، يستأثر الشعر بها جميعًا. وقد اختار البارودي أثناء نفيه أجود ما قيل من الشعر في العصر العباسي، وقال أجود مما اختار، فبعث الشعر العربي خلقًا جديدًا. وشعر المنفى كشعر الشباب وشعر الكهولة صورة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغمًا من الأنغام؛ تسمو بها النشوة إلى ذروة السرور والطرب حينًا، ويدفعها الطموح إلى مضطرب الثورة والمثل الأعلى حينًا آخر، ثم تصقلها السن ويصقلها النفي، فإذا الحكمة والحنين والحب تبعث إلى هذا النغم سكينة تسمو به على المألوف من ألحان الحياة؛ لا يغير من ذلك ما يدفعه النفي إلى نفس الشاعر من ألم تترجم عنه صيحات ثائرة تعيد أمام أذهاننا صورة من نزوات شبابه وثورة كهولته.

أما وديوان البارودي حياته، فلا بد في تقديمه من وصف هذه الحياة، ومن تصوير البيئة التي عاش فيها. وليس يتسع التقديم للإضافة في الوصف والتصوير؛ فلنتناول من جوانب هذه الحياة، ومن نواحي هذه البيئة ما يُجلي أمامنا الحالات النفسية التي أملت على الشاعر شعره. وسنرى أن هذا الوصف كثيرًا ما يوضح أغراض الشاعر؛ فيعيننا على

إدراكها كاملة، ويجلو لنا العمل العظيم الذي أتمه البارودي، فبعث به الشعر العربي واللغة العربية، ومهد لنا من ألوان المتاع بهما والانتفاع بتراثهما ما يرفع ذكره في الخالدين.

ولد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية/١٨٣٨ ميلادية. وكان أبوه «حسن حسني بك البارودي» من أمراء المدفعية، ثم صار مديرًا لبربر ودنقلة في عهد المغفور له «محمد علي باشا» والي مصر. وكان «عبد الله بك الجركسي» جده لأبيه. أما لقبه «البارودي» فنسبة إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة. وذلك أن أحد أجداده الأمير مراد البارودي بن يوسف شاويش، كان ملتزمًا لها، وكان كل ملتزم ينسب في ذلك العهد إلى التزامه.

وكان أجداد البارودي يرقون بأنسابهم إلى حكام مصر المماليك. وكان الشاعر شديد الاعتداد بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله، فكان له فيه أثر قوي في جميع أدوار حياته، وفي المصير الذي انتهى إليه.

ولقد حُرِم «البارودي» العطف الأبوي منذ نعومة أظافره. مات أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره، فكفله بعض أهله وضموه إليهم. وقد تلقى في بيتهم دراسته الأولى من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة. فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزة؛ ومن ثم كان لزامًا على أبناء هذه الطبقة أن يتعلموا فنونها لينهضوا بالمناصب الرئيسية للدولة؛ هذا إلى أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثه فيها محمد علي، والذي كان الجيش أسه وقوامه.

وخرج البارودي من المدرسة الحربية في أخريات سنة ١٢٧١ هجرية/١٨٥٤ ميلادية، وهو في السادسة عشرة من عمره. ولسوء حظه وحسن حظ الأدب كانت ولاية مصر قد آلت حينئذ إلى «عباس الأول» ثم إلى «سعيد»، وكان «عباس» قد عدل عن الخطة التي بدأها محمد علي حين رأى الدولة العثمانية تنظر إلى جيش مصر بعين الريبة والقلق، لذا تعطلت النهضة التي كانت متصلة بالجيش في الصناعة والتعليم، وبدأ يخيم على مصر جو من الركود وإن دأبت الروح المصرية في توثبها بعد الذي رأته من قوتها على غزو الشعوب وغزو المملكة العثمانية نفسها.

وأظل عهد سعيد وخرج «الباشجاويش» «محمود سامي البارودي» من المدرسة الحربية في هذا الجو الراكد تستجن في حناياه أسباب اليقظة والقلق. ماذا تراه يصنع؟ لقد سرح الجيش، وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر، وقسر هو وأمثاله من رجال

السيف على عيش الخمول والدعة، وكان أكثر هؤلاء رجالًا صغار الأحلام لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى سكينتهم وسكنوا إلى خمولهم، ولعل كثيرًا منهم قد سرهم البعد عن مواطن القتال وخطره، وطاب لهم عيش الدعة والتنادر بفارغ القول وهُراء النميمة والنفاق. فأما هذا الشاب الذي لم يخض بعد غمار الحياة والذي يجري في عروقه دم الإمارة والمجد، فقد أحس ثورة الشباب تهزه هزًّا عنيفًا. تطلع إلى الماضي القريب وذكر مسيرة الأعلام المصرية إلى بلاد العرب وإلى سورية وإلى الأناضول، فتمنَّى لو أنه نعم بنعيم هؤلاء الغزاة وشاركهم في سراهم وضرائهم. وتطلَّع إلى ما قبل هذا الماضي، فارتسمت أمامه صورة أجداده المماليك يحكمون على ضفاف الوادي، فحنَّ إلى عهدهم، وتمنَّى لو كان معهم. والمنى حلم مسعد ما اتَّصل بمستقبل يرجو الإنسان فيه مجدًا وسلطانًا، لكنها ألم لاذع حين يطلب إلينا الماضي أن نحققها فإذا المستقبل أمامنا مظلم عبوس.

كيف يتسلى الشاب عن هذا الألم؟ ألا سبيل إلى ميادين يخلقها وحروب يخوض غمارها مع الخائضين؟ إن العرب أجدادنا الأولين — والعربي جد لكل من تكلم العربية — قد سجلوا في شعرهم وقائع الحرب، وصوروا ميادينها، وبلغوا من قوة تصويرهم أن أجروا فيها حياة لا تبلى، حياة لا تعرف الركود ولا الضعف ولا الاستكانة. فليرجع الشاب إلى ديوان الحماسة، وليقرأ الشعراء الذين يطوون الزمن أمام بصائرنا، ويجعلوننا — على بعد ما بيننا وبينهم — نسمع قعقعة السلاح، ونرى نزال الأبطال، ونشترك معهم في المعركة بقلوبنا وأرواحنا، وإن لم نشترك فيها بدروعنا وسيوفنا.

اندفع الشاب يقرأ الشعر العربي القديم، فتختزن ذاكرته القوية منه كل ما طاب لها ادكاره. وألفى البارودي في هذا الشعر روعة وجمالًا يأخذان باللب، ويحركان اللسان إلى القول. وهذا الشعر لا يقف عند الحروب والميادين وما تخلعه على الأبطال من مجد، بل يتناول الحياة كلها: جدها وهزلها، حلوها ومرها؛ ففيه الغزل والوصف والحكمة، وكل ما يطمع الإنسان أن يجده فيه. وأنت كلما ازددت إمعانًا في قراءته وتدقيقًا في معانيه، انفسحت لك آماده، فازددت به متاعًا، وبحفظه تعلقًا.

وتحركت نفس الشاب لقول الشعر بعد أن توفر على مطالعته واستظهاره. لكن! أي شعر يقول؟ وإلى أي الأغراض ينزع؟ أفيمدح؟ ولكن من؟ ولماذا؟ أفيدعو؟ ولكن من؟ وإلى أي شيء؟ وهل بين الأغراض أنبل مما يجول بنفسه من آمال وآلام! أليس هو البارودي؟ سليل المماليك، الطموح إلى المجد وإلى الفخر بماضٍ مؤثل! والدم الذي يجري في عروقه، وإن فقد أباه طفلًا وعاش يتيمًا، يسمو به على أمثاله من أرباب السيف جميعًا، بل يسمو به على كل من في الملكة، ويجعله وحده الجدير بأن يكون غرض شعره.

هذه النزعة في شعر البارودي بدت منذ شبابه، ومنذ بدأ قريضه يستقر لتحفظه الأجيال، والقصيدة التي رثى بها أباه وهو في العشرين من سنه تصرح بهذا المعنى واضحًا جليًّا، فهو يقول فيها إنه فرد بين أنداده لا نظير له فيهم. وهو يكرر هذا المعنى في كل شعره طول حياته. وإيمانه بتفوقه هو الذي سما به إلى الذروة من مناصب الدولة، كما أنه هو الذي انتهى به إلى النفي وبشعره إلى الخلود.

ولقد رضي البارودي عن شعره منذ قاله، إذ رآه صورة نفسه، وما تصبو إليه من مجد. لذلك لم ينصرف عنه حين عيَّره أبناء طائفته أنه يحاكي النظاميين الذين يلتمسون عطف حاكم، أو عطاء أمير. وكيف يسمع لهم أم كيف يطيعهم؟ وهو يقول الشعر سموًّا بأغراضه عن أن تصاغ إلا في أجمل اللفظ وأروع العبارة! ولقد سبقه من الأمراء في الدول العربية شعراء مجيدون خلد الدهر شعرهم وأثبت التاريخ في أمجد صفحة أسماءهم. وكان ابن المعتز شاعرًا، وكان الشريف الرضي شاعرًا، وكان أبو فراس شاعرًا، وكان امرؤ القيس قبل هؤلاء جميعًا شاعرًا. ولقد قرأ البارودي شعرهم جميعًا فطرب له واهتز لروعته. أفلم يقرأ من يعيرونه مثل ما قرأ؟ وما ذنبه إذ قعد بهم جهلهم عن المتاع بجمال الشعر، وقعدت بهم قراحهم عن صوغ مثله! وهو في هذا المعنى يقول:

تكلمت بالماضين قبلي بما جرت　　به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمدني بالإساءة غافل　　فلا بد لابن الأيك أن يترنما

كانت دولة الشعر ناشئة إذ ذاك. فكان عبد الله فكري ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله النديم وقليلون غيرهم يقولونه في أغراض شتى. لكن البارودي الناشئ كان من طراز غير هؤلاء جميعًا. كان غيرهم بنسبه، وبتفكيره، وبمثله الأعلى في الحياة؛ ثم كان غيرهم بموهبته في الشعر. فهو لم يتعلم النحو والصرف والعروض والقوافي، وهو لم يقل الشعر يبتغي بقوله مأربًا، إنما سجع به لأنه في سليقته، ولا بد لأبن الأيك أن يترنم، وسجع به على عادة الأمراء الشعراء من قبله ليخلق من بحوره ميادين لمجد يعوضه مما فات سيفه في ميادين القتال، بعد أن ردَّت الأقدار سيف مصر إلى غمده.

على أنه رأى الجو المحيط به لا يتسع لتحليقه ولا لطموحه. ولعله رأى كذلك أن هذا الشعر العربي الذي اتصلت أنغامه بروحه قد يضيق على سعته عما تصبو إليه روحه. لذلك سافر إلى الأستانة عاصمة الدولة، والتحق بوزارة الخارجية، وتعلم اللغتين

التركية والفارسية، وعكف على آدابهما، فاستظهر شعرهما وتغنى بأوزانه، ودعته سليقة الشاعر إلى القول فقال بالتركية والفارسية، كما قال من قبل بالعربية.

على أن السليقة العربية كانت أصيلة في نفسه، فلم يفتأ طوال السنين التي أقامها على ضفاف البسفور يقرأ دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين ويدرسها ويستظهر منها ما يطيب له استظهاره. فلما كانت السنة ١٢٧٩ هجرية/١٨٦٣ ميلادية سافر «إسماعيل باشا» بعد أن تولى أريكة مصر يرفع إلى متبوعه الأعظم بالأستانة آي الشكر على ولايته، وألحق «سامي البارودي» بالحاشية التي صحبته أثناء مقامه بدار الخلافة، فتوسم إسماعيل فيه النجابة والطموح، فعاد به إلى مصر في شهر رمضان من تلك السنة.

عاد «البارودي» إلى مصر في الرابعة والعشرين من سنه يبدأ صفحة جديدة من حياته، فقد عقد إسماعيل العزم على أن يعيد مصر سيرتها في عهد جده، فيجب أن يكون لها جيش قوي وأعلام خفَّاقة، ويجب أن تعود إلى نهضتها في العلم والصناعة، بل يجب أن تتطلع إليها أنظار العالم كله إعجابًا بها وتقربًا إليها، ويجب لذلك أن تنقل كل ما في أوروبا من أسباب الحضارة، ولأن تسير في ذلك بخطى جبارة تجعل هذا العاهل المصلح يرى بعينيه ثمرة سياسته ومجهوده. وَرُقِّيَ البارودي في رتبته العسكرية أول ما نزل مصر، وعين على قيادة فرقتين من الفرسان Les Gardes ففتح رقيه آفاقًا من الحياة أمامه جعل عابسها يبسم له. وزاد في ابتسامها أنه لم يلبث في منصبه الجديد إلا قليلًا، ثم أوفد إلى فرنسا مع جماعة من ضباط العسكرية المصرية حيث شهدوا مناورات الجيش الفرنسي السنوية، ومن هناك سافروا إلى لندن، فشهدوا من الأعمال العسكرية ما زادهم بها علمًا.

وعادوا جميعًا إلى مصر، فإذا الحظ يلقى البارودي مفتوح الذراعين ليضمه إليه، فيرقى به في سنة إلى رتبة «القائمقام» في فرسان الحرس Les Gardes، ثم إلى رتبة «أميرالاي» ليتسلم قيادة الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاص. أي شيء هذا إلا أنه المجد الذي طمح إليه صبيًّا، فلما لم تتيسر له أسبابه هجر مصر إلى الأستانة. أما وقد بدأ الدهر يعرف له مكانه ويهيئ له أسباب العظمة طائعًا مختارًا، بل مغتبطًا مسرورًا، فقد بدأت الأمور تطمئن والعدل يعود إلى مصر، أفآن لهذا الشاب أن يستقر؟ كلا! فقد شبت الثورة في جزيرة أقريطش (كريت) على الدولة العثمانية بعد أربعة أشهر من تسلمه تلك القيادة. وكانت سياسة إسماعيل ترمي إلى مجاملة الخليفة ومعاونته ليبلغ

الغاية من أغراضه. لذلك أرسل جندًا يعاون قوات جلالته على قمع تلك الثورة، ثم كان البارودي «رئيس ياور حرب» في هذا الجند، ما كان أسعده يوم عُيِّن، وما كان أشده سعادة يوم سافر! لقد شعر بسيفه يهتز في قرابه، وبيده تمسك مقبض هذا السيف لتضرب به الثائرين، ورأى مجد الجندي يتجلى أمامه وهو واقف على السفينة يلقي على الموج المصطخب نظراته الهادئة المطمئنة. فلما رست به السفينة على شاطئ الجزيرة الثائرة خف يتقدم رفاقه، مسرحًا بصره في الأودية والوهاد حوله، مشوقًا أي شوق للقاء الذين خرجوا على الولاء للدولة وتنكبوا عن طاعة السلطان.

وأحسن «البارودي» البلاء في الحرب، فأنعم عليه السلطان بالوسام العثماني من الدرجة الرابعة. لكن إنعام البارودي علينا وعلى نفسه كان أعظم من كل وسام. ففي الحرب قال نونيته التي مطلعها:

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان وهفا السرى بأعنة الفرسان

كما قال أبياته التي استهلها بقوله:

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارت كما تهوي على قطبها الحرب

من يومئذ بدأت الأنظار تتطلع إلى البارودي الشاعر تطلع إعجاب وإكبار. لقد ترنم هذا الشاب بأنغام في الشعر لم يألفها أهل زمانه. فهم إنما ألفوا الشعر تجارة ومرتزقًا؛ كان محمود صفوت الساعاتي، أسلم معاصريه ديباجة وأقومهم عبارة، لا يقول إلا ليمدح أمراء الحجاز أحيانًا، وولاة مصر وسادتها أحيانًا أخرى، يبتغي عطاءهم ويرجو إحسانهم. وكان ما يعرض في شعر هؤلاء المعاصرين من حكمة أو فخر قولًا معادًا. سبقهم إليه غيرهم في ديباجة أمتن ولفظ أكرم. وكانوا جميعًا متأثرين بشعر المتأخرين، فكانت المحسنات البديعية عندهم كل شيء، وكانت معانيهم في جملتها مطروقة متداولة. أما هذه القفزة التي قفزها «البارودي» فسما بها إلى مكان الفحول من الشعراء الأولين في الجاهلية والعصور الأولى من الإسلام، فقد أثارت عجب الناس واستثارت إعجابهم. وحق للناس أن يعجبوا. فهذا الشاب الشاعر الملهم هو الرسول الذي بعثته العناية لينفخ في الشعر العربي روحًا تنشره من الجدث الذي انطوى عليه القرون الطوال، وليمهد السبيل من بعده لأبناء مذهبه: شوقي، وحافظ، وإسماعيل صبري، ومن سار سيرتهم، ونسج نسجهم.

ما الجديد الذي استرعى الأسماع في شعر البارودي؟ أهو الأسلوب الجزل والديباجة البدوية اللذان تجليا في كثير منه؟ لكن أسلوب «الساعاتي» وديباجته كانا لا يخلوان من جزالة وبداوة، وقد نزع جميع الشعراء إبان هذه النهضة الأولى ذلك المنزع، فإن فاقهم «البارودي» وسما عليهم فلا جديد في تفوقه، إنما الجديد الذي استرعى الأسماع لشعره ودعا إلى الإعجاب به، هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو في بساطة وسلاسة وقوة، دون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية من جناس وطباق ونحوهما، ودون إغراب في الخيال، إن أثار العجب لم يثر الإعجاب.

وفي شعر «البارودي» ظاهرة لعله لم يفطن لها أول الأمر أحد. فهو قد اعتمد في تصويره الواقع على حاسة النظر أكثر من اعتماده على سواهما. وأنت إذ تقرأ قصيدتيه اللتين أثبتنا مطلعيهما عن حرب «أقريطش» ترى تصوير المرئيات واضحًا فيهما كل الوضوح، وترى هذا التصوير سهلًا لا تعمل فيه. فهو في القصيدة الأولى يصور الليل الضارب بجرانه فوق الربى والمتالع، لا تستبين العين في ظلمائه غير الضوء المنبعث من أسنة الحراب، وغير التماع سيوف الثائرين المختفين في جنح الظلام، فإذا أصبح الصبح رأيت هذه الجبال انقلبت أسنة وأعنة لكثرة العدو الجاثم فوقها، ورأيت الماء أحمر قانيًا لكثرة ما يختلط من دم القتلى به. وتستطيع أن ترجع إلى القصيدة الثانية في هذا الجزء من الديوان لترى صورة الحرب دائرة الرحى، والخيل مائجة من الكر والفر صدورها، والأرض دائرة بالأبطال كأنهم سكارى من وقع الهول، والشاعر يرى هذا كله ثم يقول:

صبري لها حَتَّى تجلَّت سماؤها وإني صبورٌ إن ألَمَّ بيَ الخطبُ

وتصوير المنظور صفة بارزة في شعر البارودي كله، وذلك شأنه بخاصة فيما لم ينزع فيه إلى تقليد المتقدمين. بل لقد كان هذا التصوير الروائي للمنظورات يغالبه وهو يقلد، وبائيته المشهورة التي قالها في صباه معارضًا قصيدة الشريف الرضي «لغير العلا مني القلى والتجنب» والتي مطلعها:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويعجب

فيها من هذا التصوير شيء غير قليل.

وأنت ترى التصوير واقعيًّا في غير تقليد في بائيته التي مطلعها:

أين أيام لذتي وشبابي   أتراها تعود بعد الذهاب

وهو يصف في هذه القصيدة مشهدا لمصر تراه أعيننا كما رآه هو، ويصفه وصفًا قويًّا يجعله حيًّا ناطقًا، كله النشاط والحركة. ولقد قال هذه القصيدة وهو منفي في سرنديب يأسف فيها لذهاب الشباب ويحن إلى وطنه، فإذا الوطن صورة منظورة أمامه يرسمها رسم مصور بارع.

ولقد قوت البيئة التي عاش فيها البارودي هذا الجانب التصويري من شاعريته. فهو مذ عاد من «أقريطش» بعد قمع ثورتها، قد أقام اثنتي عشرة سنة كاملة بعيدًا عن ميادين القتال، عين أثناءها ياورًا «بمعية» الخديو إسماعيل، ثم رئيس الياورية، ثم اصطفاه الخديو كاتم سره الخاص، ثم سافر في رحلتين قصيرتين إلى الأستانة في مهمة سياسية تتصل بفتنة «الهرسك»، ثم بفتنة «البلقان والجبل الأسود» في هذه السنوات الاثنتي عشرة سنة كانت مصر ميدان حياة ونشاط قل نظيرهما في أمة من الأمم. نهض بها إسماعيل بعد النكسة التي أصابتها في عهد سلفيه سعيد وعباس الأول، نهضة هي أدنى إلى الثورة منها إلى النشاط، أراد لها أن تقف مع الأمم الأوروبية في صف الحضارة وأن تكاتفها في الوجود الدولي. وهذه الأمم قد بلغت مكانتها في أجيال متعاقبة بذلت أثناءها جهودًا جبارة لتبلغ ما بلغته، فليضاعف أبو الأشبال الجهود، وليجعل الزمن رهن أمره، وليدفع مصر متضافرة معه، قوية بقوته، ليصل في سنوات إلى ما وصلت إليه أوروبا في تلك الأجيال، وماذا ينقصه أو ينقص مصر لتحقيق هذه المعجزة؟ العزم! الذكاء! الهمة! البأس! هذا كله موفور فيه وفي مصر، وكل ما عليه أن يتجنب ما وقع فيه جده الأكبر فلا يناصب الدولة العثمانية العداوة، فينجو من تألب أوروبا عليه. فأما المال فالحصول عليه يسير، فمصر غنية، وقناة السويس التي تشق خلالها ستزيدها ثراء وتجعلها مركز الحياة في العالم.

ذلك ما يؤكده دليسبس، وذلك ما لا سبيل إلى الريب فيه. فلتقترض مصر المال لتحقق بنهضتها المعجزة التي تبهر العالم. ومصر الناهضة الفتية القوية قديرة على أداء ديونها وعلى مضاعفة ثروتها.

وأول ما مرَّ بخاطر إسماعيل أن تضارع عاصمته عاصمة نابليون الثالث، وأن تكون القاهرة باريس الشرق، ولم تك إلا سنوات حتى قامت القصور شاهقة على شاطئ

النيل بين الجزيرة والروضة: روضة المقياس. لكن إسماعيل كان أبعد نظرًا وأعمق ذكاء من أن يكتفي بهذه المظاهر. فلتفتح المدارس، ولتمد السكك الحديدية، وليعم النشاط المعمر أنحاء الدولة جميعًا، ولتضارع حكومة مصر شركة قناة السويس في الجد والمثابرة، وليكن افتتاح القناة بين البحرين الأبيض والأحمر مشهدًا فذًّا في تاريخ العالم كله، تقع فيه أعين الملوك والساسة على مصر المتحضرة الناهضة بعبء الحضارة كنهضة فرنسا وإنجلترا بعبئها، وعلى إسماعيل مليك مصر ذي الأيدي قائمًا في أبهة من السلطان تذوي أمامها أبهة أصحاب العروش في الدول الأوروبية كلها.

وقد رأيت البارودي في معية إسماعيل ورأيته أمين سره، والبارودي شاب شاعر قوي الحس طموح إلى العلا، ابتسم له الحظ فقربه من صاحب العرش، وجعل الحياة وسرها ونعمته في ملكه وطوع يده. ماذا يصنع؟ أقام بحلوان، وأرخى لشبابه ولهوى الشباب العنان؛ فعرف الشراب ومجالسه، والغواني وفتنتهن، والطرب بالموسيقى والغناء؛ وقال في هذه الأغراض جميعًا، فما تكاد قصيدة من قصائده تخلو منها، لكنك في حل من أن تسأل: أأمعن في الحب وخضع لسلطانه؟ أو بلغ من إدمان الشراب وحياة اللهو ما بلغ الماجنون؟ أم كان شعره في الغزل وفي الخمر شعر محاكاة أكثر من تحدثا عن غرام صادق آخذ بمجامع قلبه، وعن إغراق في اللهو والخمر وولع بهما؟ أحسبنا في حل من القول بأنه كان مقلدًا في عزلته وفي خمرياته، وأن هوى نفسه كان إلى شيء غير المرأة وغير الخمر، وأن حديثه عن الخمر وعن المرأة إنما كان تقدمة إلى الفخر والوصف والسياسة وغيرها من الأغراض التي يريد القول فيها، وأنه في هذه التقدمة كان ينسج على غرار الأقدمين.

وما أكثر ما نسج البارودي على غرارهم؛ فهو طالما راض القول معارضًا الفحول الأولين، محاولًا أن يبذهم في ديباجته وفي قوة معانيه، وقد وفق للتفوق عليهم في أحيان، وقصر عن مداهم في أحيان أخرى، وكثيرًا ما كان ينتقل في معارضاته من بيئته المصرية الحديثة إلى بيئة بدوية جاهلية أو بيئة إسلامية بالشام أو بالعراق في عهد بني أمية أو بني العباس، ثم كان يجعل الغزل واللهو بالخمر والنساء، والحماسة والفخر، أغراضًا له في القصيدة الواحدة على طراز من حمل نفسه على معارضتهم؛ وكانت ذاكرته القوية تواتيه فيما يعارضهم فيه حتى تخاله أحدهم، ويختلط عليك الأمر إذا أردت أن تميز بين شعره وشعرهم، ومن كانت هذه حاله لم يكن لهوه صادرين عن عاطفة ألهبها الحب أو حركتها الخمر بمقدار ما حركها الحرص على التفوق في حلبة الفحول الأولين. وأنت

تراه يذكر في الحب ما تكاد تظنه حكاية حال، كقصيدته عن غرامه بغادة حلوان. وإنا لنميل إلى القول بأن هذا الغرام لا يزيد على صورة تخيلها الشاعر، وأقصى ما يذهب إليه الظن أنها صورة رآها في ليلة أنس فأعجبته فخلع عليها من شعره معاني الغرام، وإن لم يملكه حب ولم يقم بنفسه غرام. فالقصيدة التي تقص هذه الحكاية تبدأ بالخمر والحديث عنها، ثم تروي حديث هذا الغرام لتنتقل منه إلى الفخر بقومه الذين يدفعون عنهم مصارع هواه، فهم:

رجال أولو بأس شديد ونجدة   فقولهم قول وفعلهم فعل
إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسه   وسال بدفاع القنا الحزن السهل

وأنت ترى تداول هذه الصور في الكثير من قصائد شبابه: خمر وغزل وفخر، ولا ريب في أنه كان يحس ما يقوله في هذه الأغراض جميعًا، لكن الذي لا ريب كذلك فيه أن الحب لم يفتن يومًا لبه، وأن الخمر لم تذهب يومًا بعقله، فأما الفخر فكان يعبر عن أمانيه الخفية وآماله المكظومة. أقبل يقول الشعر في هذه الأغراض وفيما يتصل بها، متنقلًا بين حلوان والجزيرة، سعيدًا بمقامه إلى جانب إسماعيل، مطمئنًا إلى حظه بمصر، اثنتي عشرة سنة كاملة، وكما اختزنت ذاكرته الشعر صدر شبابه فقد اختزنت في هذه السنوات المتعاقبه من صور مصر ما زاده حبًّا لها وتعلقًا بها، وما جعله يتحدث في شعره عنها ويصف بديع مناظرها وصفًا لم يسبقه إليه أحد. وصف نهرها الفياض أبا الخير والنعمة، ووصف مزارعها الفسيحة تترامى أمام النظر إلى حدود الأفق، ووصف آثارها الفرعونية على نحو لعله أحدث ما جدد الشعر في عهده، وصف هذا كله مستقلًا بوصفه حينًا، جاعلًا منه بعض موضوعه في قصيدة من القصائد حينًا آخر، مستمتعًا به في الحالين، مسبغًا عليه من روعة شعره ثوبًا يزيده جمالًا ويزيد المصري له حبًّا وبه تعلقًا.

فلما كانت سنة ١٢٩٤ هجرية/١٨٧٨ ميلادية أعلنت روسيا الحرب على تركيا، وأرسل إسماعيل جيشًا يعاون متبوعه الأعظم، وسافر البارودي مع الجيش، واشترك في الحرب وكوفئ عن مواقفه فيها بإنعام الخليفة عليه برتبة أمير اللواء وبنيشان الشرف (الميداليا) وبالوسام المجيدي من الدرجة الثالثة.

ولم تصرفه ميادين القتال عن قول الشعر، بل لقد بعث منها إلى مصر من عيون شعره ما جرى بعضه مجرى الأمثال. ومن الذي لا يحفظ قوله:

إذا نحن سرنا صرَّحَ الشرُّ باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وفي هذه الفترة أضاف البارودي الحنين إلى الوطن إلى أغراض شعره، فهذا الحنين الذي لم يكن باديًا أيام «أقريطش» قد بدأ في حرب البلقان يظهر قويًّا، كما ترى في أبيات هذه القصيدة بل في مطلعها:

هو البينُ لا سلام ولا ردُّ ولا نظرة يقضي بها حقَّه الوجدُ

وظل تصوير المنظور واضحًا في هذا الطور وضوحه في أطوار شعر البارودي جميعًا؛ بل ظل يزداد قوة ووضوحًا، وتزداد فيه الحركة والحياة بنوع خاص.

فالبارودي إذ كان يسجل الصور في شعره لم يكن يسجلها في صمتها وسكينتها على ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة، بل في نشاطها وتحركها، حتى يرسم أمامك فيض الحياة في كل ما تقع عليه وما تحيط به باصرته.

عاد البارودي من حرب البلقان وقد أدرك الأربعين، وبلغ من الرتب العسكرية أسماها، فعُيِّن مديرًا للشرقية، فمحافظًا للعاصمة. وبينما هو في هذا المنصب ترك إسماعيل حكم مصر بعد تدخل الدول الأجنبية في شئونها، فكان ذلك نذيرًا بتجهم الحظ لبلاده، وللشاعر الفحل الذي شدا بجمالها وتغنى بمجدها.

لكن النهضة التي بثها إسماعيل في مصر، تركت في نفس الشعب أثرًا لا يسهل التغافل عنه أو القضاء عليه، يستطيع السلطان العثماني أن يصدر فرمانًا بتوليه توفيق، ويستطيع إسماعيل أن يغادر بلاده إلى إيطاليا، ويستطيع توفيق أن يجلس على عرش أبيه؛ ذلك كله يسير؛ لأنه يصدر بأوامر رسمية، وينفذ طوعًا لهذه الأوامر، لكن النبات الذي وضعت بذرته في التربة المصرية في عهد محمد علي، والذي تعهده إسماعيل بعنايته، وبذل الجهد والمال لتقويته، لا يمكن أن تنزعه الأوامر، أو يذهب به تغير الجالس على العرش، فكان طبيعيًّا أن تثير هذه الأحداث عواطف الشعب المصري على التدخل الأجنبي، وأن تلهب في النفوس شرارة القومية، وأن تدفعه إلى التشبث بالشورى وبالحكم النيابي وسيلة لإقامة العدل ومتابعة الإصلاح.

وزاد ارتقاء توفيق عرش مصر رجاء الشعب في بلوغ هذه المطالب، فازداد بها تشبثًا، ذلك أن توفيقًا كان متصلًا بالسيد «جمال الدين الأفغاني» وبالشيخ «محمد عبده» وبالدعاة إلى الإصلاح وإلى الشورى، على أنه لم يلبث حين آل إليه الحكم النيابي، وأعاد السلطة المطلقة، وهو لم يفعل ذلك تمردًا منه على المبادئ التي قال من قبل بها، وإنما فعله ضعفًا إلى التدخل الأجنبي الذي ازداد في عهده على ما كان في عهد أبيه، فكان للأجانب في الواقع زمام الأمر، وإن أرادت المظاهر الرسمية أن يكون توفيق الممسك بهذا الزمام.

وكان «سامي البارودي» من أنصار الحركة القومية ومن المقربين لذلك إلى توفيق في الزمن الأخير من عهد أبيه والفترة الأولى من عهده، ولقربه منه عينه مديرًا للأوقاف، فأصلح فيها ما وسعه الإصلاح، على أن اطراد التدخل الأجنبي ومقاومته لفكرة الحكومة النيابية في مصر حال دون ما يحتاج إليه الإصلاح من هدوء واستقرار. وقد أحس المستنيرون من المصريين بأن عليهم واجبًا لأنفسهم ولبلادهم أن يقاوموا تيار هذا التدخل، وكان المستنيرون يومئذ هم رجال الجيش كما سبق القول. لذلك انتقلت حركة المطالبة بالشورى والإصلاح من أيدي المدنيين إلى أيدي العسكريين. آذن هذا الانتقال بإثارة مشكلة جديدة لم تكن بادية للعيان في عهد إسماعيل، على رغم ما كان من نشاطها أثناء استخفائها. تلك حركة المصريين في الجيش، فقد كان رؤساء الجيش من الجراكسة والترك، ولم يكن يرقى إلى الصفوف الأولى من المصريين أحد. وكان هؤلاء الرؤساء على جانب عظيم من الغطرسة والبطش، أما ومصر تريد أن يكون أمرها لبنيها ولا تريد للأجنبي سلطانًا، فمن الحق أن تكون سياسة الجيش للمصريين، وألا يكون لهؤلاء الرؤساء الأجانب ما لهم من سلطان.

لم تكن هذه الفكرة واضحة في النفس المصرية هذا الوضوح في عهد إسماعيل، ولا أول حكم «توفيق»، ولعل التدخل الأجنبي هو وحده صاحب الفضل في تحريكها وإظهارها من بعد بجلاء وقوة، وإنما كانت الشكوى قبل ظهورها مقصورة على طلب العدل ورفع الظلم، لذلك كان «محمود سامي البارودي»، وهو جركسي كغيره من الجراكسة، محبوبًا من المصريين محبًّا لهم، بل كان موضع رجاء العسكريين منهم في رفع الحيف النازل بهم، وكيف لا يحبه المصريون جميعًا وقد تغنى بحب مصر ما تغنى، وقد وصف من جمال مصر ما لم يسبقه أحد إليه، وقد صور هذا الجمال في دقة تدل على إخلاصه وصدق محبته!

فلما ثار العسكريون المصريون بناظر الحربية «عثمان رفقي» فاستقال، أسند «توفيق» هذه الوزارة إلى البارودي مع ديوان الأوقاف.

على أن إسراع توفيق إلى الاتعاظ بالحوادث وإذعانه للتدخل الأوروبي وظهوره بتأييد الحكم المطلق وقف البارودي موقف الحيرة: أيظل على ولائه لصاحب العرش، أم على وفائه للشعب الذي اختصه بمحبته، ورأى رياض باشا، رئيس الوزارة يومئذ، إيثار البارودي للشعب، فدسَّ عليه عند توفيق، فاضطره إلى الاستقالة من الأوقاف والحربية، ودفعه إلى اعتزال الحياة السياسية والعيش بعيدًا عن جو القلق والاضطراب.

رأى توفيق حركة الجيش تكبر، فنحى رياضًا وأسند الوزارة إلى شريف باشا، ولم يقبل البارودي العود إلى الحكم حتى ألح عليه توفيق وأقسم له أن ليس في نفسه منه شيء، واستقال «شريف» فاضطر «البارودي» أن يؤلف الوزارة، بعد أن أصبح زمام الأمر في مصر إلى الضباط الذين يعتبرون الجراكسة أجانب كغيرهم من الأجانب.

وكان البارودي يرجو أن يتلافى هذه الحركة، وأن يصل بحسن رأيه إلى إقامة العدل والإصلاح في مصر على أساس من مبادئ الثورة السليمة التي انتشرت دعايتها في البلاد؛ لكن الأمور سارت على غير هواه، واندفع الضباط يفكرون في خلع توفيق، وقد نازعته نفسه يومئذ إلى مكان المجد وتحركت فيها أسباب الاعتداد بمكان أجداده المماليك الذين حكموا مصر، وقصيدته التي مطلعها:

قلدت جيد المعاني حليةَ العَزَلِ وقلت في الجِدِّ ما أغنى عن الهزل

لا تبرئه من هذا التفكير، وإن ذكر في الديوان أنها قيلت في عهد «إسماعيل»، لكنه رأى إنجلترا وفرنسا تتدخلان وتبعثان بمذكرتهما المشتركة إلى الحكومة المصرية، فأحس الخطر، ورأى أن لا طاقة لمصر بمواجهة هذا الموقف، ولقد حاول أن يتخلص منه بالاعتزال في مزارعه، وذلك بعد أن نصح للعرابيين وصارحهم برأيه، لكن اندفاعه في حركة الضباط من بدائتها حال بينه وبين التخلص منهم، فلم يكن له بد من أن يسير معهم، وأن يربط حظه بحظهم، وهذا الموقف الذي وقفه البارودي هو الذي جعله لا يبرز في الصف الأول من صفوف الثورة العرابية ولا يتولى زعامتها، ولو أنه كان مؤمنًا بها إيمان عرابي وأصحابه لكان من الطبيعي أن يتقدمهم وأن يدعو بدعايتهم، فهو قد اشترك في حروب «أقريطش والروسيا» وأبلى فيهما بلاء يجعله أقدر ضباط الثورة جميعًا على قيادتها.

وهو قد كان لا ريب أكثرهم ذكاء وأعلاهم ثقافة وأعرفهم بشئون الحياة الدولية.

أما وقد سايرهم إذعانًا لحكم الأحوال فقد رجع إلى الصف الثاني من صفوف الثورة، فلما أخفقت وحوكم زعماؤها حكم عليه معهم؛ لأنه شجَّعهم أول أمرهم، ولأنه لم يتنصل عنهم حين لجوا في عصيانهم.

ونفي مع زملائه زعماء الثورة إلى «سيلان»، فأقام بها سبعة عشر عامًا وبعض عام.

ولقد أقاموا جميعًا في كولومبو سبعة أعوام عاف البارودي خلالها بيئتهم إذ دبت الشحناء بينهم، وانقلب كل يلقي على زملائه تبعة ما حل به، ولم يكن ذلك ديدن البارودي ولا كان من خلاله، لذلك انتقل إلى «كندى» حيث قضى عشرة أعوام أخر تعلم خلالها الإنجليزية، وعلم بعض أهل «كندى» الدين الإسلامي واللغة العربية، واستطاع أن يتسلى، وإن لم يسل يومًا وطنه وأهله ومجده.

لمن يبث شكواه أو يعلن أساه؟! لا خير في اصطفاء زملائه وكلهم طائر اللب مروع القلب، ولا خير في التحدث إلى أهل البلاد، وقليل منهم من يفهم حديثه، وأقل من ذلك من يعرف قصته، لا معين له على شكوى إذن إلا ربة الشعر. فليشركها معه، وليترنم وإياها بهمومه، وليستعن بها على التصبر إن لم يجد إلى الصبر الوسيلة، وليتخذ منها رسوله إلى النائين عنه بمصر ممن يذكرونه ويتحسرون على مصابه حسرة على الشعر أن يقسو به القدر كل هذه القسوة، وكانت ربة الشعر نعم العزاء، مدت إليه قيثارتها، وألهمته أبلغ آياتها يوقعها عليها ليصعد في أنغامها كربة نفسه وهمة قلبه، يراجعه الحنين إلى الوطن فيشكو النوى، ويصور الوطن أروع صورة في أبرع عبارة؛ ويثور على الحنين وعلى الوطن فيعلن مصر ويهجو ناسها؛ ويحز الأسى في نفسه فيتوجع، وتراجعه جركسيته ويثور في عروقه دم المماليك فيعود إلى الفخر؛ وتبلغه الأنباء بوفاة الأهل والأصدقاء، فيرثي ويبكي ويسلم أمره إلى الله؛ وينخرط في الأسى وفي الألم، فيتخذ الزهد ملجأً من أساه ومن ألمه، ويقصر الزهد فلا يأسو جراح نفسه، فيثور، ويبلغ بالثورة أقصى الحدود؛ ويشعر بذهاب الشباب وبالأجل المكتوب في الغربة والنأي عن الإخوان والأهل فيستسلم للقضاء، وربة الشعر في هذه الحالات جميعًا مسلمة إليه نفسها، مسلمة له قيادها مادَّة إليه قيثارتها تلهمه وتقول معه وتعينه في هذا المنفى على أن يعيد إلى الشعر العربي جدة لا تبلى، ويجعل من آلامه وحسراته وثوراته وحنينه وضعفه وبكائه أداة هذه الجدة، ومصدر هذا البعث، بعد أن ظلت اللغة السليمة والأدب الرفيع ملتفين في أكفانهما قرابة ألف عام.

ونحن نحاول اليوم أن نلتمس الجديد في شعر البارودي، ونقصد بالجديد ما أبدع من أغراض لم تكن مطروقة في عهد الأولين ممن بعث لغتهم وشعرهم، وما كانت ذاتيته قوية واضحة فيه، وما يتصل بالحاضر مما جعله الشعر الأوروبي أغراضه، فليأخذ بألبابنا ما في ديوانه من الشعر السياسي، ومن وصف الطبيعة المصرية والآثار المصرية والحياة المصرية، أما ما خلا ذلك فلم يَعْدُ البارودي فيه مقاصد المتقدمين من شعراء العرب، ولم يَعْدُ أوزانهم وقوافيهم وأغراضهم. لم يفكر في الملاحم الكبرى كما فكر هوميروس في الإلياذة، ولا فكر في المسرحيات الشعرية كما فكر شكسبير في مسرحياته، وكما فكر دانتي في الكوميديا الإلهية، وهو في الحق لم يتجه بالشعر العربي غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم وراض القول على مثالهم، وإن كان من الحق كذلك أنه لم يفن فيهم، ولم يقصر همه على النقل عنهم، بل بدت شخصيته بارزة في شعره، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه، فلو أنه عاصر الأقدمين وعاش بينهم لكان له ما للأخطل وللفرزدق ولأبي فراس ولبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره، ويقف بها في الصف الأول من هؤلاء الأقران المبرزين.

لكنا يجب أن نعدل هذا الرأي إذا أردنا أن نبلغ النصفة حين البحث عن الجديد في شعر البارودي، وأن نقول إن هذا الشعر كان في عصره جديدًا كله.

كانت محاكاته الأقدمين جديدة، وكانت معارضته إياهم جديدة، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة، فقد هوى الشعر العربي قبله إلى درك من الانحلال جعله بالنسبة إلينا نسيًا منسيًّا، وجعلنا نكاد نسقط من حسابنا هذا الألف الذي انقضى من السنين بين الشعر العربي منذ بدء انحلاله، وبين هذا الشاعر الذي بعث الشعر العربي إلى الحياة من جديد، ونحن جميعًا مقلدون في أكثر ما نعرض له من شئون الحياة: مقلدون في الفن والأدب والشعر والعلم لأنها من شئون الحياة، وإنما نجدد بقدر في حدود ما يصلح فساد الماضي ويضيف إلى الصالح منه ما يزيد حياته بريقًا وما يزيده على الحياة قوة، فإذا كان البارودي قد بعث الشعر العربي واللغة العربية من مرقدها ورَدَّ إليهما حياة ذوت وذبلت قرونًا متعاقبة، فعمله هذا خلق لا ريب، وهو في عصره جديد كله، وهو جدير لهذا أن يتسنم ذروة المجد وأن يجلس بين الخالدين.

وإذا كان لم يعرف وحدة الغرض في القصيدة الواحدة كما نفهمها اليوم، وكما يفهمها أهل الغرب وكان ينتقل من الغزل إلى المدح إلى الفخر إلى الحماسة إلى الحكمة، كما كان يفعل البحتري وأبو تمام والمتنبي وغيرهم من كبار الشعراء، فذلك لأن رسالته

لم تكن تجديد للشعر العربي في حياته المتدفقة الفيَّاضة، بل كانت بعث الشعر العربي من مرقده وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين.

وما وفق له «البارودي» من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد تم في حياة الشعر العربي منذ نهض «البارودي» به، لا يقرن إليه إلا ما وفق له «شوقي» حين وضع مسرحياته الشعرية الخالدة: مجنون ليلى، ومصرع كليوباترا، وما إليهما.

ولعلك لا تعثر في شعر البارودي على فلسفة ظاهرة، ولقد تعثر فيه على زلات غير قليلة في اللغة كما يريدها المتزمتون، وقد يقع له أحيانًا أن يسيء الانتقال من غرض إلى غرض، أو أن تضم القصيدة الواحدة من قصائده أبياتًا بالغة غاية القوة والجزالة، وأخرى متخاذلة منحلة، أو ضعيفة النسج نابية في استعمال بعض المفردات، وقد تراه متناقضًا في القصيدة الواحدة: زاهدًا في أولها مسلِّمًا أمره للمقادير، ثائرًا في آخرها مالئًا ماضيه فخرًا بنسبه وفعاله وشجاعته وشعره، كما تراه يغرب في اللفظ حين يعارض الأقدمين، ثم لا يمنعه ذلك من أن يسيغ بعض الألفاظ العامية التي تأباها المعجمات ويثور بها رجالها؛ لكنك تجد له العذر عن ذلك حين ترجعه إلى أسبابه، وتجد له عذرًا أبلغ حين تذكر أن العبقرية التي تحلق بصاحبها في سموات تتعلق بها القلوب والعقول في إعجاب وتقدير، هي التي تستبيح ما يؤاخذ الناس المجيدين به، وما يحذر هؤلاء المجيدون الوقوع فيه، لأنهم لا يجدون عوضًا عنه في سمو صاحب الموهبة بعبقريته إلى حيث لا يلحقه أحد.

وللبارودي مع ذلك عذره عن كثير من المآخذ التي يتغاضى عنها كثيرون ويرون بعضها ضعيفًا وبعضها يشوبه الخطأ. فعذره عن أخطائه اللغوية هو عذر الفحول الأولين من كبار الشعراء الذين يستشهد بهم في كل خروج على قواعد اللغة، فهم لم يكونوا يتقيدون بها وقد كانت حديثة الوضع في عهدهم، وكانت أقوالهم حجة لذاتها، وهذا عذر ناهض البارودي، وهو كما رأيت لم يتعلم النحو والصرف والعروض والقوافي، وهو قد قال الشعر طوعًا لموهبته، بعد أن قرأ الشعراء الأولين وحفظ عنهم كل ما اطمأن إليه من أقوالهم؛ وأنت لذلك تستطيع أن تقول إنه عاصرهم وعاش معهم، فلم يكن أبناء زمانه من المصريين يعرفون اللغة العربية، وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هي العامية، فحياة «البارودي» المتصلة باللغة العربية كانت بين الشعراء الجاهليين وشعراء العصرين الأموي والعباسي. من ثم صارت لغتهم لغته، وصارت سليقة له كما كانت سليقة لهم؛ فكان يقولها ويتصرف فيها كما كانوا يقولونها ويتصرفون فيها. فإذا هو

سما بسليقته في اللغة كما سَمَوْا، ولم يتقيد بما تقيد به غيره من قواعدها فلا تثريب عليه، ولا شيء في ذلك يؤاخذ به، إن وجب التنبيه إليه.

أما ما يقال عن سرقات «البارودي» فلا ينهض مأخذًا عليه. وهو قد أسلف العذر عن محاكاة الأقدمين، إذ نص في تقديم بعض قصائده على أنها معارضة لقصيدة قديمة معروفة، أو أنها رياضه للقول على طريقه العرب، هذا إلى أن رسالة «البارودي» في الشعر كانت رسالة بعث كما قدمنا، وقد اتهم الفحول من الشعراء الأقدمين قبله بالسرقة، فاعتذر رواتهم وأنصارهم عنهم بأن ما نسب إليهم من ذلك إنما هو توارد خواطر، «كما يقع الحافر على الحافر» على حد تعبيرهم.

و«البارودي» أبلغ عذرًا؛ فقد كان محفوظه من الشعر القديم ضخمًا، وكان شعره هو ضخمًا كذلك، وأنت تصادف في ديوانه أبياتًا له مذكورة في أكثر من قصيدة، فلا عجب إذا ظن بيتًا محفوظًا لغيره بعض ما قاله فأدمجه في قصيدة من القصائد على أنه له.

والحق أن البارودي ما كان بحاجة إلى السرقة وعبقريته الشعرية ما عَرَفْتَ، وديوانه تربو فيه القصائد على المئات، والأبيات على الألوف، وما ينسب إليه أنه نقله عن الأقدمين قليل، كقوله:

عليَّ طلابُ العزِّ من مستقرِّه ولا ذنبَ لي إن حاربتني المقادرُ

وهو صورة في لفظه ومعناه من قول أبي فراس:

عَلَيَّ طِلابُ العزِّ من مستقرِّه ولا ذنبَ لي إن حاربتني المطالب

وهذا التطابق البين على قلته في شعر البارودي قد أوخذ غيره من الفحول بمثله، وإنما يفسره أن روح «البارودي» متصلة بالأقدمين كل الاتصال. وما قاله في الحكمة وكثير مما قاله في الفخر ليس ترديدًا لما قالوا؛ لأنه لم تكن له فلسفة خاصة كما قدمنا، ولأنه كان يبعث معاني الأقدمين كما كان يبعث لغتهم.

وأنا لا أسيغ تسمية هذا البعث سرقة، والشعراء والكتاب في كل أمة وعصر يتداولون المعاني بينهم، ثم يمتاز المبرز منهم بسطوع معانيه وقوتها، وبوضوح شخصيته في أغراضه وأسلوبه، وللبارودي من هذا التبريز حظ قل نظيره، وأنت لا تجد هذا التبريز

في قصائد المديح القليلة التي قالها؛ لأنه قال هذه القصائد مجاملة، أو نزولًا على حكم الأحوال، فلم تكن متصلة بنفسه ولا صادرة عن وجدانه الأبي المتعالي بفضله ومجده على كل من سواه. أما في الإباء، وفي الفخر، وفي الحنين، وفي الرثاء، وفي وصف الوقائع ووصف الطبيعة، فقد سما البارودي إلى حيث لا يلحقه إلا الأقلون من أكبر الشعراء فحولة وأكثرهم تبريزًا.

ويرجع تبريزه في هذه الأغراض إلى أنه كان يعبر بها تعبيرًا صادقًا عما تنطوي عليه جوانحه ويتردد في أعماق قلبه؛ أو عما شارك بنفسه فيه وكان له منه نصيب يرضاه. وهذا سر قوته في وصف الحرب ووقائعها، وسر دقَّته في التصوير السياسي لحال بلاده، وهو السر في عظمة ما قال في المنفى من مختلف ضروب الشعر في مختلف الأغراض، وفي تفرده بالقول في أغراض لم يعرفها معاصروه؛ لأنه لم يكن من طرازهم نسبًا ولا ثقافة ولا طموحًا في الحياة. فهو قد رأى من بهجة الدنيا ومن صروف الحدثان ومن عبرة المنفى ما لم يَرَوْ، وهو قد قال الشعر مخلصًا للشعر، محبًّا إياه، لا يبتغي به إلا رضا نفسه ورضا للفن، مؤمنًا بأنه وسيلته إلى الخلود في ضمير الأجيال.

وهذا الإيمان بالشعر هو الذي جعله يتوفر عليه في المنفى ويجعله بغية الحياة فيه، فلقد أيس من العود إلى الوطن، إذ أبت عليه نفسه أن يضعف فيسترحم كما فعل زملاؤه، بل إن له في هذه الفترة لأبياتًا ثائرة لا تقل عنفًا عن أشد الثورات المسلحة. وليس طبيعيًّا أن يكون هذا الشعر الثائر وسيلة للعفو عنه. من ذلك قوله:

فحتَّام نسري في دياجير محنة	يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع الجور إن سطت	عليه فلا يأنف إذا ضاع مجده
عفاء عَلَى الدُّنْيَا إذا المرء لم يعش	بها بطلًا يحمي الحقيقة شَدُّه
وإني امرؤ لا أستكين لصولة	وإن شدَّ ساقي دون مسعاي قِدُّه

بل لقد كانت هذه الأبيات وأمثالها أدنى إلى إثارة حفيظة الإنجليز وحفيظة صاحب العرش في مصر عليه. وما كان زهده وإسلامُهُ أمرَهُ لله ليمحُوَا أثرها، أو لينهضا حجة على أنه ضعف فتاب عما قدم وندم على ما انطوت عليه نفسه من حب المجد وطلابه.

وطال به النفي سبعة عشر عامًا كان قول الشعر كما كان اختيار أجود ما قاله الأقدمون سلوته فيها. فلما تقدَّمت به السن وطال به النوى وتخطَّف الموت أثناء ذلك ابنته وزوجه وأصحابه، بدأ بصره يضعف، وصحته تضمحل، ونذر الفناء تدب إليه.

هنالك رأى أولو الأمر أن يعود المنفيون من سيلان إلى بلادهم. وعاد البارودي مهيض الجناح محطمًا ليس فيه «إلا أشلاء همة في ثياب». لكنه عاد يحمل معه كتاب الخلود الذي لا يبلى. ذلك هو ديوان شعره الذي نقدمه للقراء. وللأقدار سخرية يا لها من سخرية! فهذا الرجل الذي بعث العربية في أفصح لفظ وأمتن ديباجة، وخلع عليها من الجلال والجمال ما رد إليها كل قوتها وكل بلاغتها، وقد عفا عنه خديو مصر بأمر كريم هذا نصه:

> بناء على الإنهاء المرفوع لنا من «محمود سامي» بالتماس الإحسان عليه بالتمتع بالحقوق الوطنية قد اقتضت مكارمنا منح المومى إليه التمتع بالحقوق الوطنية، وعلى ذلك فيجوز له من الآن امتلاك أي ملك من أي نوع كان في الأقطار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع أو بأي طريقة كانت الذي كان محرومًا منه بمقتضى الأمر العالي الصادر في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ / ٣٠ صفر سنة ١٣٠٠ وأصدرنا هذا لعطوفتكم لإجراء مقتضاه.
>
> عباس حلمي

وتاريخ هذا الأمر ١٨ محرم سنة ١٣١٨ / ١٧ مايو سنة ١٩٠٠.

فلما صدر هذا الأمر وردته السفينة إلى وطنه، كان أول ما قاله إثر عودته قصيدته التي مطلعها:

أبابل مرأى العين أم هذه مصر فإني أرى فيها عيونًا هي السحر

ونزل البارودي مصر، فكانت أوبته إليها عيدًا نشر البِشر في عالم الأدب كله.

أصبح منزله ندوة الأدباء والشعراء وذوي المكانة، يأنسون إليه ويأنس إليهم، ويستمتعون بحديثه، ويرى في مجالستهم ما يأسو الجراح التي أدمت قلبه سنوات النفي الطوال، فإذا خلا إلى نفسه رتب مختاراته وعني بتنقيح ديوانه يريد إعدادهما للطبع. ولقد بذل في ذلك مجهودًا يدل على حبه شعره وإيمانه به. وأصول الديوان تشهد بهذا المجهود، فأنت ترى الأبيات التي حذفها من بعض القصائد، والأبيات الأخرى التي غيرها كلها أو بعضها، شهيدة على صدق إيمانه بأن العبقرية مجهود متصل في سبيل الكمال.

وقضى في مصر أربع سنوات ذهب أثناءها ما بقي من بصره، فإذا ريح الوطن ووفاء بنيه يعزيانه عن نور البصر وعن كل ما في الحياة، فلما كانت الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٤/السادس من شوال ١٣٢٢ لبى داعي ربه تاركًا لمصر وللعالم العربي هذا التراث الذي لا يبلى، ولا يعدو عليه الموت ولا يجني عليه النسيان.

لبى نداء ربه ولم يكن قد طبع المختارات ولا الديوان، فتولت أرملته التي تزوجها بسرنديب طبع المختارات وطبع الجزأين الأول والثاني من الديوان «إلى آخر قافية اللام».

وحسب البارودي ديوانه آية لمجده وتراثًا للأجيال بعده، فهذا الديوان تمثال عبقرية خالدة، وهو باقٍ لذلك بقاء الأبد أيًّا كان الشاعر الذي ينسب إليه. فما بالك وهو صورة صادقة لحياة صاحبه؟! أَوَتستطيع الفنون مجتمعة أن تقيم تمثالًا يخلد من هذا الشاعر الملهم ما يخلده شعره النابض بالحياة وأنغامها، والذي بعث العربية خلقًا جديدًا؟

أدع الجواب لأرباب الفن ولقراء الديوان.

محمود سامي البارودي باشا يحكي رحلته إلى المنفى

إني لما أفضتْ بي غوائل الزمن إلى مفارقة الأهل والوطن، وحقَّت كلمة الوداع وأنصت كل مجيب وداعٍ، سارت بأشياخنا الفلك بتقدير من له الملك، فلما توسطنا لجة اليم، وغشيتنا ضبابة الهم، أخذ البحر يهدر ويموج، والريح تعصف وتروج، والدجن يبرق ويرعد، والموت يقرب ويبعد، والفلك بين صعود وهبوط، والناس بين رجاء وقنوط، فشخصت الأبصار، وغابت الأنصار، وأقبل الفزع، واستولى الجزع، وشغلت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر، هنالك دعا ربَّهم الغافلون، وكفته أذيالهم الرافلون، فلا ترى إلا ناكس الطرف لا ينبس بحرف كأنما أظلتهم الرجفة، أو غشيتهم الوجفة، فهم لفرط الحيرة خمود تحسبهم أيقاظًا وهم رقود، فلم يزل يتخبطنا اليم، ويأخذ بأكظامنا الغم، حتى كادت الأنفس تزهق، وأظفار المنية ترهق، ونحن في وعاء لا نملك إلا الدعاء، ولبثنا على ذلك ثلاثًا لا نجد فيها حياة، وكيف لنا بالخلاص ولات حين مناص، فبعد لأي ما سكنت فورة الريح، وهدأت ثورة ابن بريح، وتجلت بنورها السماء، واصطلح الماء والهواء، فقرت الأنفس في الصدور، وتنفس كل مصدور، ولم يبق إلا سوق الحديث من قديم وحديث، والفلك يمخر البجر بجؤجؤه، ونحن في الشهر في دؤدؤه، حتى انتهى بنا الدبيب، ولاحت لأعيننا سرنديب.

منازل لم تألف بها النفس حالفًا	على أن فيها كل ما تشتهي الأنفس
ولا عيب فيها غير أن ليس بها	أنيس وفقد الخل في غربة حبسي
وكيف يطيب العيش في ظل بلدة	خلاء من الأُلاف ليس بها إنسي

فدخلتها مشبوب الأنين، على الأهل والبنين، لا أستطيع لما عراني دفعًا، ولا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا، وما ظنك بمن غاب عنه السمير، والتاع بالفرقة منه الضمير، فهو بين هموم ناصبة، وأحزان واصبة، وأشجان يهلك لها الصبر، ومرارة يحلو عندها الصبر، إن نطق بصوت لا يدركه السمع أو نظر فبعين قد ملأها الدمع.

غريب تخطاه الأساة فما له سوى عبرات المقلتين طبيب

وما أسفي إني غريب عن الحمى ولكني بين الأنام غريب

فالتفت يمينًا فلم أصب معينًا، فانعطفت شمالًا فلم أجد ثمالًا، فدارت بجثماني الأرض، واشتبه عَلَيَّ الطول والعرض، فبت وحيدًا لا أجد محيدًا، وكانت الليلة شاتية والريح صرصرًا عاتية، والسماء باسرة كاسفة ليس لها من دون الله كاشفة. قد كلح وجهها فاكفهر، ولمح برقها فازمهر، واصطك ركامها فانهال، وصعق رعدها فهال، لو كابدها النابغة لما شعر، ولو سلكها سليك لاقشعر، فلم أزل أمارس هولها حتى ترَّ، وأرقب فجرها حتى افتر، فلما وقعت أنفاس النسيم، وحسر الصبح عن محياه الوسيم، وتنغم العصفور في سماوة عذباته، وتبغم اليعفور في مسارح شذباته، صحت بغلامي كافور، فأقبل يرف كالعصفور، يكاد يخرج من جلدته، ويزفن كأبناء جلدته، فقلت له ما هذا الطرب وقد أودى الأرب، فقال: انظر يا مولاي إلى السماء، والنبت والماء، تجد منظرًا وسمًا، ومسرحًا قسيمًا: أزهار ترف، وغدران تشف، ومربع يغني العقول بروائه، ونسيم يشفي الأسقام بدوائه، فقم لعلك تستريح فقد سكن القطر والريح، فلم يضحك لقوله سني، وعلمت أنه ليس مني، وأين يذهب اللهو بقلب قد عفا رسمه، ولم يبق في الشغاف إلا وسمه، بل كيف يطرب الغريب أو يحق إلى الصبوة الحريب؟ هيهات ما كل شامة خالا، ولا كل حلقة خلخالا، وأين النضار من الصغر؟ والجنة من التلال القفر، تالله ما بعد الوطن دار، ولا في غير الكعبة مدار، ولكن من لم يجد حراكًا سكن، ومن أعجزته الحيلة ركن، وما كانت لتعدم نفسي جلدًا ولكن ثكل أرأمها ولدًا، فلبثت شهرين أطول من دهرين حتى مستني العلة، وأخطأتني التعلة، فدعاني الطبيب إلى ترك الحاضرة والتوغل في بعض الهضاب الناضرة. فعقدت بعد التوكل بندى على المسير إلى كندى، فلما حللت بواديها، وسرت في بواديها، تلاهيت عما أجده من الحرقة، وأتجرعه من مرارة الفرقة.

شعر:

رعيًا لها من بلدة لو أنَّ لي   فيها أخًا يرعى ذمام إخائي
ضنت بها نفسي كما سمحت بها   فانظر لقرب ضنانتي وسخائي
ومن العجائب أنني من غربتي   ونعيمها في شدة ورخاء

فلما اشتدت أوصالي، وحان في العلة فصالي، نهدت ذات يوم غب زيال النوم إلى بعض هاتيك الودائق، لأتنسم أنفاس الحدائق، فإذا أيكة مغنة، وأطيار مرنة، ودوحات تكاد تمس السماء، وتصرف عن أدراجه العماء، والنسيم يتدرج، والعبير يتأرج، والطير بين رنيم وصفير، والريح بين شهيق وزفير.

شعر:

أرض أدار بها الندى أقداحه   بيد النسيم فغصنها مخمور
يترنم الشحرور في عذباتها   ويقيل في أثلاثها اليعفور
خطر الغمام بها فمسحب ذيله   في كل واد جدول مسجور
فإذا نظرت ففي السماء غمامة   تدق الجمان وفي الفضاء غدير
وإذا أصخت فللبلابل نغمة   تشجي الخلي وللحمام هدير
وخمائل أظلالهن لفيفة   ونسائم أنفاسهن عبير
فالقطر دُرٌّ والجداول فضة   والزهر تبرٌ والنبات حرير
فاحلل بها عقد النسيب ولا تخف   إثمًا فربك للذنوب غفور

فلم أزل أتنقل من نجد إلى وهد، وأتوقل من صدر إلى نهد حتى داوني المسير إلى ربوة تدعو الحليم إلى الصبوة، فاشرأبت إلى عين أشد صفاءً من العين، قد انفجرت بسلسال كلسان الصباح، أو كسنان المصباح في بركة تزري بالهالة عند استوائها، وتزهو على الوذيلة بحسن روائها، قد افترت عن ثغر حصبائها، وتكسرت في مهب أصابها، وأحاطت بها أفنان الشجر إحاطة الأهداب بالبصر، وتشعبت منها جداول كذوب اللجين، تتلوى في جريتها تلوي الأين فكأنها مناصل جردتها الكماة، أو قسي وترتها للنزع الرماة، فهي تجري بين غيضة ملتفة، وأشجار مصطفة، إذا لاعبتها أنفاس الشمال مالت إلى اليمين والشمال، وإن عبثت بها ريح الجنوب كادت أن تمس الأرض بالجنوب.

بيد أني لم أجد في تلك المناظر مسلاةً للقلب والناظر، ولا في أغاريد البلابل ما يشفي لوعة البلابل، ولا ألهتني ذات الطوق عما أجده من التوق، ولا أنستني نسمات الأصائل ما انقطع من حرمات الوصائل؛ بل حسبت أن قطرات الحزن دموع أسالتها زفرات الحزن، وتوهمت أن كل نواره نحلة في الرواء سواره، وخيل إلي أن حمرة الجلنار ساطعة في النار، وظننت الأغصان رماحًا تخطر أوصافها تشدخ الهام وتشطر، ورأيت من الجداول أساود تنهش، وفي الأزهار عيونًا تنهش، فكلما تلفت ضقت فتكفت، فقعدت ناحية في تلك الناحية، ثم رفعت طرفي إلى السماء، ودعوت بهذه الأسماء: اللهم يا هادي الضلال في الليل المدلهم، وناصر الهلاك في غمرة اليوم المسلهم، ويا جابر العثرات وكاشف الحسرات ألهمني بفضلك صبرًا يعصمني من الجزع، وألبسني جلباب أمن يقيني حوله الفزع، وقني بلطفك شر نفسي، واجعل يومي خيرًا من أمسي، وحن بإحسانك ديباجي، ولا تجعل إلا إليك حاجتي، فقد أنخت ببابك مطية الرجاء، وتمسكت من حمايتك بإطناب الالتجاء، فلا تصرفني من دعائك خائبًا، فقد جئتك من ذنوبي تائبًا.

ثم قبعت قبعة المقرور، ونفث نفثة المحرور، وأخذت أقلب الآراء، وأسأل زندي ألا يراء حتى فاءت إليَّ نفسي، وراجعني بعد لأي حدسي، وعلمت أن لكل محنة روعة، ولكل مصيبة لوعة، وأن الإنسان رهن الحدثان، ورأيت أن الصبر على الضر أجدر بشيمة الحر، وأي امرئٍ عاهده الدهر، ولم يغدر أو صفا له ثم لم يكدر؟ وكيف لا ينقلب الحال والزمان قلب؟ أم كيف تصدق مخيلته وهي خلَّب: هيهات ما وعد إلا وخلف، ولا وعد إلا وأتلف، ولا أضحك إلا وأبكى، ولا هان إلا وأنكى، وقلَّ من صاحب الدهر فنجا من هوله، أو عانده ولم يصعق من صوله، وكفى بالحوادث لمن تبصر نذيرًا، ولمن خاف عاقبته أمره حذيرًا، والعاقل من تأسى بغيره، وميز بين نفعه وضره، فلا تحزن على ما ذهب إذا استرد الدهر ما وهب، وليست الحياة إلا عارة في هذه الدعارة، فحسب الجاهل أن الأمر بيده فنسي أن يأخذ من يومه لغده، هيهات لا يدرك بعد الفوت، ولا حيلة بعد الموت، فتمسكوا في أعمالكم بالسبب الأقوى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

مقدمة الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقير إلى رحمة الله تعالى محمود البارودي:

اللهم إني أحمدك على ما هديت، وأشكرك على جزيل ما أسديت، وأستعينك على رعاية ما أسبغت من النعم، وأستهديك لشكر ما أثبت من الدعم، وأعوذ بك من عثرات اللسان، وغفلات الجنان، كما أعوذ بك من غدرات الزمان، وبغتات الحدثان، وأسألك اللطف فيما قضيت، والمعونة على ما أمضيت، وأستغفرك من قول يعقبه الندم، أو فعل تزل به القدم، فأنت الثقة لمن توكل عليك، والعصمة لمن فوض أمره إليك، وأشهد أن محمدًا رسولك الأمين، وشفيعك الضمين، الذي بعثته بالنور الباهر، والبرهان القاهر، فقام بالحق صادعا، وللضلالة رادعا، حتى ثبت الدين ووضح اليقين، اللهم فصلِّ عليه ما أشرق النجم، وأورق الشجر والنجم، وعلى آله بدور المحافل، وأصحابه صدور الجحافل، صلاة يهتز لها الفلك، ويتنزل برضوانها الملك، واحشرنا في زمرتهم مع القوم الفائزين، ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

وبعد فإن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب، فيفيض بلألائها نورًا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك، ويهتدي بدليلها السالك، وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه، وائتلقت معانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى، سليمًا من وصمة التكلف، بريئًا من عشوة التعسف، غنيًّا من مراجعة الفكرة، فهذه صفة الشعر الجيد، فمن آتاه الله منه حظًّا، وكان كريم الشمائل، طاهر النفس، فقد ملك أعنة القلوب، ونال مودة النفوس، وصار بين قومه كالغرة في الجواد الأدهم، والبدر في الظلام الأيهم، ولو لم يكن من حسنات

الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس، وتدريب الأفهام، وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق، لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همة مطمح، ومن عجائبه تنافس الناس فيه، وتغاير الطباع عليه، وصغو الأسماع إليه، كأنما هو مخلوق من كل نفس، أو مطبوع في كل قلب، فإنك ترى الأمم على اختلاف ألسنتهم، وتباين أخلاقهم، وتعدد مشاربهم، لهجين به، عاكفين عليه، لا يخلو منه جيل دون جيل، ولا يختص به قبيل دون قبيل، ولا غرو، فإنه معرض الصفات، ومتجر الكمالات، ولقد سمع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحق مقطعه ثلاث　　يمين، أو نفار، أو جلاء

فجعل يعجب من معرفته بمقاطع الحكمة وتفصيلها.

وللشعر رتبة لا يجهلها إلا من جفا طبعه، ونبا عن قبول الحكمة سمعه، فهو حلية يزدان بجمالها العاطل، وعوذة لا يتطرق إليها الباطل.

ولقد كنت في ريعان الفتوة، واندفاع القريحة بتيار القوة، وألهج به لهج الحمام بهديله، وآنس به أنس العديل بعديله؛ لا تذرعًا إلى وجه أنتويه، ولا تطلعًا إلى غُنم أحتويه، وإنما هي أغراض حركتني، وإباء جمح بي، وغرام سال على قلبي، فلم أتمالك أن أهبت، فحركت به جرسي، أو هتفت فسريت به عن نفسي، كما قلت:

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت　　به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالإساءة غافل　　فلا بد لابن الأيك أن يترنما

وقد يقف الناظر في ديواني هذا على أبيات قلتها في شكوى الزمان، فيظن بي سوءًا من غير روية يجليها، ولا عذرة يستبينها، فإني إن ذكرت الدهر فإنما أقصد به العالم الأرضي لكونه فيه، من قبيل ذكر الشيء باسم غيره لمجاورته إياه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية، وكما قال أبو كبير عامر بن حليس الهذلي:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها　　فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فإنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل، سكنوا وتركوا السعاية، ولهذا أمثلة كثيرة.

لا أقول ذلك تبرؤًا من الوهم، ولا اعتمادًا على صحة الفهم، فإن المرء وإن كثر إحسانه، لا يسلم من الزلة لسانه، وقل من توغل من حرجات القريض، فنجا قبل أن يغص بالجريض، ولقد ذكرت مرة قول أبي المنهال بن بقيلة الأكبر:

وإنما الشعر لب المرء يعرضه   على المجالس إن كيسًا وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله   بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ثم عرض لي قول الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه   إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه   والشعر لا يسطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه

فعزمت على الإفصار قبل الإحصار تفاديًا من خطأ ربما عرض، أو ناقد ربما اعترض، بيد أني راجعت المخيلة، لأسبر هذه الدخيلة، علمًا أن للنفس طفرة، وللوهم عند التوجس نفرة، فأشفقت من هذا العزم، بعد الإصرار والجزم، ولست بأول من عدل عن رأيه، وثاب عن متابعة وأيه، فهذا عمر بن أبي ربيعة، لم يطق أن يغالب الطبيعة، وقد كان ركب من قحمة اليمين عقبة، ألا يلوك بيتًا إلا أعتق رقبة، فلم يلبث أن هاج به الحنين، وعلق بمدارج أنفاسه الأنين، فقال كلمته التي أولها:

تقول وليدتي لما رأتني   طربت، وكنت قد أقصرت حينا

ثم أعتق لكل بيت عبدًا، ولم يجد من المقال بُدًّا، ولا بدع فللإنسان فتون بشعره، وولوع ببنات فكره، ولولا ذلك ما دون الناس أشعارهم، ولا اتخذوا حلية الأدب شعارهم، كيف لا؟ وبقاء الذكرة حياة الأبد، وحب الخلود أطمع لقمان في لبد، وإني وإن لم أكن من فرسان هذه الغارة، ولا من رماة الحدق في مثل هذه القارة، فالتخلق بأخلاق الكرام محمدة، والتعلق بأذيال الخمول مفسدة، ولله در من قال:

عليَّ السعي في طلب المعالي   وليس عَلَيَّ إدراك المرام

والله أسأل أن يلهمني الصواب، ولا يحرمني الثواب، إنه أكرم مسئول وأفضل مأمول، آمين.

محمود سامي البارودي

قافية الهمزة

قال في النَّسِيب: (من الكامل)

صِلَةُ الخَيَالِ عَلَى الْبِعادِ لِقَاءُ   لَوْ كانَ يَمْلِكُ عَيْنِيَ الإغْفَاءُ
يا هاجِرِي مِنْ غَيْرِ ذَنبٍ في الْهَوَى   مَهْلا، فَهَجْرُكَ والمنُونُ سَواءُ
أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بالْفُؤادِ فَشَفَّهُ   وَمِنَ الْعُيونِ عَلَى النُّفُوس بَلاءُ
هِيَ نَظْرَةٌ، فامْنُنْ عَلَيَّ بِأُخْتِها   فالْخَمْرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمارِ شِفَاءُ
أَنَا مِنْكَ مَطْوِيُّ الْفُؤادِ عَلَى جَوًى   لَوْلا الدُّمُوعُ ذَكَتْ بِهِ الْحَوْبَاءُ
لا أنْتَ تَرْحَمُني، ولا نارُ الهَوَى   تَخْبُو وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزاءُ
فانْظُرْ إلَيَّ تَجِدْ خَيالَةَ صُورَةٍ   لَمْ يَبْقَ فيها لِلحياةِ ذَمَاءُ
رَقَّتْ لِيَ الْوَرْقَاءُ فِي عَذَبَاتِها   وَبَكتْ عَلَيَّ بِدَمْعِهَا الأَنْداءُ
وَتَحَدَّثَتْ رُسُلُ النَّسِيمِ بِلَوْعَتِي   فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَها إِصْغَاءُ
كَلَفٌ تَنَاقَلَهُ الْحَمَامُ عَنِ الصِّبَا   فَصَبَتْ إِلَيْهِ الغِيدُ والشُّعَراءُ
فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتًى غَرَامٌ كَامِنٌ   وَبِعَطْفِ كُلِّ مَلِيحَةٍ خُيَلاءُ
فَدَعِ التَّكَهُّنَ يا طَبِيبُ فَإِنَّمَا   دَائِي الْهَوَى، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا   نَفْسِي وَدَائِي لَوْ عَلِمْتَ دَوَاءُ
وَبِمُهْجَتِي رَشَئِيَّةٌ مِنْ دُونِها   أُسُدٌ، لَهَا قَصَبُ الرِّمَاح أَبَاءُ
هَيْفَاءُ مَالَ بِهَا النَّعِيمُ، فَخَطْوُها   دُونَ الْقَطَاةِ، وَنُطْقُها إيمَاءُ
تَرْنُو بِأَحْوَرَ لَوْ تَمَكَّنَ لَحْظُهُ   مِنْ صَخْرَةٍ لارْفَضَّ مِنْهَا الْمَاءُ
حَكَمَ الجَمالُ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ   فَتَحَكَّمَتْ فِي النَّاسِ كَيفَ تَشَاءُ

غَضبَتْ عَليَّ، وَمَا جَنَيْتُ وَرُبَّمَا حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وهْوَ بَراءُ
طَافَ الوُشَاةُ بِهَا فَكَان لِقَوْلِهِم فِي مِسْمَعَيْهَا رَنَّةٌ وحُداءُ
لَولاَ النَّمِيمَة لَمْ يَقَعْ بَيْنَ امْرِئٍ وَأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدَادِ عِدَاءُ
أَشَقِيقَةَ الْقَمرَيْنِ! أيُّ وَسِيلَةٍ تُدْنِي إِلَيكِ؟ فَلَيْسَ لِي شُفَعَاءُ
جُودِي عَلَيَّ وَلَو بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَالوَعْدُ فِيهِ تَعِلَّةٌ وَرَجَاءُ
وَثِقِي بِكِتْمَانِ الْحَدِيثِ، فَإِنَّمَا شَفَتَاي خَتْمٌ وَالْفُؤَادُ وِعَاءُ
لاَ تَرْهَبِي قَوْلَ الوُشَاةِ، فَإِنَّهُم قَدْ أَحْسَنُوا فِي الْقَوْلِ حِينَ أَسَاءُوا
زَعَمُوكِ شَمْسًا لاَ تَلُوحُ بِظُلْمَةٍ وَلِقَوْلِهِمْ عِنْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ
فَعَلاَمَ تَخْشَيْنَ الزِّيارَةَ بعدَما «أَمِنَ ازْدِيارَك في الدُّجَى الرُّقَباءُ»
هِي زَلَّةٌ فِي الرأْيِ مِنْهُم أَعْقبَتْ نَفْعًا، كَذَلِكَ تَفْعَلُ الْجُهَلاَءُ
كَيْدُ الْغَبِيِّ مَساءَةٌ لِضَمِيرِه وَلِمَنْ يُحَاوِلُ كَيْدَهُ إرْضاءُ
وَالنَّاسُ أَشْبَاهٌ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ الآرَاءُ
وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ، وَإِذَا خَلَتْ مِنْ فِطْنَةٍ، لَعِبَتْ بِها الأَهْوَاءُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرِّجَالُ تَفَاوُتٌ ما كانَ فيهِمْ سادَةٌ ورِعاءُ
وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ فِي أطْوارِهِمْ ومَلِلْتُ حَتَّى مَلَّنِي الإِبْلاَءُ
فَإِذَا المَودَّةُ خَلَّةٌ مَكْذُوبَةٌ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ، وَالوفَاءُ رِياءُ
كَيفَ الوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سَوْداءُ
لَو كَانَ فِي الدُّنْيَا وِدَادٌ صَادِقٌ مَا حَالَ بَيْنَ الخُلَّتَيْنِ جَفاءُ
فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِن الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالسَّعْيُ في طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

وقال مادحًا: (من الكامل)

عَبَّاسُ، يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدَالَةً وَأَجَلَّ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بثنَائِهِ
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتَ لِي وَجْهًا قَرَأتُ الْبِشرَ فِي أَثْنائِهِ
فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ أَنتَ بَدْرُ سَرِيرِهِ وَعِمَادُ قُوَّتِهِ، وَنَصْرُ لِوَائِهِ
يَا أَيُّهَا الصَّادِي إلى نَيْلِ الْمُنَى رِدْ بَحْرَ سُدَّتِهِ تَفُزْ بِوَلائِهِ
هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي وَرِثَ العُلاَ عَنْ نَفْسِهِ شَرَفًا، وَعَنْ آبَائِهِ
الْعَدْلُ مِنْ أَخْلاَقِهِ، وَالْعِلْمُ مِن أَوْصَافِهِ وَالْحِلْمُ مِن أَسْمَائِهِ

لَا غَرْوَ أَنْ جَمَعَ المحَامِدَ يَافِعًا وَسَما بِهِمَّتِهِ عَلَى نُظَرَائِهِ
فَالعَينُ وَهْيَ صَغِيرةٌ فِي حَجْمِهَا تَسَعُ الفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمائِهِ

وقال مهنِّئًا: (من الكامل)

أَهِلالُ أَرْضٍ أَم هِلالُ سَماءِ شَمِلَ الزَّمَان وأَهْلَهُ بِضِيَاءِ؟
بَدَرَتْ لَوامِعُ مِنْهُ شَقَّ وَمِيضُها حُجُبَ الظَّلامِ فَماجَ في لألاءِ
وَبَدتْ أَسِرَّتُهُ فَكانت غُرَّةً لِلْمُلْكِ فَوْقَ أَسِرَّةِ الْجَوْزَاءِ
نُورٌ تَوَلَّدَ بَيْنَ بَدْرٍ طَالِع في أَوْجِ عِزَّتِهِ، وَشَمْسِ عَلاءِ
أَكْرِمْ بِطَلْعتِهِ هِلَالًا لَم يَزَلْ يَعْنُو إِلَيْهِ هِلالُ كلِّ لِواءِ
هُوَ مَوْلِدٌ عَمَّ «الْكِنَانَةَ» نُورُه فَتباشَرتْ باليُمنِ وَالسَّرَّاءِ
لَبِسَتْ بِه الدُّنْيَا جَمالَ شَبابِها وتَبَرَّجَتْ كالغادَةِ الحَسْناءِ
فاهْنَأْ «بِعَبْدِ القادرِ» الشَّهْمِ الذي وافاكَ يَرْفُلُ في سَنًا وسَناءِ
واسْعَدْ بِهِ وأخِيهَ يا بْنَ محمَّد في ظِلِّ مُلْكٍ وَارِفِ الأَفْيَاءِ
وَلَسَوْفَ تَنْجُمُ أَنْجُمٌ عَلَوِيَّةٌ تَجْلُو ظَلامَ الشَّكِّ بالآراءِ
منها صُدُورُ مَحافِلٍ وجَحافِلٍ في يَومِ أَقْضِيَةٍ ويَوْمِ لِقَاءِ
وَبَوارِقٌ تَنْهَلُّ فينَا بِالنَّدَى وصَواعِقٌ تَنْقَضُّ في الأَعْداءِ
وَكَأَنَّنِي بِكَ بَيْنَهُمْ مُتَرَفِّعًا كالْبَدْرِ بَيْن كَواكِبِ الْخَضْراءِ
فانْعَمْ بِعِزِّكَ يا مَلِيكُ ولا تَزَلْ تَحوِي يَدَاكَ مَقالِدَ الْعَلْياءِ
لا زِلْتَ مَعْمُورَ الفِنَاءِ مُهَنئًا في نِعْمَةٍ مَوْصُولَةٍ بِبَقَاءِ

وقال يصف الجيزة وذكرياته فيها: (من الكامل)

غادِ النَّدَى بالْجِيزَةِ الْفَيْحَاءِ واحْدُ الصَّبُوحَ بِنَغْمَةِ الوَرْقَاءِ
وَالْمَحْ بِطَرْفِكَ مَا وَحَتْهُ يَدُ الصِّبَا فَوقَ الغَدِيرِ تَجِدْ حُروفَ هِجاءِ
مَنْ كُلِّ حَرْفٍ فيهِ مَعْنَى صَبْوَةٍ تَتْلُو بهِ الْوَرْقَاءُ لَحْنَ غِناءِ
مَيْدَانُ سَبْقٍ لِلْخَلاعَة، أَشْرَقَتْ فِيهِ الْكُمَيْتُ بِغُرَّةٍ غَرَّاءِ
حَمْرَاءُ دارَ بِها الْحَبابُ، كَأَنَّها شَفَقٌ بَدَتْ فِيهِ نُجُومُ سَمَاءِ

هِيَ كَالأَشِعَّةِ غَيْرَ أَنَّ ضِيَاءَها ... مِنْ ذَاتِها، لا مِن ثُقُوبِ ضِياءِ
وإذا رَجَعْتَ إلى الْيَقِين فَإنَّها ... نارٌ تَحَلَّلَ جِسْمُها في ماءِ
تَجْري فَتَفْعَلُ بِالْعُقُولِ كُئُوسُها ... مَا تَفْعَلُ الأَلْحَاظُ بالأحْشاءِ
خَفِيَتْ عَلَى الأحْقابِ، فَهْيَ ذَخِيرَةٌ ... مِنْ عَهْدِ آدَمَ أُودِعَتْ بِوِعاءِ
مَحَقَ الْفَناءُ وُجُودَها، فَتَزَايَلَتْ ... إلا نَسِيمًا شَفَّ عَنْ حَوْبَاءِ
هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا ... أَمْلاكُها في سَالِفِ الآناءِ
فانْهَضْ إلى شُرْبِ الصَّبُوحِ فَقَد بَدَا ... شَيْبُ الصَّباح بِلِمَّةِ الظَّلْماءِ
وَتَرَنَّمَتْ في وَكْرِها سَحَرِيَّةٌ ... تُغْنِي الْمَقَامَةَ عَنْ صَفِيرِ النَّاءِ
وَرْقاءُ تَسْجَعُ في سَماوَةِ أَيْكَةٍ ... مَوْشِيَّةِ الْعَذَباتِ بالأنْداءِ
تَبْكِي الْهَدِيلَ وما رأَتْهُ، فَيا لَها ... مِنْ ذُكْرَةٍ عَرَضَتْ بِغَيْرِ لِقاءِ
قَدْ أَشْبَهَتْنِي في الْهَوَى، لَكِنَّها ... لَمْ تَحْكِنِي في لَوْعَتِي وبُكائي
مَالَ النَّسِيمُ بِهَا، ومَالَ بي الأَسَى ... شَتَّانَ بَيْنَ نَعِيمِهَا وَشَقَائِي
أَنَا يَا حَمَامَةُ مِنْكِ أَعْلَمُ بِالْهَوَى ... فَدَعِي الْحَنِين، فَلَسْتِ مِنْ أَكْفَائي
إنِّي امْرُؤٌ مَلَكَ الودادُ قِيادَتي ... وَجَرَى عَلَى صِدْقِ الْعُهُودِ وفائي
لا أَسْتَرِيحُ إِلَى السُّلُوِّ، ولَوْ جَنَى ... خِلِّي عَلَيَّ، ولا أَشِينُ وَلائي
لا ذِمَّتِي رَهْنُ الْفِكاكِ، ولا يَدِي ... تُلْقِي أزِمَّة عِفَّتِي وحَيائي
لِكِنَّنِي غَرَضٌ لأسْهُمِ حاسِدٍ ... وَارِي الْجَوانِحِ مِنْ لَهيبِ عِدَائي
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ جَنَيْتُ، وإنَّما ... بُغْضُ الْفَضِيلَةِ شِيمَةُ الْجُهَلاءِ
تَعِسَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ، فَإنَّها ... شَرَقُ النُّفُوسِ، ومِحْنَةُ الْكُرَماءِ
أنا في زَمانٍ غادِرٍ، وَمَعَاشِرٍ ... يَتَلَوَّنُونَ تَلَوُّنَ الْحَرْباءِ
أَعْداءُ غَيْبٍ لَيْسَ يَسْلَمُ صاحبٌ ... مِنْهُمْ وَإخْوَةُ مَحْضَرٍ وَرَخاءِ
أَقْبِحْ بِهِم قَوْمًا بَلَوْتُ إخاءَهُمْ ... فَبَلَوْتُ أَقْبَحَ ذِمَّةٍ وإخاءِ
قَدْ أَصْبَحُوا لِلدَّهْرِ سُبَّةَ نَاقِمٍ ... فِي كُلِّ مَصْدَرِ مِحْنَةٍ وَبلاءِ
وأَشَدُّ مَا يَلْقَى الْفَتى في دَهْرِهِ ... فَقْدُ الْكِرام، وَصُحْبَةُ اللُّؤَماءِ
شَقِيَ ابنُ آدَمَ في الزمانِ بِعَقْلِهِ ... إنَّ الْفَضِيلَةَ آفَةُ الْعُقَلاءِ

وقال في وصف الخريف: (من مجزوء البسيط)

تَوَازَنَ الصَّيفُ والشِّتَاءُ ... واعْتَدلَ الصُّبْحُ والْمَسَاءُ
واصْطَلَحَتْ بَعْدَ طُولِ عَتْبِ ... بَيْنَهُمَا الأرْضُ والسَّماءُ
فلا اصْطِحارٌ، ولا اكْتِنَانٌ ... ولا ابْتِرادٌ، ولا اصْطِلاءُ
تَبْتَهِجُ العَيْنُ في رِياضٍ ... أَنْضَرَها الماءُ والْهَواءُ
مَنابِتٌ زَرْعُها بَهِيجٌ ... وَغَيْضَةٌ ماؤُها رَوَاءُ
لِلطَّيْرِ في أَيْكِها هَديلٌ ... ولِلصَّبا بَيْنَها مُكَاءُ
تَوارَت الشَّمْسُ عَنْ ذَراهَا ... وشَبَّ مِنْ زَهْرِها سَناءُ
فالصُّبْحُ والظُّهْرُ والْعَشَايَا ... وَالوَهْنُ مِنْ لَيْلِها سَوَاءُ
فَلا ضَبابٌ ولا غَمَامٌ ... ولا ظَلامٌ، ولا ضِياءُ
فَقُمْ بنا نَغْتَنِمْ شَبَابًا ... ولَذَّةً بَعْدَها فَنَاءُ
ولا تُطِلْ فِكْرَةَ التَّمَنِّي ... فإنَّهُ الْحُكْمُ والْقَضَاءُ
يُريدُ كُلُّ امْرِئٍ مُنَاهُ ... «ويَفْعَلُ الله ما يَشاءُ»

وقال يصف منزلًا في إحدى نواحي «قندية» بجزيرة «أَقريطِش»: (من الكامل)

وخَمِيلَةٍ بَكَرَتْ سَمَاوَةُ أَيْكِها ... تَحْمِي الْهَجِيرَ عَنِ النُّفُوسِ وتَدْرَأُ
تَسْتَنُّ فيها الرِّيحُ بَيْنَ مَنابِتٍ ... خَضْراءَ، يَغْشاها الْجبانُ فَيَجْرُؤُ
تَسْتَوْقِفُ الأبْصارَ في غُدْرانِها ... صُوَرٌ تَزُولُ مَعَ النَّسِيمِ وتَطْرَأُ
يَنْسَى بها الْمَوْتُورُ مَا فِي نَفْسِهِ ... طَرَبًا، وَيَنْزِلُها السَّقِيمُ فَيَبْرَأُ
فَالْوُرْقُ تَهْتِفُ، والرَّبارِبُ تَرْتَعِي ... والْعِينُ تَبْغَمُ، والبَلابِلُ تَصْرَأُ
فَنَباتُها عَمَّا يَعِيبُ مُنَزَّهٌ ... وهواؤها مِمَّا يَشِينُ مُبَرَّأُ
شَجْرَاءُ تَسْلُكُها السَّمُومُ فَتَغْتَذِي ... رَهْوًا، ويَسْكُنُها الهَجِيرُ فَيَمْرَأُ
فَتَحَ الرَّبِيعُ بِها مَدَارِسَ بَهْجَةٍ ... لِلعَينِ فِيها بَهْجَةٌ لا تَضْرَأُ
فالرِّيحُ تكتبُ، والْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ ... والسُّحْبُ تَنْقُطُ، والحمائِم تَقْرَأُ
صُوَرٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِي صَانِعٍ ... واللهُ يَخلُقُ مَا يَشَاءُ ويَبْرَأُ

وقال: (من الطويل)

ألا عـاطِـنِـيـهـا بِـنْـتَ كَـرْمٍ تَـزَوَّجَـتْ عَـلَـى نَـغَـمـاتِ الْـعُـودِ بِـابْـنِ سَـمَـاءِ
أتَتْ حِـقَـبٌ مِـنْ دُونِـهـا، فَـتَـهـدَّمَـتْ سِـوَى رَدْعِ لَـوْنٍ، أَوْ رَفِـيـفِ ذَمَـاءِ
إذا اتَّقَدَتْ في الْكَأْسِ خِلْتَ وَمِيضَهَا عَـلَـى وَتَـراتِ الْـكَـفِّ نَـضْـحَ دِمـاءِ
فهَاتِ وخُذْ واشْرَبْ ودُرْ واسْقِ وارْتَجِعْ إلَـى الـدَّوْرِ مِـنْ بَـدْءٍ عَـلَـى الـنُّـدَمَـاءِ
ودَعْـنِـيَ مِـنْ ذِكْـرِ الْـوَقَـارِ، فـإنَّـنِـي عَـلَـى سَـرَفٍ مِـنْ بِـغْـضَـةِ الْـحُـلَـمَـاءِ
فَمَا الْعَيْشُ إلا ساعَةٌ سَوْفَ تَنْقَضِي وَذَا الـدَّهْـرُ فـيـنَـا مُـولَـعٌ بِـرِمـاءِ
وَلا تَـحْـسَـبَـنَّ الـمـرءَ يَـبْـقَـى مُـخَـلَّـدًا فَـمَـا الـنَّـقْـصُ إلا بـعـدَ كُـلِّ نَـمـاءِ
أبِـي آدمٌ بـاعَ الْـجِـنـانَ بِـحَـبَّـةٍ وَبِـعْـتُ أَنَـا الـدُنْـيَـا بِـجَـرْعَـةِ مـاءِ

وقال: (من الخفيف)

لَكَ روحي، فاصْنَعْ بِها مَا تَشَاءُ فَـهْـيَ مِـنِّـي لِـنـاظِـرَيْـكَ فِـداءُ
لا تَكِلْنِي إلَى الصُّدُودِ فَحَسْبِي لَـوْعَـةٌ لا تُـقِـلُّـهـا الأَحْـشَـاءُ
أنـا والـلـه مُـنْـذُ غِـبْـتَ عَـلِـيـلٌ لَـيْـسَ لِـي غَـيْـرَ أَنْ أَرَاك دَوَاءُ
كَيْفَ أُرْوِي غَلِيلَ قَلْبِي؟ وَلَم يَبـ ـقَ لِعَيْنِي مِنْ بَعْدِ هَجْرِكَ مَاءُ
فَـتَـرَفَّـقْ بِـمُـهْـجَـةٍ شَـفَّـهـا الْـوَجـ ـدُ، وعَيْنٍ أَخْنَى عَلَيْهَا الْبُكَاءُ
أنـا راضٍ بِـنَـظْـرَةٍ مـنـكَ تَـشْـفِـي بَـرْحَ قَـلْـبٍ هـاجَـتْ بِـهِ الأَدْواءُ
نَـظْـرَةٌ ربَّـمـا أَمـاتَـتْ وَأَحْـيَـتْ ومِـن الْـخَـمْـرِ عِـلَّـةٌ وشِـفَـاءُ
لا تَـخَـلْ نَـمَّـةَ الْـوُشَـاةِ صَـلاحًـا فَـهْـي دَاءٌ تَـدوَى بـه الْـحَـوْبَـاءُ
ومِـن الـنـاسِ مَـنْ تَـراهُ سَـلِـيـمًـا وَبِـه لِـلْـحُـقُـودِ داءٌ عَـيـاءُ
فاحْذَرِ الناسَ ما اسْتَطَعْتَ، فإنَّ النـْ ـنَـاسَ إلا أَقَـلَّـهُـمْ أَعْـدَاءُ
واخْتَبِرْنِي تَجِدْ صَدِيقًا حَمِيمًا لـم تُـغَـيِّـرْ وِدادَهُ الأَهْـواءُ
صادِقًا في الَّذِي يَقُولُ وإنْ ضا قَـتْ عَـلَـيْـهِ بِـرُحْـبِـهَـا الـدَّهْـنَـاءُ

وقال وقد نظم قول أعرابي في صديق له: «صَفِرَتْ عِيابُ الوُدِّ بَيْني وبَيْنَهُ بعد امْتِلائِها، واكْفَهَرَّتْ وُجُوهٌ كانَتْ بمائِهَا»: (من الوافر)

لَقَدْ صَفِرَتْ عِيابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبيْنَ أَحِبَّتِي بعدَ امْتلاءِ
وَعادَتْ أَوْجُهُ المَعْرُوفِ سُودًا وكانَتْ مِنْ نَضارَتها بِماءِ

وقال عَنْد وُرُودِ نَعْيِ ابْنَتهِ إِلَيْهِ ولم يَسْتَطِعِ الْبُكَاءَ، مِنْ غَلَبَةِ الحُزْنِ عليه: (من الوافر)

فَزِعْتُ إلى الدُّمُوعِ، فَلَمْ تُجِبْنِي وفَقْدُ الدَّمْعِ عِندَ الْحُزْنِ دَاءُ
وما قَصَّرْتُ في جَزَعٍ، ولكِنْ إذا غَلَبَ الأَسَى ذَهَبَ الْبُكَاءُ

وقال يرثي صديقه «عبد الله باشا فكري»: (من الطويل)

أَلا بِأَبِي مَنْ كَانَ نُورًا مُجَسَّدًا يَفِيضُ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ رَواؤُهُ
ثَوَى بُرْهَةً في الأَرْضِ، حَتَّى إذا قَضَى لُبانَتَهُ مِنْها، دَعَتْهُ سَمَاؤُهُ
وما كان إلا كَوْكَبًا حَلَّ بِالثَّرَى لِوقْتٍ فلمَّا تَمَّ شالَ ضِياؤُهُ
نَضَا عَنْهُ أَثْوَابَ الْفناءِ، ورَفْرَفَتْ إِلَى الْفَلَكِ الأَعْلَى به مُضَوَاؤُهُ
فَأَصْبَحَ في لُجٍّ مِنَ النُّورِ سَابِحًا سَوَاحِلُهُ مَجْهُولَةٌ وفَضاؤُهُ
تَجَرَّدَ مِنْ غِمْدِ الْحَوادِثِ ناصِعًا وَمَا السَّيْفُ إلا أَثْرُهُ ومَضاؤُهُ
فإِنْ يَكُ وَلَّى فَهْوَ باقٍ بِأُفْقِهِ كنَجمٍ يَشُوقُ الناظِرِينَ بَهَاؤُهُ
ولَوْلا اعتِقادِي أنَّه في حَظِيرَةٍ مِنَ الْقُدْسِ لاسْتَوْلَى عَلَى الْجَفْنِ ماؤُهُ
عليكَ سَلامٌ مِنْ فُؤادٍ نَزَا بِهِ إِلَيْكَ نِزاعٌ أَعْجَزَ الطِّبَّ دَاؤُهُ

وقال يهجو: (من البسيط)

وصاحِبٍ كَهُمُومِ النَّفْسِ مُعْتَرِضٍ ما بينَ تَرْقُوَةٍ مِنِّي وأَحْشَاءِ
إنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنْ سَهْوٍ أَلَمَّ بِهِ أَوْ قَالَ شَرًّا فَعَنْ قَصْدٍ وَإِمْضَاءِ
لا يَفْعَلُ السُّوءَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدِرَةٍ ولَا يُكَفْكِفُ إِلَّا بَعْدَ إِيذَاءِ

عاشَرْتُهُ حِقْبَةً مِنْ غَيْرِ سابِقَةٍ فَكَانَ أَقْتَلَ مِنْ داءٍ لِحَوْبَاءِ
يَبْغِي رِضَايَ وقَدْ أَوْدَى بِرُمَّتِهِ وَكَيْفَ يَحْيَا صَرِيعٌ بَعْدَ إيداءِ؟
لا بارَكَ اللهُ فيهِ حَيْثُ كَانَ، ولا جَزَاهُ عَنْ فِعْلِهِ إلا بأَسْواءِ

قافية الألف المقصورة

وقال بعد استقالته من وزارة الجِهَادية والبحرية ووزارة الأوقاف، وعودته إلى ضَيْعِتِه بناحية «قرقيرةَ» بالدقهلية، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٨هـ/١٨٨١م)، وفيها وصف قطار سكة الحديد والمزارع: (من الكامل)

هَجَرَتْ «ظَلُومُ» وَهَجْرُهَا صِلةُ الأَسَى ... فَمَتَى تَجُودُ عَلَى الْمُتَيَّمِ بِاللُّقَى؟
جَزِعَتْ لِراعِيةِ الْمَشِيبِ، وما دَرَتْ ... أَنَّ الْمَشِيبَ لَهِيبُ نِيرانِ الجَوَى
وَلَوَتْ بِوَعْدِكَ بعدَ طُولِ ضَمَانِهِ ... وَمِنَ الْوُعُودِ خِلابَةٌ ما تُقْتَضَى
لَيْتَ الشَّبابَ لَنَا يَعُودُ بِطِيبِهِ ... وَمِنَ السَّفَاهِ طِلَابُ عُمْرٍ قَدْ مَضَى
وَالشَّيْبُ أَكْمَلُ صَاحِبٍ لَو أَنَّهُ ... يَبْقَى، وَلَكنْ لا سَبِيلَ إِلَى البَقَا
وَالدَّهْرُ مَدْرَجَةُ الْخُطُوبِ، فَمَنْ يَعِشْ ... يَهْرَمْ وَمَنْ يَهْرَمْ يَعِثْ فِيهِ الْبِلَى
فَاذْهَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ الصِّبا ... وَارْجِعْ لِحِلْمِكَ، فَالأُمُورُ إِلى انْتِهَا
الْيَوْمَ آنَ لِسابِقٍ أَنْ يَحْتَذِي ... طَلْقَ الرِّهانِ، ومُغْمَدٍ أَن يُنْتَضَى
وَلَقَدْ عَلَوتُ سَراةَ أَدْهَمَ لَوْ جَرَى ... في شَأوِهِ بَرْقٌ، تَعَثَّر، أَوْ كَبَا
يَطْوِي الْمَدَى طَيَّ السِّجِلِّ وَيَهْتَدِي ... في كُلِّ مَهْمَةٍ يَضِلُّ بها الْقَطَا
يَجْرِي عَلَى عَجَلٍ، فَلَا يَشْكُو الْوَجَى ... مَدَّ النَّهارِ، وَلَا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى
لا الْوَخْدُ مِنْهُ ولا الرَّسِيمُ، ولا يُرَى ... يَمْشِي الْعِرَضْنَةَ، أَو يَسِيرُ الْهَيْدَبَى
رَيَّانُ مِلْءَ ضُلُوعِهِ، لَكِنَّهُ ... يَشْكُو بِزَفْرَتِهِ لَهِيبًا فِي الحَشَا
مَا زالَ يَنْهَجُ في الْمَسِيرِ طَرائِقًا ... تَدَعُ الْجِيَادَ مُقَيَّدَاتٍ بِالوَجَى
حَتَّى وَصَلْتُ إِلى جَناتٍ أَفْيَحٍ ... زاهِي النَّبات، بَعِيدِ أَعْمَاقِ الثَّرَى

تَسْتَنُّ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنابِتٍ … طَابَتْ مَغارِسُها، وجَنَّاتٍ رِوَا

مُلْتَفِّ أَفْنَانِ الْحَدَائِقِ لَوْ سَرَتْ … فِيها السُّمُومُ، لشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا

فَتُرابُهُ نَفَسُ الْعَبِيرِ، وَنَبْتُهُ … سَرَقُ الحَرِيرِ، وَمَاؤُهُ فَلَقُ الضُّحَى

فإذَا شَمِمْتَ وَجَدْتَ أَطْيَبَ نَفْحَةٍ … وإذا الْتَفَتَّ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى

والقُطْنُ بَيْنَ مُلَوَّزٍ ومُنَوِّرٍ … كالْغادَةِ ازْدانَتْ بِأَنْوَاعِ الْحِلَى

فَكَأَنَّ عَاقِدَهُ كُراتُ زُمُرُّدٍ … وَكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَوَاكِبُ فِي الرُّوَا

دَبَّتْ به رُوحُ الحَياةِ، فَلَوْ وَهَتْ … عَنْهُ الْقُيودُ مِنَ الْجَدَاوِلِ، قَدْ مَشَى

فأُصُولُهُ الدَّكْنَاءُ تَسْبَحُ في الثَّرَى … وفُرُوعُهُ الْخَضْرَاءُ تَلْعَبُ في الهَوَا

لَمْ يَسْرِ فِيهِ الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ … مَحْدُودَةٍ إلا تَرَاجَعَ بَالْمُنَى

هذا لَعَمْرُ أبيكَ داعيةُ الرِّضا … وسلامةُ العُقْبَى ومِفتاحُ الغِنَى

فعلام أَجْهَدُ في المطالب باذِلًا … نفسي؟ وهذا للمطالِبِ مُنْتَهى

فالحمدُ لله الَّذي وَهَبَ العُلَا … وسَرَا الأذى عَنِّي فَأبصرتُ الهُدَى

قافية الباء

قال في صباهُ ويذكر الطرد: (من الطويل)

سِوَايَ بِتَحْنانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ
وغَيْرِيَ باللَّذَّاتِ يَلْهُو ويُعْجَبُ

وما أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ
وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ

ولَكِنْ أَخُو هَمٍّ، إذا ما تَرَجَّحَتْ
بِهِ سورَةٌ نَحْوَ العُلا راحَ يَدْأَبُ

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ
لَها بَيْنَ أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَطْلَبُ

بَعِيدُ مَناطِ الْهَمِّ: فَالْغَرْبُ مَشْرِقٌ
إذَا مَا رَمَى عَيْنَيْهِ، وَالشَّرقُ مَغْرِبُ

لَهُ غُدُواتٌ يَتْبَعُ الْوَحْشُ ظِلَّها
وتَغْدُو عَلَى آثارِها الطَّيْرُ تَنْعَبُ

هَمامَةُ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ
فَكَلَّفَتِ الأَيَّامَ ما لَيْسَ يُوهَبُ

وَمَن تَكُنِ الْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ
فَكُلُّ الَّذي يَلْقَاهُ فيها مُحَبَّبُ

إذا أَنا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّها
فلا عَزَّنِي خالٌ، ولا ضَمَّنِي أَبُ

ولا حَمَلَتْ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ
ولا دارَ في كَفِّي سِنانٌ مُذَرَّبُ

خُلِقْتُ عَيُوفًا، لا أَرَى لابْنِ حُرَّةٍ
لَدَيَّ يَدًا أُغْضِي لها حِينَ يَغْضَبُ

فَلَسْتُ لأَمرٍ لم يَكُنْ مُتَوَقَّعًا
ولَسْتُ عَلَى شيءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ

أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى الناسُ غَيْرَهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ فيما يُحاوِلُ مَذْهَبُ

وَإِنِّي إذا ما الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
وَأَمْسَتْ بِهِ الأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ

صَدَعْتُ حِفافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ
مِنَ الرَّأْيِ، لَا يَخْفَى عَلَيْه الْمُغَيَّبُ

وبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضْتُ عُبَابَهُ
ولا عاصِمٌ إلا الصَّفِيحُ الْمُشَطَّبُ

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايا وسُودُها
حَواسِرَ في أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ

تَوَسَّطْتُهُ والْخَيْلُ بالْخَيْلِ تَلْتَقِي وبِيضُ الظُّبَا في الْهَامِ تَبْدُو وتَغْرُبُ
فمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَ الْكَرُّ مَوقِفِي لَدَى ساعةٍ فِيها الْعُقُولُ تَغَيَّبُ
لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أتى الليلُ والْتَقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ ساطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ
كَذَلِكَ دَأْبِي فِي الْمِرَاسِ، وَإِنَّنِي لَأَمْرَحُ في غَيِّ التَّصَابِي وَأَلْعَبُ
وفِتْيَانِ لَهْوٍ قَدْ دَعَوْتُ ولِلْكَرَى خِباءٌ بِأَهْدَابِ الْجُفُونِ مُطَنَّبُ
إلَى مَرْبَعٍ يَجْرِي النَّسِيمُ خِلالَهُ بِنَشْرِ الْخُزَامَى، والنَّدَى يَتَصَبَّبُ
فَلَمْ يَمْضِ أَن جاءُوا مُلَبِّينَ دَعْوَتِي سِراعًا كَما وَافَى عَلَى الماء رَبْرَبُ
بِخَيلٍ كَآرَامِ الصَّرِيمِ، وراءَها ضَوارِي سَلُوقٍ: عاطِلٌ ومُلَبَّبُ
مِنَ اللاءِ لا يَأْكُلْنَ زَادًا سِوَى الَّذِي يُضَرِّسْنَهُ، وَالصَّيْدُ أَشْهَى وأَعْذَبُ
ترَى كُلَّ مُحْمَرِّ الْحَمَالِيقِ فاغِرٍ إلى الْوَحْشِ، لا يَأْلُو، وَلا يَتَنَصَّبُ
يَكَادُ يَفُوتُ الْبَرْقَ شَدًا إذَا انْبَرَتْ لَهُ بِنْتُ ماءٍ أَوْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
فَمِلْنَا إلَى وادٍ كَأَنَّ تِلاعَهُ مِنَ الْعَصْبِ مَوْشِيُّ الْحَبائِكِ مُذْهَبُ
تُراحُ بِهِ الآمالُ بَعْدَ كَلَالِها وَيَصْبُو إِلَيْهِ ذُو الحِجَا وَهْوَ أَشْيَبُ
فَبَيْنَا نَرُودُ الأَرْضَ بالْعَيْنِ إِذْ رَأَى رَبِيئَتُنَا سِرْبًا فَقَالَ: أَلا ارْكَبُوا
فَقُمْنا إلى خَيْلٍ كَأَنَّ مُتُونَها مِنَ الضُّمْرِ خُوطُ الضَّيْمَرَانِ الْمُشَذَّبُ
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا حَيثُ أَخْبَرَ أُطْلِقَتْ بُزَاةٌ وَجالَتْ فِي الْمَقَاوِدِ أَكْلُبُ
فما كَانَ إلا لَفْتَةُ الْجِيدَ أَنْ غَلَتْ قُدُورٌ، وفارَ اللَّحْمُ، وَانْفَضَّ مَأْرَبُ
وَقُلْنا لِساقِينَا: أَدِرْها فإنَّما قُصَارَى بَنِي الأيَّامِ أَنْ يَتَشَعَّبُوا
فَقامَ إلَى رَاقُودِ خَمْرٍ كَأَنَّهُ إذا اسْتَقْبَلَتْهُ الْعَينُ أَسْوَدُ مُغْضَبُ
يَمُجُّ سُلافًا فِي إِناءٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْهُ الأَنَامِلُ كَوْكَبُ
فلم نَأْلُ أَنْ دَارَتْ بِنَا الأَرْضُ دَوْرَةً وَحَتَّى رَأَيْنا الأُفْقَ يَنْأَى ويَقْرُبُ
إلَى أَنْ تَوَلَّى الْيَوْمُ إلا أَقَلَّهُ وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ تَغْرُبُ
فَرُحْنَا نَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا لمنزلٍ بِهِ لأخِي اللَّذَّاتِ واللَّهْوِ مَلْعَبُ
مَسارِحُ سِكِّيرٍ، وَمَرْبِضُ فاتِكٍ وَمُخْدَعُ أَكْوَابٍ، بِهِ الخَمْرُ تُسْكَبُ
فَلَما رآنا صاحبُ الدارِ أَشْرَقَتْ أَسارِيرُهُ زَهْوًا، وَجاءَ يُرَحِّبُ
وَقَالَ: انْزِلُوا يا بَارَكَ اللهُ فيكُمُ فَعِنْدِي لَكُمْ مَا تَشْتَهُونَ وَأَطْيَبُ
وَرَاحَ إِلَى دَنٍّ تَكامَل سِبيكَةً وَشَيَّبَ فَوْدَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ أَحْقُبُ

فمـا زالُ حَـتَّـى اسْـتَـلَّ مِـنْـهُ سِـنُّـهُ ... مِنَ الْخَمْرِ تَطْفُو فِي الإناءِ وَتَرْسُبُ
يَحُومُ عليها الطَّيْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَيَسْرِي عَلَيْهَا الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ
فيَا حُسْنَ ذاكَ اليومِ لَوْ كانَ باقيًا ... ويا طِيبَ هذا الليلِ لَوْ دَامَ طَيِّبُ
يَوَدُّ الْفَتَى ما لا يَكُونُ طَمَاعَةً ... ولَمْ يَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ بالنَّاسِ قُلَّبُ
ولَو عَلِمَ الإنْسانُ ما فِيه نَفْعُهُ ... لأَبْصَـرَ ما يَـأْتِـي وَمَا يَـتَـجَـنَّـبُ
ولَكنَّها الأقْدارُ تَجْرِي بِحُكْمِها ... عَلَينا، وأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبُ
نَـظُـنُّ بـأنَّـا قـادِرُونَ، وإنَّـنـا ... نُقادُ كَما قِيدَ الْجَنِيبُ وَنُصْحَبُ
فَرحْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى امْرِئٍ ... أَصابَ هُداهُ، أَو دَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ

وقال يُهَنِّئ «الخديو إسماعيلَ باشا» بولايةِ مصرَ سنةَ تسع وسبعين ومائتين وألف هجرية (١٢٧٩هـ/١٨٦٣م): (من الكامل)

طَرِبَ الْفُؤادُ، وكان غَيْرَ طَرُوبِ ... وَالْمَـرْءُ رَهْـنُ بَشـاشَـةٍ وَقُطُـوبِ
وَرَدَ الْبَشِيرُ، فَقُلْتُ مِن سَرَفِ الْمُنَى ... أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ، فَهْوَ حَسِيبي
خَبَرٌ جلا صَدَأَ الْقُلُوب، فَلَمْ يَدَعْ ... فِـيـهَـا مَـجَـالَ تَـحَـفُّـزٍ لِـوَجِـيـبِ
ضَرَحَ الْقَذَى كَقَمِيص يُوسُفَ عِنْدَمَا ... وَرَد الْـبَـشِـيـرُ بـهِ إِلَـى يَـعْـقُـوب
فَلْـتَـهْـنَ مِـصْـرُ وَأَهْـلُـهَـا بِـسَـلَامَـةٍ ... جـاءَتْ لَـهَـا بِـالأَمْـنِ بَـعْـدَ خُـطُـوبِ
بِالْمَاجِدِ الْمَنْسُوبِ بلْ بِالأَرْوَعِ الـ ... ـمَشْبُوبِ بَل بِالأَبْلَجِ الْمَعْصُوبِ
رَبَّ الْعُلا والمجْدِ إسمَاعيلَ مَنْ ... وَضَحَتْ بِهِ الأَيَّامُ بَعْدُ شُحُوبِ
وَرَد الْـبِـلادَ وَلَـيْـلُـهـا مُـتَـراكِـبٌ ... فَـأَضـاءَهـا كَـالْـكَـوْكَـبِ الْـمَشْـبُـوبِ
بِـرَوِيَّـةٍ تَـجْـلُـو الـصَّـوابَ، وَعَـزْمَـةٍ ... تَـمْـضِـي مَـضـاءَ اللَّـهْـذَمِ الْمَذرُوبِ
مَـلِـكٌ تَـرَفَّـعَ أَنْ تَـكُـونَ صِـفَـاتُـهُ ... إلا لَـهُ، أَو لابْـنِـهِ الْـمَـحْـبُـوبِ
ذو هَـيْـبَـةٍ تَـكْـفِـيـهِ سَـوْقَ جُـنُـودِهِ ... وَبَـدِيـهَـةٍ تُـغْـنِـي عَـنِ الـتَّـجْـرِيـبِ
نَـمَّـتْ شَـمَـائِـلُـهُ عَـلَـى أَعْـراقِـهِ ... نَمَّ النَّسِيمِ عَلَى أَرِيجِ الطِّيبِ
أَكْنِي بِزَهْرِ الرَّوْضِ عَنْ أَخْلاقِهِ ... وَيِـنَـشْـرِهِ عَـنْ فَـضْـلِـهِ الْـمَـرْغُـوبِ
وَأَقُـولُ: إِنَّ الْـبـرْقَ يَـحْـكِـي بِـشْـرَهُ ... لَوْ كَانَ بَرْقُ الْمُزْنِ غَيرَ خَلُوبِ
فَالْخِصْبُ في الدُّنْيَا عَلامَةُ عَدْلِهِ ... وَالْغَيْثُ فَضْلَةُ جُودِهِ الْمَسْكُوبِ
أَجْرَى نَـسِـيمَ الأَمْـنِ بَـعـدَ رُكُـودِهِ ... وَأَفَـاضَ مـاءَ الْـعَـدْلِ بَـعْـدَ نُـضُـوبِ

وَأَعادَ مِصْرَ إِلَى جَمالِ شَبَابِها ... مِنْ بَعْدِ مَا لَبِسَتْ خِمَارَ مَشِيبِ
فَتَنَعَّمَتْ مِنْ فَيْضِهِ فِي غِبْطَةٍ ... وَتَمَتَّعَتْ مِنْ عَدْلِهِ بِنَصِيبِ
وإِذَا أَرادَ اللـهُ رَحْمَةَ أُمَّةٍ ... بَعَثَ الشِّفَاءَ لَهَا بِخَيْرِ طَبِيبِ
فَلَقَدْ مَلَكْتَ زِمَامَها وَسَقَيْتَهَا ... بَعْدَ الصَّدَى مِنْ رَحْمَةٍ بِذَنُوبِ
فَغَدَتْ وَمَا فِي الأَرْضِ أَحْسَنُ بُقْعَةً ... مِنْهَا لِمُزْدَرِعٍ، وَلَا لِكَسُوبِ
يَسْتَنُّ فِيهَا النِّيلُ بَيْنَ حَدَائِقٍ ... غُلْبٍ وَرَفَّافِ النَّباتِ خَصِيبِ
وَتَرَى السَّفِينَ يَجُولُ فَوْقَ سَرَاتِهِ ... زَفَّ الرِّئَالِ تَمَطَّرَتْ بِسُهُوبِ
مِنْ كُلِّ رَاقِصَةٍ عَلَى نَقْرِ الصَّبَا ... تَخْتَالُ بين شَمَائِلٍ وَجَنُوبِ
مَلَكَتْ أَزِمَّتَها الرِّياحُ، فَسَيْرُها ... ضَرْبانِ بين تَحَفُّزٍ وَدَبِيبِ
فَإذا أَطَلْتَ عِنانَها وَقَفتْ، وإِنْ ... أَقْصرْته سارَتْ بِغَير لُغُوبِ
فَانْعَمْ بِخَيرِ ولايَةٍ وَلَّاكَهَا ... رَبُّ الْعِبادِ بِرَغْمِ كُلِّ رَقِيبِ
ما آثرُوكَ لها بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ ... بَلْ لاعْتِصامِهِمُ بِخَيرِ لَبِيبِ
فاسْمَع مَقَالة صادِقٍ لَمْ يَنْتَسِب ... لِسِوَاكَ فِي أَدَبٍ وَلَا تَهذِيبِ
أَوْلَيْتَهُ خَيرًا، فَقَامَ بِشُكْرِهِ ... وَالشُّكْرُ للإحسانِ خَيْرُ ضَرِيبِ
فاعْطِفْ عَلَيْهِ تَجِدْ سَلِيلَ كَرَامَةٍ ... أَهْلًا لِحُسْنِ الأَهْلِ وَالتَّرْحِيبِ
يُنْبِيكَ ظاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ ... وَالْوَجْهُ وَسْمَةُ مُخْلِصٍ وَمُرِيبِ
وَإِلَيكَ مِنْ حَوْكِ اللِّسانِ حَبِيرَةً ... يُغْنيكَ رَوْنَقُها عَن التَّشْبيبِ
حَضَرِيَّةَ الأَنْسابِ إلا أَنَّها ... بَدَوِيَّةٌ في الطَّبْعِ وَالتَّرْكِيبِ
وَلِعَتْ بِمَنْطِقِهَا النُّفُوسُ غَرَابَةً ... وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ
أَرْسَلْتُها مَثلًا بِمَدحِكَ فِي الْوَرَى ... وَالسَّهْمُ مَنْسُوبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ
كَلِمٌ أَثَرْتُ بِها جَوادَ بَرَاعَةٍ ... لا يُقْتَفَى فِي الحُضْرِ وَالتَّقْرِيبِ
تَرَكَ «الْوَلِيد» مُلَثَّمًا بِغُبارِهِ ... وَمَضَى فَكَفْكَفَ مِنْ عِنَانِ «حَبِيبِ»
فَاسْتَجْلِها تَلْمَحْ خِلالَكَ بَيْنَهَا ... فِي وَشْيِ بُرْدٍ لِلْكَلَامِ قَشِيبِ
كَزُجَاجَةِ التَّصوِيرِ شَفَّتْ فاجْتَلَتْ ... مِنْ وَصْفِهِ مَا كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ
لا زِلْتَ في فَلَكِ الْمَعَالِي كَوْكَبًا ... تُهْدِي الضِّيَاءَ لأَعْيُنٍ وَقُلُوبِ

وقَال يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّباب: (من الوافر)

أَعِـدْ يَـا دَهْـرُ أَيَّـامَ الـشَّـبَـابِ وَأَينَ مِنَ الصِّبا دَرْكُ الطِّلابِ
زَمـانٌ كُـلَّـمـا لاحَـتْ بِـفِـكْـرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ ما بِي
مَضَى عَنِّي وَغادَرَ بِي وَلُوعًا تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي واكْتِئابِي
وَكَيْفَ تَلَذُّ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي؟ وَفِي اللَّذَّاتِ إِنْ سَنَحَتْ عَذَابِي
أَصُدُّ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجْزٍ وَأُظْهِرُ سلْوَةً وَالْقلْبُ صَابِي
ومَا في الدَّهْرِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يكُونُ قِوامُهَا رَوْحَ الشَّبَابِ
فَيَا للهِ! كَمْ لِي مِنْ لَيَالٍ بِـهِ سَـلَـفَـتْ، وَأَيَّـامِ عِـذَابِ
إِذِ الـنَّـعْـمـاءُ وَارِفَـةٌ عَـلَـيْـنَـا وَمَرْعَى اللَّهْوِ مُخْضَرُّ الْجَنَابِ
نَطِيرُ مَعَ السُّرُورِ إِذَا انْتَشَيْنَا بِأَجْنِحَةِ الْخَلَاعَةِ وَالتَّصَابِي
فَـغُـدْوَتُـنَـا وَرَوْحَـتُـنَـا سَـوَاءٌ لِعَابٌ فِي لِعَابٍ في لِعَابِ
وَرُبَّـتَ رَوْضَـةٍ مِـلْـنَـا إِلَـيْـهَـا وَقَرْنُ الشَّمْسِ تِبْرِيُّ الإِهَابِ
نَمَتْ أَدْوَاحُها، وَسَمَتْ، فَكَانَتْ عَلَى السَّاحاتِ أَمْثَالَ الْقِبَابِ
فَزَهْرُ غُصُونِهَا طَلْقُ الْمُحَيَّا وَجَدْوَلُ مائِها عَذْبُ الرُّضابِ
كَأَنَّ غُصُونَها غِيدٌ تَهادَى مِنَ الزَّهْرِ الْمُنَمَّقِ فِي ثِيَابِ
سَقَتْهَا السُّحْبُ رَيِّقَها فَمَالَتْ كَما مالَ النَّزِيفُ مِنَ الشَّرَابِ
فَسَبَّحَ طَيْرُها شُكْرًا، وَأَثْنَتْ بِأَلْسِنَةِ النَّباتِ عَلَى السَّحَابِ
وَيَومٍ نَـاعِـمِ الـطَّـرَفَـيْـنِ نَـادٍ عَلِيلِ الْجَوِّ، هَلْهَالِ الرَّبابِ
سَبَقْتُ بِهِ الشُّرُوقَ إِلَى التَّصَابِي بُكُورًا قَبْلَ تَنْعابِ الْغُرابِ
وسُقْتُ مَعَ الْغُواةِ كُمَيْتَ لَهْوٍ جَمُوحًا لا تَلِينُ عَلَى الْجِذَابِ
إِذَا أَلْـجَـمْـتَـهَـا بِـالْـمَـاءِ قَـرَّتْ وَدَارَ بِجِيدِها لَبَبُ الْحَبابِ
مُـوَرَّدَةً إِذَا اتَّـقَـدَتْ بِـكَـفٍّ جَلَتْها لِلأَشِعَّةِ فِي خِضابِ
هُوَ الْعَصْرُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْنَا بِهِ اللَّذَّاتُ واضِعَةَ النِّقَابِ
نُجَاهِرُ بِالْغَرامِ، وَلَا نُبَالِي وَنَنْطِقُ بِالصَّوابِ، وَلَا نُحَابِي
فَيَا لَكَ مِنْ زَمانٍ عِشْتُ فِيهِ نَدِيمَ الرَّاحِ وَالْهِيفِ الكَعَابِ
إِذَا ذَكَرَتْهُ نَفْسِي أَبْصَرَتْهُ كَأَنِّي مِنْهُ أَنْظُرُ فِي كِتابِ
تَحَوَّلَ ظِلُّهُ عَنِّي، وَأَذْكَى بِقَلْبِي لَوْعَةً مِثْلَ الشِّهَابِ

كَذَاكَ الدَّهْرُ مَلاقٌ خَلُوبٌ يَغُرُّ أَخا الطَّمَاعَةِ بِالْكِذَابِ
فَلا تَرْكَنْ إِلَيْهِ، فَكُلُّ شَيءٍ تَراهُ بِهِ يَئُولُ إِلَى ذَهَابِ
وَعِش فَرْدًا، فمَا فِي الناس خِلٌّ يَسُرُّكَ في بِعَادٍ وَاقْتِرابِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطرَهُ مَلِيًّا وَذُقْتُ الْعَيْشَ مِنْ أَرْيٍ وَصابِ
فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الإِخْوَانِ نَدْبًا يَجِلُّ عَنِ الْمَلامَةِ وَالْعِتَابِ
وَلكِنَّا نُعَاشِرُ مَنْ لَقِينَا عَلَى حُكْمِ الْمُرُوءَةِ وَالتَّغَابِي

وَقالَ وَهُوَ بِسَرَنْديب يَتَشَوَّقُ إِلى مِصْرَ، ويرثي صديقيه: الأستاذَ الشيخ حُسيْنًا الْمَرْصَفِيَّ، وعَبْدَ اللهِ باشا فكري: (من الخفيف)

أَيْنَ أَيَّامُ لَذَّتِي وَشَبَابِي أَتُرَاهَا تَعُودُ بَعْدَ الذَّهَابِ؟
ذَاكَ عَهْدٌ مَضَى وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يَرُدَّ الزَّمَانُ عَهْدَ التَّصَابِي
فَأَدِيرَا عَلَيَّ ذِكْرَاهُ إِنِّي مُنْذُ فارَقْتُهُ شَدِيدُ الْمُصَابِ
كُلُّ شَيءٍ يَسْلُوهُ ذُو اللُّبِّ إِلَّا ماضِيَ اللَّهْوِ فِي زَمانِ الشَّبابِ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْمَنْـ ـيَلِ ذَاتَ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ
حَيْثُ تَجْرِي السَّفِينُ مُسْتَبِقَاتٍ فَوْقَ نَهْرٍ مِثْلِ اللُّجَيْنِ الْمُذَابِ
قَدْ أَحَاطَتْ بِشَاطِئَيْهِ قُصُورٌ مُشْرِفَاتٌ يَلُحْنَ مِثْلَ الْقِبابِ
مَلْعَبٌ تَسْرَحُ النَّوَاظِرُ مِنْهُ بَيْنَ أَفْنانِ جَنَّةٍ وَشِعَابِ
كُلَّما شَافَهَ النَّسِيمُ ثَراهُ عَادَ مِنْهُ بِنَفْحَةٍ كَالْمَلَابِ
ذَاكَ مَرْعَى أُنْسِي وَمَلْعَبُ لَهْوِي وَجَنَى صَبْوَتِي وَمَغْنَى صِحَابِي
لَسْتُ أَنْسَاهُ مَا حَيِيتُ وَحاشَا أَنْ تَرانِي لِعَهْدِهِ غيرَ صَابِي
لَيْسَ يَرْعَى حَقَّ الْوِدَادِ وَلا يَذْ كُرُ عَهْدًا إِلا كَرِيمُ النِّصَابِ
فَلَئِنْ زالَ فَاشْتِيَاقِي إِلَيْهِ مِثْلُ قَولِي باقٍ عَلَى الأَحْقَابِ
يَا نَدِيمَيَّ مِنْ سَرَنْدِيبَ كُفَّا عَنْ مَلامِي وَخَلِّيانِي لِمَا بِي
كَيفَ لا أَنْدُبُ الشَّبابَ وَقَدْ أَصْـ ـبَحْتُ كَهْلًا في مِحْنَةٍ وَاغْتِرابِ؟
أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي وَكَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجِلْبَابِ
وَلَوَى شَعْرَ حاجِبَيَّ عَلَى عَيْـ ـنَيَّ حَتَّى أَطَلَّ كَالْهُدَّابِ
لا أَرَى الشَّيءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلا كَخَيَالٍ كَأَنَّنِي في ضَبابِ

وَإِذَا مَا دُعِيتُ حِرْتُ كَأَنِّي   أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجابِ
كُلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدَتْنِي   وَنْيَةٌ لا تُقِلُّها أَعْصابِي
لَم تَدَعْ صَوْلَةُ الحَوَادِثِ مِنِّي   غَيرَ أَشْلاءِ هِمَّةٍ فِي ثِيَابِ
فَجَعَتْنِي بِوَالِدَيَّ وَأَهْلِي   ثُمَّ أَنْحَتْ تَكُرُّ فِي أَتْرَابِي
كُلَّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنِّي حَبِيبٌ   يا لِقَلْبِي مِنْ فُرْقَةِ الأَحْبَابِ
أَيْنَ مِنِّي حُسَيْنُ بَلْ أَيْنَ عَبْدُ   الله؟ رَبُّ الْكَمَالِ وَالآدَابِ
مَضَيَا غَيْرَ ذُكْرَةٍ وَبَقَاءُ الذ   كْرِ فَخْرٌ يَدُومُ لِلأَعْقَابِ
لَمْ أَجِدْ مِنْهُما بَدِيلا لِنَفْسِي   غَيرَ حُزْنِي عَلَيهِما وَاكْتِئَابِي
قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي فَأَنْكَرْ   تُ أُمُورًا مَا كُنَّ لِي في حِسابِ
وَتَجَنَّبْتُ صُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى   كَانَ عَوْنًا عَلَى التُّقَاةِ اجْتِنَابِي
لا أُبالِي بِما يُقالُ وَإِنْ كُنـ   ـتُ مَلِيئًا بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ
قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي   فِي أَمَانٍ مِنْ غِيبَةِ الْمُغْتَابِ
فَلْيَقُلْ حَاسِدِي عَلَيَّ كَمَا شَا   ءَ فَسَمْعِي عَنِ الْخَنَا في احْتِجَابِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ وَلَكِنْ   أَتَغَابَى وَالْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي
وكَفَى بالْمَشِيبِ وَهْوَ أَخُو الْحَزْ   مِ دَلِيلا إِلى طَرِيقِ الصَّوابِ
إِنَّما الْمرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى   وَانْتِهَاءُ الْعُمْرانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

وقال في شبابه: (من الطويل)

سَلُوا عَنْ فُوادِي قَبْلَ شَدِّ الرَّكَائِبِ   فَقَدْ ضَاع مِنِّي بَيْنَ تِلكَ الْمَلاعِبِ
أَغارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ بِلَحْظِها   فَتاةٌ لَهَا فِي السِّلْمِ فَتْكُ الْمُحَارِبِ
فَلا تَبْرَحُوا أَوْ تَسْأَلُوهَا فَرُبَّمَا   أَعَادَتْهُ أَوْ جَاءَتْ بِوَعْدٍ مُقَارِبِ
وَكَيفَ تُوارِيهِ وَهَذا أَنِينُهُ   يَدُلُّ عَلَيهِ السَّمْعُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَيَا سَرَوَاتِ الْحَيِّ هَلَّا أَجَبْتُمُ   دُعاءَ فَتًى مِنْكُمْ قَرِيبِ الْمَنَاسِبِ
إِذا لَمْ تُعِينُوني وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي   فَسِيرُوا وَخَلُّونِي فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
أَيَذْهَبُ قَلْبِي غِيلَةً ثُمَّ لا أَرَى   لَهُ بَيْنَكُمْ مِنْ ثائِرٍ أَوْ مُطَالِبِ
إِذا الْمَرءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ   لَدَى كُلِّ مَكْرُوهٍ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
فَلا تَعْذُلُونِي إِنْ تَخَلَّفْتُ بَعْدَكُمْ   فَما أَنَا عَنْ مَثْوَى الْفُؤَادِ بِرَاغِبِ

فَـثَـمَّ جَـنَـابٌ لا يُـرَاعُ نَـزِيـلُـهُ ... بِـنَـائِـرَةٍ لَـوْلا عُـيُـونُ الْـكَـوَاعِـبِ
إِذَا سَـارَ فِـيهِ الطَّرْفُ قِيدَ بَنانَةٍ ... تَـعَـثَّـرَ مَـا بَـيْنَ الْقَـنَـا وَالْـقَـوَاضِـبِ
وَبَيْنَ الْعَوالِي فِي الْخُدُورِ نَوَاشِئٌ ... مِنَ الْعِينِ حُمْرُ الْحَلْي بِيضُ التَّرائِبِ
إِذَا هُـنَّ رَفَّـعْـنَ الـسُّـجُوفَ أَرَيْـنَـنَـا ... مَـحَـاسِـنَ تَـدْعُو لِلصِّبا كُلَّ راهِـبِ
جَـلَـونَ بِـحُـلْـوانَ الْـوُجُوهَ كَـوَاكِـبًـا ... فَيَا مَنْ رَأَى فِي الأَرْضِ سَيْرَ الْكَوَاكِبِ
وَفَـوَّقْـنَ أَلْـحَـاظًـا فَـأَصْـمَـيْـنَ أَنْـفُـسًـا ... بِـــلا تِـــرَةٍ إِلا مَـــجَـــانَـــةَ لاعِـــبِ
فَكَمْ مِنْ صَرِيعٍ فِي حَبائِلِ مُقْلَةٍ ... وَكَـمْ مِـنْ أَسِـيرٍ فِـي قُـيُـودِ ذَوائِـبِ
لَعَمْرُكَ ما فِي الأَرْضِ وَهْيَ رَحِيبَةٌ ... كَـغِـزْلانِ هَـذَا الْـحَـيِّ عُـذْرٌ لِـنَـاسِـبِ
فَلا تَطْلُبَنَّ الـحُسْنَ في غَيْرِ أَهْلِهِ ... فَأَبْدَعُ ما فِي الأَرْضِ حُسْنُ الأَعَارِبِ
فَـهُنَّ الأُلَى عَوَّدْنَ قَلْبِي عَلَى الْهَوَى ... وَأَخْـلَـفْـنَ ظَـنِّـي بِـالْـعِـدَاتِ الْـكَـوَاذِبِ
وَتَـيَّـمْـنَـنِـي حَـتَّـى إِذا مـا تَـرَكْـنَـنِـي ... أَخَـا سَـقَـمٍ أَسْـلَـمْـنَـنِـي لِـلـنَّـوائِـبِ
وَمَا كُنْتُ لَوْلاهُنَّ أَسْتَقْبِلُ الصَّبَا ... وَأَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْحِمَى كُلَّ رَاكِبِ
وَمَـا زَاد مـاءُ الـنِّـيـلِ إِلَّا لأَنَّـنِـي ... وَقَـفْـتُ بِـهِ أَبْـكِـي فِـرَاقَ الْـحَـبَـائِـبِ
فَيا صاحِبي هَلْ مِنْ فَكَاكٍ لِوَاقِعٍ ... بِأَسْرِ الْهَوَى أَوْ مِنْ نَجاةٍ لِهَائِبِ
خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى بَعْدَ عِزَّةٍ ... وَمَا كُنْتُ لَوْلا الْحُبُّ طَوْعَ الْجَواذِبِ
وَإِنَّـا أُنَـاسٌ لا تَـهَـابُ نُـفُـوسُـنَـا ... لِـقَـاءَ الأَعَـادِي أَوْ قِـرَاعَ الـكَـتَـائِـبِ
نَـرُدُّ عَـلَـى الأَعْـقَـابِ كُـلَّ سَـرِيَّـةٍ ... وَنَعْجَزُ عَنْ نَبْلِ الْعُيُونِ الصَّوَائِبِ
فَلَوْ كَانَ هَذا الْحُبُّ شَخْصًا مُحَارِبًا ... لأَوْجَـرْتُـهُ فَـوْهَـاءَ رَيَّـا الْـجَـوانِـبِ
وَلَـكِنَّهُ الْـخَـصْـمُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ ... رِقَـابُ أُنَـاسٍ أَخْـضَـعُـوا كُـلَّ غَـالِـبِ
فَلا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ قَوْلِي فُكَاهَةً ... فَإِنَّ الْهَوَى بَحْرٌ كَثِيرُ الْعَجَائِبِ
إِذا الْمَرْءُ لَمْ يَفْرِ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ ... تَحَيَّرَ ما بَيْنَ اخْتِلافِ الْمَذَاهِبِ

وقالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ: (من البسيط)

لِكُلِّ دَمْعٍ جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ سَبَبُ ... وَكَيفَ يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مُكْتَئِبُ؟
لَـوْلا مُـكَـابَدَةُ الأَشْـوَاقِ مَـا دَمَـعَـتْ ... عَينٌ وَلا بَاتَ قَلْبٌ فِي الْحَشَا يَجِبُ
فَـيَـا أَخَـا الْـعَـذْلِ لا تَـعْـجَـلْ بِـلائِمَةٍ ... عَلَـيَّ فَـالْـحُـبُّ سُـلْطَانٌ لَـهُ الْـغَـلَـبُ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ ... فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ لَم تَعْلَقْ بِهِ النُّوَبُ

وَلَوْ تَبَيَّنَ ما في الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ لَكَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
لَكِنَّهُ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ بِأَسْهُمٍ مَا لَها رِيشٌ وَلا عَقَبُ
فَكَيفَ أَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَبِي كَلَفٌ تَكَادُ مِنْ مَسِّه الأَحْشَاءُ تَنْشَعِبُ
أَمْ كَيفَ أَسْلُو وَلِي قَلْبٌ إِذَا الْتَهَبَتْ بِالأُفْقِ لَمْعَةُ بَرْقٍ كَادَ يَلْتَهِبُ
أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرَقٍ يَكَادُ أَيْسَرُها بِالرُّوحِ يَنْتَشِبُ
إِذَا تَنَفَّسْتُ فَاضَتْ زَفْرَتِي شَرَرًا كَمَا اسْتَنَارَ وَرَاءَ الْقَدْحَةِ اللَّهَبُ
لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ نَفْسِي مَا أَجُودُ بِهِ وَقَدْ فَعَلْتُ فَهَلْ مِنْ رَحْمَةٍ تَجِبُ
كَأَنَّ قَلْبِي إِذَا هَاجَ الْغَرَامُ بِهِ بَيْنَ الْحَشَا طَائِرٌ فِي الْفَخِّ يَضْطَرِبُ
لا يَتْرُكُ الْحُبُّ قَلْبِي مِنْ لَواعِجِهِ كَأَنَّمَا بَيْنَ قَلْبِي وَالْهَوَى نَسَبُ
فَلا تَلُمْني عَلَى دَمْعٍ تَحَدَّرَ في سَفْحِ الْعَقِيقِ فَلِي فِي سَفْحِهِ أَرَبُ
مَنَازِلٌ كُلَّمَا لاحَتْ مَخَايِلُهَا فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ مِنِّي هَاجَنِي طَرَبُ
لِي عِنْدَ سَاكِنِهَا عَهْدٌ شَقِيتُ بِهِ وَالْعَهْدُ مَا لَم يَصُنْهُ الْوُدُّ مُنْقَضِبُ
وَعادَ ظَنِّي عَليلا بَعْدَ صِحَّتِهِ وَالظَّنُّ يَبْعُدُ أَحْيَانًا وَيَقْتَرِبُ
فَيَا سَرَاةَ الْحِمَى مَا بَالُ نُصْرَتِكُمْ ضَاقَتْ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ سادَةٌ نُجُبُ
أَضَعْتُمُونِي وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يا عَرَبُ
أَلَيْسَ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْقَى النَّزِيلُ بِكُمْ أَمْنًا إِذا خَافَ أَنْ يَنْتَابَهُ الْعَطَبُ
فَكَيفَ تَسْلُبُنِي قَلْبِي بِلا تِرَةٍ فَتَاةُ خِدْرٍ لَهَا فِي الْحَيِّ مُنْتَسَبُ
مَرَّتْ عَلَيْنَا تَهَادَى فِي صَوَاحِبِهَا كَالْبَدْرِ في هَالَةٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّهُبُ
تَهْتَزُّ مِنْ فَرْعِها الْفَيْنَانِ في سَرَقٍ كَسَمْهَرِيٍّ لَهُ مِنْ سَوْسَنٍ عَذَبُ
كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحتِ طُرَّتِها فَجْرٌ بِجَانِحَةِ الظَّلْمَاءِ مُنْتَقِبُ
كَانَتْ لَنا آيَةً فِي الْحُسْنِ فاحْتَجَبَتْ عَنَّا بِلَيْلِ النَّوَى وَالْبَدْرُ يَحْتَجِبُ
فَهَلْ إِلى نَظْرَةٍ يَحْيَا بِهَا رَمَقٌ ذَرِيعَةٌ تَبْتَغِيها النَّفْسُ أَو سَبَبُ
أَبِيتُ فِي غُرْبَةٍ لا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِها وَلا الْمُلْتَقَى مِنْ شِيعَتي كَثَبُ
فَلا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسَ طَلْعَتُهُ وَلا صَدِيقٌ يَرَى ما بِي فَيَكْتَئِبُ
وَمِنْ عَجَائِبِ ما لاقَيْتُ مِنْ زَمَنِي أَنِّي مُنِيتُ بِخَطْبٍ أَمْرُهُ عَجَبُ
لَم أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِما أَصْبَحْتُ فِيهِ فَماذَا الْوَيْلُ وَالْحَرَبُ
فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِيني وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أُدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ

فَلا يَظُنُّ بِيَ الْحُسَّادُ مَنْدَمَةً فَإِنَّنِي صَابِرٌ فِي اللهِ مُحْتَسِبُ
أَثْرَيْتُ مَجْدًا فَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا سَلَبَتْ أَيْدِي الْحَوادِثِ مِنِّي فَهْوَ مُكْتَسَبُ
لا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهْيَ عَالِيَةٌ وَلا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشَبُ
إِنِّي امْرُؤٌ لا يَرُدُّ الخَوفُ بادِرَتِي وَلا يَحِيفُ عَلَى أَخْلاقِيَ الْغَضَبُ
مَلَكْتُ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَم تَعْلَقْ بِهِ الرِّيَبُ
ومَا أُبَالِي وَنَفْسِي غَيْرُ خَاطِئَةٍ إِذا تَخَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَذَبُوا
ها إِنَّهَا فِرْيَةٌ قَدْ كانَ باءَ بِها فِي ثَوْبِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبُ
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادَرَنِي فِي غُرْبَةٍ لَيْسَ لِي فِيها أَخٌ حَدِبُ
فَسَوفَ تَصْفُو اللَّيالِي بَعْدَ كُدْرَتِها وَكُلُّ دَوْرٍ إِذَا مَا تَمَّ يَنْقَلِبُ

وقال: (من الطويل)

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِها الْحَرْبُ
وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرار مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيلِ والْتَهَبَ الضَّرْبُ
ودَارَتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنا سُقِينَا بِكَأْسٍ لا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ
صَبَرْتُ لَها حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا وإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِيَ الْخَطْبُ

وقال: (من البسيط)

مَنْ صَاحَبَ الْعَجْزَ لَم يَظْفَرْ بِمَا طَلَبَا فارْكَبْ مِنَ الْعَزمِ طِرْفًا يَسْبِقُ الشُّهُبَا
لا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ هَزَّ الرُّمْحَ وَانْتَصَبَا
يَسْتَهِلُ الصَّعْبَ إِنْ هاجَتْ حَفِيظَتُهُ ولا يُشَاوِرُ غَيْرَ السَّيْفِ إِنْ غَضِبَا
يَنْهَلُّ صارِمُهُ حَتْفًا وَمَنْطِقُهُ سِحْرًا حَلالا إِذَا ما صَالَ أَوْ خَطَبَا
إِنْ حَلَّ أَرْضًا حَمَى بِالسَّيفِ جَانِبَهَا وَإِنْ وَعَى نَبْأَةً مِنْ صارِخٍ رَكِبَا
فَذَاكَ إِنْ يَحْيَ تَحْيَ الأَرْضُ فِي رَغَدٍ وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبْ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا
فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَاللَّيْثُ لا يَرْهَبُ الأَخْطَارَ إِنْ وَثَبَا
وَجُدْ بِمَا مَلَكَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ فَالجُودُ كَالْبَأْسِ يَحْمِي الْعِرْضَ وَالنَّسَبَا
لا يَقْعُدُ الْبَطَلُ الصِّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْخَلْ بِمَا كَسَبَا

وقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ: (من الطويل)

وَلَيلَةِ أُنْسٍ قَصَّرَ اللَّهْوُ طُولَها بِعَذْرَاءَ شَابَتْ وَهْيَ دُونَ حِجَابِ
صَدَعْنَا بِهَا الظَّلْمَاءَ حَتَّى تبَلَّجَتْ ضَبَابَتُهَا مِنْ ضَوئِهَا بِشِهَابِ
مُعَتَّقَةٍ كَانَتْ ذَخِيرَةَ مَعْشَرٍ لأَبْنَائِهِمْ فِي جَوْفِ أَقْتَمَ كَابِي
أَتَتْ دُونَها الأَيَّامُ حَتَّى تَخَلَّصَتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنها الْيَومَ غَيْرُ لُبَابِ
إِذَا اتَّقَدَتْ في الْكَأْسِ خِلْتَ مُدِيرَها تَخَضَّبَ مِنْهَا كَفُّهُ بِخِضَابِ
كَأَنَّ سَنَا الْكَاسَاتِ وَالنَّدُّ سَاطِعٌ نُجُومٌ تَرَاءَتْ مِنْ خِلالِ ضَبابِ
فَيَا حُسْنَها مِن لَيْلَة غَيرَ أَنَّها تَوَلَّتْ ولَمْ نَشْعُرْ لَهَا بِذَهابِ
وَقَدْ لَاحَ بِالظَّلْمَاءِ فَجْرٌ كَأَنَّهُ بَياضُ مَشِيبٍ فِي سَوَادِ شَبابِ

وقال: (من الكامل)

قُمْ هَاتِها واللَّيْلُ مَالَ عَمُودُهُ لِلْغَرْبِ وانْتَشَرَتْ جُنُودُ الْمَغْرِبِ
وَبَدَا الْهِلالُ عَلَى الأَصِيلِ كَأَنَّهُ نُونٌ مُفَضَّضَةٌ بِرَقٍّ مُذْهَبِ

وقالَ في الغَزَلِ: (من السريع)

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ فِي سِرْبِهِ يَتِيهُ بِالحُسْنِ عَلَى تِرْبِهِ
أَرْسَلَ فَرْعَيْهِ لِكَيْ يَعْبَثَا بِأُكْرَتَيْ نَهْدَيْهِ مِنْ عُجْبِهِ
أَحْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ وَأَبْذُلُ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
قَد لامَنِي الْعَاذِلُ فِيهِ وَلَوْ رَأَى الْهُدَى أَقْصَرَ عَنْ عَتْبِهِ
وَهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سَتْرَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ ما اسْتَوْلَى عَلَى لُبِّهِ
تَقَلُّبُ الْعَينِ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَضْمَرَ الإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ
يا سامَحَ اللهُ عُيُونَ الْمَهَا فَهُنَّ عَوْنُ الدَّهْرِ فِي حَرْبِهِ
أَمَا كَفَى مَا جَرَّ أَحْدَاثُهُ حَتَّى دَعَا الْغِيدَ إِلَى حِزْبِهِ

وقالَ: (من الطويل)

أَفَتَّانَةَ الْعَينَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ ... وَصُونِي حِمَاهُ فَهْوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ
وَلا تُسْلِمِي عَيْنَيَّ للسُّهْدِ وَالْبُكَا ... فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَواكِ إِلَى قَلْبِي
وَإِنِّي لَرَاضٍ مِن هَواكِ بِنَظْرَةٍ ... وَحَسْبِي بِها إِنْ أَنْتِ لَم تَبْخَلِي حَسْبِي
إِذا كانَ ذَنْبِي أَنَّ قَلْبِي مُعَلَّقٌ ... بِحُبِّكِ يَا لَيلَى فَلا تَغْفِرِي ذَنْبِي

وقال: (من البسيط)

قَالَتْ وَقَدْ سَمِعَتْ شِعْرِي فَأَعْجَبَها ... إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي
أَرَاهُ يَهْتِفُ بِاسْمِي غَيرَ مُكْتَرِثٍ ... وَلَو كَنَى لَمْ يَدَعْ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبِ
فَكَيفَ أَصْنَعُ إِنْ ذَاعَتْ مَقَالَتُهُ ... مَا بَيْنَ قَومِي وَهُمْ مِنْ سادَةِ الْعَرَبِ
فَنَازَعَتْهَا فَتَاةٌ مِنْ صَوَاحِبِهَا ... قَولا يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ واللَّهَبِ
قَالَتْ دَعِيهِ يَصُوغُ الْقَولَ فِي جُمَلٍ ... مِنَ الْهَوَى فَهي آياتٌ مِنَ الأَدَبِ
وما عَلَيكِ وفي الأَسْمَاءِ مُشْتَرَكٌ ... إِنْ قالَ في الشِّعْرِ يا لَيْلَى وَلَمْ يَعِبِ
وَحَسْبُهُ مِنْكَ داءٌ لَوْ تَضَمَّنَهُ ... قَلْبُ الْحَمَامَةِ مَا غَنَّتْ عَلَى عَذَبِ
فَاسْتَأْنَسَتْ ثُمَّ قَالتْ وَهْيَ بَاسمَةٌ ... إِنْ كَانَ ما قُلْتِ حَقًّا فَهوَ فِي تَعَبِ
يا حُسْنَهُ مِنْ حَدِيثٍ شَفَّ باطِنُهُ ... عَنْ رِقَّةٍ أَلْبَسَتْنِي خِلْعَةَ الطَّرَبِ

وقالَ: (من الطويل)

أَلا يا لَقَوْمِي مِنْ غَزالٍ مُرَبَّبٍ ... يَجُولُ وِشاحاهُ عَلَى فَنَنٍ رَطْبِ
تَعَرَّضَ لِي يَومًا فَصَوَّرْتُ حُسْنَهُ ... بِبلُّورَتَيْ عَيْنَيَّ فِي صَفْحَةِ الْقَلْبِ

وقال: (من الكامل)

ذَهَبَ الْهَوَى بِمَخِيلَتِي وَشَبَابِي ... وَأَقَمْتُ بَيْنَ مَلَامَةٍ وَعِتَابِ
هِي نَظْرَةٌ كَانَتْ حِبالَةَ خُدْعَةٍ ... مَلَكَتْ عَلَيَّ بَدِيهَتي وَصَوابِي
نَصَبَتْ حَبائِلَ هُدْبِهَا فَتَصَيَّدَتْ ... قَلْبِي فَراحَ فَرِيسَةَ الأَهْدَابِ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ طَارِقَةِ الْهَوَى   أَنَّ الْـعُـيُـونَ مَـصَـايِـدُ الأَلْـبَـابِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي الْهَوَى أَنَّ الْفَتَى   يُـدْعَـى إِلَـيـهِ بِـأَهْـوَنِ الأَسْـبَـابِ
فَـارْبَـحْ مَـلامَـكَ يَـا عَـذُولُ فَـإِنَّـنِـي   رَاضٍ بِسُقْمِي فِي الْهَوَى وَعَذَابِي

وقال: (من الوافر)

بِقَلْبِي لِلْهَوَى دَاءٌ عَجِيبُ   تَحَيَّرَ فِي تَلافِيهِ الطَّبِيبُ
إِذَا أَخْـفَـيـتُـهُ أَبْلَـى فُـؤَادِي   وَإِنْ أَظْهَرْتُهُ غَضِبَ الْحَبِيبُ

وقال في الشَّباب: (من الطويل)

سَعَيتُ فَأَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيرَ أَنَّنِي   أَضَعْتُ شَبَابِي فِي سَبِيلِ طِلابِي
فَمَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا وَإِن نِلْتُ كُلَّ مَا   تَمَنَّيتُ مِنْهَا بَعْدَ فَقْدِ شَبَابِي

وقال: (من الطويل)

تَحَمَّلْ إِلَى نَادِي الْحَبِيبِ رِسَالَةً   أَرَقَّ عَلَى الْمَخْمُورِ مِنْ نَفَسِ الصَّبا
وَخَـبِّـرْهُ عَـنِّـي أَنَّـنِـي مُـنْـذُ بَـيْـنِـهِ   أُكَابِدُ هَـوْلا يَـتْـرُكُ الطِّـفْـلَ أَشْـيَـبَـا
فَإِنْ لَانَ فَاشْكُرْهُ عَلَى فَضْلِ مَا أَتَى   مِنَ الْبِرِّ واعْذِرْهُ إِذَا صَدَّ أَوْ أَبَى
وَلا تُـخْـجِـلَـنْـهُ بِـالْـعِـتَـابِ فَـإِنَّـنِـي   أَخَـافُ إِذَا مَـا احْـمَـرَّ أَنْ يَـتَـلَـهَّـبَـا

وقالَ وَكَتَبَ بها إلى صديقٍ له: (من الطويل)

أَتَزْعُمُنِي خِلًّا وَتَهْجُرُ سَاحَتِي   عَلَى غَيرِ ذَنْبٍ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وُصْلَةٌ   تُؤَكِّدُ عَهْدًا فَالصُّدُودُ قَرِيبُ
وَإِنَّ وِدَادَ الْقَلْبِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ   دَلِيلٌ عَلَى إِخْلَاصِهِ لَمُرِيبُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسرَنديبَ وَقدْ سَمِعَ باكيَةً بِليلٍ: (من الوافر)

وَبَاكِيَةٍ شَجَتْ قَلْبِي بِلَحْنٍ تَهِيجُ لَهُ الْمَسَامِعُ وَالْقُلُوبُ
سَأَلْتُ فَقِيلَ فَقَدَتْ حَبِيبًا وَهَلْ يَبْقَى عَلَى الدُّنْيَا حَبِيبُ
بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أَفْهَمْ صَدَاهَا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الْغَرِيبُ

وقال: (من البسيط)

لَيْسَ ابْنُ آدَمَ ذَا جَهْلٍ بِمَصْرَعِهِ لَكِنَّهُ يَتَنَاسَى الْجِدَّ بِاللَّعِبِ
تَراهُ يَلْهُو وَلا يَنْفَكُّ فِي حَذَرٍ وَرَاحَةُ النَّفْسِ لا تَخْلُو مِنَ التَّعَبِ

وقال: (من الطويل)

تَرَفَّقْ فَإِنَّ الرِّفْقَ زَيْنٌ وَقَلَّمَا يَنَالُ الْفَتَى بِالْعُنْفِ ما كانَ طَالِبَا
إِذَا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَرُدُّهُ إِلَى الْحِلْمِ لَمْ يَبْرَحْ مَدَى الدَّهْرِ عاتِبَا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْفَحْ عَنِ الْخِلِّ إِنْ هَفَا أَقَامَ وَحِيدًا أَوْ قَضَى الْعُمْرَ غَاضِبَا

وقال: (من الكامل)

إِنِّي إِذَا ما الْخِلُّ خَاسَ بِعَهْدِهِ بَعْدَ الوِدَادِ فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَإِذَا عَتَبْتُ عَلَيهِ ثُمَّتَ لَمْ يَعُدْ عَنْ غَيِّهِ لَمْ أَكْتَرِثْ لِعِتَابِهِ

وقال: (من الوافر)

بَلَوتُ سَرائِرَ الإِخْوَانِ حَتَّى رَأَيْتُ عَدُوَّ نَفْسِي مِنْ حَبِيبِي
فَلا تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ صِحَابًا فَإِنَّهُمُ جَواسِيسُ الْعُيُوبِ

وقال في كتْمانِ السِّرِّ: (من الوافر)

أَلَمْ تَعْلَمْ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَبْقَى بِأَنَّ الصَّمْتَ مَنْجَاةُ الأَرِيبِ
فَلا تَأْمَنْ عَلَى سِرٍّ حَبِيبًا فَقَدْ يَأْتِي الْعَدُوُّ مِنَ الْحَبِيبِ

وقال في لُزومِ الاحتراسِ منَ العَدُوِّ: (من الكامل)

لا تَـرْكَـنَـنَّ إِلَـى الْـعَـدُوِّ فَـإِنَّـهُ يَبْغِي سِقَاطَكَ بِالْحَدِيثِ الْمُعْجِبِ
كَالنَّارِ تَخْتَدِعُ الْفَراشَ لِحُسْنِهَا فَيَنَالُ مِنْهُ الْبُؤْسُ إِنْ لَمْ يَعْطَبِ

وقال: (من الطويل)

أَرَى كُلَّ حَيٍّ يَظْلِمُ الدَّهْرَ جُهْدَهُ وَلَسْتُ أَرَى لِلدَّهْرِ فِي عَمَلٍ ذَنْبَا
إِذَا سَاءَ صُنْعُ الْمَرْءِ سَاءَتْ حَيَاتُهُ فَمَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ يُوسِعُهَا سَبَّا

وَقالَ في رَجُلٍ اغْتابَهُ: (من الخفيف)

لا أُجَازِيكَ بِالَّذِي خُضْتَ فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا أَمُضُّكَ عَتْبَا
غَفَرَ اللهُ لِي إِذَا كَانَ صِدْقًا وَعَفَا اللهُ عَنْكَ إِنْ كَانَ كِذْبَا

وقال: (من الطويل)

وَذِي جَبَرُوتٍ لا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ عَظِيمًا وَلا يُصْغِي إِلى قَوْلِ مُصْحِبِ
نَظَرْتُ إِلَـيْهِ نَظْـرَةً فَتَـطامَـنَـتْ غَـوارِبُـهُ وَانْـقَـادَ بَـعْـدَ الـتَّـجَـنُّـبِ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْ رَأَى كِبْرَ شَأْنِهِ لأُصْـدِرَهُ إِلَّا بِـأَهْـلٍ وَمَـرْحَـبِ
وَلَكِنَّنِي سَهْلٌ لِمَنْ رَامَ خُلَّتِي وَصَعْبٌ عَلَى ذِي الْكِبْرِيَاءِ الْمُغَلَّبِ
وَلَـو أَنَّهُ اسْـتَـوْلَـى عَـلَـيهِ شَـقَـاؤُهُ لَطَارَتْ بِهِ فِي النَّاسِ عَنْقَاءُ مُغْرِبِ
وَلَـكِـنَّـهُ أَلْـقَـى إِلَـيَّ زِمَـامَـهُ فَسِرْتُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ الْمُهَذَّبِ
وَلَـيْسَ يَسُـودُ الْـمَرْءُ إِلا بِـحِـلْـمِهِ عَلَى قَوْمِهِ وَالصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبِ

وقال: (من الوافر)

أَتُخْفِرُ ذِمَّتِي وَتَرُومُ عَطْفِي لَقَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِالْكِذابِ
فَمَا بَعْدَ الْقَطِيعَةِ مِن تَلاقٍ وَلا بَعْدَ الْخَدِيعَةِ مِنْ عِتَابِ
وَكَيفَ يَصِحُّ بَعْدَ الْغَدْرِ وُدٌّ وَتَـسْـلَـمُ نِـيَّـةٌ بَـعْـدَ ارْتِـيَـابِ

رُوَيْدَكَ إِنَّنِي صَعْبٌ أَبِيٌّ عَلَى الأَقْرَانِ مَرْهُوبُ الْجَنَابِ
أُجَاهِرُ بِالْعَدَاءِ وَلَا أُبَالِي وَأَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَلَا أُحَابِي
فَمَا زَنْدِي لَدَى الْعَوْصَاءِ كَابٍ وَلا سَيْفِي غَدَاةَ الْحَرْبِ نَابِي
يَهَابُ الْقَرْنُ بَادِرَتِي فَيَمْضِي وَمَا جَرَّدْتُ سَيْفِي مِنْ قِرَابِ
فَإِنْ رُمْتَ السَّلامَةَ فَاجْتَنِبْنِي عَدُوًّا فَالسَّلَامَةُ فِي اجْتِنَابِي
فَقَدْ عَادَيْتُ أَعْظَمَ مِنْكَ قَدْرًا وَمَا ضَاقَتْ عَلَى بَدَنِي ثِيَابِي
فَإِنْ تَنْزَعْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَفْوِي وَإِنْ تَطْمَعْ فَسَوْفَ تَرَى عِقَابِي

وَقَالَ يَهْجُو: (من السريع)

لا تَبْهَتِ الشَّيْطَانَ فِي فِعْلِهِ فَقَدْ كَفَى أَنَّكَ مِنْ حِزْبِهِ
فَاخْسَأْ فَمَا الْخِنْزِيرُ فِي نَوْعِهِ أَخَسَّ طَبْعًا مِنْكَ فِي كَسْبِهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مُسْتَوْزَرًا مَا سَارَعَ النَّاسُ إِلى سَبِّهِ
ذَاكَ الَّذِي لَوْلا خُمُولُ الْوَرَى مَا نامَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى جَنْبِهِ
يَفْعَلُ بِالنَّاسِ أَفَاعِيلَهُ وَلا يَخَافُ اللهَ مِنْ ذَنْبِهِ
فَالْخَيْرُ وَالنِّعْمَةُ فِي بُعْدِهِ وَالشَّرُّ وَالنِّقْمَةُ فِي قُرْبِهِ
أَشَدُّ خَلْقِ اللهِ كِبْرًا فَإِنْ فَاجَأْتَهُ كَرَّ عَلَى عَقْبِهِ
... ... مِنَ الْجَوِّ إِلَى شُهْبِهِ
هَجَوْتُهُ لا بَالِغًا لُؤْمَهُ لَكِنَّنِي كَفْكَفْتُ مِنْ غَرْبِهِ
فَإِنْ أَكُنْ قَدْ نِلْتُ مِنْ عِرْضِهِ فَإِنَّنِي دَنَّسْتُ شِعْرِي بِهِ
فَلَا يَلُومَنَّ سِوَى نَفْسِهِ مَنْ سَلَّطَ النَّاسَ عَلَى ثَلْبِهِ

وقال: (من البسيط)

وَغْدٌ تَكَوَّنَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ دَنَسٍ فَمَا يَغَارُ عَلَى عِرْضٍ وَلَا حَسَبِ
يَلْتَذُّ بِالطَّعْنِ فِيهِ وَالْهِجَاءِ كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ وَالتَّظْفِيرِ ذو الْجَرَبِ

وقال: (من الخفيف)

كَـيـفَ أَهْـجُـوكَ وَالـدَّنَـاءَةُ سُـورٌ مِنْ حَدِيدٍ يَقِيكَ طَعْنِي وَضَرْبِي
لَكَ عِرْضٌ أَرَقُّ نَسْجًا مِنَ الرِّيــ ـحِ وَأَوْهَى مِنْ طَيْلَسَانِ ابْنِ حَرْبِ

وقال: (من البسيط)

وَذِي خِـلالٍ كَـأَنَّ الـلـهَ صَـوَّرَهَـا مِنْ صِبْغَةِ اللُّؤْمِ أَوْ مِنْ حَمْأَةِ الرِّيَبِ
نَـالَ الْـعَـلاءَ وَلَـكِـنْ خَـابَ رَائِـدُهُ عَنْ نُجْعَةِ الْفَضْلِ وَالآدابِ وَالْحَسَبِ
هَجَوْتُهُ رَغْبَةً فِي الصِّدْقِ إِذْ نَفَرَتْ شَمَائِلِي عَنْ مَقَالِ الْمَدْحِ فِي الْكَذِبِ

وقال: (من الوافر)

عَدِمْتَ حَمِيَّةً وَسَقِمْتَ وُدًّا فَلَمْ تُدْرِكْ لِمَكْرُمَةٍ نَصِيبَا
فَمَا أَحْزَنْتَ فِي حَرْبٍ عَدُوًّا وَلا أَفْرَحْتَ فِي سِلْمٍ حَبِيبَا

وقال يعزي: (من الطويل)

أُعَـزِّيـكَ لَا أَنِّـي أَظُـنُّـكَ جَـازِعًـا لِـخَـطْـبٍ وَلَـكِـنِّـي عَـمَـدْتُ لِـوَاجِـبِ
وَكَيفَ أُعَزِّي مَنْ فَرَى الدَّهْرَ خِبْرَةً وَأَدْرَكَ مَـا فِـي طَـيِّـهِ مِـنْ عَـجَـائِـبِ
فَيَا صَاحِبِي مَهْلا فَلَسْتَ بِوَاجِدٍ سِوَى حَاضِرٍ يَبْكِي فَجِيعَةَ غَائِبِ
وَصَـبْرًا فَـإِنَّ الصَّـبْرَ أَكْرَمُ صَاحِبٍ لِمَنْ بَانَ عَنْ مَثْوَاهُ أَكْرَمَ صَاحِبِ
وَلا تَأْسَ مِنْ وَقْعِ الْخُطُوبِ وَإِنْ جَفَتْ عَلَيْكَ فَإِنَّ النَّاسَ مَرْعَى النَّوائِبِ
إِذَا مَـا الـرَّدَى أَوْدَى بِـآدَمَ قَـبْـلَـنَـا فَـهَـلْ أَحَـدٌ مِـنْ نَـسْـلِـهِ غَـيْـرُ ذَاهِـبِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَ شَهْمًا مُهَذَّبًا فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى عُرْضَةٌ لِلْمَصَائِبِ
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَاكَ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ وَتُـذْكَـرُ عَـنْـهُ صَـالِـحَـاتُ الْـمَـنَـاقِـبِ

وقال في الزُّهْدِ: (من المنسرح)

إِلَامَ يَـهْـفُـو بِـحِـلْـمِـكَ الـطَّـرَبُ   أَبَعْدَ خَمْسِينَ فِي الصِّبَا أَرَبُ

هَيهَاتَ وَلَّى الشَّبابُ وَاقْتَرَبَتْ   سَـاعَـةُ وِرْدٍ دَنَـا بِـهَـا الْـقَـرَبُ

فَـلَـيْسَ دُونَ الْـحِـمَـامِ مُـبْـتَـعَـدٌ   وَلَـيْـسَ نَـحْـوَ الْـحَـيَـاةِ مُـقْـتَـرَبُ

كُـلُّ امْـرِئٍ سَـائِـرٌ لِـمَـنْـزِلَـةٍ   لَـيْـسَ لَـهُ عَـنْ فِـنَـائِـهَـا هَـرَبُ

وَسَـاكِـنٌ بَـيْـنَ جِـيـرَةٍ قَـذَفٍ   لَا نَـسَـبٌ بَـيْـنَـهُـمْ وَلَا قُـرَبُ

فِـي قَـفْـرَةٍ لِـلـضِّـلَالِ مُـزْدَحَـفٌ   فِـيـهـا وَلِـلـضَّـارِيَـاتِ مُـضْـطَـرَبُ

وَشَـاهِـدٌ مَـوْقِـفًـا يُـدَانُ بِـهِ   فَـالْـوَيْـلُ لِـلـظَّـالِـمِـينَ وَالْـحَـرَبُ

فَـارْبَـأْ يَـفَـاعًـا أَوِ اتَّـخِـذْ سَـرَبًـا   إِنْ كَانَ يُغْنِي الْيَفَاعُ وَالسَّرَبُ

لا الْبَازُ يَنْجُو مِنَ الْحِمَامِ وَلا   يَخْلُصُ مِنْهُ الْحَمَامُ وَالْخَرِبُ

مُسَلَّطٌ فِي الْوَرَى فَلا عَجَمٌ   يَبْقَى عَلَى فَتْكِهِ وَلَا عَرَبُ

فَكَمْ قُصُورٍ خَلَتْ وَكَمْ أُمَمٍ   بَادَتْ فَغَصَّتْ بِجَمْعِهَا التُّرَبُ

فَـمَـنْـزِلٌ عَـامِـرٌ بِـقَـاطِـنِـهِ   وَمَـنْـزِلٌ بَـعْـدَ أَهْـلِـهِ خَـرِبُ

يَغْدُو الْفَتَى لَاهِيًا بِعِيشَتِهِ   وَلَيْسَ يَدْرِي مَا الصَّابُ وَالضَّرَبُ

وَيَقْتَنِي نَبْعَةً يَصِيدُ بِهَا   وَنَبْعُ مَنْ حَارَبَ الرَّدَى غَرَبُ

لَا يَـبْـلُـغُ الـرِّبْـحَ أَوْ يُـفَـارِقُـهُ   كَـمَـاتِـحٍ خَـانَ كَـفَّـهُ وَالْـكُـرَبُ

يَـا وَارِدًا لا يَـمَـلُّ مَـوْرِدَهُ   حَذارِ مِنْ أَنْ يُصِيبَكَ الشَّرَبُ

تَصْبُو إِلَى اللَّهْوِ غيرَ مُكْتَرِثٍ   وَالـلَّـهْـوُ فِـيـهِ الْـبَـوارُ وَالـتَّـرَبُ

وَتَـتْـرُكُ الْـبِـرَّ غَـيـرَ مُـحْـتَـسِـبٍ   أَجْـرًا وَبِـالْـبِـرِّ تُـفْـتَـحُ الأُرَبُ

دَعِ الْـحُـمَـيَّـا فَـلابْـنِ حَـانَـتِـهَـا   مِنْ صَدْمَةِ الْكَأْسِ لَهْذَمٌ ذَرِبُ

تَـرَاهُ نُـصْـبَ الْـعُـيـونِ مُـتَّـكِـئًـا   وَعَـقْـلُـهُ فِـي الـضَّـلَالِ مُـغْـتَـرِبُ

فَبِئْسَتِ الْخَمْرُ مِنْ مُخَادِعَةٍ   لِسَلْمِها فِي الْقُلُوبِ مُحْتَرَبُ

إِذَا تَـفَـشَّـتْ بِـمُـهْـجَـةٍ قَـتَـلَـتْ   كَمَا تَفَشَّى فِي الْمَبْرَكِ الْجَرَبُ

فَـتُـبْ إِلَـى الـلـهِ قَـبْـلَ مَـنْـدَمَـةٍ   تَـكْـثُـرُ فِـيـهَـا الْـهُـمُـومُ وَالْـكَـرَبُ

وَاعْتَدْ عَلَى الْخَيْرِ فَالْمُوَفَّقُ مَنْ   هَـذَّبَـهُ الاعْـتِـيَـادُ وَالـدَّرَبُ

وَجُدْ بِمَا قَدْ حَوَتْ يَدَاكَ فَمَا   يَـنْـفَـعُ ثَـمَّ الـلُّـجَـيْـنُ وَالْـغَـرَبُ

فَـإِنَّ لِـلـدَّهْـرِ لَـوْ فَـطَـنْـتَ لَـهُ   قَوسًا مِنَ الْمَوتِ سَهْمُهَا غَرَبُ

قافية التاء

وقال: (من الخفيف)

أَدِرِ الْكَأْسَ يَا نَدِيمُ وَهَاتِ   وَاسْقِنِيهَا عَلَى جَبِينِ الْغَدَاةِ

شَاقَ سَمْعِي الْغِنَاءُ فِي رَوْنَقِ الْفَجـ   ـرِ، وَسَجْعُ الطُّيُورِ فِي الْعَذَبَاتِ

أَيُّ شَيْءٍ أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ كَأْ   سٍ مُدَارٍ عَلَى بِسَاطِ نبَاتِ؟

هُوَ يَوْمٌ تَعَطَّرَتْ طَرَفَاهُ   بِشَمَالٍ مَسْكِيَّةِ النَّفَحَاتِ

باسِمُ الزَّهْرِ، عَاطِرُ النَّشْرِ، هَامِي الـ   ـقَطْرِ، وَانِي الصَّبَا، عَلِيلُ الْمَهَاةِ

مَسْرَحٌ لِلعُيُونِ يَمْتَدُّ فِيهِ   نَفَسُ الرِّيحِ بَيْنَ مَاضٍ وَآتِ

فَامْتَثِلْ دَعْوَةَ الصَّبُوحِ، وَبَادِرْ   فُرْصَةَ الدَّهْرِ قَبْلَ وَشْكِ الْفواتِ

وَتَدَرَّجْ مَعِي إِلَى رَوْضَةِ الْمَنـ   ـيَلِ ذاتِ النَّخِيلِ وَالثَّمَراتِ

فَهْيَ مَرْعَى الْهَوَى، وَمَغْنَى التَّصابِي   وَمَراحُ الْمُنَى، وَمَسْرَى الْحَياةِ

أَلِفَتْهَا النُّفُوسُ، فَهْيَ إِلَيْهَا   مِنْ أَلِيمِ الأَشْوَاقِ فِي حَسَراتِ

تَبْعَثُ اللَّهْوَ وَالسُّرُورَ، وَتَمْحُو   مِنْ فُؤَادِ الْحَزِينِ كُلَّ شَكَاةِ

بَيْنَ نَدْمَانَ كَالْكَواكِبِ حُسْنًا   ورَعَابِيبَ كَالدُّمَى خَفِرَاتِ

يَتَساقَوْنَ بِالكُئُوسِ مُدَامًا   هِيَ كَالشَّمْسِ فِي قَمِيصِ إِيَاةِ

فِي أَبَارِيقَ كَالطُّيُورِ اشْرَأَبَّتْ   حَذَرَ الْفَتْكِ مِن صِيَاحِ الْبُزَاةِ

حَانِيَاتٍ عَلَى الْكُئُوسِ مِنَ الرَّأْ   فَةِ، يُرْضِعْنَهُنَّ كَالأُمَّهَاتِ

لا تَرَى الْعَيْنُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ صَبٍّ   بِسَمَاعٍ، أَوْ هَائِمٍ بِفَتَاةِ

وَمُغَنٍّ إِذَا شَدَا خِلْتَ أَنَّ الـ   أَرْضَ ظَلَّتْ تَدُورُ بِالْفَلَوَاتِ

مَـلَـكَ الـسَّـمْـعَ والْـفُـؤادَ بِـلَـحْـنٍ　　يَـفْـتِـنُ الـغِـيـدَ داخِـلَ الْـحُـجُـرَاتِ
يَـبْـعَـثُ الـصَّـوتَ مُـرْسَـلا فَـإِذَا مَـا　　غَـضَّ مِـنْـهُ اسْـتَـدَارَ بَـيْـنَ الـلَّـهَـاةِ
غَـرِدٍ يُـبْـطِـلُ الْـحَـدِيـثَ وَيُـنْـسِـي　　رَبَّـةَ الْـحُـزْنِ لَـوْعَـةَ الـذُّكُـرَاتِ
تِـلْـكَ والـلـه لَـذَّةُ الْـعَـيْـشِ، لا سَـوْ　　مُ الأَمَـانِـي فِـي عَـالَـمِ الْـخَـطَـرَاتِ

وقال: (من مجزوء الرمل)

زَمْزِمِي الْكَأْسَ وَهَاتِي　　وَاسْقِينِهَا يَا مَهَاتِي
وَامْـزُجِـيـهَـا بِـرُضَـابٍ　　مِنْكِ مَعْسُولِ اللَّهَاةِ
إِنَّـمَـا الـرَّاحُ مَـدارُ الــ　　أُنْسِ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ
طالَما عَاصَيْتُ فيهَا　　أَهْـلَ وَدِّي وَنُـهَـاتِـي
لا أُبالِـي فِـي هَـواهَـا　　بِـسَـمَـاعِ الـتُّـرَّهَـاتِ
كيف أَخْشَى قَوْلَ دَاهٍ؟　　أَنَـا مِـنْ قَـومٍ دُهـاةِ

وقال في الغَزَل: (من الكامل)

سَـمِـعَ الْـخَـلِـيُّ تَـأَوُّهِـي فَـتَـلَـفَّـتَـا　　وَأَصَابَهُ عَجَبٌ، فَقَالَ مَنِ الْفَتَى؟
فَأَجَبْتُهُ إِنِّي امْرُؤٌ لَعِبَ الأَسَى　　بِـفُـؤادِهِ يَـوْمَ الـنَّـوَى فَـتَـشَـتَّـتَـا
انْـظُـرْ إِلَـيَّ تَـجِـدْ خَـيَـالًا بَـالِـيًـا　　تَـحْـتَ الـثِّـيَـابِ، يَـكادُ أَلَّا يُـنْـعَـتَـا
قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ أَصَابَ سَوادَهُ　　سَـهْـمٌ لِـطَـرْفٍ فَـاتِـرٍ فَـتَـفَـتَّـتَـا
تَبِعِ الْهَوَى قَلْبِي فَهَامَ وَلَيْتَهُ　　قَبْلَ التَّوَغُّلِ في الْبَلاءِ تَثَبَّتَا
أَلْقَتْهُ فِي شَرَكِ الْمَحَبَّةِ غَادَةٌ　　هَيْهَاتَ، لَيْسَ بِصَاحِبِي إِنْ أَفْلَتَا
كَالْوَرْدِ خَدًّا، وَالْبَنَفْسَجِ طُرَّةً　　وَالْـغُـصْـنِ قَدًّا، وَالْغَزَالَةِ مَلْفَتَا
نَظَرَتْ بِكَحْلَاوَيْنِ أَوْدَعَتَا الْهَوَى　　بِـالْـقَـلْـبِ حَـتَّـى هَـامَ، ثُـمَّ تَـخَـلَّـتَـا
تَاللهِ لَو عَلِمَ الْعَذُولُ بما جَنَى　　طَـرْفِـي عَـلَـيَّ لَـسَـاءَهُ أَنْ يَـشْـمَـتَـا
طَرْفٌ أَطَلْتُ عِنَانَهُ لِيُصِيبَ لِي　　بَعْضَ الْمُنَى فَأَصَابَنِي لَمَّا أَتَى
يا قَلْبُ حَسْبُكَ قَدْ أَفَاقَ مَعَاشِرٌ　　وَأَرَاكَ تَدْأَبُ فِي الْهَوَى فَإِلَى مَتَى؟

وقال في الأحمق: (من الطويل)

لا تُعَاشِرْ ما عِشْتَ أَحْمَقَ واعْلَمْ ... أَنَّهُ فِي الْوُجُودِ حَيٌّ كَمَيْتِ
لَيْسَ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْحُمْقِ إِلَّا ... مِثْلُ مَا بَيْنَ أَدْهَمٍ وَكُمَيْتِ

وقَالَ وقد ذهب إلى «المقابر» فرأى نسوة ينحن عَلَى ميت: (من الطويل)

رَأَيْتُ بِصَحْراءِ الْقَرافَةِ نِسْوَةً ... نَوازِعَ لا يَأْوِينَ حُزْنًا إِلى بَيْتِ
يَنُحْنَ عَلَى مَيْتٍ سَيَتْبَعْنَ إِثْرَهُ ... وَمِنْ عَجَبٍ مَيْتٌ يَنُوحُ عَلَى مَيْتِ

وقال في الزُّهدِ: (من مجزوء الرمل)

كُلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ ... لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتُ
حَرَكَاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ... ثُمَّ يَتْلُوهَا خُفُوتُ
وَكَلامٌ لَيْسَ يَحْلُو ... بَعْدَهُ إِلَّا السُّكُوتُ
أَيُّها السَّادِرُ قُلْ لِي ... أَيْنَ ذَاكَ الْجَبَرُوتُ
كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى النُّطْـ ... ـقِ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ؟
لَيتَ شِعْرِي، أَهُمُودٌ ... مَا أَراهُ، أَمْ قُنُوتُ؟
أَيْنَ أَمْلاكٌ لَهُمْ فِي ... كُلِّ أُفْقٍ مَلَكُوتُ؟
زَالَتْ التِّيجَانُ عَنْهُمْ ... وَخَلَتْ تِلكَ التُّخُوتُ
أَصْبَحَتْ أَوطَانُهُمْ مِنْ ... بَعْدِهِمْ وَهْيَ خُبُوتُ
لا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوْ ... لَ، ولا حَيٌّ يَصُوتُ
عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبُورٌ ... وَخَلَتْ مِنْهُمْ بُيُوتُ
لِمَ تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدْ ... دَهر إِذْ حَانَتْ بُخُوتُ
خَمَدَتْ تِلكَ الْمَسَاعِي ... وانْقَضَتْ تِلكَ النُّعُوتُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالٌ ... بَاطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ
لَيْسَ لِلإِنْسَانِ فِيهَا ... غَيْرَ تَقْوَى اللهِ قُوتُ

قافية الثاء

وقال: (من الطويل)

إِلَى اللهِ أَشْكُو أَنَّنِي بَيْنَ مَعْشَرٍ سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ طَيِّبٌ وَخَبِيثُ
لَهُمْ أَلْسُنٌ إِنْ رُمْنَ أَمْرًا بَلَغْنَهُ مِنَ النَّفْسِ، مَصْنُوعٌ لَهُنَّ حَدِيثُ
تَرِثُّ عَلَى قُرْبِ الْوِدَادِ عُهُودُهُمْ وَكَيفَ يَدُومُ الشَّيْءُ وَهْوَ رَثِيثُ؟
فَلَيْسَ لَهُمْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مَحْتِدٌ قَدِيمٌ، وَلا في الْمَكْرُماتِ حَدِيثُ
بَرِمْتُ بِهِمْ حَتَّى سَئِمْتُ مَكانَتِي وَأَنْكَرْتُ طِيبَ الْعَيْشِ وَهْوَ دَمِيثُ
إِذَا لَمْ يُغِثْنِي اللهُ منْهُمْ بِفَضْلِهِ فَمَا لِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ مُغِيثُ

وقال: (من الخفيف)

آهِ مِنْ غُرْبَةٍ وَفَقْدِ حَبِيبٍ أَوْرَثَا مُهْجَتِي عَذابًا مَكِيثَا
لا تَسَلْنِي عَمَّا أُقَاسِي فَإِنِّي بَيْنَ قَومٍ لا يَفْقَهُونَ حَدِيثَا

وقال: (من الطويل)

أَلا قُلْ لِقَومٍ شَامِتِينَ تَرَبَّصُوا تَهَزُّمَ شَرٍّ بِالْمَنِيَّةِ كَارِثِ
أَرَى سِتْرَ خَطْبٍ قَدْ تَرَفَّعَ، وانبَرَتْ تَلُوحُ لَهُمْ مِنْهُ وُجُوهُ الْحَوادِثِ

قافية الجيم

وقال يمدح النبيَّ ﷺ: (من البسيط)

يَا صَارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَعْرَاكَ بِالْمُهَجِ ... حَتَّى فَتَكْتَ بها ظُلْمًا بلا حَرَجِ
ما زالَ يَخْدَعُ نَفْسي وهْيَ لاهِيَةٌ ... حَتَّى أَصابَ سَوادَ الْقَلْبِ بِالدَّعَجِ
طَرْفٌ، لَو أنَّ الظُّبَا كَانت كَلَحْظَتِهِ ... يومَ الْكَرِهَةِ، مَا أَبْقَيَتْ عَلَى وَدَجِ
أَوْحَى إِلى الْقَلْبِ، فانقَادَتْ أَزِمَّتُهُ ... طَوعًا إِلَيهِ، وخَلاني وَلَمْ يَعُجِ
فَكَيفَ لِي بِتَلَافِيهِ وَقَدْ عَلِقَتْ ... بِهِ حَبَائِلُ ذَاكَ الشَّادِنِ الْغَنِجِ
كَادَتْ تُذِيبُ فُؤَادِي نَارُ لَوعَتِهِ ... لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ فِي لُجَجِ
لَوْلا الْفَوَاتِنُ مِنْ غِزْلانِ «كاظِمَةٍ» ... ما كانَ لِلْحُبِّ سُلْطانٌ عَلَى الْمُهَجِ
فَهَلْ إِلَى صِلَةٍ مِنْ غَادِرٍ عِدَةٌ ... تَشْفِي تَباريحَ قَلْبٍ بِالْفِرَاقِ شَجِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ فِي ظُلَمٍ ... يَخْشَى الضَّلالَةَ فيها كُلُّ مُدَّلِجِ
كَأَنَّ أَنْجُمَهُ وَالْجَوُّ مُعْتَكِرٌ ... غِيدٌ بِأَخْبِيَةٍ يَنْظُرْنَ مِنْ فُرَجِ
لَيْلٌ غَيَاهِبُهُ حَيْرَى، وأَنْجُمُهُ ... حَسْرَى، وساعاتُهُ في الطُّولِ كَالْحِجَجِ
كَأَنَّما الصُّبْحُ خَافَ اللَّيْلَ حِينَ رَأَى ... ظِلْماءَهُ ذاتَ أَسْدادٍ، فَلَمْ يَلِجِ
فَلَيتَ مَنْ لَامَنِي لانَتْ شَكِيمَتُهُ ... فَكَفَّ عَنِّي فُضُولَ الْمَنْطِقِ السَّمِجِ
يَظُنُّ بِي سَفَهًا أَنِّي عَلَى سَرَفٍ ... وَلا يَكادُ يَرَى ما فيه مِنْ عِوَجِ
فاعْدِلْ عَنِ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ امْرأً فَطِنًا ... فَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَوَجِ
هَيهاتَ يَسْلُكُ لَوْمُ الْعَاذِلِينَ إِلَى ... قَلْبٍ بِحُبِّ رسُولِ الله مُمْتَزِجِ
هُوَ النَّبِيُّ الَّذي لَوْلا هِدَايَتُهُ ... لَكانَ أَعْلَمُ مَنْ فِي الأَرْضِ كَالْهَمَجِ

أَنَا الَّذِي بِتُّ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ   أَحِنُّ شَوْقًا كَطَيرِ الْبَانَةِ الْهَزِجِ

هاجَتْ بِذِكْرَاهُ نَفْسِي، فَاكْتَسَتْ وَلَهًا   وَأَيُّ صَبٍّ بِذِكْرِ الشَّوْقِ لَمْ يَهِجِ

فَمَا احْتِيَالِي؟ وَنَفْسِي غَيْرُ صَابِرَةٍ   عَلَى الْبِعَادِ، وَهَمِّي غَيْرُ مُنْفَرِجِ

لا أَسْتَطِيعُ بَرَاحًا إِنْ هَمَمْتُ وَلا   أَقْوَى عَلَى دَفْع ما بِالنَّفْسِ مِنْ حَوَجِ

لَوْ كانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَنَقُّلِهِ   ما كانَ إلا إِلَى مَغْناهُ مُنْعَرَجِي

فَهَلْ إِلَى صِلَةِ الآمَالِ مِنْ سَبَبِ   أَمْ هَلْ إِلَى ضِيقَةِ الأَحْزانِ مِنْ فَرَجِ؟

يا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي وَإِنْ عَظُمَتْ   جَرَائِمِي رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ

ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ، يَدِي   مَغْلُولَةٌ، وَصَباحِي غيرُ مُنْبَلِجِ

ما لِي سِوَاكَ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ إِذَا   ضَاقَ الزِّحَامُ غَداةَ الْمَوْقِفِ الْحَرِجِ

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ إِلَّا إِلَيْكَ فَلا   تَقْطَعْ رَجَائِي، فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ حَرَجِي

وقال: (من البسيط)

أَبَعْدَ سِتِّينَ لِي حَاجٌ فَأَطْلُبَها؟   هَيْهاتَ، ما لِامْرِئٍ بَعْدَ الصِّبَا حَاجُ

إِنَّ ابْنَ آدَمَ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ   لا يَسْتَقِيمُ لَهُ قَصْدٌ وَمِنْهَاجُ

كَأَنَّمَا هُوَ فِي فُلْكٍ تُحِيطُ بِهِ   مِنْ جَانِبَيْهِ أَعَاصِيرٌ وَأَمْوَاجُ

يَهْوَى الْبَقَاءَ، وَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ بِهِ   وَيَسْتَعِزُّ بِأَمْنٍ فِيهِ إِزْعَاجُ

لا أَحْفِلُ الطَّيْرَ إِنْ غَنَّت، وإِنْ نَعَبَتْ   سِيَّانِ عِنْدِي صَفَّارٌ وَشَحَّاجُ

يَسْتَعْظِمُونَ مِنَ الْحَجَّاجِ صَوْلَتَهُ   وكُلُّ قَوْمٍ بِهِمْ لِلظُّلْمِ حَجَّاجُ

قافية الحاء

وقال وهو في حربِ الرُّوس يذكر شوقَهُ إلى الوطن، ويَصِفُ هذه الحربَ: (من الطويل)

هَنِيئًا لِرَيَّا ما تَضُمُّ الْجَوَانِحُ ... وَإِنْ طَوَّحَتْ بِي في هَواهَا الطَّوائِحُ

فَتَاةٌ لَهَا فِي مَنْصِبِ الْحُسْنِ سُورَةٌ ... تُقَصِّرُ عَنها الْغِيدُ وَهيَ رَوَاجِحُ

أَحَاطَ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ إِزَارُهَا ... وَدَارَتْ عَلَى مِثْلِ الْقَنَاةِ الْوَشَائِحُ

فَفِي الْغُصْنِ منها إِنْ تَثَنَّتْ مَشابَهٌ ... وفي الْبَدْرِ منها إِنْ تَجَلَّتْ مَلامِحُ

مَحَاسِنُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ ... وَلَكِنَّهَا إِنْ وَازَنَتْهَا مَقَابِحُ

كَأَنَّ اهْتِزَازَ الْقُرْطِ في صَفْحِ جِيدِها ... سَنَا كَوْكَبٍ في مَطْلَعِ الْفَجْرِ لائِحُ

لها ذُكْرَةٌ عِنْدِي وَطَيْفٌ، كِلاهُمَا ... بِتِمْثَالِها غادٍ عَلَيَّ ورائِحُ

عَجِبْتُ لِعَيْنِي كَيْفَ تَظْمَأُ دُونَها ... وإِنْسَانُها فِي لُجَّةِ الْمَاءِ سَابِحُ

أَحِنُّ لَهَا شَوْقًا، ودُونَ مَزارِهَا ... مَسَالِكُ يَأْوِيهَا الرَّدَى وَمَنَادِحُ

فَيَافٍ يَضِلُّ النَّجْمُ فِي قُذُفاتِها ... وَتَظْلَعُ فِيهَا النَّائِجَاتُ الْبَوَارِحُ

وَلُجَّةُ بَحْرٍ كُلَّمَا هَبَّ عاصِفٌ ... مِنَ الرِّيحِ، دَوَّى مَوْجُهَا الْمُتَنَاطِحُ

فَقَلْبِيَ تَحْتَ السَّرْدِ كَالنَّارِ لافِحٌ ... وَدَمْعِي فَوقَ الْخَدِّ كالمَاءِ سافِحُ

وَلَوْ كُنْتُ مَطْلُوقَ الْعِنَانِ لَما ثَنَتْ ... هَوايَ الْفَيَافِي وَالبِحَارُ الطَّوَافِحُ

ولَكِنَّنِي فِي جَحْفَلٍ لَيْسَ دُونَهُ ... بَراحٌ لِذِي عُذْرٍ، وَلا عَنْهُ بَارِحُ

يُكَافِحُنِي شَوْقِي إِذَا اللَّيلُ جَنَّنِي ... وَأَغْدُو عَلَى جَمْعِ الْعِدَا فَأُكَافِحُ

خَصِيمانِ: هذا بِالْفُؤَادِ مُخَيِّمٌ ... وَذَلِكَ عَنْ مَرْمَى الْقَذِيفَةِ نَازِحُ

ومَا بِي أَخْشاهُ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا ... لَو أَنَّ الْهَوَى يُولِي يَدًا، أَوْ يُسَامِحُ

فَيَا رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ، حَيَّاكِ عَارِضٌ مِنَ الْمُزْنِ خَفَّاقُ الْجَنَاحَيْنِ دَالِحُ
ضَحُوكُ ثَنَايَا الْبَرْقِ، تَجْرِي عُيُونُهُ بِوَدْقٍ بِهِ تَحْيَا الرُّبَا وَالصَّحَاصِحُ
تَحُوكُ بِخَيطِ الْمُزْنِ مِنْهُ يَدُ الصَّبَا لَها حُلَّةً تَخْتَالُ فِيهَا الأَبَاطِحُ
مَنَازِلُ حَلَّ الدَّهْرُ فِيهَا تَمَائِمي وَصَافَحَني فِيها الْقَنَا وَالصَّفَائِحُ
وَإِنَّ أَحَقَّ الأَرْضِ بِالشُّكْرِ مَنْزِلٌ يَكونُ بِهِ لِلْمَرْءِ خِلٌّ مُنَاصِحُ
فَهَلْ تَرْجِعُ الأَيَّامُ فِيهِ بِمَا مَضَتْ وَيَجْرِي بِوَصْلٍ مِنْ«أُمَيْمَةَ» سَانِحُ؟
لَعَمْرِي لَقَدْ طالَ النَّوَى، وَتَقاذَفَتْ مَهامِهُ دُون الْمُلْتَقَى وَمَطاوِحُ
وَأَصْبَحْتُ فِي أَرْضٍ يَحَارُ بها الْقَطَا وَتَرْهَبُها الْجِنَّانُ وَهْيَ سَوارِحُ
بَعِيدَةُ أَقْطَارِ الدَّيامِيمِ، لَو عَدا «سُلَيْكٌ» بِها شَأْوًا قَضَى وَهْوَ رازِحُ
تَصِيحُ بِها الأَصْدَاءُ فِي غَسَقِ الدُّجى صِيَاحَ الثَّكَالَى هَيَّجَتْها النَّوائِحُ
تَرَدَّتْ بِسَمُّورِ الْغَمَامِ جِبَالُها وَمَاجَتْ بِتَيَّارِ السُّيُولِ الْبَطَائِحُ
فَأَنْجَادُها لِلْكَاسِرَاتِ مَعَاقِلٌ وَأَغْوَارُهَا لِلْعَاسِلَاتِ مَسَارِحُ
مَهالِكُ يَنْسَى الْمَرْءُ فِيهَا خَلِيلَهُ وَيَنْدُرُ عَنْ سَوْمِ الْعُلا مَنْ يُنَافِحُ
فَلا جَوَّ إلا سَمْهَرِيٌّ وَقَاضِبٌ وَلا أَرْضَ إِلَّا شَمَّرِيٌّ وَسَابِحُ
تَرانَا بِها كَالأُسْدِ نَرْصُدُ غَارَةً يَطِيرُ بِها فَتْقٌ مِنَ الصُّبْحِ لَامِحُ
مَدافِعُنَا نُصْبُ الْعِدَا، ومُشاتُنَا قِيَامٌ، تَلِيها الصَّافِنَاتُ القَوارِحُ
ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ تَقِيهِنَّ سَاقَةٌ صِيَالَ الْعِدَا إِنْ صَاحَ بِالشَّر صائِحُ
فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا كُمَاةً بَوَاسِلا وَجُرْدًا تَخُوضُ الْمَوتَ وَهْيَ ضَوابِحُ
نُغِيرُ عَلَى الأَبْطَالِ والصُّبْحُ بَاسِمٌ وَنَأْوِي إِلَى الأَدْغَالِ وَاللَّيلُ جَانِحُ
بَكَى صاحِبِي لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ أَقْبَلَتْ بِأَبْنَائِها، وَالْيَوْمُ أَغْبَرُ كَالِحُ
وَلَم يَكُ مَبْكاهُ لِخَوفٍ، وَإِنَّما تَوَهَّمَ أَنَّى فِي الْكَرِيهَةِ طَائِحُ
فَقَالَ اتَّئِدْ قَبْلَ الصِّيَالِ ولا تَكُنْ لِنَفْسِكَ حَرْبًا إِنَّنِي لَكَ نَاصِحُ
أَلَمْ تَرَ مَعْقُودَ الدُّخَانِ، كَأَنَّمَا عَلَى عَاتِقِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ سَرائِحُ؟
وَقَدْ نَشَأَتْ لِلْحَرْبِ مُزْنَةُ قَسْطَلٍ لَهَا مُسْتَهِلٌّ بِالْمَنِيَّةِ راشِحُ
فَلا رَأْيَ إلا أَنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ فَإِنَّكَ مَقْصُودُ الْمَكَانَةِ وَاضِحُ
فَقُلْتُ تَعَلَّمْ إِنَّمَا هِيَ خُطَّةٌ يَطُولُ بِها مَجْدٌ وَتُخْشَى فَضَائِحُ
فَمَا كُلُّ مَا تَرْجُو مِنَ الأَمْرِ نَاجِعٌ وَلا كُلُّ مَا تَخْشَى مِنَ الْخَطْبِ فَادِحُ

فَقَدْ يَهْلَكُ الرِّعْدِيدُ فِي عُقْرِ دارِهِ وَيَنْجُو مِنَ الْحَتْفِ الْكَمِيُّ الْمُشايِحُ
وَكُلُّ امْرِئٍ يَومًا مُلاقٍ حِمَامَهُ وإِنْ عَارَ فِي أَرْسَانِهِ وَهْوَ جَامِحُ
فَمَا بَارِحٌ إِلا مَعَ الْخَيْرِ سَانِحٌ ولا سَانِحٌ إِلا مَعَ الشَّرِّ بارِحُ
فَإِنْ عِشْتُ صافَحْتُ الثُّرَيَّا وَإِنْ أَمُتْ فَإِنَّ كَرِيمًا مَنْ تَضُمُّ الصَّفائِحُ

وسَأَلَهُ أَحَدُ الْفُضَلاءِ أَنْ يُوازِنَ قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيهِ التي أَوَّلُها:

يا سَاكِنِي السَّفْحِ كَمْ عَيْنٍ بِكُمْ سَفَحَتْ نَزَحْتُمُ، فَهْيَ بَعْدَ الْبُعْدِ مَا نَزَحَتْ

فقال: (من البسيط)

مَاذَا عَلَى قُرَّةِ الْعَيْنَينِ لَوْ صَفَحَتْ وَعَاوَدَتْ بِوِصالٍ بَعْدَ مَا صَفَحَتْ
بايَعْتُها الْقَلْبَ إِيجَابًا بِمَا وَعَدَتْ فَيَا لَهَا صَفْقَةً فِي الْحُبِّ مَا رَبِحَتْ
قَدْ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ الْبُخْلَ مَقْطَعَةٌ فَمَا لِقَلْبِي يَهْوَاهَا وَمَا سَمَحَتْ
خُوطِيَّةُ الْقَدِّ لَو مَرَّ الْحَمَامُ بِها لَمْ يَشْتَبِهْ أَنَّها مِنْ أَيْكِهِ انْتَزَحَتْ
خَفَّتْ مَعاطِفُها لَكِنْ رَوادِفُها بِمِثْلِ مَا حَمَّلَتْنِي فِي الْهَوَى رَجَحَتْ
وَيْلَاهُ مِنْ لَحْظِهَا الْفَتَّاكِ إِنْ نَظَرَتْ وَآهِ مِنْ قَدِّهَا الْعَسَّالِ إِنْ سَنَحَتْ
يَمُوتُ قَلبِي وَيَحْيَا حَيْرَةً وَهُدًى فِي عَالَمِ الْوَجْدِ إِنْ صَدَّتْ وَإِنْ جَنَحَتْ
كَالْبَدْرِ إِنْ سَفَرَتْ وَالظَّبْيِ إِنْ نَظَرَتْ وَالْغُصْنِ إِنْ خَطَرَتْ وَالزَّهْرِ إِنْ نَفَحَتْ
وَا خَجْلَةَ الْبَدْرِ إِنْ لَاحَتْ أَسِرَّتُهَا وَحَيْرَةَ الرَّشَإِ الْوَسْنَانِ إِنْ لَمَحَتْ
لَها رَوَابِطُ لا تَنْفَكُّ آخِذَةً بِعُرْوَةِ الْقَلْبِ إِنْ جَدَّتْ وَإِنْ مَزَحَتْ
يَا سَرْحَةَ الأَمَلِ الْمَمْنُوعِ جَانِبُهُ وَيَا غَزَالَةَ وَادِي الْحُسْنِ إِنْ سَرَحَتْ
تَرَفَّقِي بِفُؤَادٍ أَنْتِ مُنْيَتُهُ وَمُقْلَةٍ لِسِوَى مَرْآكِ ما طَمَحَتْ
حَاشَاكِ أَنْ تَسْمَعِي قَوْلَ الْوُشَاةِ بِنَا فَإِنَّها رُبَّمَا غَشَّتْ إِذَا نَصَحَتْ
أَفْسَدْتُ فِي حُبِّكُمْ نَفْسِي جَوًى وَأَسًى وَالنَّفْسُ في الحُبِّ مَهْمَا أُفْسِدَتْ صَلَحَتْ
مَا زِلْتُ أَسْحَرُها بالشِّعْرِ تَسْمَعُهُ مِنْ ذاتِ فَهْمٍ تُجِيدُ الْقَوْلَ إِنْ شَرَحَتْ
حَتَّى إِذَا عَلِمَتْ مَا حَلَّ بِي وَرَأَتْ سُقْمِي وَخَافَتْ عَلَى نَفْسٍ بِهَا افْتَضَحَتْ
حَنَّتْ رَثَتْ عَطَفَتْ مالَتْ صَبَتْ عَزَمَتْ هَمَّتْ سَرَتْ وَصَلَتْ عَادَتْ دَنَتْ مَنَحَتْ

فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي نِعْمَة عَظُمَتْ — مَا شِئْتُ أَو جَنَّةٍ أَبْوَابُها فُتِحَتْ
أَنَالُ مِنْ ثَغْرِهَا الدُّرِّيِّ مَا سَأَلَتْ — نَفْسِي وَمِنْ خَدِّهَا الْوَرْدِيِّ مَا اقْتَرَحَتْ
فِي رَوْضَةٍ بَسَمَتْ أَزْهَارُها وَنَمَتْ — أَفْنَانُهَا وَسَجَتْ أَظْلَالُها وَضَحَتْ
تَكَلَّلَتْ بِجُمَانِ الْقَطْرِ وَاتَّزَرَتْ — بِسُنْدُسِ النَّبْتِ وَالرَّيْحَانِ وَاتَّشَحَتْ
تَرَنَّحَ الْغُصْنُ مِنْ أَشْوَاقِهِ طَرَبًا — لَمَّا رَأَى الطَّيرَ في أَوْكَارِهَا صَدَحَتْ
صَحَّ النَّسِيمُ بِها وَهْوَ الْعَلِيلُ وَقَدْ — مَالَتْ بِخَمْرِ النَّدَى أَغْصَانُها وَصَحَتْ
وَلَيلَةٍ سَالَ فِي أَعْقَابِها شَفَقٌ — كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ ذُبِحَتْ
طَالَتْ وَقَصَّرَها لَهْوِي بِغَانِيَةٍ — إِنْ أَعْرَضَتْ قَتَلَتْ أَو أَقْبَلَتْ فَضَحَتْ
هَيفَاءُ، إِنْ نَطَقَتْ غَنَّتْ، وَإِنْ خَطَرَتْ — رَنَّتْ، وَإِنْ فَوَّقَتْ أَلَحَاظَهَا جَرَحَتْ
دَارَتْ عَلَينَا بِها الْكَاسَاتُ مُتْرَعَةٌ — بِخَمْرَةٍ لَو بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدَحَتْ
حَمْرَاء سَلْسَلَهَا الإِبْرِيقُ في قَدَحٍ — كَشُعْلَةٍ لَفَحَتْ فِي ثَلْجَةٍ نَصَحَتْ
رُوحٌ إِذَا سَلَكَتْ فِي هَامِد نَبَضَتْ — عُرُوقُهُ أَوْ دَنَتْ مِنْ صَخْرَةٍ رَشَحَتْ
طَارَتْ بِأَلْبَابِنَا سُكرًا، وَلا عَجَبٌ — وَهْيَ الْكُمَيْتُ إِذَا في حَلْبَةٍ جَمَحَتْ
حَتَّى بَدَا الْفَجْرُ مِنْ أَطْرَافِ ظُلْمَتِهَا — كَغُرَّةٍ فِي جَوَادٍ أَدْهَمٍ وَضَحَتْ
فَيَا لَهَا لَيلَةٌ مَا كانَ أَحْسَنَهَا — لَوْ أَنَّها لَبِثَتْ حَوْلًا، وَمَا بَرِحَتْ

وقال عَلَى وَزْن مُخْتَرَع: (من مجزوء المتدارك)

امْلَأِ الْقَدَحْ — واعْصِ مَنْ نَصَحْ
وَارْوِ غُلَّتِي — بِابْنِةِ الْفَرَحْ
فَالْفَتَى مَتَى — ذَاقَها انْشَرَحْ
وَهْيَ إِنْ سَرَتْ — في الْعَلِيلِ صَحْ
أَوْ صَبَابَها — بَاخِلٌ سَمَحْ
فَاهْجُرِ الْكَرَى — وَاغْدُ نَصْطَبِحْ
فَالدُّجَى مَضَى — وَالسَّنَا لَمَحْ
وَالْحَمَامُ فِي — أَيْكِهِ صَدَحْ
فَاتْبَعِ الْهَوَى — حَيْثُمَا سَرَحْ
وَاصْطَحِبْ بِمَنْ — يَبْعَثُ الْمَرَحْ

فِـيـهِ لِـلْـمُـنَـى — كُـلُّ مُـقْـتَـرَحْ
وَاحْــذَرِ الَّــذِي — إِنْ وَعَـى سَـبَـحْ
كُــلَّـــمَـــا رَأَى — فُــرْصَـــةً قَــدَحْ
لَـيْـسَ مَـنْ أَسَـا — مِـثْـلَ مَـنْ جَـرَحْ
أَيــنَ مَــنْ رَأَى — فَـاسِـدًا صَـلَـحْ
كُـلُّ مَـنْ وَشَـى — سَـوْفَ يَـفْـتَـضِـحْ
فَـــاتْــرُكِ الأَذَى — فَـــالأَذَى تَــرَحْ
وَاسْــعَ لِـلْـعُـلَا — مَـنْ سَـعَـى نَـجَـحْ
وَارْعَ مَـا حَـوَتْ — هَــذِهِ الْـمُـلَـحْ

وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ: (من البسيط)

وَلَـيـلَـةٍ بِـضِـيَـاءِ الْـكَـأْسِ لَامِـعَـةٍ — أَدْرَكْتُ بِـاللَّـهْـوِ فِـيـهـا كُـلَّ مُـقْـتَـرَحِ
أَحْيَيْتُهَا — بَعْدَمَا نَامَ الْخَلِيُّ بِها — بِغَـادَةٍ لَـوْ رَأَتْـهَـا الـشَّـمْـسُ لَـمْ تَـلُـحِ
فَـلَـوْ تَـأَمَّـلْـتَـنِـي وَالْـكَـأْسُ دَائِـرَةٌ — لَـخِـلْـتَـنِـي مَـلِـكًا يَـخْـتَـالُ مِـنْ مَـرَحِ
وَكَـيـفَ لَا تَـبْـلُـغُ الأَفْـلَاكَ مَـنْـزِلَـتِـي — وَالْبَدْرُ فِي مَجْلِسِي وَالشَّمْسُ فِي قَدَحِي

وقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من البسيط)

وَا لَوْعَةَ الْقَلْبِ مِنْ غِزْلانِ أَخْبِيَةٍ — تَكَادُ تَشْكرُ مِنْ أَحْدَاقِهَا الرَّاحُ
مِنْ كُلِّ مَائِسَةٍ كَالْغُصْنِ قَدْ جَمَعَتْ — بَدَائِعًا، كُلُّهَا لِـلْـحُـسْـنِ أَوْضَـاحُ
فَالْعَينُ نَرْجِسَةٌ، وَالشَّعْرُ سَوْسَنَةٌ — وَالـنَّـهْـدُ رُمَّـانَـةٌ، وَالْـخَـدُّ تُـفَّـاحُ

وقال: (من الطويل)

أَلَا يَـا حَـمَـامَ الأَيْـكِ إِلْـفُـكَ حَـاضِـرٌ — وَغُـصْـنُـكَ مَـيَّـادٌ فَـفِـيـمَ تَـنُـوحُ
غَدَوتَ سَلِيمًا فـي نَـعِـيـمٍ وَغِـبْـطَـةٍ — وَلَـكِـنَّ قَـلْـبِـي بِـالْـغَـرَامِ جَـرِيـحُ
فَإِنْ كُنْتَ لِي عَونًا عَلَى الشَّوقِ فاسْتَعِرْ — لِـعَـيـنَـيـكَ دَمـعًـا فَـالْـبُـكَـاءُ مُـرِيـحُ
وَإلا فَـدَعـنِـي مِـنْ هَـدِيـلِـكَ وانْـصَـرِفْ — فَـلَـيْـسَ سَـواءً بَـاذِلٌ وَشَـحِـيـحُ

وقَالَ يصفُ سَحابةً: (من الرجز)

سَـارِيَـةٌ خَـفَّـاقَـةُ الْـجَـنَـاحِ تُـوَاصِـلُ الْـغُـدُوَّ بِـالـرَّوَاحِ
تَبِيتُ فِي مَهْدٍ مِنَ الْبِطَاحِ بـاكِـيَـةً بِـمَـدْمَـعٍ سَـفَّـاحِ
ضَـحَّـاكَـةً كَـثِـيـرَةَ الـنُّـوَاحِ مَنْشُورَةً فِي الأُفْقِ كَالْوِشَاحِ
تَـحْـمِـلُـهَـا كَـوَاهِـلُ الـرِّيَـاحِ

وقال: (من السريع)

يَا كَوكَبَ الصُّبْحِ! مَتَى يَنْقَضِي عُمْرُ الدُّجَى؟ يَا كَوْكَبَ الصُّبْحِ
قَدْ سَدَّ حِصْنُ اللَّيلِ أَبْوابَهُ فَـاتْـلُ عَـلَـيـهِ سُـورَةَ الْـفَـتْـحِ
إِنِّـي أَرَى أَنْـجُـمَـهُ قَـدْ وَنَـتْ فَـمَـا لَـهَـا أَيْـدٌ عَـلَـى الـسَّـبْـحِ
وَقَـدْ بَـدَا ذُو ذَنَـبٍ طَـالِـعًـا كَـأَنَّـهُ سُـنْـبُـلَـةُ الْـقَـمْـحِ

وقال فِي الرُّوحِ بَعْدَ مُفارَقَةِ الجِسْمِ: (من الوافر)

بَلَغْتِ مَدَاكِ مِنْ أَرَبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوٍّ فَسِيحِ
تَرَكْتِ الْجِسْمَ فِيمَا كَانَ مِنْهُ وَغِبْتِ بِلُجَّةٍ لَوْنِ الْمَسِيحِ
فَعَادَتْ صُورَةُ الْجُثْمَانِ عُطْلا لِفَقْدِكِ مِثْلَ دِينَارٍ مَسِيحِ
وَلَو يَقْوَى لَسَارَ، وَكَيفَ يَقْوَى عَلَى هَولِ السُّرَى قَدَمُ الْكَسِيحِ
سَبَحْتِ بِغَمْرَةٍ كَالشَّمْسِ نُورًا وَعَامَ مِنَ الْخَجَالَةِ فِي مَسِيحِ
فَلَيتَكِ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصِدْقٍ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَّالٍ مَسِيحِ
بِرَبِّكِ، هَلْ وَجَدْتِ كَمَا وَجَدْنَا خِلافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ

وقال فِي صباه: (من الخفيف)

هُوَ مَا قُلْتُ فَاحْذَرَنْهَا صَبَاحَا غَـارَةٌ تَـمْـلَأُ الْـفَـضَـاءَ رِمَـاحَـا
تَـتْـرُكُ الْـمَـاءَ لا يَـسُـوغُ لِـظَـامٍ وَتَـرُدُّ الـدَّمَ الْـحَـرَامَ مُـبَـاحَـا
لا تَـرَى بَـيْـنَـهَـا سِـوَى عَـبْـقَـرِيٍّ يَأْلَفُ الطَّعْنَ نَجْدَةً وَارْتِيَاحَا

لَهِجٌ بِالْحُروبِ، لا يَأْلَفُ الْخَفْضَ ولا يَصْحَبُ الْفَتَاةَ الرَّدَاحَا
مِسْعَرٌ لِلْوَغَى، أَخُو غَدَوَاتٍ تَجْعَلُ الأَرْضَ مَأْتمًا وصِيَاحَا
لا يُرَى عَاتِبًا عَلَى شِيَمِ الدَّهـ ـرِ وَلا عَابِثًا، ولا مَزَّاحَا
يَفْعَلُ الْفَعْلَةَ الَّتِي تَبْهَرُ النَّاسَ وتَرْنُو لَهَا العُيُونُ طِمَاحَا
لا كَمَنْ يَسْأَلُ الوُفُودَ عَنِ الأَنْبَاءِ عَجْزًا وَيَرْقُبُ الأَشْبَاحَا
فَاعْتَبِرْ أَيُّهَا الْمُجَاهِرُ بِالْقَوْ لِ وَلا تَبْعَثَنْ عَلَيْكَ نُواحَا
إِنَّ فِي بُرْدَتَيَّ هَاتَيْنِ لَيْثًا يَقِصُ الْقِرْنَ أَوْ يَفُلُّ السِّلاحَا
سَدِكَاتٍ بِالرُّمْحِ مِنْهُ بَنانٌ تَمْلأ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ جِرَاحَا
أَنَا مِنْ مَعْشَرٍ كِرامٍ عَلَى الدَّهْرِ أَفَادُوهُ عِزَّةً وَصَلاحَا
فَرَعُوا بِالْقَنَا قِنَانَ الْمَعَالِي وَأَعَدُّوا لِبَابِهَا مِفْتَاحَا
عَمَرُوا الأَرْضَ مُدَّةً ثُمَّ زَالُوا مِثْلَمَا زَالَتِ الْقُرونُ اجْتِيَاحَا
وَأَتَتْ بَعْدَهُمْ عَلَيَّ لَيالٍ لا أَرَى فِي سَمَائِهَا مِصْبَاحَا
فَسَقَاهُمْ مُنَزِّلُ الْغَيثِ سَجْلًا يَجْعَلُ النَّبْتَ لِلْعَرَاءِ وِشَاحَا

قافية الدال

قال يُهَنِّئُ الخديو «محمد توفيق باشا» بجُلُوسِهِ على الأريكَة الخديوية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) ويذكِّره بما وَعَدَ به من إنشاء مجلس نيابيٍّ: (من الكامل)

أَبَنِي الْكِنَانَةِ أَبْشِرُوا بِمُحَمَّدِ وَثِقُوا بِرَاعٍ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحَدِ

فَهُوَ الزَّعِيمُ لَكُمْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ تَبْقَى مَآثِرُهَا، وَعَيْشٍ أَرْغَدِ

مَلِكٌ نَمَتْهُ أَرُومَةٌ عَلَوِيَّةٌ مَلَكتْ بسُؤْدُدِهَا عِنَانَ الْفَرْقَدِ

يَقِظُ الْبَصِيرَةِ لَوْ سَرَتْ فِي عَينِهِ سِنَةُ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ

بَدَهَاتُهُ قَيْدُ الصَّوَابِ، وَعَزْمُهُ شَرَكُ الْفَوَارِسِ فِي الْعَجَاجِ الأَرْبَدِ

فَإِذَا تَنَمَّرَ فَهْوَ «زَيْدٌ» فِي الوَغَى وإذا تَكَلَّمَ فَهْوَ «قَيْسٌ» فِي النَّدِي

مُتَقَسَّمٌ مَا بَيْنَ حُنْكَةِ أَشْيَبٍ صَدَقَتْ مَخِيلَتُهُ، وَحِلْيَةِ أَمْرَدِ

لا يَسْتَرِيحُ إِلى الْفَرَاغِ، ولا يَرَى عَيْشًا يَلَذُّ بِهِ إِذَا لَمْ يَجْهَدِ

فَنَهَارُهُ غَيْثُ اللَّهِيفِ، وَلَيْلُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ لَيلُ الْعُبَّدِ

لَهِجٌ بِحُبِّ الصَّالِحَاتِ، فَكُلَّمَا بَلَغَ النِّهَايَةَ مِنْ صَنِيعٍ يَبْتَدِي

خُلُقٌ تَمَيَّزَ عَنْ سِوَاهُ بِفَضْلِهِ والْفَضْلُ فِي الأَخْلاقِ إِرْثُ الْمَحْتِدِ

إِقْلِيدُ مُعْضِلَةٍ، ومَعْقِلُ عَائِذٍ وَسَمَاءُ مُنْتَجِعٍ وَقِبْلَةُ مُهْتَدِ

حَسُنَتْ بِهِ الأَيَّامُ حَتَّى أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ مَعْشُوقِ الشَّمَائِلِ أَغْيَدِ

وَصَفَتْ مَوَارِدُ مِصْرَ حَتَّى أَصْبَحَتْ بَعْدَ الْكُدُورَةِ شِرْعَةً لِلْوُرَّدِ

فَالْعَدْلُ يَرْعَاهَا بِرَأْفَةِ وَالِدٍ وَالْبَأْسُ يَحْمِيهَا بصَوْلَةِ أَصْيَدِ

بَلَغَتْ بِفَضْلِ «مُحَمَّدٍ» مَا أَمَّلَتْ ... مِنْ عِيشَةٍ رَغَدٍ وَجَدٍّ أَسْعَدِ

هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الذي أَوْصَافُهُ ... فِي الشِّعْرِ حِلْيَةُ رَاجِزٍ وَمُقَصِّدِ

فَبِنُورِهِ فِي كُلِّ جُنْحٍ نَهْتَدِي ... وَبِهَدْيِهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ نَفْتَدِي

سَنَّ الْمَشُورَةَ، وَهْيَ أَكْرَمُ خُطَّةٍ ... يَجْرِي عَلَيْهَا كُلُّ رَاعٍ مُرْشِدِ

هِيَ عِصْمَةُ الدِّينِ الَّتِي أَوْحَى بِهَا ... رَبُّ الْعِبَادِ إِلَى النَّبِيِّ «مُحَمَّدِ»

فَمَنِ اسْتَعَانَ بِهَا تَأَيَّدَ مُلْكُهُ ... وَمَنِ اسْتَهَانَ بِأَمْرِهَا لَمْ يَرْشُدِ

أَمْرانِ مَا اجْتَمَعَا لِقَائِدِ أُمَّةٍ ... إلا جَنَى بِهَا ثِمَارَ السُّؤْدُدِ

جَمْعٌ يَكُونُ الأَمْرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ... شُورَى، وَجُنْدٌ لِلْعَدُوِّ بِمَرْصَدِ

هَيْهَاتَ يَحْيَا الْمُلْكُ دُونَ مَشُورَةٍ ... وَيَعِزُّ رُكْنُ الْمَجْدِ مَا لَمْ يُعْمَدِ

فَالسَّيفُ لا يَمْضِي بِدُونِ رَوِيَّةٍ ... وَالرَّأْيُ لا يَمْضِي بِغَيرِ مُهَنَّدِ

فَاعْكُفْ عَلَى الشُّورَى تَجِدْ فِي طَيِّهَا ... مِنْ بَيِّنَاتِ الْحُكْمِ مَا لَم يُوجَدِ

لا غَرْوَ أَنْ أَبْصَرْتَ فِي صَفَحَاتِهَا ... صُوَرَ الْحَوادِثِ، فَهْيَ مِرآةُ الْغَدِ

فَالْعَقْلُ كَالْمِنْظَارِ يُبْصِرُ ما نَأَى ... عَنْهُ قَرِيبًا، دُونَ لَمْسٍ بِالْيَدِ

وَكَفَاكَ عِلْمُكَ بِالأُمورِ، وَلَيْسَ مَنْ ... سَلَكَ السَّبِيلَ كَحَائِرٍ لَمْ يَهْتَدِ

فَلأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ أَفَادَ بِعَدْلِهِ ... حُرِّيَّةَ الأَخْلَاقِ بَعْدَ تَعَبُّدِ

أَطْلَقْتَ كُلَّ مُقَيَّدٍ وَحَلَلْتَ كُلْـ ... ـلَ مُعَقَّدٍ وَجَمَعْتَ كُلَّ مُبَدَّدِ

وَتَمَتَّعَتْ بِالْعَدْلِ مِنْكَ رَعِيَّةٌ ... كَانَتْ فَرِيسَةَ كُلِّ بَاغٍ مُعْتَدِ

فَاسْلَمْ لِخَيرِ وِلايَةٍ عَزَّتْ بِهَا ... نَفْسُ النَّصِيحِ، وَذَلَّ كُلُّ مُفَنَّدِ

ضَرَحَتْ قَذَاةَ الْغَيِّ عَنْ جَفْنِ الْهُدَى ... وَسَرَتْ قِنَاعَ الْيَأْسِ عَنْ أَمَلٍ نَدِ

ضَمَّتْ إِلَيكَ زِمَامَ كُلِّ مُثَلِّثٍ ... وَثَنَتْ إِلَيْكَ عِنَانَ كُلِّ مُوَحِّدِ

وَتَأَلَّفَتْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَنْفُسٌ ... سَكَنَتْ بِعَدْلِكَ فِي نَعِيمٍ سَرْمَدِ

فَحَبَاكَ رَبُّكَ بِالْجَمِيلِ كَرَامَةً ... لِجَزِيلِ مَا أَوْلَيْتَ أُمَّةَ «أَحْمَدِ»

وَتَهَنَّ بِالْمُلْكِ الَّذِي أَلْبَسْتَهُ ... شَرَفًا بِمِثْلِ رِدَائِهِ لَمْ يَرْتَدِ

بَزَغَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ بَعْدَ مَا ... أَفَلَتْ، وَأَبْصَرَ كُلُّ طَرْفٍ أَرْمَدِ

لَمْ يَبْقَ مِنْ ذِي خَلَّةٍ إلا اغْتَدَى ... بِجَمِيلِ صُنْعِكَ مَصْدَرًا لِلْوُفَّدِ

بَلَغَتْ بِكَ الآمَالُ أَبْعَدَ غَايَةٍ ... قَصُرَتْ عَلَى الإِغْضَاءِ طَرْفَ الْحُسَّدِ

فَاسْعَدْ وَدُمْ وَاغْنَمْ وَجُدْ وانْعَمْ وَسُدْ ... وَابْدَأْ وَعُدْ وَتَهَنَّ وَاسْلَمْ وَازْدَدِ

لا زالَ عَدْلُكَ فِي الأَنامِ مُخَلَّدًا ... فَالْعَدْلُ فِي الأَيَّامِ خيرُ مُخَلَّدِ

وقال يَفْخَرُ، وَيُعَرِّضُ بالمَظَالِمِ على عهد الحُكُومَةِ الاسْتِبْدَادِيَّة: (من الطويل)

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لا أَوَدُّهُ   وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
أُحَاوِلُ وَصْلا وَالصُّدُودُ خَصِيمُهُ   وَأَبْغِي وَفَاءً وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلا، ولَمْ أَدْرِ أَنَّهُ   أَخُو غَدَرَاتٍ يَتْبَعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ
تَخِفُّ لَهُ الأَحْلامُ وَهْيَ رَزِينَةٌ   وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ أَشَدُّهُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهْوَ عَاقِلٌ   يُطِيعُ الْهَوَى فِيما يُنَافِيهِ رُشْدُهُ
يَفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ، وَهْوَ يُرِيحُهُ   وَيَأْوِي إلى الأشْجَانِ وَهْيَ تَكُدُّهُ
وَمَا الْحُبُّ إلا حاكِمٌ غَيرُ عَادِلٍ   إذا رامَ أَمْرًا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ
لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيدِ جَيْشُ مَلاحَةٍ   تُغِيرُ عَلَى مَثْوَى الضَّمائِرِ جُنْدُهُ
ذوَابِلُهُ قَامَاتُهُ، وَسُيُوفُهُ   لِحَاظُ الْعَذَارَى، وَالْقَلَائِدُ سَرْدُهُ
إِذَا مَاجَ بالْهِيفِ الْحِسَانِ، تَأَرَّجَتْ   مَسَالِكُهُ، وَاشْتَقَّ فِي الْجَوِّ نَدُّهُ
فَأَيُّ فُؤادٍ لا تَذُوبُ حَصَاتُهُ   غَرامًا، وَطَرْفٍ لَيْسَ يُقْذِيهِ سُهْدُهُ
بَلَوتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا   جَهِلْتُ، فَلا يَغْرُرْكَ فَالصَّابُ شَهْدُهُ
ظَلُومٌ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٌ   يَضِجُّ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ
إِذَا احْتَلَّ قَلبًا مُطْمَئِنًا تَحَرَّكَتْ   وَسَاوِسُهُ فِي الصَّدْرِ، وَاخْتَلَّ وَكْدُهُ
فَإِنْ كُنْتَ ذا لُبٍّ فَلا تَقْرَبَنَّهُ   فَغَيرُ بعِيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ
وقد كُنْتَ أَوْلى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا   فُؤادِي، ولَكِنْ خَالَفَ الْحَزْمَ قَصْدُهُ
إِذَا لَم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ   فَيُوشِكُ أَنْ يَلقَى حُسَامًا يَقُدُّهُ
لَعَمري لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي   مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لا يُطاقُ مَرَدُّهُ
فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمانِ أَرُومُهُ؟   وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أُعِدُّهُ
وَكَيفَ أَلُومُ الناسَ فِي الْغَدْرِ بَعْدَمَا   رَأَيْتُ شَبابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ
وَأَبْعَدُ مَفْقُودٍ شَبَابٌ رَمَتْ بِهِ   صُرُوفُ اللَّيالِي عِنْدَ مَنْ لا يَرُدُّهُ
فَمَنْ لِي بِخِلٍّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ   عَلَى أَمَلِي، أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ
صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلا فَلَمْ أَجِدْ   خَلِيلًا، فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ
فَأَكْثَرُ مَنْ لاقَيتُ لَمْ يَصْفُ قَلْبُهُ   وَأَصْدَقُ مَنْ وَالَيتُ لَمْ يُغْنِ وُدُّهُ
أُطَالِبُ أَيَّامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَها   وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وُجْدُهُ
فَمَا كُلُّ حَيٍّ يَنْصُرُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ   وَلا كُلُّ خِلٍّ يَصْدُقُ النَّفْسَ وَعْدُهُ

وَأَصْعَبُ ما يَلْقَى الْفَتَى فِي زَمَانِهِ … صَحابَةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ فَقْدُهُ

وَلِلنُّجْحِ أَسْبَابٌ إِذَا لَمْ يَفزْ بِها … لَبِيبٌ مِنَ الْفِتْيَانِ لَمْ يُورِ زَنْدُهُ

وَلكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جَدُّهُ … عَلى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ

وَمَا أَنَا بِالْمَغْلُوبِ دُونَ مَرامِهِ … وَلَكِنَّهُ قَدْ يَخْذُلُ الْمَرْءَ جَهْدُهُ

وما أُبْتُ بِالحِرْمَانِ إلا لأَنَّنِي … أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا تَوَدُّهُ

فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا … صَحِبْتُ زَمانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ … وَيَملِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغْدُهُ

تَدَاعَتْ لِدَرْكِ الثَّأْرِ فِينَا ثُعالُهُ … وَنَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أُسْدُهُ

فَحَتامَ نَسْرِي فِي دَيَاجِيرِ مِحْنَةٍ … يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ … عَلَيهِ، فَلَا يَأْسَفْ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ

وَمَنْ ذَلَّ خَوْفَ الْمَوتِ، كَانَتْ حَيَاتُهُ … أَضَرَّ عَلَيهِ مِنْ حِمامٍ يَؤُدُّهُ

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ الْعَينُ ظَالِمًا … يُسِيءُ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

عَلامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلا … أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوم يَعُدُّهُ؟

يَرَى الضَّيْمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَذُّ وَقْعَهُ … كَذِي جَرَبٍ يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ جِلْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لاقَى السَّيْلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُجْ … إِلَى وَزَرٍ يَحْمِيهِ أَرْدَاهُ مَدُّهُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ … بِهَا بَطَلا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى بِمَذَلَّةٍ … وَفِي السَّيفِ مَا يَكْفِي لِأَمْرٍ يُعِدُّهُ

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَا أَسْتَكِينُ لِصَوْلَةٍ … وَإِنْ شَدَّ سَاقِي دُونَ مَسْعَايَ قِدُّهُ

أَبَتْ لِي حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ … وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الأَذَى شَبَّ وَقْدُهُ

نَمَانِي إِلَى الْعَلْيَاءِ فَرْعٌ تَأَثَّلَتْ … أَرُومَتُهُ فِي الْمَجْدِ وَافْتَرَّ سَعْدُهُ

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا … بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُّهُ … دَمُ الصَّيدِ وَالْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ مَهْدُهُ

فَإِنْ عَاشَ فَالْبِيدُ الدَّيَامِيمُ دَارُهُ … وَإِنْ مَاتَ فَالطَّيرُ الأَضَامِيمُ لَحْدُهُ

أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرَفُّعًا … وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيرَ بُعْدُهُ

وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلاعَبُ بِالْقَنَا … أُسُودُ الْوَغَى فِيهِ وَتَمْرَحُ جُرْدُهُ

يُمَزِّقُ أَسْتَارَ النَّوَاظِرِ بَرْقُهُ … وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطِّعَانِ كُهُولُهُ … وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الأَعِنَّةِ مُرْدُهُ

قُلُوبُ الرِّجَالِ الْمُسْتَبِدَّةِ أَكْلُهُ وَفَيضُ الدِّماءِ الْمُسْتَهِلَّةِ وِرْدُهُ
أُحَمِّلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةً تُعَدُّ لأَمْرٍ لا يُحَاوَلُ رَدُّهُ
فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلا وَإِمَّا رَدًى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَفْدُهُ

وعَلَى رَوِيِّ قَصِيدةِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانيِّ التي أَوَّلُها:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدِ

قال: (من الكامل)

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيرَ مُوَسَّدِ حَيرَانَ يَكْلأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ
تُلْوِي بِهِ الذُّكُراتُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَظَلُّ مُلْقى بَيْنَ أَيْدِي الْعُوَّدِ
طَوْرًا يَهُمُّ بِأَن يَزِلَّ بِنَفْسِهِ سَرَفًا وَتَاراتٍ يَمِيلُ عَلَى الْيَدِ
فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرِ حِلْمِهِ مَشْمُولَةٌ أَوْ سَاغَ سُمَّ الأَسْودِ
قَالُوا غَدًا يَوْمُ الرَّحِيلِ وَمَنْ لَهُمْ خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ
هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةٌ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنْ قَدِ
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمُ يَا قَوْمُ دَعْوَةَ مُقْصَدِ
إِنِّي فَقَدْتُ الْيَومَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لأَهْتَدِي
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
بَل يَا أَخَا السَّيفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّزِيلَ فَأَغْمِدِ
هَذِي لِحَاظُ الْغِيدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ فَتَكَتْ بِنَا خَلْسًا بِغَيرِ مُهَنَّدِ
مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الصِّبَا بَدَوِيَّةٍ رَيَّا الشَّبَابِ سَلِيمَةِ الْمُتَجَرِّدِ
هَيْفَاءَ إِنْ خَطَرَتْ سَبَتْ وَإِذَا رَنَتْ سَلَبَتْ فُؤَادَ الْعَابِدِ الْمُتَشَدِّدِ
يَخْفِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَخَتُّلا لِلنَّفْسِ فِعْلَ الْقَانِتَاتِ الْعُبَّدِ
فَإِذَا أَصَبْنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلَبْنَهُ وَرَمَيْنَ مُهْجَتَهُ بِطَرْفٍ أَصْيَدِ
وَإِذَا لَمَحْنَ أَخَا الْمَشِيبِ قَلَيْنَهُ وَسَتَرْنَ ضَاحِيَةَ الْمَحَاسِنِ بِالْيَدِ
فَلَئِنْ غَدَوْتُ دَرِيئَةً لِعُيُونِهَا فَلَقَدْ أَفُلُّ زَعَارَةَ الْمُتَمَرِّدِ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَّانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدِ
تَتَقَصَّفُ الْمُرَّانُ فِي حَجَرَاتِهَا وَيَعُودُ فِيهَا السَّيفُ مِثلَ الأَدْرَدِ

عَصَفَتْ بِهَا رِيحُ الرَّدَى فَتَدَفَّقَتْ ... بِدَمِ الْفَوَارِسِ كَالأَتِيِّ الْمزْبِدِ
مَا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهَا حَتَّى انْثَنَتْ ... عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجْسَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيثَ يَلْمَعُ نَوْرُهُ ... فِي كُلِّ وَضَّاحِ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ
تَجْرِي بِهِ الآرَامُ بَيْنَ مَنَاهِلٍ ... طَابَتْ مَوَارِدُهَا وَظِلٍّ أَبْرَدِ
بِمُضَمَّرٍ أَرِنٍ كَأَنَّ سَرَاتَهُ ... بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةٌ مِنْ عَسْجَدِ
خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلاثَةً ... مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدِ
فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الأَصِيلَ رِدَاءَهُ ... سَلَبًا وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدِ
زَجِلٌ يُرَدِّدُ فِي اللَّهَاةِ صَهِيلَهُ ... رَفْعًا كَزَمْزَمَةِ الْحَبِيِّ الْمُرْعِدِ
مُتَلَفِّتًا عَنْ جَانِبَيْهِ يَهُزُّهُ ... مَرَحُ الصِّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَغَرِّدِ
فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ ... يَمْطُو كَسِيدِ الرَّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
وَإِذَا أَطَعْتَ لَهُ الْعِنَانَ رَأَيْتَهُ ... يَطْوِي الْمَهَامِهَ فَدْفَدًا فِي فَدْفَدِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ إِذَا أَحَسَّ بِنَبْأَةٍ ... شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ الْمُوقَدِ
صُلْبُ السَّنابِكِ لا يَمُرُّ بِجَلْمَدٍ ... فِي الشَّدِّ إلا رَضَّ فِيهِ بِجَلْمَدِ
نِعْمَ الْعَتَادُ إِذَا الشِّفَاهُ تَقَلَّصَتْ ... يومَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الأَرْبَدِ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بَيْنَ غَطَارِفٍ ... شُمِّ الْمَعَاطِسِ كَالْغُصُونِ الْمُيَّدِ
يَتَلَاعَبُونَ عَلَى الْكُئُوسِ إِذَا جَرَتْ ... لَعِبًا يَرُوحُ الْجِدُّ فِيهِ وَيَغْتَدِي
لا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ ما أَمَرَ الْهَوَى ... فَكَلامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِي
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيلٍ أَسْوَدِ
بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَقْتُ خِبَاءَهَا ... وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَواحِظِ أَرْمَدِ
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي ... فَارْجِعْ لِشَأْنِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَدِ
فَخَلَبْتُهَا بِالْقَولِ حَتَّى رُضْتُهَا ... وَطَوَيْتُهَا طَيَّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا الْمَنَامَ غَوايَةً ... حَتَّى لَقَدْ بِتْنَا بِلَيْلِ الأَنْقَدِ
رَوْعَاءُ تَفْزَعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى ... تَرَفًا وَتَجْزَعُ مِنْ صِيَاحِ الْهُدْهُدِ
حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ ... زِيَمُ الْكَواكِبِ كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ
قَالَتْ دَخَلْتَ وَمَا إِخَالُكَ بَارِحًا ... إِلا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ
فَمَسَحْتُهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ فُؤَادُهَا ... وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيٍ مُحْصَدِ
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا ... مُتَلَثِّمًا وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

فَلَنِعْمَ ذَاكَ الْعَيْشُ لَوْ لَمْ يَنْقَضِ وَلَنِعْمَ هَذَا الْعَيشُ إِنْ لَمْ يَنْفَدِ
يَرْجُو الْفَتَى فِي الدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَالْمَرْءُ غَيرُ مُخَلَّدِ

ويقول أيضًا:

فَخَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ، حَتَّى رُضْتُهَا وَطَوَيْتُهَا طَيَّ الْحَبِيرَةِ باليَدِ
مَا زِلْتُ أَمْنَعُهَا الْمَنَامَ غَوَايَةً حَتَّى لَقَدْ بِتْنَا بِلَيْلِ الأَنْقَدِ
رَوْعَاءُ تَفْزَعُ مِنْ عَصَافِيرِ الضُّحَى تَرَفًا، وَتَجْزَعُ مِنْ صِيَاحِ الْهُدْهُدِ
حَتَّى إِذَا نَمَّ الصَّبَا، وَتَتَابَعَتْ زِيَمُ الْكَوَاكِبِ، كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ
قَالَتْ: دَخَلْتُ، وَمَا إِخَالُكَ بارِحًا إِلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ

وقال وهو بأقريطش أيَّام الحربِ يَتَشَوَّقُ إلى مصْرَ سنة ١٢٨٢هـ: (من الطويل)

سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيًّا فَأَرَّقَنِي وَحْدِي وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
فَيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَدَّقٌ عَنِ الآلِ والأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي
وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي خِلالَهَا جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الْغَمَامُ بِمَا يُسْدِي
إِذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهْوًا تَجَعَّدَتْ حَبَائِكُهَا مِثْلَ الْمُقَدَّرَةِ السَّرْدِ
وَإِنْ ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّهَا مَنَاصِلُ سُلَّتْ لِلضِّرَابِ مِنَ الْغِمْدِ
نَعِمْتُ بِهَا دَهْرًا وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ حَبَتْكَ بِهَا الأَيَّامُ إلا إِلَى الرَّدِّ
فَوَا أَسَفَا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأَسُّفٌ عَلَى مَا طَوَاهُ الدَّهْرُ مِنْ عَيْشِنَا الرَّغْدِ
إِذِ الدَّهْرُ سَمْحٌ وَاللَّيَالِي سَمِيعَةٌ وَلَمْيَاءُ لَمْ تُخْلِفْ بِلَيَّانِهَا وَعْدِي
فَتَاةٌ تُرِيكَ الشَّمْسَ تَحْتَ خِمَارِهَا إِذَا سَفَرَتْ وَالْغُصْنَ فِي مَعْقِدِ الْبَنْدِ
مِنَ الْفَاتِنَاتِ الْغِيدِ لَوْ مَرَّ ظِلُّهَا عَلَى قَانِتٍ دَبَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الْوَجْدِ
فَتَاللهِ أَنْسَى عَهْدَها ما تَرَنَّمَتْ بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ
حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا وَمَا ضَمَّتِ الأَرْدَانُ مِنْ حَسَبٍ عِدِّ
وَبِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْضُودِ بَيْنَ يَوَاقِتٍ هِيَ الشَّهْدُ ظَنًّا بَلْ أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
يَمِينًا لَوِ اسْتَسْقَيْتَ أَرْضًا بِهِ الْحَيَا لَخَاضَ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلأٍ جَعْدِ
لأَنْتِ وَأَيُّ النَّاسِ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَلَو عَذَّبْتِ قَلْبِيَ بِالصَّدِّ
إِلَيكِ سَلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنَامِهَا وَفِيكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ فِي أُفْقِهِ وَحْدِي

وَذَلَّلْتُ هَذِي النَّفْسَ بَعْدَ إِبَائِهَا وَلَولاكِ لَمْ تَسْمَحْ بِحَلٍّ وَلا عَقْدِ
فَحَتَّامَ تَجْزِينِي بِوُدِّيَ جَفْوَةً أَمَا تَرْهَبِينَ اللهَ فِي حُرْمَةِ الْمَجْدِ
سَلِي عَنِّيَ اللَّيلَ الطَّوِيلَ فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا أُخْفِيهِ شَوقًا وَمَا أُبْدِي
هَلِ اكْتَحَلَتْ عَيْنَايَ إِلا بِمَدْمَعٍ إِذَا ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ سَالَ عَلَى خَدِّي
أُصَبِّرُ عَنْكِ النَّفْسَ وَهْيَ أَبِيَّةٌ وَهَيْهَاتَ صَبْرُ الظَّامِئَاتِ عَنِ الْوِرْدِ
كَأَنِّي أُلاقِي مِنْ هَواكِ ابْنَ خِيسَةٍ أَخَا فَتَكَاتٍ لا يُنَهْنَهُ بِالرَّدِّ
تَنَكَّبَ مُمْسَاهُ وَأَخْطَأَ صَيْدَهُ فَأَقْعَى عَلَى غَيْظٍ مِنَ الْجُوعِ وَالْكَدِّ
لَهُ نَعَراتٌ بِالْفَلاةِ كَأَنَّهَا عَلَى عُدَوَاءِ الدَّارِ جَلْجَلَةُ الرَّعْدِ
يُمَزِّقُ أَسْتَارَ الظَّلامِ بِأَعْيُنٍ تَطِيرُ شَرارًا كَالسُّقَاطِ مِنَ الزَّنْدِ
كَأَنَّهُمَا مَاوِيَّتَانِ أُدِيرَتَا إِلَى الشَّمْسِ فَانبَثَّا شُعَاعًا مِنَ الْوَقْدِ
فَهَذَا الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْكِ عَلَى النَّوَى فَرَاخِي وَثَاقِي يَا بْنَةَ الْقَومِ أَوْ شُدِّي

وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م وأرسل بها الأستاذ الشيخ «حسين المرصفي»: (من الطويل)

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لا سَلامٌ وَلا رَدُّ وَلا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِهَا حَقَّهُ الْوَجْدُ
لَقَدْ نَعَبَ الْوَابُورُ بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلا زَمُّوا جِمَالا وَلا شَدُّوا
سَرَى بِهِمُ سَيْرَ الْغَمَامِ كَأَنَّمَا لَهُ فِي تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ
فَلا عَيْنَ إِلا وَهْيَ عَينٌ مِنَ الْبُكَى وَلا خَدَّ إِلا لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ
فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ
لَعَلَّ حَدِيثَ الشَّوْقِ يُطْفِئُ لَوْعَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ
هُوَ النَّارُ فِي الأَحْشَاءِ لَكِنْ لِوَقْعِهَا عَلَى كَبِدِي مِمَّا أَلَذُّ بِهِ بَرْدُ
لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهْيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ
لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاظِرٍ وَأَمْسَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الأَسَى وَفْدُ
خَلاءٌ مِنَ الأُلافِ إِلا عِصَابَةً حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ
دَعَتْهُمْ إِلَيهَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ وَبِالنَّفْحَةِ الْحَسْنَاءِ قَدْ يُعْرَفُ الْوَرْدُ
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ صَوَامِتَ إِلا أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ
فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ لَهَا شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا مَا لَهُ زَنْدُ

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى ... فَكُلُّ فِرَاقٍ أَوْ تَلاقٍ لَهُ حَدُّ
فَقَدْ يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى ... وَيَلْتَئِمُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ
عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا ... فَآوِنَةً قُرْبٌ وَآوِنَةً بُعْدُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلا الْحُبُّ أَخْضَعُ لِلَّتِي ... تُسِيءُ وَلَكِنَّ الْفَتَى لِلْهَوَى عَبْدُ
فَعُودِيَ صُلْبٌ لا يَلِينُ لِغَامِزٍ ... وَقَلْبِيَ سَيْفٌ لا يُفَلُّ لَهُ حَدُّ
إِبَاءٌ كَمَا شَاءَ الْفَخَارُ وَصَبْوَةٌ ... يَذِلُّ لَهَا فِي خِيسِهِ الأَسَدُ الْوَرْدُ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لَيْسَ فِينَا مَعَابَةٌ ... سِوَى أَنَّ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْدُ
نَلِينُ وَإِنْ كُنَّا أَشِدَّاءَ لِلْهَوَى ... وَنَغْضَبُ فِي شَرْوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَدُّ
وَحَسْبُكَ مِنَّا شِيمَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... هِيَ الْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِهَا حَرْدُ
وَبِي ظَمَأٌ لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ رِيَّهُ ... وَفِي النَّفْسِ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْجَهْدُ
أَوَدُّ وَما وُدُّ امْرِئٍ نَافِعًا لَهُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ
وَمَا بِيَ مِنْ فَقْرٍ لِدُنْيَا وَإِنَّمَا ... طِلابُ الْعُلا مَجْدٌ وَإِنْ كَانَ لِي مَجْدُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لللهِ عِنْدِي وَنِعْمَةٍ ... يَعَضُّ عَلَيهَا كَفَّهُ الْحَاسِدُ الْوَغْدُ
أَنَا الْمَرْءُ لا يُطْغِيهِ عِزٌّ لِثَرْوَةٍ ... أَصَابَ وَلا يُلْوِي بِأَخْلَاقِهِ الْكَدُّ
أَصُدُّ عَنِ الْموَفُورِ يُدْرِكُهُ الْخَنَا ... وَأَقْنَعُ بِالْمَيْسُورِ يَعْقُبُهُ الْحَمْدُ
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ ... لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّتْ لَهُ الأُسْدُ
وَمَنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةً ... وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
وَلَكِنَّ إِخْوَانًا بِمِصْرَ وَرُفْقَةً ... نَسُونَا فَلا عَهْدٌ لَدَيهِمْ وَلا وَعْدُ
أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقًا عَلَى أَنَّ دُونَنَا ... مَهَامِهَ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِها الرُّبْدُ
فَيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بالُ كُتْبِنَا ... ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لها رَدُّ
أَفِي الْحَقِّ أَنَّا ذَاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ ... وَأَنْتُمْ عَلَينَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وُدُّ
فَلا ضَيْرَ إِنَّ اللهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً ... يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُوَاصَلَةِ الصَّدُّ
جَزَى اللهُ خَيرًا مَنْ جَزَانِي بِمِثْلِهِ ... عَلَى شُقَّةٍ غَزْرُ الْحَيَاةِ بِهَا ثَمْدُ
أَبِيتُ لِذِكْرَاكُمْ بِها مُتَمَلْمِلا ... كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوِرْدُ
فَلا تَحْسَبُونِي غَافِلا عَنْ وِدَادِكُمْ ... رُوَيدًا فَمَا فِي مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ
هُوَ الْحُبُّ لا يَثْنِيهِ نَأْيٌ وَرُبَّما ... تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضِّرَامِ لَهُ النَّدُّ
نَأَتْ بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وَتَجَهَّمَتْ ... بِوَجْهِيَ أَيَّامٌ خَلائِقُهَا نُكْدُ

أَدُورُ بِعَينِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُّ
جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً يُحَدِّثُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْدُ
عَلَى الأَرْضِ مِنْهَا بِالدِّمَاءِ جَدَاوِلٌ وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ
إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّحْفَ خِلْتَهُمْ بُحُورًا تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
نَشُلُّهُمُ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا مُرَاغَمَةُ السُّقْيَا وَمَاطَلَهَا الْوِرْدُ
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ طَلِيحٍ وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقِدُّ
نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَايَا إِذَا نَغْدُو
وَنَقْعٍ كَلُجِّ الْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ ولا مَعْقِلٌ إِلا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
صَبَرْتُ لَهُ والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُّ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ
فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى وَمَا كُنْتُ إِلا السَّيفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ
صَئُولٌ وِلِلأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
فَمَا مُهْجَةٌ إِلا وَرُمْحِي ضَمِيرُهَا وَلا لَبَّةٌ إِلا وَسَيفِي لَهَا عِقْدُ
وَمَا كُلُّ سَاعٍ بَالِغٌ سُؤْلَ نَفْسِهِ وَلا كُلُّ طَلَّابٍ يُصَاحِبُهُ الرُّشْدُ
إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السَّيْفُ إِلا آلَةٌ حَمْلُهَا إِدُّ
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ زَكَا فَنَاءٌ فَمَكْرُوهُ الْفَنَاءِ هُوَ الْخُلْدُ
وَتَخْلِيدُ ذِكْرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَيَاةٌ لَهُ لا مَوْتَ يَلْحَقُهَا بَعْدُ
فَفِيمَ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَومِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقْعِهِ بُدُّ
لِيَضْنَ بِيَ الْحُسَّادُ غَيْظًا فَإِنَّنِي لآنَافِهِمْ رَغْمٌ وَأَكْبَادِهِمْ وَقْدُ
أَنَا الْقَائِلُ الْمَحْمُودُ مِنْ غَيْرِ سُبَّةٍ وَمِنْ شِيمَةِ الْفَضْلِ الْعَدَاوَةُ وَالضَّدُّ
فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَهْوَ نَفْسُهُ وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضْدُ
فَلا زِلْتُ مَحْسُودًا عَلَى الْمَجْدِ والْعُلا فَلَيْسَ بِمَحْسُودٍ فَتًى وَلَهُ نِدُّ

وقال في يوم عيد الفطر وهو في تلك الحرب: (من الطويل)

أَرَاكَ الْحِمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ
مَضَى زَمَنٌ لَمْ يَأْتِنِي عَنْكَ قَادِمٌ بِبُشْرَى ولَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ   أَلا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَحِيدُ

فَهَلْ لِغَرِيبٍ طَوَّحَتْهُ يَدُ النَّوَى   رُجُوعٌ وَهَلْ لِلْحَائِمَاتِ وُرُودُ

وَهَلْ زَمَنٌ وَلَّى وَعَيْشٌ تَقَيَّضَتْ   غَضَارَتُهُ بَعْدَ الذَّهَابِ يَعُودُ

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْقَدِيمِ وَإِنَّمَا   يَلَذُّ اقْتِبَالُ الشَّيْءِ وَهْوَ جَدِيدُ

وَمَا ذِكْرِيَ الأَيَّامَ إِلَّا لأَنَّهَا   ذِمَامٌ لِعِرْفَانِ الصِّبَا وَعُهُودُ

فَلَيْسَ بِمَفْقُودٍ فَتًى ضَمَّهُ الثَّرَى   وَلَكِنَّ مَنْ غَالَ الْبِعَادَ فَقِيدُ

أَلا أَيُّهَا الْيَوْمُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لَهُ   ذَكُورًا سِوَى أَنْ قِيلَ لِي هُوَ عِيدُ

أَتَسْأَلُنَا لُبْسَ الْجَدِيدِ سَفَاهَةً   وَأَثْوَابُنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ حَدِيدُ

فَحَظُّ أُنَاسٍ مِنْهُ كَأْسٌ وَقَيْنَةٌ   وَحَظُّ رِجَالٍ ذُكْرَةٌ وَنَشِيدُ

لِيَهْنَ بِهِ مَنْ بَاتَ جَذْلانَ نَاعِمًا   أَخَا نَشَوَاتٍ مَا عَلَيْهِ حَقُودُ

تَرَى أَهْلَهُ مُسْتَبْشِرِينَ بِقُرْبِهِ   فَهُمْ حَوْلَهُ لا يَبْرَحُونَ شُهُودُ

إِذَا سارَ عَنْهُمْ سَارَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ   وَإِنْ عَادَ فِيهِمْ عَادَ وَهْوَ سَعِيدُ

يُخَاطِبُ كُلًّا بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ   فَمُبْدِئُ شُكْرٍ تَارَةً وَمُعِيدُ

فَمَنْ لِغَرِيبٍ «سَرْنَسُوفُ» مُقَامُهُ   رَمَتْ شَمْلَهُ الأَيَّامُ فَهْوَ لَهِيدُ

بِلادٌ بِهَا ما بِالْجَحِيمِ وإِنَّمَا   مَكَانَ اللَّظَى ثَلْجٌ بِهَا وَجَلِيدُ

تَجَمَّعَتِ الْبُلْغَارُ وَالرُّومُ بَيْنَهَا   وزَاحَمَهَا التَّاتَارُ فَهْيَ حُشُودُ

إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعْتَ لِصَوْتِهِمْ   هَدِيدًا تَكَادُ الأَرْضُ مِنْهُ تَمِيدُ

قِبَاحُ النَّوَاصِي وَالْوُجُوهِ كَأَنَّهُمْ   لِغَيْرِ أَبِي هَذَا الأَنَامِ جُنُودُ

سَواسِيَةٌ لَيسُوا بِنَسْلِ قَبيلَةٍ   فَتُعْرَف آبَاءٌ لَهُمْ وجُدُودُ

لَهُمْ صُوَرٌ لَيْسَتْ وُجُوهًا وإِنَّمَا   تُنَاطُ إِلَيْهَا أَعْيُنٌ وَخُدُودُ

يَخُورُونَ حَوْلِي كَالْعُجُولِ وَبَعْضُهُمْ   يُهَجِّنُ لَحْنَ الْقَوْلِ حِينَ يُجِيدُ

أَدُورُ بِعَينِي لا أَرَى بَيْنَهُمْ فَتًى   يَرُودُ مَعِي في الْقَوْلِ حَيثُ أَرُودُ

فَلا أَنَا مِنْهُمْ مُسْتَفِيدٌ غَرِيبَةً   وَلَا أَنَا فِيهِمْ مَا أَقَمْتُ مُفِيدُ

فَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ قَبْلَ هَذِهِ   بِمِصْرَ وَعَيشِي لَوْ يَدُومُ حَمِيدُ

عَسَى اللهُ يَقْضِي قُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةٍ   فَيَفْرَحَ بِاللُّقْيَا أَبٌ وَوَلِيدُ

وقال: (من الطويل)

تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّي فَكَيْفَ أُعِيدُهُ   وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ
أُحَاوِلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى   وذَلِكَ رَأْيٌ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
فَمَا كُلُّ جَفْرٍ غَاضَ يَرْتَدُّ نَبْعُهُ   وَلا كُلُّ سَاقٍ جَفَّ يَخْضَرُّ عُودُهُ
فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الشَّبَابَ فَقَبْلَهُ   بَكَيْتُ رَضَاعًا بَانَ عَنِّي حَمِيدُهُ
وَأَيُّ شَبَابٍ لا يَزُولُ نَعِيمُهُ   وَسِرْبالِ عَيْشٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهُ
فَلا غَرْوَ أَنْ شَابَتْ مِنَ الْحُزْنِ لِمَّتِي   فَإِنِّيَ فِي دَهْرٍ يَشِيبُ وَلِيدُهُ
يُهَدِّمُ مِنْ أَجْسَادِنَا مَا يَشِيدُهُ   وَيَنْقُصُ مِنْ أَنْفَاسِنَا مَا يَزِيدُهُ
أَرَى كُلَّ شَيءٍ لا يَدُومُ فَمَا الَّذِي   يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ حُبِّ مَا لا يُفِيدُهُ
وَلَكِنَّ نَفْسًا رُبَّمَا اهْتَاجَ شَوْقُهَا   فَحَنَّتْ وَقَلْبًا رُبَّمَا اعْتَادَ عِيدُهُ
فَوَا حَسْرَتَا كَمْ زَفْرَةٍ إِثْرَ لَوْعَةٍ   إِذَا عَصَفَتْ بِالْقَلْبِ كَادَتْ تُبِيدُهُ
أَحِنُّ إِلَى وَادِي النَّقَا ويَسُرُّنِي   عَلَى بُعْدِهِ أَنْ تَسْتَهِلَّ سُعُودُهُ
وَأَصْدُقُهُ وُدِّي وإِنْ كُنْتُ عَالِمًا   بِأَنَّ النَّقَا لَمْ يَدْنُ مِنِّي بَعِيدُهُ
مَعَانُ هَوًى تَجْرِي بِدَمْعِي وَهَادُهُ   وَتُشْرِقُ مِنْ نِيرانِ قَلْبِي نُجُودُهُ
تَضِنُّ بِإِهْدَاءِ السَّلامِ ظِبَاؤُهُ   وَتُكْرِمُ مَثْوَى الطَّارِقِينَ أُسُودُهُ
تَسَاهَمَ فِيهِ الْبَأْسُ والْحُسْنُ فَاسْتَوَتْ   ضَرَاغِمُهُ عِنْدَ اللِّقَاءِ وغِيدُهُ
تَلاقَتْ بِهِ أَسْيَافُهُ وَلِحَاظُهُ   وَمَالَتْ بِهِ أَرْمَاحُهُ وَقُدُودُهُ
فَكَمْ مِنْ صَرِيعٍ لا تُدَاوَى جِرَاحُهُ   وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لا تُحَلُّ قُيُودُهُ
وَفِي الْحَيِّ ظَبْيٌ إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ   تَنَمَّرَ وَاشِيهِ وَهَاجَ حَسُودُهُ
تَهِيمُ بِهِ أَسْتَارُهُ وَخُدُورُهُ   وَتَعْشَقُهُ أَقْرَاطُهُ وَعُقُودُهُ
تَأَنَّقَ فِيهِ الْحُسْنُ فَامْتَدَّ فَرْعُهُ   إِلَى قَدَمَيْهِ واستَدَارَتْ نُهُودُهُ
فَلِلْمِسْكِ رَيَّاهُ وِلِلْبَانِ قَدُّهُ   وَلِلْوَرْدِ خَدَّاهُ وَلِلظَّبْيِ جِيدُهُ
فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ يَا صَاحِ بِالْهَوَى   فَإِنَّ الرَّدَى حِلْفُ الْهَوَى وَعَقِيدُهُ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنْ سَطَا   إِذَا لَمْ تَكُنْ نُجْلَ الْعُيُونِ شُهُودُهُ
أَفُلُّ أَنَابِيبَ الْقَنَا وَيَفُلُّنِي   قَوَامٌ تَنَدَّتْ بِالْعَبِيرِ بُرُودُهُ
فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهَوَى فَلَطَالَمَا   شَهِدْتُ الْوَغَى وَالطَّعْنُ يَذْكُو وَقُودُهُ
وَتَحْتَ جَنَاحِ الدِّرْعِ مِنِّي ابْنُ فَتْكَةٍ   مُعَوَّدَةٌ ألا تُحَطَّ لُبُودُهُ

إِذَا حَـرَّكَـتْـهُ هِـمَّـةٌ نَـحْـوَ غَـايَـةٍ تَسَـامَـى إِلَـيهَا فِـي رَعِـيلٍ يَـقُـودُهُ
وَمُـعْـتَـرَكٍ لِـلْـخَـيـلِ فِـي جَـنَـبَـاتِـهِ صَـهِـيلٌ يَـهُـدُّ الـرَّاسِـيَـاتِ وَئِـيـدُهُ
بَعِيدٍ سَماءِ النَّقْعِ يَنْقَضُّ نَسْرُهُ عَلَى جُثَثِ الْقَتْلَى وَيَنْغَلُّ سِيدُهُ
تَرِفُّ عَلَـى هَـامِ الْكُمَـاةِ سُـيُوفُهُ وَتَـخْـفُـقُ بَيْـنَ الْـجَـحْـفَـلَـيْـنِ بُـنُـودُهُ
إِذَا اشْتَجَرَتْ فِيهِ الرِّمَاحُ تَرَاجَعَتْ سَوَافِرَ عَنْ نَصْرٍ يُضِـيءُ عَمُودُهُ
تَقَحَّمْتُهُ وَالرُّمْحُ صَدْيانُ يَنْتَحِي نِطَافَ الْكُلَى وَالْمَوْتُ يَمْضِي وَعِيدُهُ
فَمَا كُنْتُ إِلا الْغَيْثَ طَارَتْ بُروقُهُ ومَـا كُـنْـتُ إِلا الـرَّعْـدَ دَوَّى هَـدِيـدُهُ
أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْفُوعُ بِالْفِعْلِ قَولُهُ إِذَا مَـا عَـقِـيدُ الْقَـومِ رَثَّتْ عُـقُـودُهُ
تَعَوَّدْتُ صِدْقَ الْقَوْلِ حَتَّى لَوَ أَنَّنِي تَـكَـلَّـفْـتُ قَـوْلًا غَـيْـرَهُ لَا أُجِـيـدُهُ
أُضَاحِكُ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ وَأَعْـلَـمُ أَنَّ الْـقَـلْـبَ تَـغْـلِـي حُـقُـودُهُ
وَمَنْ لَمْ يُدارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ وَأَنْـكَـرَهُ مِـنْ قَـوْمِـهِ مَـنْ يَـسُـودُهُ
فَمَنْ لِـي بِـخِلٍّ أَسْتَعِينُ بِقُرْبِهِ عَـلَـى أَمَـلٍ لَـمْ يَـبْـقَ إِلا شَـرِيـدُهُ
أُحَــاوِلُ وُدًّا لا يُــشَــانُ بِــغَــدْرَةٍ وَدُونَ الَّـذِي أَرْجُـوهُ مَـا لا أُرِيـدُهُ
سَمِعْتُ قَدِيمًا بِالوَفَاءِ فَلَيْتَنِي عَـلِـمْـتُ عَـلَـى الأَيَّـامِ أَيْـنَ وُجُـودُهُ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْلِكْ صَدِيقًا فَإِنَّنِي لِنَفْسِي صَدِيقٌ لا تَخِيسُ عُهُودُهُ
وَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرُ صَاحِبٍ يُـوازِرُهُ فِـي كُـلِّ خَـطْـبٍ يَـئُـودُهُ
إِذَا لَـمْ يَـكُـنْ لِـلمَرءِ مِـنْ بَدَهَـاتِـهِ نَصِيرٌ فَأَخْلِقْ أَنْ تَخِيبَ جُدُودُهُ
وَإِنِّـي وَإِنْ أَصْـبَـحْـتُ فَـرْدًا فَـإِنَّـنـي بِنَفْسِي عَشِيرٌ لَيْسَ يَنْجُو طَرِيدُهُ
وَلِي مِنْ بَدِيعِ الشِّعْرِ مَا لَوْ تَلَوْتُهُ عَلَى جَبَلٍ لانْهَالَ فِي الدَّوِّ رَيْدُهُ
إِذَا اشْتَدَّ أَوْرَى زَنْدَةَ الْحَرْبِ لَفْظُهُ وَإِنْ رَقَّ أَزْرَى بِـالْـعُـقُـودِ فَـرِيـدُهُ
يُـقَـطِّـعُ أَنْـفَـاسَ الـرِّيَـاحِ إِذَا سَـرَى وَيَـسْـبِـقُ شَـأْوَ الـنَّـيِّـرَيْـنِ قَـصِـيـدُهُ
إِذَا مـا تَـلاهُ مُـنْـشِـدٌ فِـي مَـقَـامـةٍ كَفَى الْقَوْمَ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ نَشِيدُهُ
سَيَبْقَى بِهِ ذِكْرِي عَلَى الدَّهْرِ خَالِدًا وذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ خُلُودُهُ

وقال يَذُمُّ رِجَالَ الحُكُومَةِ الاسْتِبْدَادِيَّةِ في عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ خديو مصر: (من الخفيف)

كَـرَمُ الـطَّـبْـعِ شِـيـمَـةُ الأَمْـجَـادِ وَجَـفَـاءُ الأَخْـلاقِ شَـأْنُ الْـجَـمَـادِ
لَنْ يَسُودَ الْفَتَى ولَو مَلَكَ الْحِكْـ ـمَـةَ مَـا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنَ الأَجْـوَادِ

وَلَعَمْرِي لَرِقَّةُ الطَّبْعِ أَوْلَى ... مِنْ عِنادٍ يَجُرُّ حَرْبَ الْفَسَادِ
قَدْ يَنَالُ الْحَلِيمُ بِالرِّفْقِ مَا لَيْـ ... ـسَ يَنَالُ الْكَمِيُّ يَوْمَ الْجِلادِ
فَاقْرُنِ الْحِلْمَ بِالسَّماحَةِ تَبْلُغْ ... كُلَّ مَا رُمْتَ نَيْلَهُ مِنْ مُرَادِ
وَضَعِ الْبِرَّ حَيثُ يَزْكُو لِتَجْنِي ... ثَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الأَيَادِي
وَاحْذَرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النْـ ... ـنَاس أَحْلَاسُ خُدْعَةٍ وَتَعَادِي
رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلْقَ الْمُحَيَّا ... وَهْوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالأَحْقَادِ
فَتَأَمَّلْ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمْ ... مَا طَوَتْهُ صَحَائِفُ الأَكْبَادِ
إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهْوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ ... لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ
وَأُنَاس صَحِبْتُ مِنْهُمْ ذِئَابًا ... تَحْتَ أَثْوَابِ أُلْفَةٍ وَوِدَادِ
يَتَمَنَّوْنَ لِي الْعِثَارَ وَيَلْقَوْ ... نِي بِوَجْهٍ إِلَى الْمَوَدَّةِ صَادِي
سَابَقُونِي فَقَصَّرُوا عَنْ لَحَاقِي ... إِنَّما السَّبْقُ مِنْ خِصَالِ الْجَوَادِ
أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحَسُودٍ ... وَالْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَّادِ
فَلْيَمُوتُوا بِغَيظِهِم فَاحْتِمَالُ الْـ ... ـغَيظِ مَوْتٌ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ
كَيفَ تَبْيَضُّ مِنْ أُنَاسٍ وُجُوهٌ ... صَبَغَ اللُّؤْمُ عِرْضَهُمْ بِسَوَادِ
أَظْهَرُوا زُخْرُفَ الْخِدَاعِ وَأَخْفَوا ... ذَاتَ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ
فَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ ضَاحِكَ السِنْـ ... ـنِ وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ
مَعْشَرٌ لا وَلِيدُهُمُ طَاهِرُ الْمَهْـ ... ـدِ وَلا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوِسادِ
حَكَمُوا مِصْرَ وَهْيَ حَاضِرَةُ الدُّنْـ ... ـيَا فَأَمْسَتْ وَقَدْ خَلَتْ فِي الْبَوَادِي
أَصْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ وَكَانَتْ ... جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ
وَقَعُوا بَيْنَ رِيفِهَا وَقُرَاهَا ... بِضُرُوبِ الْفَسَادِ وَقْعَ الْجَرَادِ
فِي زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ ... أَثَرُ النَّارِ فِي هَشِيمِ الْقَتَادِ
حِينَ لَمْ يُرْحَمِ الْكَبِيرُ وَلَمْ يُعْـ ... ـطَفْ عَلَى الأُمَّهَاتِ وَالأَوْلَادِ
تَحْتَ رِجْزٍ مِنَ الْعَذَابِ مُهِينٍ ... وَمُبِيرٍ مِنَ الأَذَى رَعَّادِ
تِلْكَ آثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى مَا ... كَانَ مِنْهُمُ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادِي
لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَعَالِي لِلْفَخْـ ... ـرِ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعُلا لِلزَّادِ
وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجَدِ ... إِذَا كَانَ سَاقِطَ الأَجْدَادِ
فَاعْتَصِمْ بِالنُّهَى تَفُزْ بِنَعِيمِ الدَّ ... هْرِ غَضًّا فَالْعَقْلُ خَيْرُ عَتَادِ
إِنَّ فِي الْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ لِلرُّو ... حِ غِذَاءً كَالطِّبِّ لِلأَجْسَادِ

وقال يَرْثِي زَوْجَهُ وَقَد وَرَدَ إِلَيْهِ نَعْيُهَا وهو بِسَرَنْدِيبَ: (من الكامل)

أَيَدَ الْمَنُونِ قَدَحْتِ أَيَّ زِنَادِ   وَأَطَرْتِ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِي

أَوهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ   وَحَطَمْتِ عُودِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَاحَتِي   فَأَنَاخَ أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي

أَقْذَى الْعُيُونَ فَأَسْبَلَتْ بِمَدَامِعٍ   تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ   حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي

أَبْلَتْنِي الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ   جِسْمِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهْيَ لَوَافِحٌ   وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْيَ بَوَادِي

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ وَلا يَدِي   تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ   كَانَتْ خُلاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا   أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلادِي

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعًا   قَرْحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الأَكْبَادِ

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ   دُرِّ الدُّمُوعِ قَلائِدَ الأَجْيَادِ

يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ   كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الإِسْعَادِ

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ   وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِي

أَسَلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيعَةٍ   حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِي

أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِينَةً   فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الأَسْدَادِ

أَوْ أَنْ تَبِينِي عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلٍ   كُنْتِ الضِّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً   بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي

أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ   لَفَعَلْتُ فِعْلَ الحَارِثِ بْنِ عُبَادِ

لَكِنَّهَا الأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ   فِيهَا سِوَى التَّسْلِيمِ وَالإِخْلادِ

فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الأَسَى   عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانَ رَشَادِي

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْرَ وَهْوَ قَسَاوَةٌ   أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي

جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ وصَبْرُهُ   غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الأَحْقَادِ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى   رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي   أَسَفًا لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي   وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلازِمٌ لِوِسَادِي

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي … وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَى … فِي يَوم كُلِّ مُصِيبَةٍ وَحِدَادِ

مُتَخَشِّعًا أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي … أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي

مَا بَيْنَ حُزْنٍ باطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا … بِلَهِيبِ سَوْرَتِهِ وَسُقْمٍ بَادِي

وَرَدَ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ ما أَمَّلْتُهُ … تَعِسَ الْبَرِيدُ وشَاهَ وَجْهُ الْحَادِي

فَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ كَأَنَّمَا … نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَيَّةُ وَادِي

وَيْلُمِّهِ رُزْءًا أَطَارَ نَعِيُّهُ … بِالْقَلْبِ شُعْلَةَ مَارِجٍ وَقَّادِ

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّما … كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَها بِقَتَادِ

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا … عَظُمَتْ لَدَيَّ شَمَاتَةُ الْحُسَّادِ

لامُوا عَلَى جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا … أَنَّ الْمَلَامَةَ لا تَرُدُّ قِيَادِي

فَلَئِنْ لَبِيدُ قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ … فِي الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادِ

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ … دُوَلًا وَفَلَّ عَرَائِكَ الآبَادِ

كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمْرَهُ … حِقَبًا وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ

هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وَتِلْكَ لَمْ … تَبْلُغْ شَبِيبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ

فَعَلامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ وَحُكْمُهُ … لا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الأَضْدَادِ

سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي … بِحِمَى الإِمَامِ تَحِيَّتِي ووِدَادِي

أَخْبِرْهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ … يَسْتَجْلِبُونَ صَلاحَهُمْ بِفَسَادِي

طُبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ … مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَادِ

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى … لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنادِ

كُلُّ امْرِئٍ يَومًا مُلاقٍ رَبَّهُ … والنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادِ

وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِرًا … لِلْغَافِلِينَ لَوِ اكْتَفُوا بِعَوَادِي

فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ … لِمَصَارِعِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

عَصَفَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ … فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنِجَادِ

دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ … فِي حَرِّ يَومٍ كَرِيهَةٍ وَجِلادِ

أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ … وأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ ثَمُودَ وَعَادِ

وَرَمَى قُضَاعَةَ فَاسْتَبَاحَ دِيَارَهَا … بِالسُّخْطِ مِنْ سَابُورَ ذِي الأَجْنَادِ

وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ إِيادَ فَأَصْبَحَتْ … مَنْكُوسَةَ الأَعْلامِ فِي سِنْدَادِ

فَسَلِ الْمَدَائِنَ فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ   عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بادِي
كَرَّتْ عَلَيهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ   إلا بَقَايَا أَرْسُمٍ وَعِمَادِ
وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْأَلْ عَنْهُمَا   بَلْهِيبَ فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي
تُنْبِئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى   فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ وَمِنْ إِيجَادِ
أُمَمٌ خَلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا   حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ
فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ   أَوَلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ
تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى   أَنَّ الْمَنُونَ إِلَيهِ بِالْمِرْصَادِ
فَاسْتَهْدِ يَا مَحْمُودُ رَبَّكَ وَالْتَمِسْ   مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِي
وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى   بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي
هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا   نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ
تَاللهِ ما جَفَّتْ دُمُوعِي بَعْدَمَا   ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يَا بْنَةَ الأَمْجَادِ
لا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى   هَيْهَاتَ مَا تَرْكُ الْوَفَاءِ بِعَادِي
قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ   مُتَوَقِّعًا لُقْيَاكِ يَوْمَ مَعَادِي
فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا   نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الأَعْوَادِ

وَقَال يَرْثِي وَلَدهُ: (من المنسرح)

كَيفَ طَوَتْكَ الْمَنُونُ يَا وَلَدِي   وَكَيفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي
وَا كَبِدِي يَا عَلِيُّ بَعْدَكَ لَوْ   كَانَتْ تَبُلُّ الْغَلِيلَ وَا كَبِدِي
فَقْدُكَ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَد   الصَّبْرَ عَنِّي وَفَتَّ فِي عَضُدِي
كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لا صَبَاحَ لَهَا   سَهِرْتُهَا بَاكِيًا بِلَا مَدَدِ
دَمْعٌ وَسُهْدٌ وَأَيُّ نَاظِرَةٍ   تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ وَالسَّهَدِ
لَهْفِي عَلَى لمحةِ النَّجَابَةِ لَوْ   دَامَتْ إِلَى أَنْ تَفُوزَ بِالسَّدَدِ
مَا كُنْتُ أَدْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيـ   ـكَ الْعَيْنَ أَنَّ الْحِمَامَ بِالرَّصَدِ
فَاجَأَنِي الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيثُ لا   أَعْلَمُ خَتْلا وَالدَّهْرُ كَالأَسَدِ
لَوْلا اتِّقَاءُ الْحَيَاءِ لاعْتَضْتُ بِالـ   ـحِلْمِ هُيَامًا يَحِيقُ بِالْجَلَدِ
لَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ أَنْ   أَثْلِمَ حَدَّ الْعَزَاءِ بِالْكَمَدِ
فَلْيَبْكِ قَلْبِي عَلَيكَ فَالْعَيْنُ لا   تَبْلُغُ بِالدَّمْعِ رُتْبَةَ الْخَلَدِ

إِنْ يَكُ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيكَ فَقَدْ أَخْنَى أَلِيمُ الضَّنَى عَلَى جَسَدِي
عَلَيكَ مِنِّي السَّلامُ تَودِيعَ لا قَالٍ وَلَكِنْ تَودِيعَ مُضْطَهَدِ

وقال في صِباهُ يَرْثِي وَالِدَهُ: (من البسيط)

لا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالْوَادِي طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي
مَاتَ الَّذِي تَرْهَبُ الأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ وَيَتَّقِي بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ الْعَادِي
هَانَتْ لِمَيْتَتِهِ الدُّنْيَا وَزَهَّدَنَا فَرْطُ الأَسَى بَعْدَهُ فِي الْمَاءِ وَالزَّادِ
هَلْ لِلْمَكَارِمِ مَنْ يُحْيِي مَنَاسِكَهَا أَمْ لِلضَّلالَةِ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ هَادِي
جَفَّ النَّدَى وَانْقَضَى عُمْرُ الْجَدَا وَسَرَى حُكْمُ الرَّدَى بَيْنَ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ
فَلْتَمْرَحِ الْخَيْلُ لَهْوًا فِي مَقَاوِدِهَا وَلْتَصْدَأِ الْبِيضُ مُلْقَاةً بِأَغْمَادِ
مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنِّ سَابِعَةٍ لا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِي وَإِرْعَادِي
إِذَا تَلَفَّتُّ لَمْ أَلْمَحْ أَخَا ثِقَةٍ يَأْوِي إِلَيَّ وَلا يَسْعَى لإِنْجَادِي
فَالْعَيْنُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دَمْعِهَا وَزَرٌ وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حُزْنِهِ فَادِي
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِي فَهَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي
بَلَغْتُ مِنْ فَضْلِ رَبِّي مَا غَنِيتُ بِهِ عَنْ كُلِّ قَارٍ مِنَ الأَمْلَاكِ أَوْ بَادِي
فَمَا مَدَدْتُ يَدِي إِلا لِمَنْحِ يَدٍ وَلا سَعَتْ قَدَمِي إِلا لإِسْعَادِ
تَبِعْتُ نَهْجَ أَبِي فَضْلًا وَمَحْمِيَةً حَتَّى بَرَعْتُ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْبَادِي
أَبِي وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِيعَادِ
مُهَذَّبُ النَّفْسِ غَرَّاءٌ شَمَائِلُهُ بَعِيدُ شَأْوِ الْعُلا طَلاعُ أَنْجَادِ
قَدْ كَانَ لِي وَزَرًا آوِي إِلَيهِ إِذَا غَاضَ الْمَعِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالوَادِي
لا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ وَلا يَهُمُّ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادِ
تَرَاهُ ذَا أُهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ كَاللَّيْثِ مُرْتَقِبًا صَيْدًا بِمِرْصَادِ

وَقَال وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ: (من الطويل)

تَرَحَّلَ مِنْ وَادِي الأَرَاكَةِ بِالْوَجْدِ فَبَاتَ سَقِيمًا لا يُعِيدُ وَلا يُبْدِي
سَقِيمًا تَظَلُّ الْعَائِدَاتُ حَوَانِيًا عَلَيهِ بِإِشْفَاقٍ وَإِنْ كَانَ لا يُجْدِي

يَـخَـلْـنَ بِـهِ مَـسًّـا أَصَـابَ فُـؤَادَهُ — وَلَيْسَ بِهِ مَسٌّ سِوَى حُرَقِ الْوَجْدِ
بِـهِ عِلَّـةٌ إِنْ لَـمْ تُـصِبْـهَـا سَـلامَـةٌ — مِنَ اللهِ كَادَتْ نَفْسُ حَامِلِهَا تُرْدِي
وَمِـنْ عَـجَـبِ الأَيَّـامِ أَنِّـي مُـولَـعٌ — بِمَنْ لَيْسَ يَعْنِيهِ بُكَائِي وَلا سُهْدِي
أَبِيتُ عَلِيلا فِي سَرَنْدِيبَ سَاهِرًا — أُعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي
أَدُورُ بِعَيْنِي لا أَرَى وَجْهَ صَاحِبٍ — يَرِيعُ لِصَوتِي أَوْ يَرِقُّ لِمَا أُبْدِي
وَمِمَّا شَجَانِي بَارِقٌ طَارَ مَوْهِنًا — كَمَا طَارَ مُنْبَثُّ الشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ
يُـمَـزِّقُ أَسْـتَـارَ الـدُّجُـنَّـةِ ضَـوْءُهُ — فَيَنْسِلُهَا مَا بَيْنَ غَوْرٍ إِلَى نَجْدِ
أَرِقْتُ لَهُ وَالشُّهْبُ حَيْرَى كَلِيلَةٌ — مِنَ السَّيرِ وَالآفَاقُ حَالِكَةُ الْبَرْدِ
فَـبِـتُّ كَـأَنِّـي بَـيْـنَ أَنْـيَـابِ حَـيَّـةٍ — مِنَ الرُّقْطِ أَوْ فِي بُرْثُنَيْ أَسَدٍ وَرْدِ
أُقَلِّـبُ طَـرْفِـي وَالـنُّـجُـومُ كَـأَنَّـهـا — قَتِيرٌ مِنَ اليَاقُوتِ يَلْمَعُ فِي سَرْدِ
وَلا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحُسامِ مَنُوطَةٌ — حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقٍ صَلْدِ
إِذَا حَـرَّكَـتْـهُ رَاحَـتِـي لِـمُـلِـمَّـةٍ — تَطَلَّعَ نَحْوِي يَشْرَئِبُّ مِنَ الْغِمْدِ
أَشَدُّ مَضَاءً مِنْ فُؤَادِي عَلَى الْعِدَا — وَأَبْطَأُ نَصْرِي عَلَى الشَّوْقِ مِنْ فِنْدِ
أَقُولُ لَهُ وَالْجَفْنُ يَكْسُو نِجَادَهُ — دُمُوعًا كَمُرْفَضِّ الْجُمَانِ مِنَ الْعِقْدِ
لَقَدْ كُنْتَ لِي عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً — فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْثَلِمَ الْحَدِّ
فَقَالَ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ سَوْرَةَ الْهَوَى — وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ مَا أَنَا بِالْجَلْدِ
وَهَـلْ أَنَـا إِلا شِـقَّـةٌ مِـنْ حَـدِيـدَةٍ — أَلَحَّ عَلَيهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدِّ
فَمَا كُنْتُ لَوْلا أَنَّنِي وَاهِنُ الْقُوَى — أُعَلَّقُ فِي خَيْطٍ وَأُحْبَسُ فِي جِلْدِ
فَدُونَكَ غَيرِي فَاسْتَعِنْهُ عَلَى الْجَوَى — وَدَعْنِي مِنَ الشَّكْوَى فَدَاءُ الْهَوَى يُعْدِي
خَلِيلَيَّ هَذَا الشَّوْقُ لا شَكَّ قَاتِلِي — فَمِيلَا إِلَى الْمِقْيَاسِ إِنْ خِفْتُمَا فَقْدِي
فَفِي ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي أَنْبَتَ الْهَوَى — شِفَائِي مِنْ سُقْمِي وَبُرْئِيَ مِنْ وَجْدِي
مَلاعِبُ لَهْوٍ طَالَمَا سِرْتُ بَيْنَهَا — عَلَى أَثَرِ اللَّذَّاتِ فِي عِيشَةٍ رَغْدِ
إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ سَالَتْ مِنَ الأَسَى — مَعَ الدَّمْعِ حَتَّى لا تُنَهْنَهُ بِالرَّدِّ
فَيَا مَنْزِلًا رَقْرَقْتُ مَاءَ شَبِيبَتِي — بِأَفْنَائِهِ بَيْنَ الأَرَاكَةِ وَالرَّنْدِ
سَرَتْ سَحَرًا فَاسْتَقْبَلَتْكَ يَدُ الصَّبَا — بِأَنْفَاسِهَا وَانْشَقَّ فَجْرُكَ بِالْحَمْدِ
وَزَرَّ عَلَيْكَ الأُفْقُ طَوْقَ غَمَامَةٍ — خَضِيبَةِ كَفِّ الْبَرْقِ حَنَّانَةِ الرَّعْدِ
فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً سَلَفَتْ لَنَا — بِوَادِيهِ وَالدُّنْيَا تَغُرُّ بِمَا تُسْدِي

إِذِ الْعَـيْشُ رَيَّانُ الأَمَـالِيدِ وَالْـهَـوَى جَـدِيـدٌ وَإِذْ لَـمْـيَـاءُ صَـافِـيَـةُ الْـوُدِّ
مُـنَـعَّـمَـةٌ لِـلْـبَـدْرِ مَـا فِـي قِـنَـاعِـهَـا وَلِلْغُصْنِ ما دَارَتْ بِهِ عُقْدَةُ الْبَنْدِ
سَبَتْنِي بِعَيْنَيْهَا وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا أَلا مَا لِهَذَا الْغِرِّ يَتْبَعُنِي قَصْدِي
وَلَم تَدْرِ ذَاتُ الْخَالِ وَالْحُبُّ فَاضِحٌ بِأَنَّ الَّذِي أُخْفِيهِ غَيْرُ الَّذِي أُبْدِي
حَـنَـانَـيْكِ إِنَّ الـرَّأْيَ حَـارَ دَلِـيـلُـهُ فَضَلَّ وَعَادَ الْهَزْلُ فِيكِ إِلَى الْجِدِّ
فَلا تَسْأَلِي مِنِّي الزِّيَادَةَ فِي الْهَوَى رُوَيْدًا فَهَذَا الْوَجْدُ آخِرُ مَا عِنْدِي
وَهَـأَنَـا مُـنْـقَـادٌ كَـمَـا حَـكَـمَ الْـهَـوَى لِأَمْرِكِ فَاخْشَيْ حُرْمَةَ اللهِ وَالْمَجْدِ
فَلَوْ قُلْتِ قُمْ فَاصْعَدْ إِلَى رَأْسِ شَاهِقٍ وَأَلْقِ إِذَا أَشْـرَفْـتَ نَـفْـسَـكَ لِـلْـوَهْـدِ
لَأَلْـقَـيْـتُـهَـا طَـوْعًـا لَـعَـلَّـكِ بَـعْـدَهَـا تَقُولِينَ حَيَّا اللهُ عَهْدَكَ مِنْ عَهْدِ
سَـجِـيَّـةُ نَـفْـسٍ لا تَـخُـونُ خَـلِـيـلَـهَـا وَلا تَـرْكَـبُ الأَهْـوَالَ إِلا عَـلَـى عَـمْـدِ
وَإِنِّـي لَـمِـقْـدَامٌ عَـلَـى الْـهَـوْلِ وَالـرَّدَى بِنَفْسِي وَفِي الإِقْدَامِ بِالنَّفْسِ مَا يُرْدِي
وَإِنِّـي لَـقَـوَّالٌ إِذَا الْـتَـبَـسَ الْـهُـدَى وَجَارَتْ حُلُومُ الْقَومِ عَنْ سَنَنِ الْقَصْدِ
فَـإِنْ صُـلْـتُ فَـدَّانِـي الْـكَـمِـيُّ بِـنَـفْـسِـهِ وَإِنْ قُلْتُ لَبَّانِي الْوَلِيدُ مِنَ الْمَهْدِ
وَلِـي كُـلُّ مَـلْـسَـاءِ الْـمُـتُـونِ غَـرِيـبَـةٍ إِذَا أُنْشِدَتْ أَفْضَتْ لِذِكْرِ بَنِي سَعْدِ
أَخَفُّ عَلَى الأَسْمَاعِ مِنْ نَغَمِ الْحُدَا وَأَلْطَفُ عِنْدَ النَّفْسِ مِنْ زَمَنِ الْوَرْدِ
مُـخَـدَّرَةٌ تَـمْـحُـو بِـأَذْيَـالِ حُـسْـنِـهَـا أَسَاطِيرَ مَنْ قَبْلِي وَتُعْجِزُ مَنْ بَعْدِي
كَـذَلِـكَ إِنِّـي قَـائِـلٌ ثُـمَّ فَـاعِـلٌ فِعَالِي وَغَيرِي قَدْ يُنِيرُ وَلا يُسْدِي

وقال أَيْضًا وهو في سرنديب يتشوق إلى مصر: (من مجزوء البسيط)

هَـلْ لِـسَـلامِ الْـعَـلِـيـلِ رَدُّ أَمْ لِـصَـبَـاحِ الـلِّـقَـاءِ وَعْـدُ
أَبِيتُ أَرْعَى الدُّجَى بِعَيْنٍ غِـذَاؤُهَـا مَـدْمَـعٌ وَسُـهْـدُ
لا صَاحِبٌ إِنْ شَكَوْتُ حَالِي يَـرْثِـي وَلا سَـامِـعٌ يَـرُدُّ
بَـيْـنَ قِـنَـانٍ عَـلَـى ثَـرَاهَـا مِنْ سُتُراتِ الْغَمَامِ بُرْدُ
أَظَـلُّ فِـيـهَـا أَنُـوحُ فَـرْدًا وَكُـلُّ نَـائِـي الـدِّيَـارِ فَـرْدُ
فَمَنْ لِقَلْبِي بِظَبْيِ وَادٍ بَيْنَ وَشِيجِ الرِّمَاحِ يَعْدُو
صَارَ بِحُكْمِ الْهَوَى مَلِيكِي وَمَـا لِـحُـكْـمِ الْـهَـوَى مَـرَدُّ
يَا سَعْدُ قُلْ لِي فَأَنْتَ أَدْرَى مَتَى رِعَانُ الْعَقِيقِ تَبْدُو

أَشْتَاقُ نَجْدًا وَسَاكِنيهِ ... وَأَيْنَ مِنِّي الْغَدَاةَ نَجْدُ
ذَابَ فُؤَادِي بِحُبِّ لَيْلَى ... يَا لِفُؤَادٍ بَرَاهُ وَجْدُ
فَكَيْفَ أُمْسِي بِغَيرِ قَلْبٍ ... يَا نُورَ عَيْنِي وَكَيفَ أَغْدُو
لِكُلِّ شَيءٍ وَإِنْ تَمَادَى ... حَدٌّ وَمَا لِلْغَرَامِ حَدُّ
فَلَيْسَ قَبْلَ الْغَرَامِ قَبْلٌ ... وَلَيْسَ بَعْدَ الْغَرَامِ بَعْدُ
فَهَلْ لِنَيْلِ الْوِصَالِ يَوْمًا ... بَعْدَ مَدِيدِ الصُّدُودِ عَهْدُ
وَهَلْ أَرَانِي رَفِيقَ حَادٍ ... بِمَدْحِ خَيْرِ الأَنَامِ يَحْدُو
عَسَى إِلَهِي يَفُكُّ أَسْرِي ... فَهْوَ فَعُولٌ لِمَا يَوَدُّ

وقال أيضًا: (من الخفيف)

أَنَسِيمٌ سَرَى بِنَفْحَةِ رَنْدِ ... أَمْ رَسُولٌ أَدَّى تَحِيَّةَ هِنْدِ؟
أَطْرَبَتْنِي أَنْفَاسُهُ فَكَأَنِّي ... مِلْتُ سُكْرًا مِنْ جُرْعَةٍ مِنْ بِرَنْدِي
وَأَخُو الْوَجْدِ لا يَزَالُ طَرُوبًا ... يَتْبَعُ الشَّوْقَ بَيْنَ سَهْلٍ وَفِنْدِ
طَالَ شَوْقِي إِلَى الدِّيَارِ وَلَكِنْ ... أَيْنَ مِنْ مِصْرَ مَنْ أَقَامَ بِكَنْدِي
حَبَّذَا النِّيلُ حِينَ يَجْرِي فَيُبْدِي ... رَوْنَقَ السَّيفِ وَاهْتِزَازَ الْفِرِنْدِ
تَتَثَنَّى الْغُصُونُ فِي حَافَتَيْهِ ... كَالْعَذَارَى يَسْحَبْنَ وَشْيَ الْفِرِنْدِ
قَلَّدَتْهَا يَدُ الْغَمَامِ عُقُودًا ... هِيَ أَبْهَى مِنْ كُلِّ عِقْدٍ وَبَنْدِ
كَيْفَ لا تَهْتِفُ الْحَمَامُ عَلَيْهِ ... وَهْيَ تُسْقَى بِهِ سُلافَةَ قَنْدِ
هُوَ مَرْمَى نَبْلِي وَمَلْعَبُ خَيْلِي ... وَحِمَى أُسْرَتِي وَمَرْكَزُ بَنْدِي
كُلَّمَا صَوَّرَتْهُ نَفْسِي لِعَيْنِي ... قَدَحَ الشَّوْقُ فِي الْفُؤَادِ بِزَنْدِ
لِي بِهِ صَاحِبٌ عَلَيَّ عَزِيزٌ ... مِثْلُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّوْقِ عِنْدِي
أَتَمَنَّاهُ غَيرَ أَنَّ فُؤَادِي ... مِنْ إِسَارِ النَّوَى مُحَاطٌ بِجُنْدِ
فَاهْدِ مِنِّي لَهُ تَحِيَّةَ صِدْقٍ ... وَتَلَطَّفْ بِحَالَتِي يَا أَفَنْدِي
أَنَا وَاللهِ مُغْرَمٌ بِهَوَاهُ ... حَيثُمَا دُرْتُ بَيْنَ هِنْدٍ وَسِنْدِ
إِنَّ شَوْقِي إِلَيهِ أَسْرَعُ شَأْوًا ... مِنْ سُلَيْكٍ وَالْوَصْلُ فِي بُطْءِ فِنْدِ
أَسْأَلُ الدَّهْرَ نِعْمَةَ الْقُرْبِ مِنْهُ ... وَهْوَ كَزٌّ بِنِعْمَةٍ لَيْسَ يُنْدِي
لَوْ سِوَى الدَّهْرِ رَامَ غَبْنِي لأَصْحَرْ ... تُ مُشِيحًا بِالنَّصْلِ فَوقَ سَمَنْدِ
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الزَّمَانِ وَإِنْ كُنْـ ... ـتُ أَفُلُّ الْعِدا بِقُوَّةِ زَنْدِي

وقال أيضًا: (من الطويل)

خَلِيلَيَّ هَلْ طَالَ الدُّجَى أَمْ تَقَيَّدَتْ   كَوَاكِبُهُ أَمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الْغَدُ؟

أَبِيتُ حَزِينًا فِي سَرَنْدِيبَ سَاهِرًا   طُوَالَ اللَّيَالِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّدُ

أُحَاوِلُ مَا لَا أَسْتَطِيعُ طِلَابَهُ   كَذَا النَّفْسُ تَهْوَى غَيْرَ مَا تَمْلِكُ الْيَدُ

إِذَا خَطَرَتْ مِنْ نَحوِ حُلْوَانَ نَسْمَةٌ   نَزَتْ بَيْنَ قَلْبِي شُعْلَةٌ تَتَوَقَّدُ

وَهَيْهَاتَ مَا بَعْدَ الشَّبِيبَةِ مَوْسِمٌ   يَطِيبُ وَلا بَعْدَ الْجَزِيرَةِ مَعْهَدُ

شَبَابٌ وَإِخْوَانٌ رُزِئْتُ وِدَادَهُمْ   وَكُلُّ امْرِئٍ فِي الدَّهْرِ يَشْقَى وَيَسْعَدُ

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بِغُرْبَةٍ   يُعَلِّلُنِي فِيهَا خُوَيْدِمُ أَسْوَدُ

وقَالَ فِي هَوًى لهُ: (من الطويل)

أَرَى نَفْحَةً دَلَّتْ عَلَى كَبِدِي الْوَجْدَا   فَمَنْ كَانَ بِالْمِقْيَاسِ أَقْرَبَكُمُ عَهْدَا

مَلاعِبُ آرامٍ وَمَجْرَى جَدَاوِلٍ   وَمُلْتَفُّ أَفْنَانٍ تَقِي الْحَرَّ وَالْبَرْدَا

إِذَا انْبَعَثَتْ فِيهِ النَّسَائِمُ خِلْتَهَا   تُنِيرُ عَلَى مَتْنِ الْغَدِيرِ بِهِ بُرْدَا

كَأَنَّ الصَّبَا تُلْقَى عَلَيهِ إِذَا جَرَتْ   مَسَائِلُ فِي الأَرْقَامِ أَوْ تَلْعَبُ النَّرْدَا

أَقَامَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ فِي حَجَراتِهَا   وَأَسْدَى لَهَا مِنْ نِعْمَةِ النِّيلِ مَا أَسْدَى

فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ صَبْوَةٍ كَانَ لِي بِهَا   رَوَاحٌ إِلَى حُسَّانَةِ الْجِيدِ أَوْ مَغْدَى

إِذِ الدَّهْرُ لَمْ يُخْفِرْ ذِمَامًا وَلَمْ يَخُنْ   نِظَامًا وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى ذِي هَوًى حِقْدَا

تَدُورُ عَلَينَا بِالأَحَاظِي شُمُوسُهُ   وَتُمْسِي عَلَينَا طَيْرُ أَنْجُمِهِ سَعْدَا

وَيَا رُبَّ لَيلٍ لَفَّنَا بِردَائِهِ   عِنَاقًا كَمَا لَفَّ الصَّبَا الْبَانَ وَالرَّنْدَا

وَلَثْمٍ تَوَالَى إِثْرَ لَثْمٍ بِثَغْرِهَا   كَمَا شَافَهَ الْبَازِي عَلَى ظَمَأٍ وِرْدَا

فَتَاةٌ كَأَنَّ اللهَ صَوَّرَ لَحْظَهَا   لِيَهْتِكَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ بِهِ عَمْدَا

لَهَا عَبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ   تَسُوقُ إِلَيْهَا عَنْ فَرَائِسِهَا الأُسْدَا

إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَأْسِ خِلْتَ بَنَانَها   تُدِيرُ عَلَيْنَا مِنْ جَنَى خَدِّهَا وَرْدَا

وَمَا أَنْسَهُ لا أَنْسَ يَوْمًا تَسَابَقَتْ   بِهِ عَبْرَتَاهَا وَالنَّوَى تَصْدَعُ الصَّلْدَا

فَلَمْ أَرَ لَحْظًا كَانَ أَقْتَلَ بَاكِيًا   وَأَمْضَى الظُّبَا فِي الْفَتْكِ مَا سَالَ إِفْرِنْدَا

حَرَامٌ عَلَى الْعَيْنَينِ إِنْ لم تَسِلْ دَمًا   عَلَى بَيْنِهَا وَالْقَلْبِ إِنْ لَمْ يَذُبْ وَقْدَا

فَيَا قَلْبُ مَا أَشْجَى إِذَا الدَّارُ بَاعَدَتْ وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا بَيْنُ مَا أَرْدَى
وَيَا صَاحِبِي الْمَذْخُورَ لِلسِّرِّ إِنَّنِي ضَلَلْتُ فَهَلْ مِنْ وَثْبَةٍ تُكْسِبُ الْحَمْدَا
حَلَفْتُ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ نِقَابُهَا وَيَا لَكَ حَلْفًا مَا أَرَقَّ وَمَا أَنْدَى
بِأَلا تَفِيءِ الْعَيْنُ عَنْ سُنَّةِ الْبُكَى وَأَلا تَرِيعَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَمُتْ وَجْدَا
وَكَيفَ يُفِيقُ الْقَلْبُ مِنْ سَوْرَةِ الْهَوَى وَقَدْ مَدَّهُ سِحْرُ الْعُيُونِ بِمَا مَدَّا
وَمَا كُنْتُ لَوْلا الْعَذْلُ أُبْدِي خَفِيَّةً وَلَكِنْ تَوَالِي الْقَدْحِ يَسْتَرْعِفُ الزَّنْدَا
وَمَنْ لِي بِأَنَّ الْقَلْبَ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَكَيفَ تُسَامُ النَّارُ أَنْ تَكْتُمَ النَّدَّا
فَلا وَصْلَ إِلا ذُكْرَةٌ تَبْعَثُ الأَسَى عَلَى النَّفْسِ حَتَّى لا تُطِيقَ لَهُ رَدَّا
أَبِيتُ قَرِيحَ الْجَفْنِ لا أَعْرِفُ الْكَرَى طَوالَ اللَّيالِي وَالْجَوانِحُ لا تَهْدَا
فَيَاأَيُّهَا النُّوَّامُ وَالشَّوقُ عَازِرٌ إِلا أَحَدٌ يَشْرِي بِغَفْوَتِهِ السُّهْدَا
لَقَدْ ذَلَّ مَنْ يَبْغِي مِنَ النَّاسِ نَاصِرًا وَقَد خَابَ مَنْ يَجْنِي مِنَ الأَرْقَمِ الشَّهْدَا
فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعْ بِشِيمَةِ صَاحِبٍ فَمَنْ ظَنَّ خَيْرًا بِالزَّمَانِ فَقَدْ أَكْدَى
فَقَدْ طَالَمَا جَرَّبْتُ خِلًّا فَمَا رَعَى وَحِلْفًا فَمَا أَوْفَى وَعَوْنًا فَمَا أَجْدَى
وَمَا النَّاسُ إِلا طَالِبٌ غَيْرُ وَاجِدٍ لِمَا يَبْتَغِي أَوْ وَاجِدٌ أَخْطَأَ الْقَصْدَا
فَلا تَحْسَبَنَّ النَّاسَ أَبْنَاءَ شِيمَةٍ فَمَا كُلُّ مَمْدُودِ الْخُطَا بَطَلًا جَعْدَا

وَقَالَ: (من الرجز)

وَصَاحِبٍ رَعَيْتُ دَهْرًا وُدَّهُ وَلَمْ أُبَايِنْ نَهْجَهُ وَقَصْدَهُ
وَكُنْتُ أَرْعَى بِالْمَغِيبِ عَهْدَهُ بَلْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بَعْدَهُ
وَطَالَمَا أَرْغَمْتُ فِيهِ ضِدَّهُ وَذُدْتُ عَنْهُ مَا يَعُوقُ وَكْدَهُ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَى زَنْدَهُ صَعَّرَ لِي بَعْدَ الصَّفَاءِ خَدَّهُ
وَجَازَ فِي بَعْضِ الأُمُورِ حَدَّهُ فَلَمْ أُحَاوِلْ رَدْعَهُ وَرَدَّهُ
وَلَمْ أُكَدِّرْ بِالْعِتَابِ وِرْدَهُ وَلَوْ أَرَدْتُ أَن أَفُلَّ حَدَّهُ
لَقُلْتُ فِيهِ مَا يَحُزُّ جِلْدَهُ لَكِنَّنِي تَرَكْتُهُ وَحِقْدَهُ
شَأْنُ امْرِئٍ فِي الْمَجْدِ يَرْعَى مَجْدَهُ كُلُّ امْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ
وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَعَدَّهُ

ودعا لعبادة الخالق والنظر إلى أسرار الحياة والتمتع بها فقال: (من السريع):

مَنْ قَلَّدَ الزَّهْرَ جُمَانَ النَّدَى ... وَأَلْهَمَ الْقُمْرِيَّ حَتَّى شَدَا

وَزَيَّنَ الأَرْضَ بِأَلْوَانِهَا ... وَصَوَّرَ الأَبْيَضَ وَالأَسْوَدَا

سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ فِي مُلْكِهِ ... حَتَّى بَدَا مِنْ صُنْعِهِ مَا بَدَا

تَنَزَّهَتْ عَنْ صِفَةٍ ذَاتُهُ ... وَقَامَ فِي لاهُوتِهِ أَوْحَدَا

فَاسْجُدْ لَهُ وَاقْصِدْ حِمَاهُ تَجِدْ ... رَبًّا كَرِيمًا وَمَلِيكًا هَدَى

فَقُمْ بِنَا يَا صَاحِ نَزْعَ النَّدَى ... وَنَسْأَلِ اللهَ عَمِيمَ النَّدَى

أَمَا تَرَى كَيْفَ اسْتَحَارَ الدُّجَى ... وَكَيفَ ضَلَّ النَّجْمُ حَتَّى اهْتَدَى

وَلاحَ خَيْطُ الْفَجْرِ فِي سُحْرَةٍ ... كَصَارِمٍ فِي قَسْطَلٍ جُرِّدَا

فَالْجَوُّ قَدْ بَاحَ بِمَكْنُونِهِ ... وَالأَرْضُ قَدْ أَنْجَزَتِ الْمَوْعِدَا

غَمَامَةٌ أَلْقَتْ بِأَفْلاذِهَا ... وَجَدْوَلٌ مَدَّ إِلَيْنَا يَدَا

فَانْهَضْ وَسِرْ وَانْظُرْ وَمِلْ وَابْتَهِجْ ... وَامْرَحْ وَطِبْ وَاشْرَبْ لِتُرْوِي الصَّدَى

وَلا تَسَلْ عَنْ خَبَرٍ لَمْ يَحِنْ ... مِيقَاتُهُ وَانْظُرْ إِلَى الْمُبْتَدَا

وَلا تَلُمْ خِلا عَلَى هَفْوَةٍ ... فَقَلَّمَا تَلْقَى فَتًى أَمْجَدَا

لَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ ... أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا

فَدَعْ بَنِي الدُّنْيَا لِأَهْوَائِهِمْ ... وَلَا تُطِعْ مَنْ لَامَ أَوْ فَنَّدَا

مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ ... كُلُّ امْرِئٍ رَهْنُ حِسَابٍ غَدَا

هَلْ هِيَ إِلا مُدَّةٌ تَنْقَضِي ... وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِلرَّدَى

فَاسْتَعْمِلِ الرِّفْقَ تَعِشْ رَاشِدًا ... وَاعْطِفْ عَلَى الأَدْنَى تَكُنْ سَيِّدَا

وَاسْعَ لِمَا أَنْتَ لَهُ فَالْفَتَى ... إِنْ هَجَرَ الرَّاحَةَ حَازَ الْمَدَى

مَا خَلَقَ اللهُ الْوَرَى بَاطِلًا ... لِيَرْتَعُوا بَيْنَ الْبَوَادِي سُدَى

فَاقْبَلْ وَصَاتِي وَاسْتَمِعْ حِكْمَتِي ... فَلَيْسَ مَنْ أَغْوَى كَمَنْ أَرْشَدَا

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَخَا صَبْوَةٍ ... وَمِسْمَعٍ يُطْرِبُنِي مَنْ شَدَا

فَقَدْ أَزُورُ اللَّيْثَ فِي غَابِهِ ... وَأَهْبِطُ الأَرْضَ عَلَيْهَا النَّدَى

وَأَصْدَعُ الْخَصْمَ وَمَا خِلْتُنِي ... أَصْدَعُ إِلا الْبَطَلَ الأَصْيَدَا

بِلَهْذَمٍ لَيْسَتْ لَهُ صَعْدَةٌ ... لَكِنَّهُ يَمْضِي إِذَا سُدِّدَا

أَوْ صَارِمٍ يَفْرِي نِيَاطَ الْكُلَى ... وَلَمْ يَزَلْ فِي جَفْنِهِ مُغْمَدَا

مَـاضِــي الْـغِـرَارَيْـنِ وَلَـكِـنَّــهُ لا يَـعْـرِفُ الـصَّـيْـقَـلَ وَالْـمِـبْـرَدَا
أَوْ مِـشْـقَـصٍ إِنْ فَـوَّقَـتْ نَـصْـلَـهُ إِلَــى امْـرِئٍ غَـيْـرُ يَـدٍ أَقْـصَـدَا
أَو طَـائِـرٍ فِــي وَكْـرِهِ جَـاثِـمٍ يَـشُـوقُ إِنْ هَـيْـنَـمَ أَو غَـرَّدَا
لَـمْ يَـعْـدُ كِـنًّـا لَـمْ يَـزَلْ سَـاكِـنًـا فِـيـهِ وَبَـابًـا دُونَـهُ مُـؤْصَـدَا
قَــدْ لانَ إِلا أَنَّـــهُ إِنْ قَـسَـــا يَـوْمَ نِـضَـالٍ صَـدَعَ الْـجَـلْـمَـدَا
مُـعْـتَـقَـلٌ لَـكِـنَّـهُ مُـطْـلَـقٌ يَـجُـولُ فِـي مَـسْـكَـنِـهِ سَـرْمَـدَا
يَـحْـكُـمُ بِـالـذَّوْقِ عَـلَـى مَـا يَـرَى وَيَـعْـرِفُ الأَصْـلَـحَ وَالأَفْـسَـدَا
لَـهُ صِـحَـابٌ قَـدْ أَحَـاطَـتْ بِـهِ تَـنْـقُـلُ عَـنْـهُ نَـبَـرَاتِ الـصَّـدَى
فَـهْـوَ بِـهَـا مُـجْـتَـمِـعٌ شَـمْـلُـهُ إِنْ أَصْـدَرَ الْـقَـوْلَ بِـهَـا أَوْرَدَا
مُـشْـتَـبِـهَـاتُ الـرَّصْـفِ فِـي جَـوْدَةٍ تَــبَــارَكَ الــلــهُ الَّـذِي جَــوَّدَا
يَـبِـيـتُ مِـنْـهَـا وَهْـوَ ذُو مِـرَّةٍ فِــي رَصَـفٍ مِـنْ لُـؤْلُـؤٍ نُـضِّـدَا
ذَاكَ لِـسَـانِــي وَهْـوَ حَـسْـبِـي إِذَا مَــا أَبْـرَقَ الْـحَـاسِـدُ أَوْ أَرْعَـدَا

وقال في الغزل: (من الخفيف)

مَا لِقَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ لَيْسَ يَهْدَا أَوَلَـمْ يَـكْـفِ أَنَّـه ذَابَ وَجْـدَا؟
وَسَمَتْنِي بِنَارِهَا الْغِيدُ حَتَّى تَرَكَتْنِي فِي عَالَمِ الْحُبِّ فَرْدَا
فَضُلُوعِي مِنْ قَدْحَةِ الزَّنْدِ أَوْرَى وَدُمُوعِي مِنْ صَفْحَةِ الْغَيْمِ أَنْدَى
مَا عَلَى الْبَرْقِ لَوْ تَحَمَّلَ عَنِّي بَعْضَ مَا خَفَّ مِنْ سَلامٍ فَأَدَّى
أَيُّهَا السَّاهِرُونَ حَولَ وِسَادِي لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذْكُرُوا لِي نَجْدَا
وَعُهُودًا لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْهَا لِأَخِـي صَـبْـوَةٍ ذِمَـامًـا وَعَـهْـدَا
وَنَـسِـيـمًـا إِذَا سَـرَى ضَـوَّعَ الآ فَـاقَ مِـسْـكًـا وَعَـطَّـرَ الْـجَـوَّ نَـدًّا
لا تَخُوضُوا فِي غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ فَـهْـوَ حَـسْـبِـي وَأَيُّ مَـاءٍ كَـصَـدًّا
هِـيَ أُحْـدُوثَـةٌ تُـسَـاقُ وَلَـكِـنْ رُبَّـمَـا اسْـتَوجَـبَـتْ ثَـنَـاءً وَحَـمْـدَا
آهِ مِـنْ لَـوعَـةٍ أَطَـارَتْ بِـقَـلْـبِـي شُـعْـلَـةً شَـفَّـتِ الْـجَـوَانِـحَ وَقْـدَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غَرَامِي عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَصْمَى وَأَرْدَى
يَـا رَفِـيـقِـي إِذَا عَـرَانِـي خَـطْـبٌ وَنَـصِـيـرِي إِذَا خَـصِـيـمٌ تَـصَـدَّى
أَصْبَحَتْ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَخُذْ لِي بِـحُـقُـوقِـي مِـنْ ظَـالِـمٍ قَـدْ تَـعَـدَّى

وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِيًا فَاحْتَوَاهُ ... وَرَأَى النَّفْسَ طَوْعَهُ فَاسْتَبَدَّا
وَكَذاكَ السُّلْطَانُ إِنْ ظَنَّ بالأَمْـ ... ـمَةِ عَجْزًا سَطَا عَلَيْهَا وَشَدَّا
فَأَقِلْنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحُبِّ إِنْ أُو ... تِيتَ حُكْمًا أَوْ قُلْ لِقَلْبِيَ يَهْدَا
فَمِنْ الْعَارِ غَضُّ طَرْفِكَ عَنِّي ... إِنَّ خَيْرَ الصِّحَابِ أَنْفَعُ وُدًّا
وَبِنَفْسِي حُلْوُ الشَّمَائِلِ مُرُّ الـ ... ـهَجْرِ يُحْيِي وَصْلا وَيَقْتُلُ صَدًّا
ذُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمْحِ لِينًا ... وَلِحَاظٍ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدًّا
كَانَ قَلْبِي وَدِيعَةً عِنْدَ عَيْنَيـ ... ـهِ فَآلَى بِالسِّحْرِ أَلا يُرَدَّا
مَا عَلَى قَومِهِ وَإِنْ كُنْتُ حُرًّا ... أَنْ دَعَتْنِي لَهُ الْمَحَبَّةُ عَبْدَا
غُصْنُ بَانٍ قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنُ فِيهِ ... بِيَدِ السِّحْرِ جُلَّنَارًا وَوَرْدَا
مَا هِلالُ السَّماءِ مَا الظَّبيُ مَا الْوَرْ ... دُ جَنِيًّا مَا الْغُصْنُ إِذْ يَتَهَدَّى
هُوَ أَبْهَى وَجْهًا وَأَقْتَلُ أَلْحَا ... ظًا وَأَنْدَى خَدًّا وَأَلْيَنُ قَدًّا
فَدَعِ اللَّوْمَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي ... لَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْعَوَاذِلِ رُشْدَا
لا تَخَلْنِي عَلَى غَرَاتِكَ سَهْلا ... أَنَا أَدْرَى بِلَوْعَتِي مِنْكَ جِدًّا
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ وَإِنْ كُنْـ ... ـتُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَادِثِ جَلْدَا
إِنْ تَكُنْ رَحْمَةٌ فَنَفْسِيَ أَوْلَى ... أَوْ تَكُنْ ضَلَّةٌ فَرَبِّيَ أَهْدَى

وقال: (من الطويل)

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنَّهُ ... لأَدْعَى لِشَوْقِي أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
تَبِيتُ عُيُونٌ بِالْكَرَى مُطْمَئِنَّةً ... وَعَيْنَايَ فِي بَرْحٍ مِنَ الدَّمْعِ وَالسُّهْدِ
فَلَيْتَ الَّذِي حَازَ الشَّبِيبَةَ رَدَّهَا ... وَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى لَنَا الشَّيْبَ لَمْ يُهْدِ
كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً ... مَسَحْتُ بِهَا عَنْ نَاظِرِي سِنَةَ الْفَهْدِ
فَسُحْقًا لِدَارٍ لا يَدُومُ نَعِيمُهَا ... وَتَبًّا لِخِلٍّ لا يَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ
وَكَيفَ يَلَذُّ الْمَرْءُ بِالْعَيشِ بَعْدَمَا ... رَأَى أَنَّ سُمَّ الْمَوتِ فِي ذَلِكَ الشَّهْدِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَضِدِّهَا ... سِوَى مُهْلَةٍ فَاللَّحْدُ أَشْبَهُ بِالْمَهْدِ
وَلِلْمَوْتِ أَسْبَابٌ يَنَالُ بِهَا الْفَتَى ... فَمَنْ بَاتَ فِي نَجْدٍ كَمَنْ بَاتَ فِي وَهْدِ
وَكُلُّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ لاقٍ حِمَامَهُ ... فَسِيَّانِ رَبُّ الْعِيرِ وَالْفَرَسِ النَّهْدِ
وَلَوْلا ارْتِيَاعُ النَّفْسِ من صَوْلَةِ الرَّدَى ... لَمَا عَفَّ عَن طيبِ النَّعِيمِ أَخُو زُهْدِ

فَدَعْ مَا مَضَى وَاصْبِرْ عَلَى حِكْمَةِ الْقَضَا فَلَيْسَ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا فَاتَ بِالْجَهْدِ
وَلا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِ مَوْلاكَ هَادِيًا إِذَا اللهُ لَمْ يَهْدِ الْعِبَادَ فَمَنْ يَهْدِي

وقال معتذرًا إلى الأمير «شَكِيب أرسْلانَ»: (من البسيط)

أَدِّي الرِّسَالَةَ يَا عُصْفُورَةَ الْوَادِي وَبَاكِرِي الْحَيَّ مِنْ قَولِي بِإِنْشَادِ
تَرَقَّبِي سِنَةَ الْحُرَّاسِ وَانْطَلِقِي بَيْنَ الْخَمَائِلِ مِنْ لُبْنَانَ وَارْتَادِي
لَعَلَّ نَغْمَةَ وُدٍّ مِنْكِ شَائِقَةً تَهُزُّ عِطْفَ شَكِيبٍ كَوْكَبِ النَّادِي
هُوَ الْهُمَامُ الَّذِي أَحْيَا بِمَنْطِقِهِ آثَارَ قَومٍ أَجَادُوا النُّطْقَ بِالضَّادِ
تَلْقَيْ بِهِ أَحْنَفَ الأَخْلاقِ مُنْتَدِيًا وَفِي الْكَرِيهَةِ عَمْرًا وَابْنَ شَدَّادِ
أَخِي وِدَادًا وَحَسْبِي أَنَّهُ نَسَبٌ خَالِي الصَّحِيفَةِ مِنْ غِلٍّ وَأَحْقَادِ
أَفَادَنِي أَدَبًا مِنْ مَنْطِقٍ شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ النَّاسُ مِنْ قَارٍ وَمِنْ بَادِي
عَذْبِ الشَّرِيعَةِ لَوْ أَنَّ السَّحَابَ هَمَى بِمِثْلِهِ لَمْ يَدَعْ فِي الأَرْضِ مِنْ صَادِي
سَرَتْ بِقَلْبِي مِنْهُ نَشْوَةٌ مَلَكَتْ بِحُسْنِهَا مِسْمَعِي عَنْ نَغْمَةِ الشَّادِي
يَا بْنَ الْكِرَامِ عَدَتْنِي عَنْكَ عَادِيَةٌ كَادَتْ تَسُدُّ عَلَى عَيْنِي بِأَسْدَادِ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ فَلَوْلا مَا بِهِ لَجَرَى فِي حَلْبَةِ الشُّكْرِ جَرْيَ السَّابِقِ الْعَادِي
وَهَاكَها تُحْفَةً مِنِّي وَإِنْ صَغُرَتْ فَالدُّرُّ وَهْوَ صَغِيرٌ حَلْيُ أَجْيَادِ

وقال في رسالة إلى صاحِبِ جَرِيدَة النَّحْلَة: (من الوافر)

أَلا يَا نَحْلَةً سَرَحَتْ فَحَازَتْ سُلَالَةَ مَا تَولَّتْهُ الْعِهَادُ
تَلَقَّتْهَا النِّجَادُ بِمَا أَسَرَّتْ ضَمَائِرُهَا وَحَيَّتْهَا الْوِهَادُ
سَعَتْ جَهْدًا فَنَالَتْ مَا تَمَنَّتْ كَذَاكَ الدَّهْرُ سَعْيٌ وَاجْتِهَادُ
فَلا عَجَبٌ إِذَا جَاءَتْ بِخَيرٍ فَلَوْلا النَّحْلُ مَا كَانَ الشِّهَادُ
وَكَيْفَ وَرَبُّهَا شَهْمٌ ذَكِيٌّ لَهُ فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ جِهَادُ
تَجَافَى النَّوْمَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا السُّهَادُ
فَأَصْبَحَ وُدُّهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ نَزِيلًا وَالْقُلُوبُ لَهُ مِهَادُ

وقَالَ مُفْتَخِرًا: (من مجزوء الكامل)

أَنَا مَصْدَرُ الْكَلِمِ النَّوَادِي بَيْنَ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي
أَنَـا فَـارِسٌ أَنَـا شَـاعِرٌ فِـي كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَنَـادِي
فَـإِذَا رَكِـبْـتُ فَـإِنَّـنِـي زَيدُ الْفَوَارِسِ فِي الْجِلادِ
وَإِذَا نَـطَـقْـتُ فَـإِنَّـنِـي قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ الإِيَادِي
هَــذَا وَذَلِـكَ دَيْـدَنِـي فِـي كُلِّ مُـعْـضِـلَـةٍ نَـآدِ

وقَالَ: (من الكامل)

وَمُنَـادِمٍ غَـرِدِ الْـحَدِيثِ كَـأَنَّـمَا أَلْفَاظُهُ فِي السَّمْعِ نَغْمَةُ عُودِ
تُغْنِي الإِشَارَةُ مِنْهُ عَنْ تَصْرِيحِهِ وَتَدُلُّ لَفْظَتُهُ عَلَى الْمَقْصُودِ
سَـحَرَ الْـعُـقُولَ بَيَانُهُ فَكَأَنَّهُ يَسْقِي الْجَلِيسَ سُلافَةَ الْعُنْقُودِ

وَقَالَ: (من الرجز)

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدُ أَمْ هَلْ يَعِيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدُ؟
كُـلٌّ مَـسُـوقٌ لِـمَـا أُرِيـدَ بِـهِ فَفِـيمَ هَـذَا الْـخِـصَـامُ وَاللَّـدَدُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطِّبَاعِ مُخْتَلَفٌ مَـا شَـذَّ عَـنْ طَـبْـعِ وَالِـدٍ وَلَـدُ
وَلَوْ تَسَاوَى الرِّجَالُ فِي خُلُقٍ لَـزَالَ هَـذَا الْـخِـلافُ وَالْـحَـرَدُ
وَالنَّاسُ شَتَّى وَإِنْ هُمُ اجْتَمَعُوا فِـي وَاحِـدٍ لَـيْـسَ قَـبْـلَـهُ أَحَـدُ
فَزَائِغٌ فِـي الـضَّـلالِ مُـنْـهَـمِـكٌ وَنَـاسِكٌ فِـي الصَّلاحِ مُجْتَهِدُ
وَأَيُّ لَومٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ الـ ـلَـهْـوَ وَأَثْـوَابُ عُـمْـرِهِ جُـدُدُ
لِكُلِّ عَصْرٍ مِنْ كَبْرَةٍ وَصِبًا شَـوْطٌ لَـهُ بَـعْـدَ مُـهْـلَـةٍ أَمَـدُ
فَـاسْـعَ لِـمَـا شِـئْـتَ غَيْرَ مُتَّئِدٍ فَـلَـنْ يَـحُـوزَ الْـكَـمَـالَ مُـتَّـئِـدُ
لَوْلا سُرَى الْبَدْرِ مَا اسْتَنَارَ وَلا أَدْرَكَ شَـأْوَ الْـخِـطَـارِ مُـنْـجَـرِدُ
وَلا يَـهُـمَّـنْـكَ لَـوْمُ ذِي حَـسَـدٍ فَـشَـأْنُ أَهْـلِ الـعَـدَاوَةِ الْـحَـسَـدُ
لَـوْ حَـذِرَ الْـمَـرءُ كُـلَّ لائِـمَـةٍ لَـضَـاعَ مِـنْـهُ الـصَّـوَابُ وَالـرَّشَـدُ
وَلَـو أَصَـخْـنَـا لِـكُـلِّ مُـنْـتَـقِـدٍ فَـكُـلُّ شَـيءٍ فِـي الـدَّهْـرِ مُـنْـتَـقَـدُ

وَالْهُ بِمَا شِئْت قَبْلَ مَنْدَمَةٍ يَكْثُرُ فِيهَا الْعَنَاءُ وَالْكَمَدُ
فَلَيْسَ بَعْدَ الشَّبَابِ مُقْتَرَحٌ وَلا وَرَاءَ الْمَشِيبِ مُفْتَقَدُ

وقال: (من البسيط)

جَاوَزْتَ فِي اللَّوْمِ حَدَّ الْقَصْدِ فَاتَّئِدِ فَلَسْتَ أَشْفَقَ مِنْ نَفْسِي عَلَى كَبِدِي
دَعْنِي مِنَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِنًا فَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
إِنِّي لأَرْضَى بِمَا فِي الْحُبِّ مِنْ أَلَمٍ وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ فَنَدِ
لَو كَانَ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْتُبْ عَلَى أَحَدِ
إِنْ كُنْتَ ذَا إِمْرَةٍ فَانْهَ الصَّبَابَةَ عَنْ قَلْبِي لِتَغْنَمَ شُكْرِي آخِرَ الأَبَدِ
أَوْ لا فَدَعْنِي وَلا تَعْنُفْ عَلَيَّ فَمَا أَمْرِي إِلَيَّ وَلا حُكْمُ الْهَوَى بِيَدِي
إِنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا أَخْفَتْ عَلَيَّ سَبِيلَ الْحَزْمِ وَالسَّدَدِ
أَغْضَبْتُ فِي حُبِّهَا أَهْلِي فَمَا بَرِحُوا إِلْبًا عَلَيَّ وَكَانُوا لِي مِنَ الْعُدَدِ
قَالُوا تَعَلَّقْ بِأُخْرَى كَيْ تَذُودَ بِهَا بَرْحَ الأَسَى عَنْ فُؤَادٍ دَائِمِ الْكَمَدِ
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبْغِي بِهَا بَدَلًا لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَسَدِ

وقال: (من الوافر)

قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوِدَادِ فَلا تَحْفِلْ بِقُرْبٍ أَوْ بِعَادِ
إِذَا كَانَ التَّغَيُّرُ فِي اللَّيَالِي فَكَيْفَ يَدُومُ وُدٌّ فِي فُؤَادِ
وَمَنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْبًا نَقِيًّا وَلَمَّا يَخْلُ قَلْبٌ مِنْ سَوَادِ
فَلا تَبْذُلْ هَوَاكَ إِلَى خَلِيلٍ تَظُنُّ بِهِ الوَفَاءَ وَلا تُعَادِ
وَكُنْ مُتَوَسِّطًا فِي كُلِّ حَالٍ لِتَأْمَنَ مَا تَخَافُ مِنَ الْعِنَادِ
مُدَارَاةُ الرِّجَالِ أَخَفُّ وَطْئًا عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ حَرْبِ الْفَسَادِ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوبًا إِذَا مَا نَحا في سَيْرِهِ قَصْدَ السَّدَادِ
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى عَجْزٍ وَحِرْصٍ هُما أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فِي الْعِبَادِ
فَلَوْلا الْعَجْزُ مَا كَانَ التَّصَافِي وَلَوْلا الْحِرْصُ مَا كَانَ التَّعَادِي
وَمَا عَقَدَ الرِّجَالُ الْوُدَّ إِلا لِنَفْعٍ أَوْ لِمَنْعٍ مِنْ تَعَادِي

وَمَا كَانَ الْعِداءُ يَخِفُّ لَوْلا ... أَذَى السُّلْطَانِ أَو خَوْفُ الْمَعَادِ
فَيَا بْنَ أَبِي وَلَسْتَ بِهِ وَلَكِنْ ... كِلانَا زَرْعُ أَرْضٍ لِلْحَصَادِ
تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى أَثَرًا فَإِنِّي ... أَرَى الآثَارَ تَذْهَبُ كَالرَّمَادِ
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا خَيَالٌ ... وَعَاقِبَةُ الأُمُورِ إِلَى نَفَادِ
فَطُوبَى لامْرِئٍ غَلَبَتْ هَوَاهُ ... بَصِيرَتُهُ فَبَاتَ عَلَى رَشَادِ

وقال: (من الطويل)

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ ... ذَوُو قُرْبِهِ وَاسْتَهْجَنَتْهُ الأَبَاعِدُ
فَإِنْ قالَ حَقًّا كَذَّبُوه وَإِنْ أَبَى ... مُجَارَاتِهِمْ فِي الْغَيِّ قَالُوا مُعَانِدُ
فَحُجَّتُهُ مَطْلُولَةٌ وَهْيَ حَقَّةٌ ... وَمَنْطِقُهُ مُسْتَكْرَهٌ وَهْوَ قَاصِدُ
فَحَافِظ عَلَى مَا نِلْتَ بِالسَّعْيِ مِنْ غِنًى ... فَبِالْمَالِ لا بِالْفَضْلِ تَعْنُو الْمَقَاصِدُ

وَقَالَ فِي الْحَضِّ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ: (من الكامل)

عَوِّدْ فُؤَادَكَ أَنْ يَكُونَ مَجَنَّةً ... لِلسِّرِّ فَهْوَ لَدَى الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
السِّرُّ عَبْدُكَ مَا اسْتَطَعْتَ حِفَاظَهُ ... فَإِذَا أَفَضْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَبْدُهُ

وَقَالَ يَذُمُّ رَجُلًا: (من السريع)

وَصَاحِبٍ لَا كَانَ مِنْ صَاحِبٍ ... أَخْلاقُهُ كَالْمِعْدَةِ الْفَاسِدَهْ
أَقْبَحُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَصْلَةٍ ... أَحْسَنُ مَا فِي نَفْسِهِ الْجَامِدَهْ
لَوْ أَنَّهُ صُوِّرَ مِنْ طَبْعِهِ ... كَانَ لَعَمْرِي عَقْرَبًا رَاصِدَهْ
يَصْلُحُ لِلصَّفْعِ لِكَيْلا يُرَى ... فِي عَدَدِ النَّاسِ بِلا فَائِدَهْ
يَغْلِبُهُ الضَّعْفُ وَلَكِنَّهُ ... يَهْدِمُ فِي قَعْدَتِهِ الْمَائِدَهْ
يُرَاقِبُ الصَّحْنَ عَلَى غَفْلَةٍ ... مِنْ أَهْلِهِ كَالْهِرَّةِ الصَّائِدَهْ
كَأَنَّمَا أُظْفُورُهُ مِنْجَلٌ ... وَبَيْنَ فَكَّيهِ رَحًى رَاعِدَهْ
كَأَنَّمَا الْبَطَّةُ فِي حَلْقِهِ ... نَعَامَةٌ فِي سَبْسَبٍ شَارِدَهْ
تَسْمَعُ لِلْبَلْعِ نَقِيقًا كَمَا ... نَقَّتْ ضَفَادِي لَيلَةٍ رَاكِدَهْ

كَـأَنَّـمَـا أَنْـفَـاسُـهُ حَـرْجَـفٌ وَبَـيْـنَ جَـنْـبَـيـهِ لَـظًـى وَاقِـدَهْ
وَيْلُمِّهِ إِذْ مَخَضَتْ هَلْ دَرَتْ أَنَّ الرَّدَى فِي بَطْنِهَا الْعَاقِدَهْ
تَبًّا لَـهَا شَـنْـعَـاءَ جَاءَتْ بِـهِ مِنْ لَقْحَةٍ فِي فَقْحَةٍ كَاسِدَهْ
لا رَحْـمَـةُ الـلـهِ عَـلَـى وَالِـدٍ غَـمَّ بِـهِ الـدُّنْـيَـا ولا وَالِـدَهْ

وقال هاجيًا: (من البسيط)

وَشَـامِـخٍ فِـي ذُرَا شَـمَّـاءَ بَـاذِخَـةٍ لا يَعْرِفُ الصِّدْقَ إِنْ وَالَى وَإِنْ عَادَى
يَـعُـودُهُ الـنَّـاسُ إِنْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ وَلا يَـعُـودُ مِـنَ الإِشْـفَـاقِ مَـنْ عَـادَا
لا يَـهْـدَأُ الـدَّهْـرُ مِـنْ ظُـلْـمٍ يُـحَـاوِلُـهُ فَـإِنْ قَـضَـى وَطَـرًا مِـنْ غَـدْرَةٍ عَـادَا
يَسْطُو بِهَذَا وَيَرْمِي ذَاكَ عَنْ عُرُضٍ كَطَارِدٍ يَقْتَفِي صَيْدَيْنِ إِذْ عَادَى
أَبَـادَهُ الـدَّهْـرُ رَغْـمًـا بَـيْـنَ أُسْـرَتِـهِ كَـمَـا أَبَـادَ بِـرِيـحٍ صَـرْصَـرٍ عَـادَا
فَاعْرِفْ إِلَهَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَبِيتَ عَلَى وِزْرٍ وَلا تَـتَّـخِـذْ ظُـلْـمَ الْـوَرَى عَـادَا

وقال: (من السريع)

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي مُلْكِهِ أَغَـرَّكَ الْـمُـلْـكُ الَّـذِي يَـنْـفَـدُ
اصْنَعْ بِنَا مَا شِئْتَ مِنْ قَسْوَةٍ فَـالـلـهُ عَـدْلٌ وَالـتَّـلاقِـي غَـدُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ: (من المنسرح)

يَا مَنْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ خَاشِعَةٌ وَمَنْ عَلَيهِ فِي الْكَوْنِ مُعْتَمَدِي
مَـدَدْتُ كَـفِّـي إِلَـيْـكَ مُـبْـتَـهِـلًا وَأَنْتَ حَسْبِي فَلَا تَرُدَّ يَدِي

وقال في الزُهْدِ: (من مجزوء الكامل)

لَا عَـيْـشَ إلا لِـلـنَّـفَـادِ فَاحْبِبْ حَيَاتَكَ أَوْ فَعَادِ
وَابْـخَـلْ بِنَفْسِكَ أَو فَجُدْ كُلُّ الأُمُـورِ إِلَـى فَـسَـادِ
أَيْنَ الأُلَـى شَـقُّوا الْبُحُو رَ وَشَـيَّدُوا ذَاتَ الْعِمَادِ

مَلَكُوا التَهَائِمَ وَالنَّجَا ... ئِدَ وَالْحَوَاضِرَ وَالْبَوَادِي
بَلْ أَيْنَ أَصْحَابُ الْوُفُو ... دِ وَأَيْنَ أَرْبَابُ الْجِلادِ
الطَّاعِمُونَ الطَّاعِنُو ... نَ الْقَائِلُونَ بِكُلِّ نَادِي
الْكَاشِفُونَ الضُّرَّ وَالْـ ... ـعَافُونَ عَنْ ذَنْبِ الْعِبَادِ
بَلْ أَيْنَ صُنَّاعُ الْقَرِيـ ... ـضِ الْجَزْلِ وَالْكَلِمِ الْفِرَادِ
كَالشَّاعِرِ الضِّلِّيلِ أَوْ ... قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الإِيَادِي
لَعِبَ الزَّمَانُ بِجَمْعِهِمْ ... وَرَمَى بِهِمْ فِي كُلِّ وَادِي
فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا ... إلا بَيَاضًا فِي سَوادِ

وقال: (من الطويل)

بَلِينَا وَسِرْبالُ الزَّمَانِ جَدِيدُ ... وَهَلْ لامْرِئٍ فِي الْعَالَمِينَ خُلُودُ
قَضَى آدَمٌ فِي الدَّهْرِ وَهْوَ أَبُو الْوَرَى ... وَكُلُّ الَّذِي مِنْ صُلْبِهِ سَيَبِيدُ
فَلا تَبْكِ مَيْتًا حَانَ يَومُ رَحِيلِهِ ... فَلِلْمَوْتِ مَا يَمْضِي الْفَتَى وَيَرُودُ
وَلا تَلْتَمِسْ أَمْرًا يَزِيدُكَ يَقْظَةً ... فَلَيْسَ لإِدْرَاكِ الْيَقِينِ مَزِيدُ
دَعِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ يَجْرِي وَلا تَسَلْ ... أَفَوَّزَ كَهْلٌ أَمْ أَهَلَّ وَلِيدُ
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهَا ... سِوَى مُهْلَةٍ نَأْتِي لَهَا وَنَعُودُ
تَبُوخُ بِهَا الأَنْفَاسُ وَهْيَ نَسَائِمٌ ... وَتَعْفُو بِهَا الأَبْدَانُ وَهْيَ صَعِيدُ
فَيَا ضَارِبًا فِي الأَرْضِ يَرْتَادُ غَايَةً ... رُوَيْدَكَ إِنَّ الْفَوزَ مِنْكَ بَعِيدُ

قافية الذال

قال: (من الطويل)

دَعِ الذُّلَّ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَذَى
وَلا تَصْطَحِبْ إلا امْرَأً إِنْ دَعَوْتَهُ لَدَى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ لبَّاكَ وَاحْتَذَى
يَسُرُّكَ عِنْدَ الأَمْنِ فَضْلا وَحِكْمَةً وَيُرْضِيكَ يَوْمَ الرَّوْعِ نَبْلا مُقَذَّذَا
فَيَا حَبَّذَا الْخِلُّ الصَّفِيُّ وَهَلْ أَرَى نَصِيبًا مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُلْتُ حَبَّذَا
لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ لَوْ أَنَّ سَامِعًا وَنَوَّهْتُ بِالأَحْرَارِ لَوْ أَنَّ مُنْقِذَا
وَطَوَّفْتُ بِالآفَاقِ حَتَّى كَأَنَّنِي أُحَاوِلُ مِنْ هَذِي الْبَسِيطَةِ مَنْفَذَا
فَمَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى غَيْرِ أَحْمَقٍ غَوِيٍّ يَظُنُّ الْمَجْدَ في الرِّيِّ وَالْغِذَا
إِذَا مَا رَأَيتُ الشَّيءَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدًّا طَرَفْتُ عَلَى قَذَى
فَحَتَّى مَتَى يَا دَهْرُ أَكْتُمُ لَوْعَةً تُكَلِّفُ قَلْبِي كُلْفَةَ الرِّيحِ بِالشَّذَا
أَلَمْ يَأْنِ لِلأَيَّامِ أَنْ تُبْصِرَ الْهُدَى فَتَخْفِضَ مَأْفُونًا وَتَرْفَعَ جِهْبذَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالدَّهْرِ خَبْلٌ لَمَا غَدَا يَسِيرُ بِنَا في ظُلْمَةِ الْجُورِ هَكَذَا

وقال: (من المتقارب)

تَغَنَّى الْحَمَامُ وَنَمَّ الشَّذَا وَلاحَ الصَّبَاحُ فَيَا حَبَّذَا
وَمَا زَالَ يَرْضَعُ طِفْلُ النَّبَاتِ ثدِيَّ الْغَمَامَةِ حَتَّى اغْتَذَى
فَقُمْ نَغْتَنِمْ صَفْوَ أَيَّامِنَا وَنَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنَّا الأَذَى
فَمَا بَعْدَ عَصْرِ الصِّبَا لَذَّةٌ وَلا مِثْلُ صَفْوِ الْحُمَيَّا غِذَا

تَـذُودُ عَـنِ الْـقَـلْـبِ أَحْـزَانَـهُ وَتَنْفِي عَنِ الْعَيْنِ شَوْبَ الْقَذَى
وَتَـجْـلُـو الـظَّـلامَ بِـلألائِـهَـا كَأَنَّ بِأَيْدِي السُّـقَـاةِ الْـجُذَا
إِذَا ما احْتَسَاهَا كَرِيمٌ هَدَى وَإِنْ عَبَّ فِيهَا لَئِيمٌ هَذَى
فَدَع مَا تَوَلَّى وَخُذْ مَا أَتَى فَلَنْ يَصْلُحَ الْعَيْشُ إِلا كَذَا

قافية الراء

وقال في وصف الربيع وأيام الشباب: (من الطويل)

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهْرَبَةُ الْفَجْرِ وَنَمَّتْ بِأَسْرَارِ النَّدَى شَفَةُ الزَّهْرِ
وَسَارَتْ بِأَنْفَاسِ الْخَمَائِلِ نَسْمَةٌ بَلِيلَةُ مَهْوَى الذَّيْلِ عَاطِرَةُ النَّشْرِ
فَقُمْ نَغْتَنِمْ صَفْوَ الْبُكُورِ فَإِنَّهَا غَدَاةُ رَبِيعٍ زَهْرُهَا بَاسِمُ الثَّغْرِ
تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الأَرْضِ وَالْجَوِّ نِسْبَةً تُشَاكِلُ مَا بَيْنَ السَّحَائِبِ وَالْغُدْرِ
فَفِي الْجَوِّ هَتَّانٌ يَسِيلُ وَفِي الثَّرَى سُيُولٌ تَرَامَى بَيْنَ أَودِيَةٍ غُزْرِ
غَمَامَانِ فَيَّاضَانِ هَذَا بِأُفْقِهِ يَسيرُ وَهَذَا فِي طِبَاقِ الثَّرَى يَسْرِي
وَقَدْ مَاجَتِ الأَغْصَانُ بَيْنَ يَدِ الصَّبا كَمَا رَفْرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضْرِ
كَأَنَّ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ تَجُولُ بِخَدٍّ أَوْ جُمَانٌ عَلَى تِبْرِ
إِذَا غَازَلَتْهَا لَمْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنَ الشَّمْسِ رَفَّتْ كَالشَّرَارِ عَلَى الْجَمْرِ
فَفِي كُلِّ مَرْعَى لَحْظَةٍ وَشْيُ دِيمَةٍ وَفِي كُلِّ مَرْمَى خَطْوَةٍ أَجْرَعٌ مُثْرِي
مُرُوجٌ جَلاهَا الزَّهْرُ حَتَّى كَأَنَّها سَمَاءٌ تَرُوقُ الْعَيْنَ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
كَأَنَّ صِحَافَ النُّورِ والطَّلُّ جَامِدٌ مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَنْ دُرِّ
وَقَدْ شَاقَنِي وَالصُّبْحُ فِي خِدْرِ أُمِّهِ حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَكْرِ
هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تَعَلَّمْنَ أَلْحَانَ الصَّبَابَةِ مِنْ شِعْرِي
وَقَامَ عَلَى الْجُدْرَانِ أَعْرَفُ لَمْ يَزَلْ يُبَدِّدُ أَحْلامَ النِّيَامِ وَلا يَدْرِي
تَخَايَلَ فِي مَوْشِيَّةٍ عَبْقَرِيَّةٍ مُهَدَّلَةِ الأَرْدَانِ سَابِغَةِ الأَزْرِ
لَهُ كِبْرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ مَلِيكٌ عَلَيْهِ التَّاجُ يَنْظُرُ عَنْ شَزْرِ

فَسَارِعْ إِلَى دَاعِي الصَّبُوحِ مَعَ النَّدَى لِتَجْنِي بِأَيْدِي اللَّهْوِ بَاكُورَةَ الْعُمْرِ
فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّمالِ فَنَبَّهَتْ عُيُونَ الْقَمَارِي وَهْيَ فِي سِنَةِ الْفَجْرِ
وَنَادَى الْمُنَادِي لِلصَّلاةِ بِسُحْرَةٍ فَأَحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَيٍّ إِلَى نَشْرِ
فَبَادِرْ لِمِيقَاتِ الصَّلاةِ وَمِلْ بِنَا إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ
إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فَلَيْسَ عَلَينَا فِي الْخَلَاعَةِ مِنْ وِزْرِ
أَلا رُبَّ يَومٍ كَانَ تَارِيخَ صَبْوَةٍ مَضَى غَيرَ إِثْرٍ فِي الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرِ
عَصَيتُ بِهِ سُلْطَانَ حِلْمِي وَقَادَنِي إِلى اللَّهْوِ شَيْطَانُ الْخَلاعَةِ وَالسُّكْرِ
لَدَى رَوْضَةٍ رَيَّا الْغُصُونِ تَرَنَّحَتْ مَعَاطِفُهَا رَقْصًا عَلَى نَغْمَةِ الْقُمْرِي
تَدُورُ عَلَينَا بِالْمُدَامَةِ بَيْنَها تَمَاثِيلُ إلا أَنَّها بَيْنَنَا تَجْرِي
تَرَى كُلَّ مَيْلاءِ الْخِمَارِ مِنَ الصِّبَا هَضِيمَةِ مَجْرَى الْبَنْدِ نَاهِدَةِ الصَّدْرِ
إِذَا انْفَتَلَتْ فِي حَاجَةٍ خِلْتَ جُؤْذُرًا أَحَسَّ بِصَيَّادٍ فَأَتْلَعَ مِنْ ذُعْرِ
لَوَى قَدَّهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ وَالصِّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرٍ وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ
وَعَلَّمَهَا وَحْيُ الدَّلالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَيءٍ مِنَ السِّحْرِ
أَحَسَّتْ بِمَا فِي نَفْسِهَا مِنْ مَلَاحَةٍ فَتَاهَتْ عَلَينَا وَالْمَلَاحَةُ قَدْ تُغْرِي
وَأَعْجَبَهَا وَجْدِي بِهَا فَتَكَبَّرَتْ عَلَيَّ دَلالًا وَهْيَ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِي
فَتَاةٌ يَجُولُ السِّحْرُ فِي لَحَظَاتِهَا مَجَالَ الْمَنَايَا فِي الْمُهَنَّدَةِ الْبُتْرِ
إِذَا نَظَرَتْ أَوْ أَقْبَلَتْ أَوْ تَهَلَّلَتْ فَوَيْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ وَالْغُصْنِ وَالْبَدْرِ
فَمَا زِلْنَ يُغْرِينَ الطلا بِعُقُولِنَا إِلَى أَنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ
فَمِنْ وَاقِعٍ يَهْذِي وَآخَرَ ذَاهِلٍ لَهُ جَسَدٌ مَا فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ
صَرِيعٌ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيبَةً فَيَسْدُو بِكَفَّيهِ إِلَى مَطْلَعِ النَّسْرِ
إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ دَارَ بِلَحْظِهِ إِلَيْكَ وَغَشَّاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ
بَعِيدٌ عَنِ الدَّاعِي وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ
تَحَكَّمَتِ الصَّهْبَاءُ فِيهِمْ فَغَيَّرَتْ شَمَائِلَ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَذْرِ
فَيَا سَامَحَ اللهُ الشَّبَابَ وَإِنْ جَنَى عَلَيَّ وَحَيَّا عَهْدَهُ سَبَلُ الْقَطْرِ
مَلَكْتُ بِهِ أَمْرِي وَجَارَيْتُ صَبْوَتِي وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكِبْرِ
إِذَا أَبْصَرُونِي فِي النَّدِيِّ تَحَاجَزُوا عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَغْنَوا عَنِ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ
وَقَالُوا فَتًى مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الصِّبَا وَلَيْسَ عَلَى الْفِتْيَانِ فِي اللَّهْوِ مِنْ حَجْرِ

يَخَافُونَ مِنِّي أَنْ تَثُورَ حَمِيَّتِي ... فَيَبْغُونَ عَطْفِي بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ
أَلا لَيتَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَقَدْ مَضَتْ ... تَعُودُ وَذَاكَ الْعَيْشُ يَأْتِي عَلَى قَدْرِ
مَواسِمُ لَذَّاتٍ تَقَضَّتْ وَلَمْ يَزَلْ ... لَهَا أَثَرٌ يَطْوِي الْفُؤَادَ عَلَى أُثْرِ
إِذَا اعْتَوَرَتْهَا ذُكْرَةُ النَّفْسِ أَبْصَرَتْ ... لَهَا صُورَةٌ تَخْتَالُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ
فَذَلِكَ عَصْرٌ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ... وَخَلَّفَنِي أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي عَصْرِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الدَّهْرِ أَطْيَبُ لَذَّةً ... مِنَ اللَّهْوِ فِي ظِلِّ الشَّبِيبَةِ وَالْيُسْرِ

وقال: (من الطويل)

بِنَاظِرِكَ الْفَتَّانِ آمَنْتُ بِالسِّحْرِ ... وَهَلْ بَعْدَ إِيمَانِ الصَّبَابَةِ مِنْ كُفْرِ
فَلا تَعْتَمِدْ بِالْهَجْرِ قَتْلَ مُتَيَّمٍ ... فَإِنَّ الْمَنَايَا لا تَزِيدُ عَنِ الْهَجْرِ
فَلَوْلَاكَ مَا حَلَّ الْهَوَى قَيْدَ مَدْمَعِي ... وَلا شَبَّ نِيرَانَ اللَّوَاعِجِ فِي صَدْرِي
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ لَصَابِرٌ ... لِعِلْمِي أَنَّ الْفَوْزَ مِنْ ثَمَرِ الصَّبْرِ
فَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى الْمَلَامَةَ فِي الْهَوَى ... تَوَسَّمَ خَيْرًا أَوْ تَكَلَّمَ عَنْ خُبْرِ
رَأَى كَلَفِي لَا يَسْتَفِيقُ فَظَنَّ بِي ... هَنَاتٍ وَسُوءُ الظَّنِّ دَاعِيَةُ الْوِزْرِ
وَمَاذَا عَلَيهِ وَهْوَ خَالٍ مِنَ الْجَوَى ... إِذَا هِمْتُ شَوْقًا أَوْ تَرَنَّمْتُ بِالشِّعْرِ
فَإِنْ أَكُ مَشْغُوفًا فَذُو الْحِلْمِ رُبَّمَا ... أَطَاعَ الْهَوَى وَالْحُبُّ مِنْ عُقَدِ السِّحْرِ
وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى رَدِّ لَوْعَةٍ ... إِذَا الْتَهَبَتْ أَرْبَتْ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ
عَلَى أَنَّنِي لَمْ آتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةً ... تَغُضُّ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْرِي
وَلَكِنَّنِي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصِّبَا ... وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلَقْ بِفَاضِحَةٍ أُزْرِي
سَجِيَّةُ نَفْسٍ آثَرَتْ مَا يَسُرُّهَا ... وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِها تَجْرِي
مَلَكْتُ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْطِقِي ... فَعِشْتُ بَرِيءَ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُذْرِ
وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرُبَّمَا ... لَقِيتُ عَدُوِّي بِالطَّلَاقَةِ والْبِشْرِ
فَأَصْبَحْتُ مَأْثُورَ الْخِلالِ مُحَبَّبًا ... إِلَى النَّاسِ مَرْضِيَّ السَّرِيرَةِ وَالْجَهْرِ
فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَتْرٍ لِمَعْشَرٍ ... وَلا أَنَا مَلْهُوفُ الْجَنَانِ عَلَى وَتْرِ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُ مُثْرِيًا ... بِعِفَّةِ نَفْسٍ لا تَمِيلُ إِلَى الْوَفْرِ
وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمَنِ فِيمَا نَوَيْتُهُ ... فَعَامَلَنِي بِاللُّطْفِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي
إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ خَيْرًا بِعَبْدِهِ ... هَدَاهُ بِنُورِ الْيُسْرِ فِي ظُلْمَةِ الْعُسْرِ

فَيَا بْنَ أَبِي وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ واحِدٍ ... تَقَلَّدْ وَصَاتِي فَهْيَ لُؤْلُؤَةُ الْفِكْرِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلا تَكُنْ ... لَدُودًا وَلا تَدْفَعْ يَدَ اللِّينِ بِالْقَسْرِ
وَلا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ فَلَرُبَّمَا ... لَقِيتَ بِهِ شَهْمًا يُبِرُّ عَلَى الْمُثْرِي
فَرُبَّ فَقِيرٍ يَمْلأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً ... وَرُبَّ غَنِيٍّ لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِي
وَكُنْ وَسَطًا لا مُشْرَئِبًّا إِلَى السُّهَا ... وَلا قَانِعًا يَبْغِي التَّزَلُّفَ بِالصُّغْرِ
فَأَحْمَدُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا تَكَافَأَتْ ... بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكِبْرِ
وَلا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الْغِنَى ... فَإِنَّ الْغِنَى فِي الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ
وَإِيَّاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِالْغَيْبِ قَبْلَ أَنْ ... تَرَى حُجَّةً تَجْلُو بِهَا غَامِضَ الأَمْرِ
وَدَارِ الَّذِي تَرْجُو وَتَخْشَى وِدَادَهُ ... وَكُنْ مِنْ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى حِذْرِ
فَقَدْ يَغْدِرُ الْخِلُّ الْوَفِيُّ لِهَفْوَةٍ ... وَيَحْلُو الرِّضَا بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ
وَفِي النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فِي زِيِّ عَابِدٍ ... وَلِلْغَدْرِ فِي أَحْشَائِهِ عَقْرَبٌ تَسْرِي
إِذَا أَمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ نَزَعَتْ بِهِ ... إِلَى الشَّرِّ أَخْلَاقٌ نَبَتْنَ عَلَى غِمْرِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ ... وُقُوعَ الأَذَى فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرِ
فَهَذِي وَصَاتِي فَاحْتَفِظْها تَفُزْ بِمَا ... تَمَنَّيْتَ مِنْ نَيْلِ السَّعَادَةِ فِي الدَّهْرِ
فَإِنِّي امْرُؤٌ جَرَّبْتُ دَهْرِي وَزَادَنِي ... بِهِ خِبْرَةً صَبْرِي عَلَى الْحُلْوِ وَالْمُرِّ
بَلَغْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً ... جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ
فَكَيفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً ... وَشَيْبِيَ مِصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أَسْرِي
أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ ... إلى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ
وَلِي مِنْ جَنَانِي إِنْ عَزَمْتُ وَمِقْوَلِي ... سِرَاجٌ وَعَضْبٌ ذَا يُضِيءُ وَذَا يَفْرِي
إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالدُّرِّ مَنْطِقِي ... وَلا عَجَبٌ فَالدُّرُّ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ
تَدَبَّرْ مَقَالِي إِنْ جَهِلْتَ خَلِيقَتِي ... لِتَعْرِفَنِي فَالسَّيْفُ يُعْرَفُ بِالأَثْرِ
وَلَا تَعْجَبَنْ مِنْ مَنْطِقِي إِنْ تَأَرَّجَتْ ... بِهِ كُلُّ أَرْضٍ فَهْوَ رَيْحَانَةُ الْعَصْرِ
سَيَذْكُرُنِي بِالشِّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي ... وَذِكْرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمْرِ

وقال: (من الطويل)

أَبَى الشَّوْقُ إِلا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ ... وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرُ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ لَوْعَةٍ ... يَنِمُّ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَزَفِيرُ

خَضَعْتُ لِأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ
أَفُلُّ شَبَاةَ اللَّيْثِ وَهْوَ مُنَاجِزٌ وَأَرْهَبُ لَحْظَ الرِّئْمِ وَهْوَ غَرِيرُ
وَيَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّدودِ وَإِنَّنِي لَدَى الْبَأْسِ إِنْ طَاشَ الْكَمِيُّ صَبُورُ
وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعُيُونَ يَرَاعَةٌ وَلا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْحُتُوفَ جَسُورُ
وَلَكِنْ لأَحْكَامِ الْهَوَى جَبَرِيَّةٌ تَبُوخُ لَهَا الأَنْفَاسُ وَهْيَ تَفُورُ
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى لَذُو تُدْرَأٍ فِي النَّائِبَاتِ مُغِيرُ
يُرَافِقُنِي عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ جَوَادٌ وَسَيفٌ صَارِمٌ وَجَفِيرُ
وَيَصْحَبُنِي يَوْمَ الْخَلَاعَةِ وَالصِّبَا نَدِيمٌ وَكَأْسٌ رَيَّةٌ وَمُدِيرُ
فَطَوْرًا لِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ مُطَارِدٌ وَطَوْرًا لإِخْوَانِ الصَّفَاءِ سَمِيرُ
وَيَا رُبَّ حَيٍّ قَدْ صَبَحْتُ بِغَارَةٍ تَكَادُ لَهَا شُمُّ الْجِبَالِ تَمُورُ
وَلَيْلٍ جَمَعْتُ اللَّهْوُ فِيهِ بِغَادَةٍ لَهَا نَظْرَةٌ تُسْدِي الْهَوَى وَتُنِيرُ
عَقَلْنَا بِهِ مَا نَدَّ مِنْ كُلِّ صَبْوَةٍ وَطِرْنَا مَعَ اللَّذَّاتِ حَيْثُ تَطِيرُ
وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدِرْهَا فَإِنَّمَا بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبابِ يَسِيرُ
فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةً ذَهَبِيَّةً لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُئُورُ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا وَظَلَّتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ ثِنْيَ لِثَامِهِ وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُنِيرُ
وَنَبَّهَنَا وَقْعُ النَّدَى فِي خَمِيلَةٍ لَهَا مِنْ نُجُومِ الأُقْحُوانِ ثُغُورُ
تَنَاغَتْ بِهَا الأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ كَالْحُسَامِ طَرِيرُ
فَهُنَّ إِلَى ضَوءِ الصَّبَاحِ نَوَاظِرٌ وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ الْمُجَنَّحِ زُورُ
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاخِلُ غَيرِهِ زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ
تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِدًا مِنَ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا تَمَائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ
إِذَا ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ
فَلَمَّا رَأَيتُ اللَّيْلَ وَلَّى وَأَقْبَلَتْ طَلَائِعُ مِنْ خَيْلِ الصَّبَاحِ تُغِيرُ
ذَهَبْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا وَإِنَّمَا يَتِيهُ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهْوَ قَدِيرُ
وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ تَفُلُّ شَباةَ الْخَطْبِ وَهْوَ عَسِيرُ
مُعَوَّدَةٌ أَلا تَكُفَّ عِنَانَهَا عَنِ الْجِدِّ إِلا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ

لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أُذْنٌ سَمِيعَةٌ وَعَـيـنٌ تَـرَى مـا لا يَـرَاهُ بَـصِـيـرُ
وَإِنِّي امْرُؤٌ صَعْبُ الشَّكِيمَةِ بَالِغٌ بِـنَـفْـسِـي شَـأْوًا لَـيْسَ فِـيـهِ نَـكِـيـرُ
وَفَـيْـتُ بِـمَـا ظَـنَّ الْـكِـرَامُ فِـرَاسَـةً بِـأَمْـرِي وَمِـثْـلِـي بِـالْـوَفَـاءِ جَـدِيـرُ
فَمَـا أَنَـا عَمَّـا يُكْسِبُ الْعِـزَّ نَـاكِبٌ وَلا عِـنْـدَ وَقْـعِ الْمُـحْـفِـظَـاتِ حَـسِـيـرُ
إِذَا صُـلْـتُ كَـفَّ الـدَّهْـرُ مِـنْ غُـلَـوائِـهِ وَإِنْ قُـلْـتُ غَـصَّـتْ بِـالْـقُـلُـوبِ صُـدُورُ
مَـلَـكْـتُ مَـقَـالِـيـدَ الْـكَـلامِ وَحِـكْـمَـةً لَـهَـا كَـوْكَـبٌ فَـخْـمُ الـضِّـيَـاءِ مُـنِـيـرُ
فَلَو كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلَامِ الَّذِي انْقَضَى لَـبَـاءَ بِـفَـضْـلِـي جَـرْوَلٌ وَجَـرِيـرُ
وَلَو كُنْتُ أَدْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ أَجَـارَةَ بَـيْـتَـيْـنَـا أَبُـوكِ غَـيُـورُ
وَمَـا ضَـرَّنِـي أَنِّـي تَـأَخَّـرْتُ عَـنْـهُـمُ وَفَـضْـلِـي بَـيْـنَ الْـعَـالَـمِـيـنَ شَـهِـيـرُ
فَـيَـا رُبَّـمَـا أَخْـلَـى مِـنَ الـسَّـبْـقِ أَوَّلٌ وَبَـزَّ الْـجِـيَـادَ الـسَّـابِـقَـاتِ أَخِـيـرُ

وقال: (من الطويل)

تَـلَاهَـيْـتُ إِلا مـا يُـجِـنُّ ضَـمِـيـرُ وَدَارَيْـتُ إِلا مَـا يَـنِـمُّ زَفِـيـرُ
وَهَل يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كِتْمَانَ أَمْرِهِ وَفِـي الـصَّـدْرِ مِـنْـهُ بَـارِحٌ وَسَـعِـيـرُ
فَـيَـا قَـاتَـلَ الـلـه الْـهَـوَى مَـا أَشَـدَّهُ عَـلَـى الْـمَـرْءِ إِذْ يَـخْـلُـو بِـهِ فَـيُـغِـيـرُ
تَـلِـيـنُ إِلَـيـهِ الـنَّـفْـسُ وَهْـيَ أَبِـيَّـةٌ وَيَـجْـزَعُ مِـنْـهُ الْـقَـلْـبُ وَهْـوَ صَـبُـورُ
نَبَذْتُ لَهُ رُمْحِي وَأَغْمَدْتُ صَارِمِي وَنَـهْـنَـهْـتُ مُـهْـرِي وَالْـمُـرَادُ غَـزِيـرُ
وَأَصْبَحْتُ مَفْلُولَ الْمَخَالِبِ بَعْدَمَا سَـطَـوْتُ وَلِـي فِـي الْـخَـافِـقَـيْـنِ زَئِـيـرُ
فَـيَـا لَـسَـرَاةِ الْـقَـومِ دَعْـوَةُ عَـائِـذٍ أَمَـا مِـنْ سَـمِـيـعٍ فِـيـكُـمُ فَـيُـجِـيـرُ
لَـطَـالَ عَـلَـى الـلَّـيْـلُ حَـتَّـى مَـلِـلْـتُـهُ وَعَـهْـدِي بِـهِ فِـيـمَـا عَـلِـمْـتُ قَـصِـيـرُ
أَلا فَـرَعَـى الـلـهُ الـصِّـبَـا مَـا أَبَـرَّهُ وَحَـيَّـا شَـبَـابًـا مَـرَّ وَهْـوَ نَـضِـيـرُ
إِذِ الْـعَـيْـشُ أَفْـوَافٌ تَـرِفُّ ظِـلالُـهُ عَـلَـيْـنَـا وَسَـلْـسَـالُ الْـوَفَـاءِ نَـمِـيـرُ
وَإِذْ نَـحْـنُ فِـيـمـا بَـيْـنَ إِخْـوَانِ لَـذَّةٍ عَـلَـى شِـيَـمٍ مَـا إِنْ بِـهِـنَّ نَـكِـيـرُ
تَـدُورُ عَـلَـيـنَـا الْـكَـأْسُ بَـيْـنَ مَـلاعِـبٍ بِـهَـا الـلَّـهْـوُ خِـدْنٌ وَالـشَّـبَـابُ سَـمِـيـرُ
فَـأَلْـحَـاظُـنَـا بَـيْـنَ الـنُّـفُـوسِ رَسَـائِـلٌ وَرَيْـحَـانُـنَـا بَـيْـنَ الْـكُـئُـوسِ سَـفِـيـرُ
عَـقَـدْنَـا جَـنَـاحَـيْ لَـيـلِـنـا بِـنَـهَـارِنَـا وَطِـرْنَـا مَـعَ الـلَّـذَّاتِ حَـيـثُ تَـطِـيـرُ
وَقُـلْـنَـا لِـسـاقِـيـنَـا أَدِرْهَـا فَـإِنَّـمَـا بَـقَـاءُ الْـفَـتَـى بَـعْـدَ الـشَّـبَـابِ يَـسِـيـرُ

فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةً لَهَبِيَّةً لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُئُورُ
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا وَظَلَّتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
وَكَمْ لَيلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمْرَ ظَلامِهَا إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فيهِ قَتِيرُ
شَغَلْتُ بِهَا قَلْبِي وَمَتَّعْتُ نَاظِرِي وَنَعَّمْتُ سَمْعِي وَالْبَنَانُ طَهُورُ
صَنَعْتُ بِهَا صُنْعَ الْكَرِيمِ بِأَهْلِهِ وَجِيرَتِهِ وَالْغَادِرُونَ كَثِيرُ
فَمَا رَاعَنَا إِلا حَفِيفُ حَمَائِمٍ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْغُصُونِ هَدِيرُ
تُجَاوِبُ أَتْرَابًا لَهَا فِي خَمَائِلٍ لَهُنَّ بِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ صَفِيرُ
نَوَاعِمُ لا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَلا دَائِرَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَدُورُ
تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِدًا مِنَ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ
كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِها تَمَائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاخِلُ غَيْرِهِ زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ
إِذَا غَازَلَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّمَا عَلَى صَفْحَتَيْهَا سُنْدُسٌ وَحَرِيرُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ قَدْ رَفَّ جِيدُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ الظَّلامِ سُتُورُ
خَرَجْتُ أَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهًا وَإِنَّمَا يَتِيهُ الْفَتَى إِنْ عَفَّ وَهْوَ قَدِيرُ
وَلِي شِيمَةٌ تَأْبَى الدَّنَايَا وَعَزْمَةٌ تَرُدُّ لُهَامَ الْجَيْشِ وَهْوَ يَمُورُ
إِذَا سِرْتُ فَالأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ فَوْقَهَا مَرَادٌ لِمُهْرِي وَالْمَعَاقِلُ دُورُ
فَلَا عَجَبٌ إِنْ لَمْ يَصُرْنِي مَنْزِلٌ فَلَيْسَ لِعِقْبَانِ الْهَوَاءِ وُكُورُ
هَمَامَةُ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْقِي رِكَابَها رَوَاحٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَبُكُورُ
مُعَوَّدَة أَلا تَكُفَّ عِنَانَهَا عَنِ الْجِدِّ إِلا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ
لَهَا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ أُذْنٌ سَمِيعَةٌ وَعَيْنٌ تَرَى مَا لَا يَرَاهُ بَصِيرُ
وَفَيْتُ بِمَا ظَنَّ الْكِرامُ فِرَاسَةً بِأَمْرِي وَمِثْلِي بِالْوَفَاءِ جَدِيرُ
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلالِ كَأَنَّنِي عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي الزَّمَانِ أَمِيرُ
إِذَا صُلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلَوَائِهِ وَإِن قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ
مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلام وَحِكْمَةً لَهَا كَوْكَبٌ فَخْمُ الضِّيَاءِ مُنِيرُ
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلامِ الَّذِي انْقَضَى لَبَاءَ بِفَضْلِي جَرْوَلٌ وَجَرِيرُ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمُ وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
فَيَا رُبَّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلٌ وَبَذَّ الْجِيَادَ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ

وَقَالَ مَادحًا ومُهَنِّئًا بِعيدِ الْجُلُوسِ: (من البسيط)

أَضَوْءُ شَمْسٍ فَرَى سِرْبَالَ دَيْجُورِ أَمْ نُورُ عِيدٍ بِعَقْدِ التَّاجِ مَشْهُورِ؟
وَأَنْجُمٌ تِلْكَ أَمْ فُرْسَانُ عَادِيَةٍ تَخْتَالُ فِي مَوْكِبٍ كَالْبَحْرِ مَسْجُورِ؟
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ يَجْلُو ظِلَّ عِثْيَرِهِ بِصَارِمٍ كَلِسَانِ النَّارِ مَسْعُورِ
لا يَرْهَبُونَ عَدُوًّا فِي مُغَاوَرَةٍ وَكَيفَ يَرْهَبُ لَيثٌ كَرَّ يَعْفُورِ
مُستَوفِزُونَ لِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ مَلِكٍ بَادِي الْوَقَارِ عَلَى الأَعْدَاءِ مَنْصُورِ
فِي دَولَةٍ بَلَغَتْ بِالْعَدْلِ مَنْزِلَةً عَلْيَاءَ كَالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي نُورِ
طَلَعْتَ فِيهَا طُلُوعَ الْبَدْرِ فَازْدَهَرَتْ أَقْطَارُهَا بِضِيَاءٍ مِنْكَ مَنْشُورِ
فَلْيَفْخَرِ التَّاجُ إِذْ دَارَتْ مَعَاقِدُهُ عَلَى جَبِينٍ بِنُورِ السَّعْدِ مَغْمُورِ
كَأَنَّمَا صَاغَ كَفُّ الأُفْقِ أَنْجُمَهُ لِلْبَدْرِ مَا بَيْنَ مَنْظُومٍ وَمَنْثُورِ
فَيَا لَهَا حَفْلَةً لِلْملكِ مَا بَرِحَتْ تَارِيخَ مَجْدٍ بِكَفِّ الدَّهْرِ مَسْطُورِ
ظَلَّتْ بِهَا حَدَقُ الأَمْلاكِ شَاخِصَةً إِلَى مَهِيبٍ بِفَضْلِ الْحِلْمِ مَشْكُورِ
فَكَمْ أَمِيرٍ بِحُسْنِ الْحَظِّ مُبْتَهِجٍ وَكَمْ وَزِيرٍ بِكَأْسِ الْبِشْرِ مَخْمُورِ
فَالأَرْضُ فِي فَرَحٍ وَالدَّهْرُ فِي مَرَحٍ وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرِ
فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ تَيَّارُ كَهْرَبَةٍ يَسْرِي وَفِي كُلِّ نَادٍ صَوتُ تَبْشِيرِ
يَومٌ بِهِ طَنَّتِ الأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ كَأَنَّ فِي كُلِّ أُذْنٍ سِلْكَ طُنْبُورِ
وَكَيفَ لا تَبْلُغُ الأَفْلاكَ دَوْلَةُ مَنْ أَضْحَى بِهِ الْعَدْلُ حِلًّا غَيرَ مَحْظُورِ
هُوَ الْمَلِيكُ الَّذِي لَوْلا مَآثِرُهُ مَا كَانَ فِي الدَّهْرِ يُسْرٌ بَعْدَ مَعْسُورِ
فَلَّ النَّوَائِبَ فَانْصَاحَتْ دَيَاجِرُهَا بِمُرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ الرَّأْيِ مَأْثُورِ
وَأَصْلَحَتْ عَنَتَ الأَيَّامِ حِكْمَتُهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ صَدْعًا غَيرَ مَجْبُورِ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ مَوْقُوفُ الظُّنُونِ عَلَى رَعْيِ السِّيَاسَةِ فِي ثَبْتٍ وَتَحْوِيرِ
لا يُغْمِدُ السَّيْفَ إِلا بَعْدَ مَلْحَمَةٍ وَلا يُعَاقِبُ إِلا بَعْدَ تَحْذِيرِ
يَا أَيُّهَا الْمَالِكُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ أَبْشِرْ بِفَتْحٍ عَظِيمِ الْقَدْرِ مَنْظُورِ
إِنَّ الْخُطُوبَ الَّتِي ذَلَّلْتَ جَانِبَهَا بِحُسْنِ رَأْيِكَ لَمْ تُقْدَرْ لِمَقْدُورِ
بَلَغْتَ بِالشَّرْقِ مَا أَمَّلْتَ مِنْ وَطَرٍ وَنِلْتَ بِالْغَرْبِ حَقًّا غَيْرَ مَنْكُورِ
فَمَنْ يُبَارِيكَ فِي فَضْلٍ وَمَكْرُمَةٍ وَمَنْ يُدَانِيكَ فِي حَزْمٍ وَتَدْبِيرِ
لَوْلاكَ مَا دَامَ ظِلُّ السِّلْمِ وَانْحَسَرَتْ ضَبَابَةُ الْحَرْبِ إِلا بَعْدَ تَغْرِيرِ

وَلا سَرَى الأَمْنُ بَعْدَ الْخَوفِ وَاعْتَصَمَتْ ... بِجَانِبِ الصَّبْرِ هِمَّاتُ الْمَغَاوِيرِ

فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ مَنِيعِ السَّرْحِ تَكْلَؤُهُ ... بِعَيْنِ ذِي لِبَدٍ فِي الْغَابِ مَحْذُورِ

وَاقْبَلْ هَدِيَّةَ فِكْرٍ قَدْ تَكَنَّفَهَا ... رَوْعُ الْخَجَالَةِ مِنْ عَجْزٍ وَتَقْصِيرِ

وَسَمْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَأَلْبَسَهَا ... جِلْبَابَ فَخْرٍ طَوِيلِ الذَّيْلِ مَجْرُورِ

لَوْلا صِفَاتُكَ وَهْيَ الدُّرُّ مَا بَهرَتْ ... أَبْيَاتُهَا الْغُرُّ مِنْ حُسْنٍ وَتَحْبِيرِ

شَمَائِلٌ زَيَّنَتْ قَولِي بِرَوْنَقِها ... كَالسِّحْرِ يَفْتِنُ بَيْنَ الأَعْيُنِ الْحُورِ

شَفَّتْ زُجَاجَةُ فِكْرِي فَارْتَسَمْتُ بِهَا ... عُلْيَاكَ مِنْ مَنْطِقِي فِي لَوْحِ تَصْوِيرِ

فَاسْعَدْ بِيَومٍ تَجَلَّى السَّعْدُ فِيهِ عَلَى ... نَادِي عُلاكَ بِتَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرِ

وَدُمْ عَلَى الدَّهْرِ فِي مُلْكٍ تَعِيشُ بِهِ ... مُرَفَّهَ النَّفْسِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ

وقَالَ في الفَخْرِ: (من الطويل)

طَرِبْتُ وَعَادَتْنِي الْمَخِيلَةُ وَالسُّكْرُ ... وَأَصْبَحْتُ لا يُلْوِي بِشِيمَتِي الزَّجْرُ

كَأَنِّي مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِهِ ... مُعَتَّقَةٌ مِمَّا يَضِنُّ بِهَا التَّجْرُ

صَرِيعُ هَوًى يُلْوِي بِيَ الشَّوْقُ كُلَّمَا ... تَلأْلأَ بَرْقٌ أَوْ سَرَتْ دِيَمٌ غُزْرُ

إِذَا مَال مِيزَانُ النَّهارِ رَأَيْتنِي ... عَلَى حَسَراتٍ لا يُقَاوِمُها صَبْرُ

يَقُولُ أُنَاسٌ إِنَّهُ السِّحْرُ ضَلَّةً ... وَمَا هِيَ إِلا نَظْرَةٌ دُونَهَا السِّحْرُ

فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسُ أَمْرِي وَلَيْسَ لِي ... وَلا لامْرِئٍ فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلا أَمْرُ

وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتطَاعُ دِفَاعُهُ ... لأَلْوَتْ بِهِ الْبِيضُ الْمَبَاتِيرُ وَالسُّمْرُ

وَلَكِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي لَوْ تَعَلَّقَتْ ... شَرَارَتُهُ بِالْجَمْرِ لاحْتَرَقَ الْجَمْرُ

عَلَى أَنَّنِي كَاتَمْتُ صَدْرِيَ حُرْقَةً ... مِنَ الْوَجْدِ لا يَقْوَى عَلَى حَمْلِهَا صَدْرُ

وَكَفْكَفْتُ دَمْعًا لَوْ أَسَلْتُ شُئُونَهُ ... عَلَى الأَرْضِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ الْبَحْرُ

حَيَاءً وَكِبْرًا أَنْ يُقَالَ تَرَجَّحَتْ ... بِهِ صَبْوَةٌ أَوْ فَلَّ مِنْ غَرْبِهِ الْهَجْرُ

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلا الْعَوائِقُ أَذْعَنَتْ ... لِسُلْطَانِهِ الْبَدْوُ الْمُغِيرَةُ وَالْحَضْرُ

مِنَ النَّفَرِ الْغُرِّ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ ... لَهَا فِي حَوَاشِي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ

إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ ... تَفَرَّعَتِ الأَفْلاكُ وَالْتَفَتَ الدَّهْرُ

لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعَاقِلٌ ... وَأَلْوِيَةٌ حُمْرٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ

وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... لِمُدَّرِعِ الظَّلْمَاءِ أَلْسِنَةٌ حُمْرُ

تَمُدُّ يَدًا نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَةً ... تُصَافِحُهَا الشِّعْرَى وَيَلْثِمُهَا الْغَفْرُ
وَخَيْلُ يَعُمُّ الْخَافِقَيْنِ صَهِيلُهَا ... نَزَائِعُ مَعْقُودٌ بِأَعْرَافِها النَّصْرُ
مَعَوَّدَةٌ قَطْعَ الْفَيَافِي كَأَنَّهَا ... خُدَارِيَّةٌ فَتْخَاءُ لَيْسَ لَهَا وَكْرُ
أَقَامُوا زَمَانًا ثُمَّ بَدَّدَ شَمْلَهُمْ ... مَلُولٌ مِنَ الأَيَّامِ شِيمَتُهُ الْغَدْرُ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آثارِ نِعْمَةٍ ... تَضُوعُ بِرَيَّاهَا الأَحَادِيُث وَالذِّكْرُ
وَقَدْ تَنْطِقُ الآثَارُ وَهْيَ صَوَامِتٌ ... وَيُثْنِي بِرَيَّاهُ عَلَى الْوَابِلِ الزَّهْرُ
لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ ... يُعَدُّ طَلِيقًا وَالْمَنُونُ لَهُ أَسْرُ
وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلا مَنَازِلٌ ... يَحُلُّ بِهَا سَفْرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفْرُ
فَلا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيها بِخَالِدٍ ... وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْعُمْرُ

وَقَالَ يُهَنِّئُ الخِديو عَبَّاس حِلْمي الثَانِي بِعِيدِ جُلُوسِهِ: (من البسيط)

لِمِثْلِ ذَا الْيَوْمِ كَانَ الْمُلْكُ يَنْتَظِرُ ... فَاسْعَدْ بِهَا دَوْلَةً عُنْوَانُها الظَّفَرُ
تَهَلَّلَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَابْتَهَجَتْ ... بِكَ الرَّعِيَّةُ حَتَّى عَمَّهَا الْحَبَرُ
نَالَتْ بِنَصْرِكَ مَا كَانَتْ تُؤَمِّلُهُ ... لا زِلْتَ لِلْمُلْكِ وَالإِسْلامِ تَنْتَصِرُ
فَالْعَدْلُ مُنْبَسِطٌ وَالْجَوْرُ مُنْقَبِضٌ ... وَالأَمْنُ مُنْسَدِلٌ وَالْخَوفُ مُنْشَمِرُ
نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَافَى بَعْدَ دَاجِيَةٍ ... كَمَا تَبَلَّجَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّحَرُ
فَالنَّاسُ مِنْ طَرَبٍ فِي نَشْوَةٍ أَخَذَتْ ... بِهِمْ فَمَالُوا كَأَنَّ الْقَومَ قَدْ سَكِرُوا
مُسْتَوفِضُونَ إِلَى الدَّاعِي تَسِيلُ بِهِمْ ... أَرْضٌ وَتَجْمَعُهُمْ أُخْرَى فَهُمْ زُمَرُ
فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبٌ حَوْلَ مِنْبَرِهِ ... جَمْعٌ وَفِي كُلِّ وَادٍ تَرْكُضُ الْبَشَرُ
يَسْتَعْذِبُ السَّمْعُ مَا يُمْلِي اللِّسَانُ لَهُ ... وَيَعْلَقُ الْقَلْبُ مَا يُوحِي بِهِ الْبَصَرُ
فَلا شَقَاءٌ وَلا بَأْسٌ وَلا فَزَعٌ ... وَلا عَدَاءٌ وَلا غَدْرٌ وَلا حَذَرُ
عِيدٌ تَهلَّلَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَرَحًا ... وَنِعْمَةٌ لَيْسَ يَقْضِي حَقَّهَا الْبَشَرُ
وَكَيْفَ لا تَفْخَرُ الدُّنْيَا بِطَلْعَةِ مَنْ ... لَوْلاهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا لامْرِئٍ وَطَرُ
فَاسْتَبْشِرُوا يَا بَنِي الأَوْطَانِ إِنَّ لَكُمْ ... مِنْ عَدْلِهِ جَنَّةً يَجْرِي بِهَا نَهَرُ
هُوَ الْمَلِيكُ الَّذِي لَوْلا سِيَاسَتُهُ ... مَا كَانَ لِلْعَدْلِ لا عَيْنٌ وَلا أَثَرُ
أَفْضَى إِلَى مِصْرَ وَالدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ ... فَمَا تَمَثَّلَ حَتَّى أَجْفَلَ الْخَطَرُ
مُوَفَّقٌ لِصَنِيعِ الْخَيْرِ مُبْتَدِعٌ ... لِمَا تُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْفِكَرُ

يَهْمِي نَدًى وَرَدًى جُودًا وَمَحْمِيَةً … كَذَلِكَ الدَّهْرُ فِيهِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
يَسْطُو بِرِفْقٍ إِذَا مَا الْحَزْمُ أَعْوَزَهُ … إِلَى الْعِقَابِ وَيَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ
فَالْبَطْشُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ حِكْمَةٍ سَرَفٌ … وَالْحِلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةٍ خَوَرُ
إِذَا ارْتَأَى بَدَرَتْ أَنْوَارُ حِكْمَتِهِ … كَمَا تَطَايَرَ بَعْدَ الْقَدْحَةِ الشَّرَرُ
دَلَّتْ عَلَى فَضْلِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ … وَكُلُّ شَيءٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَثَرُ
إِذَا تَبَسَّمَ فَاضَتْ رَاحَتَاهُ لَنَا … جُودًا وَمَا كُلُّ بَرْقٍ خَلْفَهُ مَطَرُ
تَمَلَّ بِالْمُلْكِ يَا عَبَّاسُ وَابْقَ لَنَا … فِي نِعْمةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدَرُ
فَأَنْتَ مِنْ دَوْحَةٍ فِي الْمَجْدِ بَاسِقَةٍ … طَابَتْ وَدَلَّ عَلَيْهَا النَّوْرُ وَالثَّمَرُ
بَلَغْتُ مَجْهُودَ نَفْسِي فِي الثَّنَاءِ وَلَمْ … أَبْلُغْ عُلاكَ وَأَنَّى يُدْرَكُ الْقَمْرُ
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِإِصْغَاءٍ إِلَى كَلِمٍ … تُعَدُّ فِي النُّطْقِ إِلا أَنَّهَا دُرَرُ
وَسَمْتُهَا بِاسْمِكَ الْعَالِي فَأَلْبَسَهَا … حُسْنًا تَتِيهُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَفْتَخِرُ
إِذَا تَلاهَا لِسَانُ الشُّكْرِ قَامَ لَهَا … حُبًّا بِذِكْرِ عُلاكَ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
لا زِلْتَ مَوْرِدَ آمَالٍ تَحُومُ بِهِ … طَيْرُ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تُنْشَرَ الصُّوَرُ

وَقَالَ يَصِفُ الْهَرمَيْنِ: (من الطويل)

سَلِ الْجِيزَةَ الْفَيْحَاءَ عَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ … لَعَلَّكَ تَدْرِي غَيْبَ مَا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي
بِنَاءانِ رَدَّا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهُمَا … وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
أَقَامَا عَلَى رَغْمِ الْخُطُوبِ لِيَشْهَدَا … لِبَانِيهِمَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ بِالْفَخْرِ
فَكَمْ أُمَمٍ فِي الدَّهْرِ بَادَتْ وَأَعْصُرٍ … خَلَتْ وَهُمَا أُعْجُوبَةُ الْعَيْنِ وَالْفِكْرِ
تَلُوحُ لِآثَارِ الْعُقُولِ عَلَيهِمَا … أَسَاطِيرُ لا تَنْفَكُّ تُتْلَى إِلَى الْحَشْرِ
رُمُوزٌ لَوِ اسْتَطْلَعْتَ مَكْنُونَ سِرِّها … لأَبْصَرْتَ مَجْمُوعَ الْخَلائِقِ فِي سَطْرِ
فَمَا مِنْ بِنَاءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ … يُدَانِيهِمَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ وَالْخُبْرِ
يُقَصِّرُ حُسْنًا عَنْهُمَا صَرْحُ «بَابِلٍ» … وَيَعْتَرِفُ الإِيوانُ بِالْعَجْزِ وَالْبَهْرِ
فَلَوْ أَنْ «هَارُوتَ» انْتَحَى مَرْصَدَيْهِما … لأَلْقَى مَقَالِيدَ الْكَهَانَةِ وَالسِّحْرِ
كَأَنَّهُمَا ثَدْيَانِ فَاضَا بِدِرَّةٍ … مِنَ النِّيلِ تُرْوِي غُلَّةَ الأَرْضِ إِذْ تَجْرِي
وَبَيْنَهُمَا «بَلْهِيبُ» فِي زِيِّ رَابِضٍ … أَكَبَّ عَلَى الْكَفَّيْنِ مِنْهُ إِلَى الصَّدْرِ
يُقَلِّبُ نَحْوَ الشَّرْقِ نَظْرَةَ وَامِقٍ … كَأَنَّ لَهُ شَوْقًا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

مَصَانِعُ فِيهَا لِلْعُلُومِ غَوَامِضٌ تَدُلُّ عَلَى أَنْ ابْنَ آدَمَ ذُو قَدْرِ
رَسَا أَصْلُهَا وَامْتَدَّ فِي الْجَوِّ فَرْعُهَا فَأَصْبَحَ وَكْرًا لِلسِّمَاكَيْنِ وَالنَّسْرِ
فَقُمْ نَغْتَرِفْ خَمْرَ النُّهَى مِنْ دِنَانِهَا وَنَجْنِي بِأَيْدِي الْجِدِّ رَيْحَانَةَ الْعُمْرِ
فَثَمَّ عُلُومٌ لَمْ تُفَتَّقْ كِمَامُهَا وَثَمَّ رُمُوزٌ وَحْيُهَا غَامِضُ السِّرِّ
أَقَمْتُ بِهَا شَهْرًا فَأَدْرَكْتُ كُلَّ مَا تَمَنَّيْتُهُ مِنْ نِعْمَةِ الدَّهْرِ فِي شَهْرِ
نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَومٍ لِنَجْنَتِي أَزَاهِيرَ عِلْمٍ لا تَجِفُّ مَعَ الزَّهْرِ
إِذَا مَا فَتَحْنَا قُفْلَ رَمْزٍ بَدَتْ لَنَا مَعَارِيضُ لَمْ تَفْتَحْ بِزِيجٍ وَلا جَبْرِ
فَكَمْ نُكَتٍ كَالسِّحْرِ فِي حَرَكَاتِهِ تُرِيكَ مَدَبَّ الرُّوحِ فِي مُهْجَةِ الذَّرِّ
سَكِرْنَا بِمَا أَهْدَتْ لَنَا مِنْ لُبَابِهَا فَيَا لَكَ مِنْ سُكْرٍ أُتِيحَ بِلا خَمْرِ
وَمَا سَاءَنِي إِلا صَنِيعُ مَعَاشِرٍ أَلَحُّوا عَلَيْهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ
أَبَادُوا بِهَا شَمْلَ الْعُلُومِ وَشَوَّهُوا مَحَاسِنَ كَانَتْ زِينَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَكَمْ سَمَلُوا عَيْنًا بِهَا تُبْصَرُ الْعُلا وَشَلُّوا يدًا كَانَتْ بِهَا رَايَةُ النَّصْرِ
تَمَنَّوْا لِقَاطَ الدُّرِّ جَهْلا وَمَا دَرَوْا بِأَنَّ حَصَاهَا لا يُقَوَّمُ بِالدُّرِّ
وَفَلُّوا لِجَمْعِ التِّبْرِ صُمَّ صُخُورِهَا وَأَيْسَرُ مَا فَلُّوهُ أَغْلَى مِنَ التِّبْرِ
وَلَكِنَّهُمْ خَابُوا فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى مُنَاهُمْ وَلا أَبْقَوْا عَلَيهَا مِنَ الْخَتْرِ
فَتَبًّا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ نَزَعَتْ بِهِمْ إِلَى الْغَيِّ أَخْلَاقٌ نَبَتْنَ عَلَى غِمْرِ
أَلا قَبَّحَ اللهُ الْجَهَالَةَ إِنَّهَا عَدُوَّةُ مَا شَادَتْهُ فِينَا يَدُ الْفِكْرِ
فَلَوْ رَدَّتِ الأَيَّامُ مُهْجَةَ «هُرْمُسٍ» لأَعْوَلَ مِنْ حُزْنٍ عَلَى نُوَبِ الدَّهْرِ
فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ أَدِّي تَحِيَّتِي إِلَى ذَلِكَ الْبُرْجِ الْمُطِلِّ عَلَى النَّهْرِ
وَيَا لَمَعَاتِ الْبَرْقِ إِنْ جُزْتِ بِالْحِمَى فَصُوبِي عَلَيهَا بِالنِّثَارِ مِنَ الْقَطْرِ
عَلَيهَا سَلامٌ مِنْ فُؤَادٍ مُتَيَّمٍ بِهَا لا بِرَبَّاتِ الْقَلائِدِ وَالشَّذْرِ
وَلا بَرِحَتْ فِي الدَّهْرِ وَهْيَ خَوَالِدٌ خُلُودَ الدَّرَارِي وَالأَوَابِدِ مِنْ شِعْرِي

وَكَتَبَ إلى صَدِيقِهِ «عبد الله باشا فكري»: (من الطويل)

أَدِيرَا كُئُوسَ الرَّاحِ قَدْ لَمَعَ الْفَجْرُ وَصَاحَتْ بِنَا الأَطْيَارُ أَنْ وَجَبَ السُّكْرُ
أَمَا تَرَيَانِ اللَّيْلَ كَيْفَ تَسَلَّلَتْ كَوَاكِبُهُ لِلْغَرْبِ وَانْحَدَرَ النَّسْرُ
فَقُومَا انْظُرَا مَا يَصْنَعُ الصُّبْحُ بِالدُّجَى فَإِنِّي أَرَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الذِّكْرُ

أَرَى أَدْهَمًا يَتْلُوهُ أَشْهَبُ طَارِدٌ كِلا الْفَرَسَيْنِ اغْتَالَ شَأْوَهُمَا الْحُضْرُ
وَقَدْ حَنَّتِ الأَطْيَارُ فِي وُكُنَاتِهَا وَقَامَ يُحَيِّينَا عَلَى سَاقِهِ الزَّهْرُ
وَأَصْبَحَتِ الْغُدْرَانُ تَصْقُلُها الصَّبَا وَيَرْقُمُ مَتْنَيْهَا بِلُؤْلُئِهِ الْقَطْرُ
تَرِفُّ كَمَا رَفَّتْ صَحَائِفُ فِضَّةٍ عَلَيْهِنَّ مِنْ لأْلاءِ شَمْسِ الضُّحَى تِبْرُ
كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ تَقْرَأُ مَتْنَهَا صَبَاحًا وَظِلُّ الْغُصْنِ لاحَ بِها سَطْرُ
عَصَائِبُ حَولَ الْمَاءِ يَدْرِمْنَ هُتَّفَا بِلَحْنٍ لَهُ فِي كُلِّ سَامِعَةٍ أَثْرُ
إِذَا صَرْصَرَ الْبَازِي تَلَبَّدْنَ بِالثَّرى مِنَ الرُّعْبِ حَتَّى لا يَبِينَ لَهَا صَرُّ
يُسَارِقْنَهُ حَتَّى إِذَا غَابَ ظِلُّهُ عَنِ الْمَاءِ عَادَ اللَّحْنُ وَانْتَشَرَ الْهَدْرُ
تَرَاهُنَّ أَسْرَابًا عَلَى الْمَاءِ حُوَّمًا يُقَرِّبُهَا ظِمْءٌ وَيُبْعِدُهَا ذُعْرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَيْنَ أَفْنَانِ دَوْحَةٍ سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ مُسْتَوْكَفٌ غَزْرُ
لَهَا فِي نَوَاحِي الأُفْقِ لَفْتَةُ أَصْيَدٍ يَلُوحُ عَلَى أَطْرَافِ عِرْنِينِهِ الْكِبْرُ
مَلاعِبُ لَهْوٍ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهَا وَدُنْيَا نَعِيمٍ لا يُحِيطُ بِهَا الْفِكْرُ
فَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ قُومَا لِشُرْبِهَا فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَومِ طَابَتْ لَنَا الْخَمْرُ
وَشَأْنَكُمَا فِي الرَّاحِ فَالْعَيْشُ وَالصِّبَا إِذَا الرَّاحُ لَمْ تَخْفِرْهُمَا فَسَدَ الْعُمْرُ
خَبِيئَةُ قَوْمٍ خَلَّفُوهَا لِغَيْرِهِمْ خَلَتْ دُونَهَا الأَيَّامُ وَاخْتَلَفَ الْعَصْرُ
فَجَاءَتْ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ مُنِيرَةً إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَأْسِ سَارَ بِهَا السَّفْرُ
وَإِنْ أَنْتُمَا غَنَّيْتُمَانِي فَلْتَكُنْ أَنَاشِيدَ يَهْفُو دُونَ تَسْمَاعِهَا الصَّبْرُ
أَنَاشِيدَ فِيهَا لِلْمَلِيحَةِ وَالْهَوَى مَعَاذِيرُ أَحْوَالٍ يَلِينُ لَهَا الصَّخْرُ
لَعَلَّ هَواهَا أَنْ يَعُودَ كَمَا بَدَا رَخِيَّ الْحَوَاشِي قَبْلَ أَنْ يَنْشَبَ الْهَجْرُ
مِنَ الْبِيضِ مَيْسَانُ الْعَشِيَّاتِ غَادَةٌ سَلِيمَةُ مَا تَحْوِي الْمَعَاقِدُ وَالأُزْرُ
إِذَا سَفَرَتْ وَالْبَدْرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ وَلاحَا سَوَاءً قِيلَ أَيُّهُمَا الْبَدْرُ
لَهَا لَفْتَةُ الْخَشْفِ الأَغَنِّ وَنَظْرَةٌ تُقَصِّرُ عَنْ أَمْثَالِهَا الْفَتْكَةُ الْبِكْرُ
تَرُدُّ النُّفُوسَ السَّالِمَاتِ سَقِيمَةً وَتَفْعَلُ مَا لا تَفْعَلُ الْبِيضُ وَالسُّمْرُ
خَفَضْتُ لَهَا مِنِّي جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ وَدِنْتُ لِعَيْنَيْهَا كَمَا حَكَمَ الدَّهْرُ
عَلَى أَنَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَشِيرِهَا قَوَارِعُ سُوءٍ لا يَنَامُ لَهَا وِتْرُ
فَيَا رَبَّةَ الْخَلْخَالِ رِفْقًا بِمُهْجَتِي فَبِالْغَادَةِ الْحَسْنَاءِ لا يَحْسُنُ الْغَدْرُ
وَبُقْيَا عَلَى قَلْبِي فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِهِ سِوَى حُبِّ عَبدِ اللهِ كَانَ لَهُ عُذْرُ

أَخِي وَصَدِيقِي وَابْنُ وُدِّي وَصَاحِبِي   وَمَوْضِعُ سِرِّي حِينَ يَعْتَلِجُ الصَّدْرُ

هُوَ الصَّاحِبُ الْمَشْكُورُ فِي الْوُدِّ سَعْيُهُ   وَمَا خَيرُ وُدٍّ لَيْسَ يَلْحَقُهُ شُكْرُ

أَمِينٌ عَلَى غَيْبِ الصَّدِيقِ إِذَا وَنَتْ   عُهُودُ أُنَاسٍ أَوْ تَطَرَّقَهَا فَتْرُ

فَلا جَهْرُهُ سِرٌّ وَلا سِرُّ صَدْرِهِ   إِذَا امْتَحَنَ الْوَاشِي ضَمَائِرَهُ جَهْرُ

يَدِبُّ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ   سَوَاءٌ لَدَيهَا السَّهْلُ فِي ذَاكَ وَالْوَعْرُ

لَهُ الْبُلْجَةُ الْغَرَّاءُ يَسْرِي شُعَاعُهَا   إِذَا غَامَ أُفْقُ الْفَهْمِ وَالْتَبَسَ الأَمْرُ

تزَاحَمُ أَفْوَاجُ الْكَلامِ بِصَدْرِهِ   فَلَوْ غَضَّ مِنْ صَوْتٍ لَكَانَ لَهَا هَدْرُ

لَهُ قَلَمٌ لَوْلا غَزَارَةُ فِكْرِهِ   لَجَفَّتْ لَدَيْهِ السُّحْبُ أَوْ نَفِدَ الْبَحْرُ

إِذَا اخْتَمَرَتْ بِاللَّيْلِ قِمَّةُ رَأْسِهِ   تَفَجَّرَ مِنْ أَطْرَافِ لِمَّتِهَا الْفَجْرُ

إِلَيْكَ ابْنَ بَطْحَاءِ الْكَلامِ تَشَذَّرَتْ   بِرَكْبِ الْمَعَانِي لا يُكَفْكِفُهَا الزَّجْرُ

قَلائِصُ لا يَرْعَيْنَ عَازِبَةَ الْكَلا   وَلا يَسْتَبِقْنَ الْمَاءَ إِنْ فَاتَهَا الْعِشْرُ

وَمَا هُوَ إِلا الشِّعْرُ سَارَتْ عِيَابُهُ   وَفِي طَيِّهَا مِنْ طِيبِ مَا ضُمِّنَتْ نَشْرُ

فَأَلْقِ إِلَيهِ السَّمْعَ يُنْبِئْكَ أَنَّهُ   هُوَ الشِّعْرُ لا مَا يَدَّعِي الْمَلأُ الْغَمْرُ

يَزِيدُ عَلَى الإِنْشَادِ حُسْنًا كَأَنَّنِي   نَفَثْتُ بِهِ سِحْرًا وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ

فَدُمْ لِلْعُلا وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتُّقَى   وَنَيْلِ الْمُنَى مَا أَوْرَقَ الْغُصُنُ النَّضْرُ

وقال: (من الكامل)

لِهَوَى الْكَوَاعِبِ ذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ   وَأَخُو الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ لا يَغْدِرُ

فَعَلامَ يَنْهَانِي الْعَذُولُ عَنِ الصِّبَا   أَوَلَيْسَ أَنَّ هَوَى النُّفُوسِ مُقَدَّرُ

قَدْ كَانَ لِي فِي بَعْضِ مَا صَنَعَ الْهَوَى   عُذْرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَتَبَصَّرُ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ غَافِلٌ عَمَّا جَنَتْ   يَدُهُ عَلَيَّ وَلائِمٌ لا يَعْذِرُ

لَمْ يَدْرِ مَنْ كَحَلَ الْكَرَى أَجْفَانَهُ   مَاذَا يُكَابِدُ فِي الْهَوَى مَنْ يَسْهَرُ

يَا غَافِلا عَنِّي وَبينَ جَوَانِحِي   لَهَبٌ يَكَادُ لَهُ الْحَشَا يَتَفَطَّرُ

دَعْنِي أَبُثُّكَ بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدٌ   وَاحْكُمْ بِمَا تَهْوَى فَأَنْتَ مُخَيَّرُ

فَلَو اطَّلَعْتَ عَلَى تَبَارِيح الْجَوَى   لَعَلِمْتَ أَيَّ دَمٍ بِحُبِّكَ يُهْدَرُ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حُبِّكَ أَنَّنِي   أُغْضِي عَلَى مَضَضِ الْهَوَانِ وَأَصْبِرُ

أَوْرَدْتَنِي بِلِحَاظِ عَيْنِكَ مَوْرِدًا   لِلْحُبِّ مَا لِلْقَلْبِ عَنْهُ مَصْدَرُ

هِيَ نَظْرَةٌ كَانَتْ ذَرِيعَةَ صَبْوَةٍ   وَاللَّحْظُ أَضْعَفُ مَا يَكُونُ وَأَقْدَرُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ وَحْيِ جُفُونِهَا   أَنَّ الْعُيُونَ الْجُؤْذُرِيَّةَ تَسْحَرُ
ظَلَمُوا الأَسِنَّةَ خَاطِئِينَ وَلَيْتَهُمْ   عَلِمُوا بِمَا صَنَعَ السِّنَانُ الأَحْوَرُ
أَمُطَاعِنَ الْفُرْسَانِ فِي حَمَسِ الْوَغَى   أَقْصِرْ فَرُمْحُكَ عَنْ غَرِيمِكَ أَقْصَرُ
أَينَ الرِّمَاحُ مِنَ الْقُدُودِ وَأَينَ مِنْ   لَحْظٍ تَهِيمُ بِهِ السِّنَانُ الأَخْزَرُ
هَيْهَاتَ يَثْبُتُ فِي الْوَقِيعَةِ دَارِعٌ   يَسْطُو عَلَيْهِ مُخَلْخَلٌ وَمُسَوَّرُ
لِلْحُسْنِ أَسْلِحَةٌ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَتْ   فِي حَوْمَةٍ لا يَتَّقِيهَا مِغْفَرُ
فَاللَّحْظُ عَضْبٌ صَارِمٌ وَالْهُدْبُ نَبـ   ـلٌ صَائِبٌ وَالْقَدُّ رُمْحٌ أَسْمَرُ
أَنَّى يَطِيشُ عَنِ الْقُلُوبِ لِغَمْزَةٍ   سَهْمٌ وَقَوْسُ الْحَاجِبَيْنِ مُوَتَّرُ
يَا لَلْحَمِيَّةِ مِنْ غَزَالٍ صَادَنِي   وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَصِيدَ الْجُؤْذَرُ
بَدْرٌ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ مَنَازِلٌ   يَسْرِي بِهَا وَلِكُلِّ بَدْرٍ مَظْهَرُ
انْظُر لِطُرَّتِهِ وَغُرَّةِ وَجْهِهِ   تَلْقَ الْهِدَايَةَ فَهْوَ لَيْلٌ أَقْمَرُ
نَادَيتُ لَمَّا لاحَ تَحْتَ قِنَاعِهِ   هَذَا الْمُقَنَّعُ فَاحْذَرُوا أَنْ تُسْحَرُوا
طَبَعَتْهُ فِي لَوْحِ الْفُؤَادِ مَخِيلَتِي   بِزُجَاجَةِ الْعَينَينِ فَهُوَ مُصَوَّرُ
وَسَرَتْ بِجِسْمِي كَهْرَبَاءَةُ حُسْنِهِ   فَمِنْ الْعُرُوقِ بِهِ سُلُوكٌ تُخْبِرُ
أَنَا مِنْهُ بَيْنَ صَبَابَةٍ لا يَنْقَضِي   مِيقَاتُهَا وَمَوَاعِدٍ لا تُثْمِرُ
جِسْمٌ بَرَتْهُ يَدُ الضَّنَى حَتَّى غَدَا   قَفَصًا بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يَصْفِرُ
لَوْلا التَّنَفُّسُ لاعْتَلَتْ بِي زَفْرَةٌ   فَيَخَالُنِي طَيَّارَةً مَنْ يُبْصِرُ
لا غَرْوَ أَنْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ قِيَادِهِ   فَالْحُبُّ أَغْلَبُ لِلنُّفُوسِ وَأَقْهَرُ
يَعْنُو لِقُدْرَتِهِ الْمَلِيكُ الْمُتَّقَى   وَيَهَابُ صَوْلَتَهُ الْكَمِيُّ الْقَسْوَرُ
وَالْعِشْقُ مَكْرُمَةٌ إِذَا عَفَّ الْفَتَى   عَمَّا يَهِيمُ بِهِ الْغَوِيُّ الأَصْوَرَةُ
يَقْوَى بِهِ قَلْبُ الْجَبَانِ وَيَرْعَوِي   طَمَعُ الْحَرِيصِ وَيَخْضَعُ الْمُتَكَبِّرُ
فَتَحَلَّ بِالأَدَبِ النَّفِيسِ فَإِنَّهُ   حَلْيٌ يَعِزُّ بِهِ اللَّبِيبُ وَيَفْخَرُ
وَإِذَا عَزَمْتَ فَكُنْ بِنَفْسِكَ وَاثِقًا   فَالْمُسْتَعِزُّ بِغَيْرِهِ لا يَظْفَرُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ   فِي الْخَطْبِ هَادٍ خَانَهُ مَنْ يَنْصُرُ
وَاحْذَرْ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ وَإِنْ عَلا   فَالْمَرْءُ يُفْسِدُهُ الْقَرِينُ الأَحْقَرُ
وَمِنَ الرِّجَالِ مَنَاسِبٌ مَعْرُوفَةٌ   تَزْكُو مَوَدَّتُهَا وَمِنْهُمْ مُنْكَرُ

فَانْظُرْ إِلَى عَقْلِ الْفَتَى لا جِسْمِهِ ... فَالْمَرْءُ يَكْبُرُ بِالْفِعَالِ وَيَصْغُرُ
فَلَرُبَّمَا هَزَمَ الْكَتِيبَةَ وَاحِدٌ ... وَلَرُبَّمَا جَلَبَ الدَّنِيئَةَ مَعْشَرُ
إِنَّ الْجَمَالَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... خَفِيَ الصَّوَابُ لأَنَّهُ لا يَظْهَرُ
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تَعِيشُ بِذِكْرِهِ ... فَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ يُذْكَرُ

وَقَالَ يَصِفُ الرَّبيعَ: (من الكامل)

رَفَّ النَّدَى وَتَنَفَّسَ النُّوَّارُ ... وَتَكَلَّمَتْ بِلُغَاتِهَا الأَطْيَارُ
وَتَأَرَّجَتْ سُرَرُ الْبِطَاحِ كَأَنَّمَا ... فِي بَطْنِ كُلِّ قَرَارَةٍ عَطَّارُ
زَهْرٌ يَرِفُّ عَلَى الْغُصُونِ وَطَائِرٌ ... غَرِدُ الْهَدِيرِ وَجَدْوَلٌ زَخَّارُ
وَنَوَاسِمٌ أَنْفَاسُهُنَّ طَوِيلَةٌ ... وَهَوَاجِرٌ أَعْمَارُهُنَّ قِصَارُ
وَالْبَاسِقَاتُ الْحَامِلاتُ كَأَنَّهَا ... عُمُدٌ مُشَعَّبَةُ الذُّرَى وَمَنَارُ
عَقَدَتْ ذَلاذِلَ سُوقِهَا فِي جِيدِهَا ... وَسَمَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الأَبْصَارُ
فَأُصُولُهَا لِلسَّابِحَاتِ مَلاعِبٌ ... وَفُرُوعُهَا لِلنَّيِّرَاتِ مَطَارُ
يَبْدُو بِهَا زَهْوٌ تَخَالُ إِهَانَهُ ... فُتُلا تَمَشَّتْ فِي ذُرَاهَا النَّارُ
طَورًا تَمِيلُ مَعَ الرِّيَاحِ وَتَارَةً ... تَرْتَدُّ فَهْيَ تَحَرُّكٌ وَقَرَارُ
فَكَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهَا سِنَةُ الْكَرَى ... فَتَمَايَلَتْ أَوْ بَيْنَهَا أَسْرَارُ
فَإِذَا رَأَيتَ رَأَيْتَ أَحْسَنَ جَنَّةٍ ... خَضْرَاءَ تَجْرِي بَيْنَهَا الأَنْهَارُ
يَتَرَنَّمُ الْعُصْفُورُ فِي عَذَبَاتِهَا ... وَيَصِيحُ فِيهَا الْعَنْدَلُ الصَّفَّارُ
فَالتُّرْبُ مِسْكٌ وَالْجَدَاوِلُ فِضَّةٌ ... وَالْقَطْرُ دُرٌّ وَالْبَهَارُ نُضَارُ
فَاشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الرَّبِيعِ فَإِنَّهُ ... زَمَنٌ دَمُ الآثَامِ فِيهِ جُبَارُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ ... وَالنَّاسُ بَعْدُ لِغَيْرِهِمْ أَخْبَارُ
إِنِّي وَإِنْ لَعِبَ الزَّمَانُ بِصَعْدَتِي ... وَابْيَضَّ مِنِّي مَفْرِقٌ وَعِذَارُ
فَلَنِعْمَ ما بَقِيَتْ لَدَيَّ مَهَابَةٌ ... تَقْذَى بِهَا عَيْنُ الْعِدَا وَوَقَارُ
وَسَعَى إِلَى الْحِلْمُ فِي أَثْوَابِهِ ... طَرَبًا وَآنَ لِجَهْلِيَ الإِقْصَارُ
أَنَا لِلصَّدِيقِ كَمَا يُحِبُّ وَلِلْعِدَا ... عِنْدَ الْكَرِيهَةِ ضَيغَمٌ زَءَّارُ
خَيْلِي مُسَوَّمَةٌ وَرُمْحِي ذَابِلٌ ... يَوْمَ الطِّعَانِ وَصَارِمِي بَتَّارُ
وَبِرَاحَتِي قَلَمٌ إِذَا حَرَّكْتُهُ ... رَوِيَتْ بِهِ الأَفْهَامُ وَهْيَ حِرَارُ

تَرْتَدُّ عَنْهُ قَنَابِلٌ وَجَحَافِلٌ وَتَكِلُّ عَنْهُ أَسِنَّةٌ وَشِفَارُ
غَرِدٌ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَحِيفَةٍ سَجَدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الأَوْتَارُ
وَإِذَا امْتَطَى ظَهْرَ الْبَنَانِ لِغَايَةٍ خَضَعتْ إِلَيهِ قَوَارِحٌ وَمِهارُ
فَإِذَا رَكِبْتُ فَكُلُّ قِرْنٍ أَمْيَلٌ وَإِذَا نَطَقْتُ فَكُلُّ نُطْقٍ رَارُ
أَلْقَى الْكَلامُ إِلَيَّ ثِنْيَ عِنَانِهِ وَتَفَاخَرَتْ بِكَلامِي الأَشْعَارُ

وَقَالَ وهو في جَزِيرة سَرَنْدِيبَ وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى في الْمَنام: (من الطويل)

تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ سَمِيرَةَ زَائِرٌ وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الْخَوَاطِرُ
طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ بَأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ
فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ
تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرْضَ وَجْدًا وَمَا لَهُ سِوَى نَزَوَاتِ الشَّوْقِ حَادٍ وَزَاجِرُ
أَلَمَّ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ
تَحَمَّلَ أَهْوَالَ الظَّلام مُخَاطِرًا وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لا تُخَاطِرُ
خُمَاسِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّتَائِرُ
عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ تَوَالَيْنَ حَوْلَهَا كَمَا دَارَ بِالْبَدْرِ النُّجُومُ الزَّواهِرُ
غَوَافِلُ لا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَلا هُنَّ بِالْخَطْبِ الْمُلِمِّ شَواعِرُ
تَعَوَّدْنَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ وَالِدٍ رَحِيمٍ وَبَيْتٍ شَيَّدَتْهُ الْعَنَاصِرُ
فَهُنَّ كَعُنْقُودِ الثُّرَيَّا تَأَلَّقَتْ كَواكِبُهُ فِي الأُفْقِ فَهْيَ سَوَافِرُ
تُمَثِّلُهَا الذِّكْرَى لِعَيْنِي كَأَنَّنِي إِلَيهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الأَرْضِ نَاظِرُ
فَطَوْرًا أَخَالُ الظَّنَّ حَقًّا وَتَارَةً أَهِيمُ فَتَغْشَى مُقْلَتَيَّ السَّمَادِرُ
فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي وَيَا قُرْبَ مَا الْتَفَّتْ عَلَيهِ الضَّمائِرُ
وَلَوْلا أَمَانِي النَّفْسِ وَهْيَ حَيَاتُهَا لَمَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَكُلُّ امْرِئٍ يَومًا إِلَى اللهِ صَائِرُ
هِيَ الدَّارُ مَا الأَنْفَاسُ إِلا نَهَائِبٌ لَدَيْهَا وَمَا الأَجْسَامُ إِلا عَقَائِرُ
إِذَا أَحْسَنَتْ يَوْمًا أَسَاءَتْ ضُحَى غَدٍ فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ
تَرُبُّ الْفَتَى حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ دَهَتْهُ كَمَا رَبَّ الْبَهِيمَة جَازِرُ
لَهَا تَرَةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ وَمَا لَهَا عَلَى طُولِ مَا تَجْنِي عَلَى الْخَلْقِ وَاتِرُ

كَثِيرَةُ أَلْوَانِ الْوِدَادِ مَلِيَّةٌ   بِأَنْ يَتَوَقَّاهَا الْقَرِينُ الْمُعَاشِرُ

فَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَةِ نَاقِدٍ   دَرَى أَنَّهَا بَيْنَ الأَنَامِ تُقَامِرُ

صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي   وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

وَمَا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ   بِمُسْتَحْسَنٍ كَالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرُ

وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ   دَوَاعِي الْمُنَى فَالصَّبْرُ فِيهِ الْمَعَاذِرُ

فَلا يَشْمَتِ الأَعْدَاءُ بِي فَلَرُبَّمَا   وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّا أُحَاذِرُ

فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ   وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

وَلِي أَملٌ فِي الله تَحْيَا بِهِ الْمُنَى   وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالْخَطْبُ كَاشِرُ

وَطِيدٌ يَزِلُّ الْكَيْدُ عَنْهُ وَتَنْقَضِي   مُجَاهَدَةُ الأَيَّامِ وَهْوَ مُثَابِرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى اللهِ فِي الَّذِي   يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْوَ خَاسِرُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ   فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَاصِرُ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلْوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ   فَمَا هُوَ إِلا طَائِشُ اللُّبِّ نَافِرُ

وَلَوْلا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَخِبْ   جَبَانٌ وَلَمْ يَحْوِ الْفَضِيلَةَ ثَائِرُ

تقلُّ دَوَاعِي النَّفْسِ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ   وَتَقْوَى هُمُومُ الْقَلْبِ وَهْوَ مُغَامِرُ

وَكَيفَ يَبِينُ الْفَضْلُ وَالنَّقْصُ فِي الْوَرَى   إِذَا لَمْ تَكُنْ سَوْمَ الرِّجَالِ الْمَآثِرُ

وَمَا حَمَلَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِزِينَةٍ   وَلَكِنْ لأَمْرٍ أَوْجَبَتْهُ الْمَفَاخِرُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلا الْمَعِيشَةَ مَطْلَبٌ   فَكُلُّ زَهِيدٍ يُمْسِكُ النَّفْسَ جَابِرُ

فَلَوْلا الْعُلا مَا أَرْسَلَ السَّهْمَ نَازِعٌ   وَلا شَهَرَ السَّيْفَ الْيَمَانِيَّ شَاهِرُ

مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الدَّنِيَّةَ مَاجِدٌ   وَيَقْبَلَ مَكْذُوبَ الْمُنَى وَهْوَ صَاغِرُ

إِذَا كُنْتَ تَخْشَى كُلَّ شَيءٍ مِنَ الرَّدَى   فَكُلُّ الَّذِي فِي الْكَوْنِ لِلنَّفْسِ ضَائِرُ

فَمِنْ صِحَّةِ الإِنْسَانِ مَا فِيهِ سُقْمُهُ   وَمِنْ أَمْنِهِ مَا فَاجَأَتْهُ الْمَخَاطِرُ

عَلَيَّ طِلابُ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ   وَلا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي الْمَقَادِرُ

فَمَا كُلُّ مَحْلُولِ الْعَرِيكَةِ خَائِبٌ   وَلا كُلُّ مَحْبُوكِ التَّرِيكَةِ ظَافِرُ

فَمَاذَا عَسَى الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَقَوَّلُوا   عَلَيَّ وَعِرْضِي نَاصِحُ الْجَيْبِ وَافِرُ

فَلِي فِي مرَادِ الْفَضْلِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ   إِذَا شَانَ حَيًّا بِالْخِيَانَةِ ذَاكِرُ

مَلَكْتُ عُقَابَ الْمُلكِ وَهْيَ كَسِيرَةٌ   وَغَادَرْتُهَا فِي وَكْرِهَا وَهْيَ طَائِرُ

وَلَو رُمْتُ مَا رَام امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ   لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرُ

وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ سَوْأَةً تُعَابُ بِهَا والدَّهْرُ فِيهِ الْمعايِرُ
فَلا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّهُ إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ
فَقَدْ يَسْتَجِمُّ الْمَالُ وَالْمَجْدُ غَائِبٌ وَقَدْ لا يَكُونُ الْمَالُ وَالْمَجْدُ حَاضِرُ
وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاثَرَ رَبَّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرُ
فَلا غَرْوَ أَنْ حُزْتُ الْمَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ
أَنَا الْمَرْءُ لا يَثْنِيهِ عَنْ دَرَكِ الْعُلا نَعِيمٌ وَلا تَعْدُو عَلَيهِ الْمَفَاقِرُ
قَئُولٌ وَأَحْلَامُ الرِّجَالِ عَوَازِبٌ صَئُولٌ وَأَفْوَاهُ الْمَنَايَا فَوَاغِرُ
فَلا أَنَا إِنْ أَدْنَانِيَ الْوَجْدُ بَاسِمٌ وَلا أَنَا إِنْ أَقْصَانِيَ الْعُدْمُ بَاسِرُ
فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَدْنَسِ الْعِرْضُ فَاضِحٌ وَلا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَرْءُ سَاتِرُ
إِذَا ما ذُبَابُ السَّيفِ لَمْ يَكُ مَاضِيًا فَحِلْيَتُهُ وَصْمٌ لَدَى الْحَرْبِ ظَاهِرُ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ فَلَّ رَزِيَّةٍ تَقَاسَمَهَا فِي الأَهْلِ بَادٍ وَحَاضِرُ
فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانُ شَبَاتَهُ وَكَمْ سَيِّدٍ دَارتْ عَلَيهِ الدَّوائِرُ
وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلالَةٌ وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوَافِرُ
فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاظِرٍ وَتَنْزُو بِعَوْرَاءِ الْحقُودِ السَّرائِرُ
وَمَا هِيَ إِلا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي غَيَابَتُهَا وَاللهُ مَنْ شَاءَ نَاصِرُ
فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظُلْمَةِ الْحَبْسِ بَعْدَمَا تَرَامَتْ بِأَفْلاذِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ
فَمَهْلا بَنِي الدُّنْيَا عَلَينَا فَإِنَّنَا إِلَى غَايَةٍ تَنْفَتُّ فيهَا الْمَرَائِرُ
تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْرًا وَتَلْتَوِي عَلَى فَلْكَةِ السَّاقَيْنِ فِيهَا الْمَآزِرُ
هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ وَالزُّورُ عَاثِرُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ فَمَا أَوَّلٌ إِلا وَيَتْلُوهُ آخِرُ

وقال في الغزل: (من البسيط)

أَرَبَّةُ الْعُودِ أَمْ قُمْرِيَّةُ السَّحَرِ
غَنَّتْ فَحَرَّكَتِ الأَشْجَانَ بِالْوَتَرِ
حَوراءُ لِلسِّحْرِ فِي أَلْحَاظِهَا أَثَرٌ
يَرِيكَ أَنَّ الرُّقَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَرِ

لَوْ لَمْ تَكُنْ قَمَرًا فِي الْحُسْنِ مَا ظَهَرَتْ
لأَعْيُنِ النَّاسِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعَرِ
أَمْلَتْ عَلَيَّ بِلَحْظَيْهَا حَدِيثَ هَوًى
عَرَفْتُ مِنْهُ ضَمِيرَ الْعَينِ بِالأَثَرِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ جَفْنَيْهَا إِذَا نَظَرَتْ
«هَارُوتُ» يَعْبَثُ بِالأَلْبَابِ وَالْفِكَرِ
لا غَرْوَ أَنْ هِمْتُ مِنْ وَجْدٍ بِصُورَتِهَا
فَالْحُسْنُ مَشْغَلَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْبَصَرِ
لا تَقْنَعُ الْعَيْنُ مِنْهَا كُلَّمَا نَظَرَتْ
وَكَيْفَ يَقْتَنِعُ الْمُشْتَاقُ بِالنَّظَرِ
نَاغَيتُهَا بِلِسَانِ الشَّوْقِ فَازْدَهَرَتْ
لِلْحُسْنِ فِي وَجْنَتَيْهَا وَرْدَتَا خَفَرِ
وَازْوَرَّ حَاجِبُهَا عَنْ نَظْرَةٍ رَشَقَتْ
سَوَادَ قَلْبِي بِسَهْمٍ صِيغَ مِنْ حَوَرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِرُقَى الأَشْعَارِ أَعْطِفُهَا
وَرُقْيَةُ الشِّعْرِ تُجْرِي الْمَاءَ فِي الْحَجَرِ
حَتَّى إِذَا عَلِمَتْ أَنِّي بِهَا كَلِفٌ
وَأَنَّنِي مِنْ تَجَنِّيهَا عَلَى خَطَرِ
تَبَسَّمَتْ فَجَلَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا
يَاقُوتَةً أُودِعَتْ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرَرِ
فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي جَنَّةٍ يَنَعَتْ
أَفْنَانُهَا بِثِمَارِ الأُنْسِ وَالْحَبَرِ
أَبَحْتُ لِلْعَيْنِ فِيهَا مَا تَقَرُّ بِهِ
وَذُدْتُ كَفَّ الصِّبَا عَنْ مَعْقِدِ الأُزُرِ
حَتَّى اشْرَأَبَّتْ عُقَابُ الْفَجْرِ وَانْطَلَقَتْ
حَمَائِمُ الشُّهْبِ مِنْ أُحْبُولَةِ السَّحَرِ

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا
تَارِيخَ لَهْوٍ لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطَرِ
وَسَمْتُهَا بِضِيَاءِ الْكَأْسِ فَالْتَمَعَتْ
وَزِينَةُ الدُّهْمِ فِي الأَوْضَاحِ وَالْغُرَرِ
لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَودَتِهَا
لَبِعْتُ فِيهَا لَذِيذَ النَّوْمِ بِالسَّهَرِ
وَلَّتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غيرُ فَذْلَكَةٍ
تَلُوحُ فِي دَفْتَرِ الأَوْهَامِ وَالذُّكَرِ
وَأَيُّ بَاقٍ عَلَى الأَيَّامِ نَطْلُبُهُ
وَكُلُّ وَارِدَةٍ يَومًا إِلَى صَدَرِ
فَلا تَثِقْ بِوَفَاءِ الدَّهْرِ إِنَّ لَهُ
غَدْرًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعُودِ وَالثَّمَرِ
وَلا تَغُرَّنْكَ مِنْ وَجْهٍ بَشَاشَتُهُ
فَالسَّمُّ يُوجَدُ فِي نَضْرٍ مِنَ الشَّجَرِ
قَدْ كِدْتُ أُتْهِمُ ظَنِّي فِي فِرَاسَتِهِ
مِنْ طُولِ مَا اشْتَبَهَتْ عَيْنَايَ فِي الصُّوَرِ
فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا سَمَحَتْ
بِهِ إِلَيكَ وَكُنْ مِنهَا عَلَى حَذَرِ
وَسَالِمِ الدَّهْرَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِ
فَصَاحِبُ الشَّرِّ لا يَنْجُو مِنَ الْكَدَرِ
لا يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ أَرَبٍ
إِلا بِتَرْكِ الَّذِي يَخْشَاهُ مِنْ ضَرَرِ
فَانْعَمْ وَطِبْ وَالْهُ وَاطْرَبْ وَاسْعَ وَاعْلُ وَسُدْ
وَاشْرَبْ وَغَنِّ وَتِهْ وَالْعَبْ وَهِمْ وَطِرِ
لَا يَقْنَطُ الْمَرْءُ مِنْ غُفْرَانِ خَالِقِهِ
مَا لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِالْبَعْثِ وَالْقَدَرِ

وقال: (من البسيط)

لا شَيءَ فِي الدَّهْرِ يُغْنِي عَنْ أَخِي ثِقَةٍ ... يَكُونُ فِيهِ بَلاغُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
قَضَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ رُمْتُهُ وَطَرًا ... إلا مُحَادَثَةَ الإِخْوَانِ فِي السَّمَرِ

وقال: (من المنسرح)

صُبْحٌ مَطِيرٌ وَنَسْمَةٌ عَطِرَه ... وَأَنْفُسٌ لِلصَّبُوحِ مُنْتَظِرَهْ
فَدُرْ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُ شِئْتَ تَجِدْ ... مُلْكًا كَبِيرًا وَجَنَّةً خَضِرَهْ
سَمَاؤُهَا بِالْغُصُونِ وَاشِجَةٌ ... وَأَرْضُهَا بِالنَّبَاتِ مُؤْتَزِرَهْ
مَنْظَرُ لَهْوٍ تُعِيدُ بَهْجَتُهُ ... أَكِنَّةَ الْعَيْشِ وَهْيَ مُنْحَسِرَهْ
فَالْعُفْرُ تَحْتَ الظَّلالِ رَاتِعَةٌ ... وَالطَّيْرُ فَوقَ الْغُصُونِ مُنْتَشِرَهْ
وَالطَّلُّ يَنْهَلُّ مِنْ مَسَاقِطِهِ ... مِثْلَ عُقُودِ الْجُمَانِ مُنْتَثِرَهْ
جَدَاوِلٌ فِي الْفَضَاءِ جَارِيَةٌ ... وَمُزْنَةٌ فِي السَّمَاءِ مُنْهَمِرَهْ
دُنْيَا نَعِيمٍ تَكَادُ زَهْرَتُهَا ... تَزْرِي عَلَى الشَّمْسِ وَهْيَ مُزْدَهِرَهْ
لا ظِلُّهَا رَاكِدُ النَّسِيمِ وَلا ... غُدْرَانُهَا بِالْغُثَاءِ مُخْتَمِرَهْ
فَيَا بْنَ وُدِّي هَلُمَّ نَقْتَسِمِ الـ ... ـلَهْوَ فَنَسْفِي إِلَى الصِّبَا حَسِرَهْ
وَخَلِّنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ ... بَيْنَ أُنَاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغِرَهْ
يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ ... فَبِئْسَ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَهْ
خَدِيعَةٌ لا يَزَالُ صَاحِبُهَا ... بَيْنَ هُمُومٍ وَعِيشَةٍ كَدِرَهْ
مَا لِي وَلِلنَّاسِ لا لَدَيَّ لَهُمْ ... حَقٌّ يُؤَدَّى وَلا عَلَيَّ تِرَهْ
قَدِ الْتَقَيْنَا مِنْ غَيرِ سَابِقَةٍ ... فِي دَار دُنْيَا بِأَهْلِهَا غَدِرَهْ
نَلْهُو بِهَا حِقْبَةً وَنَتْرُكُهَا ... إِلَى مَهَاوٍ فِي الأَرْضِ مُنْحَدِرَهْ
كُلُّ امْرِئٍ ذَاهِبٌ لِغَايَتِهِ ... وَكُلُّ نَفْسٍ بِالْغَيبِ مُؤْتَمِرَهْ
يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكَرَامَةِ مَا ... يَسُرُّ نَفْسِي فَإِنَّهَا وَجِرَهْ
وَلا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي ... فَإِنَّ نَفْسِي إِلَيكَ مُفْتَقِرَهْ

وَقَالَ يَرْثي حَاضنَتَهُ: (من الطويل)

أَمَـرْيَـمُ لا وَالـلـهِ أَنْـسَـاكِ بَـعْـدَمـا | صَحِبْتُكِ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ أَنْضَرِ
فَقَدْ كُنْتِ فِينَا بَرَّةَ الْقَوْلِ سَرَّةً | سَلِيمَةَ قَلْبٍ فِي مَغِيبٍ وَمَحْضَرِ
فَلُقِّيتِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خَيْرَ تَحِيَّةٍ | تُوافِيكِ فِي رَوْضٍ مِنَ الْقُدْسِ أَخْضَرِ

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ: (من الطويل)

بَـكَـيتُ عَـلِـيًّـا إِذْ مَـضَـى لِـسَـبِـيـلِـهِ | بِعَيْنٍ تَكَادُ الرُّوحُ فِي دَمْعِهَا تَجْرِي
وَإِنِّـي لأَدْرِي أَنَّ حُـزْنِـي لا يَـفِـي | بِرُزْئِي وَلَكِنْ لا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ
وَكَـيفَ أَذُودُ الْـقَـلْـبَ عَـنْ حَـسَـرَاتِـهِ | وَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يَصْدَعُ فِي الصَّخْرِ
يَلُومُونَنِي أَنِّي تَجَاوَزْتُ فِي الْبُكَا | وَهَلْ لامْرِئٍ لَمْ يَبْكِ فِي الْحُزْنِ مِنْ عُذْرِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْرَحْ وَيَحْزَنْ لِنِعْمَةٍ | وَبُؤْسٍ فَلا يُرْجَى لِنَفْعٍ وَلا ضَرِّ
وَمَا كُنْتُ لَوْلا قِسْمَةُ اللهِ فِي الْوَرَى | لأَصْبِرَ لَكِنَّا إِلَى غَايَةٍ نَسْرِي
لَقَدْ خَفَّفَ الْبَلْوَى وَإِنْ هِيَ أَشْرَفَتْ | عَلَى النَّفْسِ مَا أَرْجُوهُ مِنْ مَوعِدِ الْحَشْرِ

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ أيضًا: (من السريع)

لَمْ أَصْطَبِرْ بَعْدَكَ مِنْ سَلْوَةٍ | لَكِنْ تَصَبَّرْتُ عَلَى جَمْرِ
وَشِيمَةُ الْعَاقِلِ فِي رُزْئِهِ | أَنْ يَسْبِقَ السَّلْوَةَ بِالصَّبْرِ

وَقَالَ فِي الصَّبْرِ: (من الطويل)

صَبَرْتُ وَمَا بِالصَّبْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى | إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَابٌ وَلا نُكْرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ | عَلَى كَرَمِ الأَخْلَاقِ مَا حُمِدَ الصَّبْرُ

وقال: (من البسيط)

لَوْ كَانَ يَدْرِي الْفَتَى مَكْنُونَ مَا خَبَأَتْ | لَهُ الْمَقَادِيرُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى الْحَذَرِ
وَلَوْ دَرَى أَنَّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ عَنَتٍ | مِنْ خَيْبَةِ الرَّأْيِ لَمْ يَعْتُبْ عَلَى الْقَدَرِ

وقال: (من الطويل)

بَلَوْتُ إِخَاءَ النَّاسِ دَهْرًا فَلَمْ أَجِدْ   أَخَا ثِقَةٍ يَرْعَى مَغِيبِي كَمَحْضَرِي
فَإِنْ أَتَغَيَّرْ عَنْ وِدَادٍ فَإِنَّنِي   أَرَى كُلَّ شَيءٍ عُرْضَةً لِلتَّغَيُّرِ

وَقَالَ لأَحَد الوُلاة فِي يَوْمِ قَطْع سَدِّ النِّيلِ: (من الوافر)

أَيَا مَلِكًا هَمَتْ كَفَّاهُ جُودًا   عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ بَادٍ وَقَارِي
عَرَاكَ النِّيلُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ   فَأَلْبِسْهُ الْكَرَامَةَ فَهْوَ عَارِي

وقال: (من الطويل)

يُسَائِلُنِي عَمَّا كَتَمْتُ مِنَ الْهَوَى   صَدِيقي وَفِي بَعْضِ الإِجَابَةِ مَا يُزْرِي
فَإِنْ لَمْ أَقُلْ حَقًّا كَذَبْتُ عَلَى الْهَوَى   وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي عَاشِقٌ بُحْتُ بِالسِّرِّ

وقال: (من الرجز)

يَا رُبَّ بَيضَاءَ مِنَ الْجَوَارِي   جَاءَتْ بِطِفْلٍ أَسْوَدٍ كَالْقَارِ
أَخْرَجَهُ مِنْ لُجَّةِ الأَنْوَارِ   مَنْ أَخْرَجَ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ
سُبْحَانَهُ مِنْ فَاعِلٍ مُخْتَارِ

وقال: (من الطويل)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَظْتُ مَنْ كَانَ رَاقِدًا   وَأَنْذَرْتُ لَكِنْ لَمْ تَكُنْ تَنْفَعُ النُّذْرُ
نَصَحْتُ فَكَذَّبْتُمْ فَلَمَّا أَتَى الرَّدَى   عَمَدْتُمْ لِتَصْدِيقِي وَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ
فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيكُمُ غَيْرُ حَسْرَةٍ   وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي غَيْرُ مَا عَافَهُ الصَّدْرُ
فَجَاءَ الَّذِي كُنْتُمْ تَخَافُونَ شَرَّهُ   وَزَالَ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهِ شِعْرُ

وقال: (من المتقارب)

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَصْبِرِ
فَلا تَحْسَبَنِّي جَهِلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ
ثَنَتْ عَزْمَتِي ثَوْرَةُ الْمُفْسِدِينَ وَغَلَّتْ يَدِي فَتْرَةُ الْعَسْكَرِ
وَكُنَّا جَمِيعًا فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبَرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِي
وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةَ مُسْتَبْصِرِ
وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْعُنْصُرِ

وقال وَهُوَ فِي السِّجْنِ: (من الرمل)

شَفَّنِي وَجْدِي وَأَبْلَانِي السَّهَرْ وَتَغَشَّتْنِي سَمَادِيرُ الْكَدَرْ
فَسَوَادُ اللَّيْلِ مَا إِنْ يَنْقَضِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ مَا إِنْ يُنْتَظَرْ
لا أَنِيسٌ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَلا خَبَرٌ يَأْتِي وَلا طَيْفٌ يَمُرْ
بَيْنَ حِيطَانٍ وَبَابٍ مُوصَدٍ كُلَّمَا حَرَّكَه السَّجَّانُ صَرْ
يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا لَحِقَتْهُ نَبْأَةٌ مِنِّي اسْتَقَرْ
كُلَّمَا دُرْتُ لأَقْضِي حَاجَةً قَالَتِ الظُّلْمَةُ مَهْلا لا تَدُرْ
أَتَقَرَّى الشَّيءَ أَبْغِيهِ فَلا أَجِدُ الشَّيءَ وَلا نَفْسِي تَقَرْ
ظُلْمَةٌ مَا إِنْ بِهَا مِنْ كَوْكَبٍ غَيرُ أَنْفَاسٍ تَرامَى بِالشَّرَرْ
فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرْ
هِيَ أَنْفَاسٌ تقَضَّى وَالْفَتَى حَيثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرْ

وكتب إلى بَعْضِ أَصْحَابِهِ في صَدْرِ رِسالة: (من الطويل)

لَئِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَنَا شُقَّةُ النَّوَى لَعَمْرِي وَحَالَتْ دُونَنَا نُوَبُ الدَّهْرِ
فَشَخْصُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَسِرُّكَ فِي صَدْرِي

وقال في النَّصيحَةِ: (من الرمل)

مَـنْ طَـلَـبَ الْـعِـزَّ بِـلا آلَـةٍ أَدْرَكَـهُ الـذُّلُّ مَـكـانَ الـظَّـفَـرْ
فَاصْبِرْ عَلَى الْمَكْرُوهِ تَظْفَرْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ حَازَ الْمُنَى مَنْ صَبَرْ
وَقِفْ إِذَا مَا عَرَضَتْ شُبْهَةٌ فَاللُّبْثُ خَيرٌ مِنْ رُكُوبِ الْغَرَرْ
وَلا تَـقُـولَـنَّ لِـشَـيءٍ مَـضَـى يَـا لَـيْـتَـهُ دَامَ وَخُـذْ مَـا حَـضَـرْ
وَلا تُـعَـامِـلْ صَـاحِـبًـا بِـالَّـتِـي تَـرْجِـعُ عَـنـهَـا تَـائِـبًـا تَـعْـتَـذِرْ
وَغُضَّ مِنْ طَرْفِكَ إِنْ خِفْتَهُ فَحَاجِبُ الشَّهْوَةِ غَضُّ الْبَصَرْ

وقال: (من البسيط)

وَنَبْأَةٌ أَطْلَقَتْ عَيْنَيَّ مِنْ سِنَةٍ كَانَتْ حِبَالَةَ طَيْفٍ زَارَنِي سَحَرَا
فَقُمْتُ أَسْأَلُ عَيْنِي رَجْعَ مَا سَمِعَتْ أُذْنِي فَقَالَتْ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْخَبَرَا
ثُمَّ اشْرَأَبَّتْ فَأَلْفَتْ طَائِرًا حَذِرًا عَلَى قَضِيبٍ يُدِيرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا
مُسْتَوْفِزًا يَتَنَزَّى فَوْقَ أَيْكَتِهِ تَنَزِّي الْقَلْبِ طَالَ الْعَهْدُ فَادَّكَرَا
لا تَسْتَقِرُّ لَهُ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ فَكُلَّمَا هَدَأَتْ أَنْفَاسُهُ نَفَرَا
يَهْفُو بِهِ الْغُصْنُ أَحْيَانًا وَيَرْفَعُهُ دَحْوَ الصَّوَالِجِ فِي الدَّيمُومَةِ الأُكَرَا
مَا بَالُهُ وَهْوَ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ لا يَبْعَثُ الطَّرْفَ إِلا خَائِفًا حَذِرَا
إِذَا عَلا بَاتَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ وَإِنْ هَوَى وَرَدَ الْغُدْرَانَ أَوْ نَقَرَا
يَا طَيْرُ نَفَّرْتَ عَنِّي طَيْفَ غَانِيَةٍ قَدْ كَانَ أَهْدَى لِيَ السَّرَّاءَ حِينَ سَرَى
حَوْرَاءُ كَالرِّئْمِ أَلْحَاظًا إِذَا نَظَرَتْ وَصُورَةِ الْبَدْرِ إِشْرَاقًا إِذَا سَفَرَا
زَالَتْ خَيَالَتُهَا عَنِّي وَأَعْقَبَهَا شَوْقٌ أَحَالَ عَلَيَّ الْهَمَّ وَالسَّهَرَا
فَهَلْ إِلَى سِنَةٍ إِنْ أَعْوَزَتْ صِلَةٌ عَوْدٌ نَنَالُ بِهِ مِنْ طَيْفِهَا الْوَطَرَا

وقال: (من السريع)

مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى السَّاهِرِ أَمَا لِهَذَا اللَّيْلِ مِنْ آخِرِ
يَا مُخْلِفَ الْوَعْدِ أَلا زَوْرَةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَقَّ مِنَ الزَّائِرِ
تَرَكْتَنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْهَوَى فِي لُجِّ بَحْرٍ بِالرَّدَى زَاخِرِ

أَسْمَعُ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمُنَى وَأَلْمَحُ الشُّبْهَةَ فِي خَاطِرِي
فَتَارَةً أَهْدَأُ مِنْ رَوْعَتِي وَتَارَةً أَفْزَعُ كَالطَّائِرِ
وَبَيْنَ هَاتَيْنِ شَبَا لَوْعَةٍ لَهَا بِقَلْبِي فَتْكَةُ الثَّائِرِ
فَهَلْ إِلَى الْوُصْلَةِ مِنْ شَافِعٍ أَمْ هَلْ عَلَى الصَّبْوَةِ مِنْ نَاصِرِ
يَا قَلْبُ لا تَجْزَعْ فَإِنَّ الْمُنَى فِي الصَّبْرِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِ

وَقَالَ يُؤَرِّخُ عَوْدَةَ «إِسْماعِيلَ بَاشا» خديو مِصْرَ مِنْ دار الخِلافَةِ العليَّة: (من مجزوء الكامل)

رَجَعَ الْخِدِيو لِمِصْرِهِ وَأَتَتْ طَلائِعُ نَصْرِهِ
وَتَهَلَّلَتْ بِقُدُومِهِ فَرَحًا أَسِرَّةُ عَصْرِهِ
فَلْتَبْتَهِجْ أَوْطَانُهُ بِحُلُولِهِ فِي قَصْرِهِ
وَلْيَشْتَهِرْ تَارِيخُهُ رَجَعَ الْخِدِيو لِمِصْرِهِ

وقال في «محمد توفيق باشا» حِينَ عُيِّنَ ناظِرَ النُّظَّار: (من السريع)

بِكَ اسْتَقَامَتْ مِصْرُ حَتَّى غَدَتْ يَحْمَدُهَا الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ
وَكَيْفَ لا تُبْصِرُ قَصْدَ الْهُدَى حُكُومَةٌ أَنْتَ لَهَا نَاظِرُ

وقال: (من المجتث)

أَغُرَّةٌ تَحْتَ طُرَّهْ أَمْ نُورُ فَجْرٍ بِسُحْرَهْ
وَذَاكَ فَرْعٌ وَنَهْدٌ أَمْ صَوْلَجَانٌ وَأُكْرَهْ
سَمْرَاءُ تَهْفُو بِقَدٍّ كَالرُّمْحِ لِينًا وَسُمْرَهْ
مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَاةِ بِشَبْرَهْ
فَقُلْتُ يَا نُورَ عَيْنِي مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَهْ
فَنَقَّبَتْ وَجْنَتَيْهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرَهْ
وَقَالَتْ اسْكُتْ وَإِلا تَصِيرُ فِي النَّاسِ شُهْرَهْ
فَقُلْتُ هَلْ مِنْ وِصَالٍ يَكُونُ لِلْحُبِّ أُجْرَهْ
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ عَلَى الْخَدِيعَةِ بُكْرَهْ

وقال: (من الخفيف)

غَادَةٌ كَالْمَهَاةِ تَهْفُو بِخَصْرٍ تَحْتَ بَنْدٍ كَمِعْصَمٍ فِي سِوارِ
تِلْكَ عَمْرِي هِيَ الْحَيَاةُ فَلا تُؤْ ثِرْ عَلَيْهَا جَلائِلَ الأَوْطَارِ
فَاقْسِمِ الْعُمْرَ بَيْنَ جَدٍّ وَهَزْلٍ وَوَقَارٍ طَوْرًا وَخَلْعِ عِذَارِ
وَاسْعَ تَبْلُغْ مَا رُمْتَهُ مِنْ نَفِيسٍ فَالْمَسَاعِي مَدَارِجُ الأَحْرَارِ
قَدْ يَنَالُ الْفَتَى إِذَا كَانَ شَهْمًا مُبْتَغَاهُ فِي ضَحْوَةٍ مِنْ نَهَارِ

وقال: (من الطويل)

أُصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي فَإِنْ جَفَا عَتَبْتُ عَلَيهِ غَيرَ جَافٍ وَلا وَعْرِ
فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُدْتُ وَإِنْ أَبَى صَبَرْتُ لأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ
فَإِنْ زَادَنِي هَجْرًا ضَرَبْتُ عَنِ اسْمِهِ وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيهِ وَعَنْ شُكْرِي
وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي أُنَزِّهُ نَفْسِي عَنْ مُلابَسَةِ الْغَدْرِ

وقال: (من البسيط)

لِكُلِّ حَيٍّ نَذِيرٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ يُوحِي إِلَيهِ بِمَا تَعْيَا بِهِ النُّذُرُ
يَرْجُو وَيَخْشَى أُمُورًا لَوْ تَدَبَّرَهَا لَزَالَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأْمِيلُ وَالْحَذَرُ
تَرَاهُ يَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ مُعْتَقِدًا أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَدَيْهِ السَّامُ وَالشَّذَرُ
وَكَيْفَ تَنْقَى ثِيابُ الْمَرْءِ مِنْ دَنَسٍ وَقَلْبُ لابِسِهَا مِنْ غَدْرِهِ قَذِرُ
يَا فَارِسَ الْخَيْلِ كَفْكِفْ عَنْ أَعِنَّتِهَا فَقَدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الأَحْلاسُ وَالْعُذُرُ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَا مَا لَسْتَ تَبْلُغُهُ مِنَ الْبَقَاءِ فَبِئْسَ الْبُطْلُ وَالْهَذَرُ
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ طَالَتْ إِلَى أَمَدٍ وَالدَّهْرُ قُرْحَانُ لا يُبْقِي وَلا يَذَرُ
لا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ وَلا يَدُومُ عَلَيهِ النَّاطِقُ الْبَذِرُ
فَاضْرَعْ إِلَى اللهِ وَاسْتَوهِبْهُ مَغْفِرَةً تَمْحُو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْبِ يَعْتَذِرُ
وَاعْجَلْ وَلا تَنْتَظِرْ تَوْبًا غَدَاةَ غَدٍ فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ تُقْبَلُ الْعِذَرُ
هَيْهَاتَ لا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَمَلٍ هَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا فَاسِدٌ مَذِرُ

وقال: (من الطويل)

أَلا هَتَفَتْ بِالأَيْكِ سَاجِعَةُ الْقُمْرِ ... فَطُفْ بِالْحُمَيَّا فَهْيَ رَيْحَانَةُ الْعُمْرِ
وَإِنْ أَنْتَ أَتْرَعْتَ الأَبَارِيقَ فَلْتَكُنْ ... سُلافًا وَإِيَّاكَ الْفَضِيخَ مِنْ التَّمْرِ
فَقَاتِلَةُ الْعُرْجُونِ لِلْفَاقِدِ النَّدَى ... وَصَافِيَةُ الْعُنْقُودِ لِلْمَاجِدِ الْغَمْرِ
مُوَرَّدَةٌ تَمْتَدُّ مِنهَا أَشِعَّةٌ ... تَدُورُ بِهَا فِي ظِلِّ أَلْوِيَةٍ حُمْرِ
إِذَا شَجَّهَا السَّاقُونَ دَارَ حَبَابُها ... عَلَيْهَا كَمَا دَارَ الشَّرَارُ عَلَى الْجَمْرِ
ثَوَتْ فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ وَالْجَوُّ ظُلْمَةٌ ... بِلا كَوْكَبٍ وَالأَرْضُ تَسْبَحُ في غَمْرِ
فَجَاءَتْ وَلَوْلا عَرْفُهَا وَبَرِيقُهَا ... لَكَانَتْ خَفًا بَيْنَ الدَّسَاكِرِ كَالضَّمْرِ
تُزَفُّ بِأَلْحَانِ الْمَثَانِي كُئُوسُهَا ... كَمَا زُفَّتِ الْحَسْنَاءُ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ
كُمَيْتٌ جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الدَّهْرِ فَانْطَوَتْ ... ثَمِيلَتُهَا وَالْخَيْلُ تُحْمَدُ بِالضُّمْرِ
فَكَمْ بَيْنَ آصَالٍ أَدَرْنَا كُئُوسَهَا ... وَبَيْنَ لَيَالٍ مِنْ كَوَاكِبِها نُمْرِ
إِذَا أَنْتَ قَامَرْتَ الزَّمَانَ عَلَى الْمُنَى ... بِمَا دَارَ مِنْ أَقْدَاحِهَا فُزْتَ بِالْقَمْرِ
فَخُذْ فِي أَفَانِينِ الْخَلاعَةِ وَالصِّبَا ... وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النُّحَاةِ وَمِنْ عَمْرِو
أُولَئِكَ قَوْمٌ فِي حُرُوبٍ تَفَاقَمَتْ ... وَلَكِنْ خَلَتْ مِنْ فَتْكَةِ الْبِيضِ وَالسُّمْرِ
فَمَا تَصْلُحُ الأَيَّامُ إِلَّا إِذَا خَلَتْ ... قُلُوبُ الْوَرَى فِيها مِنَ الْحِقْدِ وَالْغِمْرِ
وَلا تَتَعَرَّضْ لامْرِئٍ بِمَسَاءَةٍ ... وَلا تَحْتَلِبْ ضَرْعَ الشِّقَاقِ وَلا تَمْرِ
وَلا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ بَيْنَ طِمْرِهِ ... فَيا رُبَّ فَضْلٍ يَبْهَرُ الْعَقْلَ فِي طِمْرِ
وَكَيفَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ آمِنًا ... وَلِلْمَوتِ فِينا وَثْبَةُ اللَّيْثِ وَالنِّمْرِ
وَمَا أَحْسَبُ الأَيَّامَ تَصْفُو لِعَاقِلٍ ... وَلَكِنْ صَفَاءُ الْعَيْشِ لِلْجَاهِلِ الْغُمْرِ
سَعَيْتُ فَأَدْرَكْتُ الْمُنَى فِي طِلابِها ... وَكُلُّ امْرِئٍ فِي الدَّهْرِ يَسْعَى إِلَى أَمْرِ

وقال: (من السريع)

نَمَّ الصَّبَا وَانْتَبَهَ الطَّائِرُ ... وَاسْتَحَرَ الصَّاهِلُ وَالْهَادِرُ
وَأَضْحَتِ الأَرْضُ لِفَيْضِ الْحَيَا ... مَصْقُولَةً يَلْهُو بِهَا النَّاظِرُ
تَبْدُو بِهَا أَنْجُمُ زَهْرٍ لَهَا ... مَنَازِلٌ يَجْهَلُهَا الْخَابِرُ
كَأَنَّمَا أَلْبَسَهَا نَثْرَةً ... مِنَ النُّجُومِ الْفَلَكُ الدَّائِرُ

فَقُمْ بِنَا نَلْهُ بِلَذَّاتِنَا ... فَإِنَّمَا الْعَيْشُ لَهُ آخِرُ
وَلا تَقُلْ نَنْظُرُ مَا فِي غَدٍ ... رُبَّ غَدٍ آمِلُهُ خَاسِرُ
فَإِنَّمَا الْعَيْشُ وَلَذَّاتُهُ ... فِي سَاعَةٍ أَنْتَ بِهَا سَادِرُ
لا يَغْنَمُ اللَّذَّةَ غَيْرُ امْرِئٍ ... لَيْسَ لَهُ عَنْ لَهْوِهِ زَاجِرُ
قَدْ خَبَرَ الدَّهْرَ فَمَا غَائِبٌ ... يَجْهَلُهُ مِنْهُ وَلا حَاضِرُ
يَا سَاقِيَيَّ اعْتَوِرَا كَأْسَهَا ... فَلِي بِهَا عَنْ غَيرِهَا عَاذِرُ
حَمْرَاءُ تُلْقِي بِلَحَاظِ الْفَتَى ... صِبْغًا بِهِ يَعْتَرِفُ النَّاكِرُ
تَفْعَلُ بِالشَّارِبِ أَضْعَافَ مَا ... جَرَّ عَلَى عُنْقُودِهَا الْعَاصِرُ
عَتَّقَهَا الدُّهْقَانُ فِي دَيْرِهِ ... حِينًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا شَاعِرُ
شَجٍ بِهَا يَكْتُمُهَا نَفْسَهُ ... وَهْوَ لِيَرْضَاهَا غَدًا صَابِرُ
حَتَّى إِذَا تَمَّتْ مَوَاقِيتُهَا ... وَزَالَ عَنْهَا الزَّبَدُ الْمَائِرُ
جَاءَتْ وَقَدْ شَاكَلَهَا كَأْسُهَا ... فَاشْتَبَهَ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ
بِمِثْلِهَا تُعْجِبُنِي صَبْوَتِي ... وَيَزْدَهِينِي اللَّيْلُ وَالسَّامِرُ
فَمَا لِهَذِي النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ ... عَمَّا إِلَيهِ يَنْتَهِي السَّائِرُ
أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ مَضَتْ قَبْلَهُمْ ... مِنْ أُمَمٍ لَيْسَ لَهَا ذَاكِرُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَمْرِ مِنْ حِكْمَةٍ ... فَفِيمَ هَذَا الشَّغَبُ الثَّائِرُ
كُلُّ امْرِئٍ أَسْلَمَهُ عَقْلُهُ ... فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ نَاصِرُ

وقال: (من الطويل)

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... وَقَطَّعَ أَنْفَاسَ الْمُقِيمِ الْمُسَافِرُ
تَحَوَّلَ رَاعِي الصَّبْرِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ... وَبَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ النَّوَاظِرُ

وقال في الهجاء: (من البسيط)

يَا بْنَ الَّذِي رَهَنَ الْخَمَّارَ سُبْحَتَهُ ... يَوْمَ الْعرُوبَةِ في عَدِّ الْقَوارِيرِ
مَا زَالَ يَشْرَبُ خَمْرًا غَيْرَ مُدَّكِرٍ ... إِثْمًا وَيَأْكُلُ سُحْتًا غَيْرَ مَنْحُورِ
حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ السُّكْرُ قَامَ إِلَى ... فَيَّاضَةِ الْقَرْءِ لَمْ تُعْهَدْ بِتَطْهِيرِ
فَكُنْتَ نُطْفَةَ سُوءٍ قَدْ تَعَجَّلَهَا ... دَاعِي الْغَوَايَةِ مِنْ خَمْرٍ وَخَنْزِيرِ

وقال: (من الكامل)

يَا أَيُّهَا السَّرِفُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ كَسَفِينَةٍ فِي لُجِّ بَحْرٍ ماخِرَهْ
أَتَظُنُّ أَنَّ الْفَخْرَ ثَوْبٌ مُعْلَمٌ تَزْهُو بِلِبْسَتِهِ وَقِدْرٌ باخِرَهْ
هَيْهَاتَ ظَنُّكَ فَالْعُلا أُمْنِيَةٌ مِنْ دُونِ مَبْلَغِهَا بِحارٌ زَاخِرَهْ
أَتْلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتِيتَهَا وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ حَسْرَةً فِي الآخِرَهْ
تَاللهِ لَوْ رَاجَعْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً لَوَجَدْتَهَا مِنْ سُوءِ فِعْلِكَ سَاخِرَهْ
حَتَّامَ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ وَلَمْ تَنَلْ مَا أَحْرَزَتْ تِلكَ الْجُدُودُ الْفَاخِرَهْ
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فِعَالِكَ شَاهِدًا يُغْنِيكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ النَّاخِرَهْ

وقال يذم: (من المجتث)

فَعَلْتُ خَيْرًا بِقَوْم فَعَامَلُونِي بِضَيْرِ
فَلا تَلُمْنِي إِذَا مَا أَصْبَحْتُ أَلْعَنُ خَيْرِي

وقال في الزُّهْد: (من السريع)

أَلْهَتْكُمُ الدُّنْيَا عَنِ الآخِرَهْ وَهْيَ مِنَ الْجَهْلِ بِكُمْ سَاخِرَهْ
وَغَرَّكُمْ مِنْهَا وَأَنْتُمْ بِكُمْ جُوعٌ إِلَيْهَا قِدْرُهَا الْبَاخِرَهْ
يَمْشِي الْفَتَى تِيهًا وَفِي ثَوْبِهِ مِنْ مَعْطِفَيْهِ جِيفَةٌ جَاخِرَهْ
كَأَنَّهُ فِي كِبْرِهِ سَادِرٌ سَفِينَةٌ فِي لُجَّةٍ مَاخِرَهْ
كَمْ أَنْفُسٍ عَزَّتْ بِسُلْطَانِهَا فِي ما مَضَى وَهْيَ إِذَنْ دَاخِرَهْ
وَعُصْبَةٍ كَانَتْ لأَمْوَالِهَا مَظَنَّةَ الْفَقْرِ بِهَا ذَاخِرَهْ
فَأَصْبَحَتْ يَرْحَمُهَا مَنْ يَرَى وَقَدْ غَنَتْ فِي نِعْمَةٍ فَاخِرَهْ
فَلا جَوَادٌ صَاهِلٌ عَزَّهُمْ يَومًا وَلا خَيْفَانَةٌ شَاخِرَهْ
بَلْ عَمَّ دُنْيَاهُمْ صُرُوفٌ لَهَا مِنَ الرَّدَى أَوْدِيَةٌ زَاخِرَهْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا عَذَابَ اللهِ وَالآخِرَهْ
أَنْتُمْ قُعُودٌ وَالرَّدَى قَائِمٌ يُسْقِيكُمُ بِالْكُوبِ وَالصَّاخِرَهْ
فَانْتَبِهُوا مِنْ غَفَلاتِ الْهَوَى وَاعْتَبِرُوا بِالأَعْظُمِ النَّاخِرَهْ

وقال: (من الطويل)

لَكَ الْحَمْدُ إِنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ وَإِنَّنِي لِصُنْعِكَ يَا رَبَّ السَّمَوَاتِ شَاكِرُ
فَأَنْتَ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ وَهَذَّبْتَنِي حَتَّى اصْطَفَتْنِي الْعَشَائِرُ
فَقَرِّبْ لِيَ الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ وَبَاعِدْنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرُ
فَلَيْسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعٌ وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرُ
وَلا لِامْرِئٍ أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ خَاذِلٌ وَلا لِامْرِئٍ أَوْرَدْتَهُ الْغَيَّ نَاصِرُ
فَإِنْ أَدْرَكَتْ نَفْسِي الْمَرَامَ وَلَمْ أَقُمْ مَقَامَ ضَلِيعٍ بِالَّذِي أَنْتَ آمِرُ
فَلا لاحَ لِي فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ كَوكَبٌ وَلا طَارَ لِي فِي قُنَّةِ الْعِزِّ طَائِرُ

وقال: (من البسيط)

مَنْ خَالَفَ الْحَزْمَ خَانَتْهُ مَعَاذِرُهُ وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ قَلَّ نَاصِرُهُ
وَمَنْ تَرَبَّصَ بِالإِخْوَانِ بَادِرَةً مِنَ الزَّمَانِ فَإِنَّ اللهَ قَاهِرُهُ
لا يَجْمُلُ الْمَرْءُ فِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبٍ مَا لَمْ تَكُنْ فَوْقَ مَرْآهُ سَرَائِرُهُ
وَمَا الصَّدِيقُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ مِثْلُ الصَّدِيقِ الَّذِي يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
قَدْ لا يَفُوهُ الْفَتَى بِالأَمْرِ يُضْمِرُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا تُخْفِي ضَمَائِرُهُ
أَسْتَودِعُ اللهَ عَصْرًا قَدْ خَلَعْتُ بِهِ عُذْرَ الْهَوَى وَهْوَ غَضَّاتٌ مَكَاسِرُهُ
لَمْ يَمْضِ مِنْ حُسْنِهِ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ حَتَّى أَصَابَ سَوَادَ الْقَلْبِ نَاقِرُهُ
كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى حَالٍ نَعِيشُ بِهَا وَالدَّهْرُ مَأْمُونَةٌ فِينَا بَوَادِرُهُ
إِذْ لا صَدِيقَ يَسُرُّ السَّمْعَ غَائِبُهُ وَلا رَفِيقَ يَرُوقُ الْعَيْنَ حَاضِرُهُ
كُنَّا نَوَدُّ انْقِلابًا نَسْتَرِيحُ بِهِ حَتَّى إِذَا تَمَّ سَاءَتْنَا مَصَايِرُهُ
فَالْقَلْبُ مُضْطَرِبٌ فِي مَا يُحَاوِلُهُ وَالْعَقْلُ مُخْتَبَلٌ مِمَّا يُحَاذِرُهُ
قَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ الْمَاضِينَ نَافِعُهُ فَصَارَ فِي الْخَلَفِ الْبَاقِينَ ضَائِرُهُ
مَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِطَالِبِهِ وَأَقْرَبَ الشَّرَّ مِنْ نَفْسٍ تُحَاذِرُهُ
أَكُلَّمَا مَرَّ مِنْ دَهْرٍ أَوَائِلُهُ كَرَّتْ بِمِثْلِ أَوَالِيهِ أَوَاخِرُهُ
إِنْ دَامَ هَذَا أَضَاعَ الرُّشْدَ كَافِلُهُ فِي مَا أَرَى وَأَطَاعَ الْغَيَّ زَاجِرُهُ
تَنَكَّرَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْعُرْفِ وَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى رِيعَ طَائِرُهُ

فَأَهْمَلَ الأَرْضَ جَرَّا الظُّلْمِ حَارِثُهَا ... وَاسْتَرْجَعَ الْمَالَ خَوْفَ الْعُدْمِ تَاجِرُهُ
وَاسْتَحْكَمَ الْهَوْلُ حَتَّى مَا يَبِيتُ فَتًى ... فِي جَوْشَنِ اللَّيْلِ إِلا وَهْوَ سَاهِرُهُ
وَيْلُمِّهِ سَكَنًا لَوْلا الدَّفِينُ بِهِ ... مِنَ الْمَآثِرِ مَا كُنَّا نُجَاوِرُهُ
أَرْضَى بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ ... وَفِي سِوَاهُ الْمُنَى لَوْلا عَشَائِرُهُ
يَا نَفْسُ لا تَجْزَعِي فَالْخَيْرُ مُنْتَظَرٌ ... وَصَاحِبُ الصَّبْرِ لا تَبْلَى مَرَائِرُهُ
لَعَلَّ بُلْجَةَ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا ... بَعْدَ الظَّلامِ الَّذِي عَمَّتْ دَيَاجِرُهُ
إِنِّي أَرَى أَنْفُسًا ضَاقَتْ بِمَا حَمَلَتْ ... وَسَوْفَ يَشْهَرُ حَدَّ السَّيْفِ شَاهِرُهُ
شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ احْتَدَمَتْ ... وَفِي الْجَدِيدَيْنِ مَا تُغْنِي فَوَاقِرُهُ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأْيٍ مَلَكْتُ بِهِ ... عِلْمَ الْغُيُوبِ وَرَأْيُ الْمَرْءِ نَاظِرُهُ

وقال: (من الطويل)

أَبَابِلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ... فَإِنِّي أَرَى فيها عُيُونًا هِيَ السِّحْرُ
نَوَاعِسُ أَيْقَظْنَ الْهَوَى بِلَوَاحِظٍ ... تَدِينُ لَهَا بِالْفَتْكَةِ الْبِيضُ وَالسُّمْرُ
فَلَيْسَ لِعَقْلٍ دُونَ سُلْطَانِهَا حِمًى ... وَلا لِفُؤَادٍ دُونَ غِشْيَانِهَا سِتْرُ
فَإِنْ يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً ... فَذَلِكَ عَصْرُ الْمُعْجِزَاتِ وَذَا عَصْرُ
فَأَيُّ فُؤَادٍ لا يَذُوبُ صَبَابَةً ... وَمُزْنَةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَا قَطْرُ
بِنَفْسِي وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ رَبِيبَةٌ ... مِنَ الْعِينِ فِي أَجْفَانِ مُقْلَتِهَا فَتْرُ
فَتَاةٌ يَرِفُّ الْبَدْرُ تَحْتَ قِنَاعِهَا ... وَيَخْطِرُ فِي أَبْرَادِهَا الْغُصْنُ النَّضْرُ
تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ فِي أُقْحُوانَةٍ ... مُفَلَّجَةِ الأَطْرَافِ قِيلَ لَهَا ثَغْرُ
تَدِينُ لِعَيْنَيْهَا سَوَاحِرُ بَابِلٍ ... وَتَسْكَرُ مِنْ صَهْبَاءِ رِيقَتِهَا الْخَمْرُ
فَيَا رَبَّةَ الْخِدْرِ الَّذِي حَالَ دُونَهُ ... ضَرَاغِمُ حَرْبٍ غَابُهَا الأَسَلُ السُّمْرُ
أَمَا مِنْ وِصَالٍ أَسْتَعِيذُ بِأُنْسِهِ ... نَضَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَفْسَدَهُ الْهَجْرُ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكِ عَالِمًا ... بِأَنَّ جُنُونِي فِي هَوَاكِ هُوَ الْفَخْرُ
فَلا تَحْسَبِي شَوْقِي فُكَاهَةَ مَازِحٍ ... فَمَا هُوَ إِلا الْجَمْرُ أَوْ دُونَهُ الْجَمْرُ
هَوًى كَضَمِيرِ الزَّنْدِ لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي ... تَأَخَّرَ عَنْ سُقْيَاهُ لاحْتَرَقَ الصَّدْرُ
إِذَا مَا أَتَيْتُ الْحَيَّ فَارَتْ بِغَيْظِهَا ... قُلُوبُ رِجَالٍ حَشْوُ آماقِهَا الْغَدْرُ
يَظُنُّونَ بِي شَرًّا وَلَسْتُ بِأَهْلِهِ ... وَظَنُّ الْفَتَى مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وِزْرُ

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ إِنْ تَرَنَّمَ شَاعِرٌ بِقَافِيَةٍ لا عَيْبَ فِيهَا وَلا نُكْرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَها وَيُبْلَى فَلا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ حُرُّ
وَأَيُّ نَكِيرٍ فِي هَوًى شَبَّ وَقْدُهُ بِقَلْبِ أَخِي شَوْقٍ فَبَاحَ بِهِ الشِّعْرُ
فَلا يَبْتَدِرْنِي بِالْمَلَامَةِ عَاذِلٌ فَإِنَّ الْهَوَى فِيهِ لِمُعْتَذِرٍ عُذْرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْلٌ عَلَى النُّهَى لَمَا ذَلَّ حَيٌّ لِلْهَوَى وَلَهُ قَدْرُ
وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْرًا عَلَى الْهَوَى وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الْحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ
لِيَهْنَ الْهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِهِ وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ صَوْلَةٌ مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حُمْرُ
أَبِيٌّ عَلَى الْحِدْثَانِ لا يَسْتَفِزُّنِي عَظِيمٌ وَلا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذُعْرُ
إِذَا صُلْتُ صَالَ الْمَوْتُ مِنْ وَكَرَاتِهِ وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِهِ الشِّعْرُ

وقال: (من البسيط)

لِلشِّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لا يُغَيِّرُهُ مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرِ
يَسْمُو بِقَوْمٍ وَيَهْوِي آخَرُونَ بِهِ كَالدَّهْرِ يَجْرِي بِمَيْسُورٍ وَمَعْسُورِ
لَهُ أَوَابِدُ لا تَنْفَكُّ سَائِرَةً فِي الأَرْضِ مَا بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَهْجِيرِ
مِنْ كُلِّ عَائِرَةٍ تَسْتَنُّ فِي طَلَقٍ يَغْتَالُ بِالْبَهْرِ أَنْفَاسَ الْمَحَاضِيرِ
تَجْرِي مَعَ الشَّمْسِ فِي تَيَّارِ كَهْرَبَةٍ عَلَى إِطَارٍ مِنَ الأَضْوَاءِ مَسْعُورِ
تُطَارِدُ الْبَرْقَ إِنْ مَرَّتْ وَتَتْرُكُهُ فِي جَوْشَنٍ مِنْ حَبِيكِ الْمُزْنِ مَزْرُورِ
صَحَائِفٌ لَمْ تَزَلْ تُتْلَى بِأَلْسِنَةٍ لِلدَّهْرِ فِي كُلِّ نَادٍ مِنْهُ مَعْمُورِ
يَزْهَى بِهَا كُلُّ سَامٍ فِي أَرُومَتِهِ وَيَتَّقِي الْبَأْسَ مِنْهَا كُلُّ مَغْمُورِ
فَكَمْ بِهَا رَسَخَتْ أَرْكَانُ مَمْلَكَةٍ وَكَمْ بِهَا خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مَغْرُورِ
وَالشِّعْرُ دِيوانُ أَخْلاقٍ يَلوحُ بِهِ مَا خَطَّهُ الْفِكْرُ مِنْ بَحْثٍ وَتَنْقِيرِ
كَمْ شَادَ مَجْدًا وَكَمْ أَوْدَى بِمَنْقَبَةٍ رَفْعًا وَخَفْضًا بِمَرْجُوٍّ وَمَحْذُورِ
أَبْقَى «زُهَيْرٌ» بِهِ مَا شَادَهُ هَرِمٌ مِنَ الْفَخَارِ حَدِيثًا جدَّ مَأْثُورِ
وَفَلَّ «جَرْوَلُ» غَرْبَ «الزِّبرقَانِ» بِهِ فَبَاءَ مِنْهُ بِصَدْعٍ غيرِ مَجْبُورِ
أَخْزَى «جَرِيرٌ» بِهِ حَيَّ النُّمَيْرِ فَمَا عَادُوا بِغَيْرِ حَدِيثٍ مِنْهُ مَشْهُورِ
لَوْلا «أَبُو الطَّيِّبِ» الْمَأْثُورُ مَنْطِقُهُ مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يومًا ذِكْرُ «كَافُورِ»

وقال: (من الوافر)

فُؤَادِي وَالْهَوَى قَدَحٌ وَخَمْرُ   أَمَا فِي ذَاكَ لِي طَرَبٌ وَسُكْرُ
يَلُومُونِي عَلَى كَلَفِي بِلَيْلَى   وَلَيْلَى فِي سَمَاءِ الْحُسْنِ بَدْرُ
لَهَا خَدٌّ بِهِ لِلْحُسْنِ وَرْدٌ   وَلَحْظٌ فِيهِ لِلْمَلَكَيْنِ سِحْرُ
تَضِنُّ عَلَيَّ بِالتَّسْلِيمِ تِيهًا   وَهَلْ فِي سُنَّةِ التَّسْلِيمِ وِزْرُ
يَلُوحُ جَبِينُهَا فِي طُرَّتَيْهَا   كَمَا أَوفَى عَلَى الظَّلْمَاءِ فَجْرُ
وَتَبْسِمُ عَنْ جُمَانٍ فِي عَقِيقٍ   يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الذَّوقِ ثَغْرُ

وقال: (من الطويل)

أَبَى الضَّيْمَ فَاسْتَلَّ الْحُسَامَ وَأَصْحَرَا   وَذُو الْحِلْمِ إِنْ سِيمَ الْهَوَانَ تَنَمَّرَا
وَطَارَتْ بِهِ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ عَزْمَةٌ   أَعَادَتْ جَبِينَ الصُّبْحِ بِالنَّقْعِ أَكْدَرَا
فَرَدَّ ذُبَابَ الْمَشْرَفِيِّ مُثَلَّمًا   وَغَادَرَ صَدْرَ السَّمْهَرِيِّ مُكَسَّرَا
جِلادُ امْرِئٍ آلَى بِقَائِمِ سَيْفِهِ   عَلَى الْمَجْدِ أَنْ يُولِيهِ نَصْرًا مُؤَزَّرَا
جَدِيرٌ إِذَا مَا هَمَّ أَنْ يَكْسُوَ الْقَنَا   وَبِيضَ الظُّبَا ثَوْبًا مِنَ الدَّمِ أَحْمَرَا
وَمَا كُلُّ مَنْ سَاسَ الأَعِنَّةَ فَارِسًا   وَلا كُلُّ مَنْ نَاشَ الأَسِنَّةَ قَسْوَرَا

وقال: (من الخفيف)

حَبَّذَا الرَّاحُ فِي أَوَانِ الْبَهَارِ   وَاقْتِرَانُ الْكُئُوسِ بِالنُّوَّارِ
وَرَنِينُ الأَوْتَارِ فِي فَلَقِ الصُّبْـ   ـحِ وَسَجْعُ الطُّيُورِ فِي الأَوْكَارِ
بَيْنَ جَوٍّ مَعَ الْغَمَائِمِ سَارٍ   وَفَضَاءٍ مَعَ الْجَدَاوِلِ جَارِي
مَنْظَرٌ يَفْتِنُ الْعُقُولَ وَيَجْلُو   صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَالأَبْصَارِ
إِنَّ عَصْرَ الشَّبَابِ فِينَا مُعَارٌ   وَاللَّيَالِي تَرُدُّ كُلَّ مُعَارِ
فَاسْرَحَا وَامْرَحَا فَقَدْ آذَنَتْنَا   نَسَمَاتُ الصَّبَا بِخَلْعِ الْعِذَارِ
وَاغْنَمَا صَفْوَةَ الرَّبِيعِ بِدَارًا   فَالأَمَانِي مَعْقُودَةٌ بِالْبِدَارِ
هُوَ فَصْلٌ تَخْتَالُ فِيهِ غُصُونُ الرْ   رَوضِ فِي حِلْيَةٍ مِنَ الأَزْهَارِ
مَائِسَاتٍ مِثْلَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنْ   نَ ثِيَابٌ دُرِّيَّةُ الأَزْرَارِ

غَـمَـزَتْـهَـا يَـدُ الـصَّـبَـا فَـتَـلَـوَّتْ رَاقِـصَـاتٍ عَـلَـى غِـنَـاءِ الْـقَـمَـارِي
رَشَفَتْ خَمْرَةَ النَّدَى مِنْ كُئُوسِ الز هْـرِ حَـتَّـى تَـمَـايَـلَـتْ مِـنْ خُـمَـارِ
فَانْتَبِهْ يَا نَدِيمُ وَاسْتَصْبِحِ السَّا قِـي بِـكَـأْسٍ تَـفِـيـضُ بِـالأَنْـوَارِ
وَاسْـقِـيَـانِـي وَغَـنِّـيَـانِـي بِـلَـحْـنٍ يَبْعَثُ النَّفْسَ مِنْ إِسَارِ الْوَقَارِ
فَـلَـقَـدْ آذَنَ الـشِّـتَـاءُ بِـسَـيْـرٍ وَاسْـتَـهَـلَّـتْ طَـلائِـعُ الـنُّـوبَـهَـارِ
وَاسْـتَـدَارَ الـنَّـهَـارُ حَـتَّـى تَـسَـاوَتْ كَـفَّـتَـاهُ بَـيْـنَ الـدُّجَـى وَالـنَّـهَـارِ

وقال يَفْتَخِرُ: (من الطويل)

يَلُومُونَنِي فِي الْجُودِ وَالْجُودُ مُزْنَةٌ إِذَا هَمَلَتْ فِي مَوْضِعٍ نَبَتَ الشُّكْرُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَالِ وُسْعَ مَا دَعَتْهُ الْمَعَالِي فَالثَّرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ

وقال: (من الطويل)

أَرَى كُلَّ شَـيءٍ عُرْضَـةً لِـلتَّـغَـيُّـرِ فَمَا بَالُنَا بَعْدَ الْحَقِيقَةِ نَمْتَرِي؟
تَرَسَّمْ فَضَاءَ الأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا عَسَاكَ تَرَى آثَارَ كِسْرَى وَقَيْصَرِ

وقال: (من الطويل)

أَلائِمَتِي كُفِّي الْمَلامَ عَنِ الَّذِي أُحَـاوِلُـهُ مِـنْ رِحْـلَـةٍ وَسِـفَـارِ
فَلَوْلا سُرَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ لَعَاقَهُ عَنِ التِّمِّ لُبْثٌ فِي مَغِيبِ سِرَارِ

قافية الزاي

قال مادحًا ديوانَ «حافظ إبراهيم»: (من الكامل)

هَيْهَاتَ لَيْسَ لِحَافِظٍ مِنْ مُشْبِهِ ... فِي الْقَوْلِ غَيْرُ سَمِيِّهِ الشِّيرَازِي
جَارَاهُ فِي حُسْنِ الْبَيَانِ وَفَاتَهُ ... فِي الْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ بِالإِعْجَازِ
لَبِقٌ بِتَصْرِيفِ الْكَلامِ يَسُوقُهُ ... مَا شَاءَ بَيْنَ سُهُولَةٍ وَعَزَازِ
فَإِذَا تَغَزَّلَ فَالنُّفُوسُ نَوَازِعٌ ... وَإِذَا تَحَمَّسَ فَالْقُلُوبُ نَوَازِي
كَالصَّارِمِ الْبَتَّارِ فِي إِفْرِنْدِهِ ... وَصِقَالِهِ وَالمَارِنِ الْهَزْهَازِ
حَاكَ الْقَرِيضَ بِلَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ ... أَغْنَتْ عَنِ الإِسْهَابِ بِالإِيجَازِ
أَلْفَاظُهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا ... وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الأَعْجَازِ
فَإِذَا تَلاهَا قَارِئٌ لَمْ يَشْتَبِهْ ... فِي الْقَوْلِ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازِ
عَبِقَتْ كَأَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَعَلَّقَتْ ... بِالرَّوْضِ غِبَّ الْعَارِضِ المُجْتَازِ
قَدْ كَانَ جِيدُ القَوْلِ عُطْلًا قَبْلَهُ ... فَحَبَاهُ أَحْسَنَ حِلْيَةٍ وَطِرازِ
مَلَكَتْ مَوَدَّتُهُ القُلُوبَ فَأَصْبَحَتْ ... تَلْقَاهُ بِالتَّوْقِيرِ وَالإِعْزَازِ
لا زَالَ يَبْلُغُ شَأْوَ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... بِمَضَاءِ صَمْصَامٍ وَصَوْلَةِ بَازِ

قافية السين

قال يَصِفُ رَوْضَةَ المقْيَاسِ: (من الكامل)

هَلْ فِي الْخَلاعَةِ وَالصِّبَا مِنْ بَاسِ　　بيْنَ الْخَلِيجِ وَروْضَةِ الْمِقْيَاسِ؟
أَرْضٌ كَسَاهَا النِّيلُ مِنْ إِبْدَاعِهِ　　وَلِبَاسِهِ الْمَوْشِيِّ أَيَّ لِبَاسِ
فَكَأَنَّمَا هَوَتِ الْمَجَرَّةُ بَيْنَهَا　　فَتَشَكَّلَتْ فِي جُمْلَةِ الأَغْرَاسِ
يَتَلَهَّبُ النُّوَّارُ فِي أَطْرَافِهَا　　فَتَخَالُهُ قَبَسًا مِنَ الأَقْبَاسِ
لَوْلَا مِسَاسُ الطَّلِّ أَحْرَقَ ضَوْءُهُ　　ذَيْلَ الْخَمَائِلِ رَطْبِهَا وَالْعَاسِي
تَصْبُو الْعُيُونُ إِلَى سَنَاهُ فَتَرْتَمِي　　مَهْوَى الْفَرَاشَةِ لامِعُ النِّبْرَاسِ
لَوْ شَامَ بَهْجَتَهَا وَحُسْنَ رُوَائِهَا　　فِيمَا أَظُنُّ لَحَارَ عَقْلُ إِيَاسِ
مَلْهَى أَخِي طَرَبٍ وَمَلْعَبُ صَبْوَةٍ　　وَثَرَى بُلَهْنِيَةٍ وَدَارُ أُنَاسِ
مَا كُنْتُ فِي عُمْرِي لأَغْدُوَ نَحْوَهَا　　حَتَّى أَبِيتَ بِهَا صَرِيعَ الْكَاسِ
يَا سَاقِيَيَّ تَنَبَّهَا فَلَقَدْ بَدَا　　فَلَقُ الصَّبَاحِ وَلَاتَ حِينَ نُعَاسِ
طُوفَا عَلَيَّ بِهَا فَقَدْ نَمَّ الصَّبَا　　أَثْنَاءَ رَوْحَتِهِ بِسِرِّ الآسِ
مِنْ خَمْرَةٍ أَفْنَى الزَّمَانُ شَبَابَهَا　　فِي مُخْدَعٍ بِقَرَارَةِ الدِّيمَاسِ
حُبِسَتْ عَنِ الأَبْصَارِ حَتَّى إِنَّهَا　　لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الدَّيْرِ والشَّمَّاسِ
يَنْزُو لِوَقْعِ الْمَاءِ دُرُّ حَبَابِهَا　　نَزْوَ المَعَابِلِ طِرْنَ عَنْ أَقْوَاسِ
فَإِذَا تَعَاوَرَهَا الْمِزَاجُ تَوَجَّسَتْ　　حَذَرَ الْمَهَانَةِ أَيَّمَا إِيجَاسِ
تُشْتَفُّ مِنْ تَحْتِ الْحَبَابِ كَأَنَّهَا　　يَاقُوتَةٌ قَدْ رُصِّعَتْ بِالْمَاسِ
مَا حُلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ عَقْدُ وِكَائِهَا　　لِلشُّرْبِ إِلَّا آذَنَتْ بِعُطَاسِ

لَا يَخْدَعَنَّكَ فِي الْمُدَامَةِ جَاهِلٌ ... إِنَّ الْمُدَامَةَ نُهْزَةُ الأَكْيَاسِ
إِنَّ الْمُدَامَ أَسَاسُ كُلِّ طَرِيفَةٍ ... فاجْعَلْ بِنَاءَ اللَّهْوِ فَوْقَ أَسَاسِ
لَا تَجْمَعُ الأَيَّامُ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ ... فِي الْقَلْبِ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْوَسْوَاسِ
فَاسْتَوْثِقَا أَخَوَيَّ مِنْ شَأْنَيْكُمَا ... وَذَرَا الْمَطِيَّ تَمُورُ بِالإِحْلَاسِ
إِنَّ الْفَلاةَ لَهَا رِجَالٌ غَيْرُنَا ... يَبْغُونَ نَيْلَ الْيُسْرِ بِالإِفْلاسِ
إِنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ فِي هَذَا الْوَرَى ... لَمُقَدَّرٌ وَاللهُ ذُو قِسْطَاسِ
فَعَلامَ يُبْلِي الْمَرْءُ جِدَّةَ عُمْرِهِ ... مُتَقَلِّبًا بَيْنَ الرَّجَا وَالْيَاسِ
أَوَلَيْسَ أَنَّ الْعَيْشَ لُبْسُ عَبَاءَةٍ ... وَسِدَادُ مَسْغَبَةٍ وَنَغْبَةُ حَاسِي
تاللهِ لَوْ عَلِمَ الرِّجَالُ بِمَكْرِهَا ... عِلْمِي لَبَاعُوهَا بِغَيْرِ مِكَاسِ
هِيَ سَاعَةٌ تَمْضِي وَتَأْتِي سَاعَةٌ ... والدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ بِهَذَا النَّاسِ
فَخُذَا مِنَ الأَيَّامِ مَا سَمَحَتْ بِهِ ... لِلنَفْسِ قَبْلَ تَعَذُّرٍ وَشِمَاسِ
وَإِذَا أَرَابَكُمَا الزَّمَانُ بِوَحْشَةٍ ... فَاسْتَمْخِضَاهُ الْيُسْرَ بِالإِينَاسِ
إِنَّ الرَّوَائِمَ لا تَدُرُّ لَبُونُهَا ... إِلَّا بِلِينِ الْمَسْحِ وَالإِبْسَاسِ
فَلَرُبَّ صَعْبٍ حَادَ سَهْلًا بَعْدَمَا ... قُطِعَتْ عَلَيْهِ مَرَائِرُ الأَنْفَاسِ
ما كُلُّ مَا طَلَبَ الْفَتَى هُوَ مُدْرَكٌ ... إِنَّ الأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَقِيَاسِ

وقال (من الطويل)

وَذِي نَخْوَةٍ نَازَعْتُهُ الْكَأْسَ مَوْهِنًا ... عَلَى غِرَّةِ الأَحْرَاسِ واللَّيْلُ دَامِسُ
فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وَأَشْرَبُ مِثْلَهُ ... إِلَى أَنْ هَفَا سُكْرًا وَإِنِّي لَجَالِسُ
فَبِتُّ أَقِيهِ السُّوءَ إِذْ كَانَ صَاحِبِي ... وَأَحْرُسُهُ إِنِّي لَدَى الْخَوْفِ حَارِسُ
لَدَى مَوْطِنٍ لا يَصْحَبُ الْمَرْءَ قَلْبُهُ ... حِذَارًا وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِ الْهَوَاجِسُ
عَدُوٌّ ولَيْلٌ مُظْلِمٌ وَصَوَاهِلٌ ... تَجَاذَبُ فِي أَرْسَانِهَا وتَمَارَسُ
فَلَمَّا اسْتَهَلَّ النُّورُ وَانْحَسَرَ الدُّجَى ... قَلِيلًا وَحَنَّتْ لِلصَّبَاحِ النَّوَاقِسُ
دَنَوْتُ أُفَدِّيهِ وَأَغْمِزُ كَفَّهُ ... بِرِفْقٍ وَأَدْعُو بِاسْمِهِ وَهْوَ نَاعِسُ
فَجَاوَبَنِي وَالسُّكْرُ فِي لَحَظَاتِهِ ... يُسَائِلُ مَاذَا تَبْتَغِي وَهْوَ عَابِسُ
فَقُلْتُ أَفِقْ هَذَا هُوَ الصُّبْحُ مُقْبِلٌ ... عَلَيْنَا وَهَذِي فِي الذَّهَابِ الْحَنَادِسُ
وَنَاوَلْتُهُ كَأْسًا فَمَدَّ بَنَانَهُ ... إِلَيْهَا عَلَى كُرْهٍ بِهِ وَهْوَ آيِسُ

فَمَا ذَاقَهَا حَتَّى تَهَلَّلَ ضَاحِكًا وَأَقْبَلَ مَسْرُورًا بِمَا هُوَ آنِسُ
وَمِنْ شِيَمِي بَذْلُ الْوِدَادِ لأَهْلِهِ كَذَلِكَ أَنِّي فِي الْوِدَادِ أُنَافِسُ

وقال: (من الكامل)

خَلِّ الْمِرَاءَ لِفِتْيَةِ الدَّرْسِ وَاعْكُفْ عَلَى صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ
نُورٌ تَوَقَّدَ بَيْنَ آنِيَةٍ كَبَيَاضِ صُبْحٍ شَفَّ عَنْ شَمْسِ
هِيَ جَوْهَرٌ كَالنَّفْسِ مَا بَرِحَتْ تُهْدِي السُّرُورَ لِكُلِّ ذِي نَفْسِ
قَدْ شَاكَلَتْهَا فَهْيَ تَأْلَفُهَا وَالْجِنْسُ يَأْلَفُ صُحْبَةَ الْجِنْسِ
رَقَّتْ وَدَقَّتْ فِي قَرَارَتِهَا فَسَمَتْ عَنِ الإِدْرَاكِ بِالْحِسِّ
يَسْقِيكَهَا خَنِثٌ شَمَائِلُهُ تَدْعُو إِلَى التَّقْبِيلِ وَاللَّمْسِ
فَاهْنَأْ بِعَيْشٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ الْكَرَى أَو عَالَمِ الْحَدْسِ

وقال: (من السريع)

يَا رُبَّ لَيْلٍ بِتُّ أُسْقَى بِهِ مَشْمُولَةً صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ
كَأَنَّهَا فِي كَأْسِهَا شُعْلَةٌ مَقْبُوسَةٌ مِنْ كَوْكَبِ الشَّمْسِ

وقال: (من الكامل)

أَحِمَى الْجَزِيرَةِ مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَمْ لاحَ ضَوْءُ غَزَالَةِ الإِنْسِ؟
خَرَجَتْ إِلَى الْبُسْتَانِ لاهِيَةً تَخْتَالُ بَيْنَ كَوَاعِبٍ خَمْسِ
فَتَبِعْتُ مَسْرَاهَا عَلَى عَجَلٍ حَتَّى ظَفِرْتُ بِنَظْرَةٍ خَلْسِ
فَسَتَرْنَهَا عَنِّي وَسِرْنَ بِهَا فِي رَوْضَةٍ فَيْنَانَةِ الْغَرْسِ
فَوَقَفْتُ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدٍ وَمَضَتْ عَلَى آثَارِهَا نَفْسِي
تِلْكَ الَّتِي لَوْلَا هَوَايَ بِهَا مَا بِتُّ مِن أَمَلٍ عَلَى يَأْسِ
هَيْهَاتَ أَنْسَى حُسْنَ صُورَتِهَا وحَوادِثُ الأَيَّامِ قَدْ تُنْسِي

وقال: (من الوافر)

نَزَعْتُ عَنِ الصِّبَا وَعَصَيْتُ نَفْسِي ... وَدَافَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالتَّأَسِّي
وَقُلْتُ لِصَبْوَتِي وَالْعَيْنُ غَرْقَى ... بِأَدْمُعِهَا رُوَيْدَكِ لا تَمَسِّي
فَقَدْ وَلَّى الصِّبَا إِلَّا قَلِيلًا ... أُنَازِعُ سُؤْرَهُ بِفُضُولِ كَأْسِي
وَمَنْ يَكُ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ تَتْرَى ... وأَرْدَفَهَا بِأَرْبَعَةٍ وخَمْسِ
فَقَدْ سَفَرَتْ لِعَيْنَيْهِ اللَّيَالِي ... وَبَانَ لَهُ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ لَبْسِ
نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَكَشَّفَتْ لِي ... قِنَاعًا لاحَ فِيهِ قَتِيرُ رَأْسِي
وَكُنْتُ وَكَانَ فَيْنَانًا أَثِيثًا ... أُنَازِعُ شِرَّتِي وَأَذُودُ بَأْسِي
فَعُدْتُ وَقَدْ ذَوَى مِنْ بَعْدِ لِينٍ ... أُدَارِي صَبْوَتِي وَأُسِرُّ يَأْسِي
فَمَا أَمْسِي كَيَوْمِي حِينَ أَغْدُو ... عَلَى كِبَرٍ وَمَا يَوْمِي كَأَمْسِي
وَمَا الأَيَّامُ إِلَّا صَائِبَاتٌ ... تَمُرُّ بِكُلِّ سَابِغَةٍ وتُرْسِ
أَبَادَتْ قَبْلَنَا إِرَمًا وَعَادًا ... وَطَارَتْ بَيْنَ «ذُبْيَانٍ وَعَبْسِ»
وَأَلْوَتْ «بالمُضَلَّلِ» وَاسْتَمَالَتْ ... عِمَادَ «الشَّنْفَرَى» وَهَوَتْ بِقُسِّ
فَلَا «جَمشِيدُ» دَافَعَ إِذْ أَتَتْهُ ... بِحَادِثِهَا وَلا رَبُّ الدِّرَفْسِ
عَلَى هَذَا يَسِيرُ النَّاسُ طُرًّا ... وَيَبْقَى اللهُ خَالِقُ كُلِّ نَفْسِ

وقال في تَهْنِئَةِ الخديو «عباس باشا حلمي الثاني» بِعيدِ الفِطْرِ: (من الطويل)

أَمَوْلايَ دُمْ لِلْمُلْكِ رَبًّا تَسُوسُهُ ... بِحِكْمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْحِلْمِ وَالْبَاسِ
وَلا زَالَتِ الأَعْيَادُ تَجْرِي سُعُودُهَا ... عَلَيْكَ وَتَحْظَى مِنْ عُلاكَ بِإِينَاسِ
فَلَوْلاكَ مَا فَازَتْ يَدُ الْقُطْرِ بالمُنَى ... وَلا نَشَأَتْ رُوحُ الْعَدَالَةِ فِي النَّاسِ
وَهَذَا لِسَانُ الشُّكْرِ يَدْعُو مُؤَرِّخًا ... حَوَى الْعِيدُ أَنْوَاعَ الْفَخَارِ بعَبَّاسِ

وقال يَهْجُو: (من الطويل)

يَقُولُ أُنَاسٌ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... مَتَى أَصْبَحَ الْوَزَّانُ رَبَّ مَجَالِسِ
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ عُصْبَةً فِي فِنَائِهِ ... تُجَاذِبُهُ أَطْرَافَ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ
فَقُلْتُ لَهُمْ لا تَعْجَبُوا لاجْتِمَاعِهِمْ ... لَدَيْهِ فَإِنَّ الْحُشَّ مَأْوَى الْخَنَافِسِ

وقال: (من الطويل)

أَمَلْتُ رَجَائِي فِي غَدٍ فَانْتَظَرْتُهُ   فَمَا جَاءَ حَتَّى طَالَ حُزْنِي عَلَى أَمْسِي
وَقلَّبْتُ أَمْرِي فِيكَ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ   وَسَائِلُ مَا آتِي بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي

قافية الشين

قال وهو بسرَنْديبَ: (من الطويل)

مَتَى تَرِدُ الْهِيمُ الْخَوَامِسُ مَنْهَلًا ... تَبُلُّ بِهِ الأَكْبَادَ وَهْيَ عِطَاشُ
أَرَى الْغَيْثَ عَمَّ الأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَمَوْضِعُ رَحْلِي لَمْ يُصِبْهُ رَشَاشُ
فَهَلْ نَهْلَةٌ مِنْ جَدْوَلِ النِّيلِ تَرْتَوِي ... بِهَا كَبِدٌ ظَمْآنَةٌ ومُشَاشُ
وَهَلْ مِنْ مَقِيلٍ تَحْتَ أَفْنَانِ سِدْرَةٍ ... لَهَا مِنْ زَرَابِيِّ النَّبَاتِ فِرَاشُ
لَدى أَيْكَةٍ رَيَّا الْغُصُونِ كَأَنَّمَا ... عَلَيْهَا مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ رِياشُ
تَرَى الزَّهْرَ أَلْوَانًا يَطِيرُ مَعَ الصَّبَا ... كَمَا هَاجَ إِبَّانَ الرَّبِيعِ فَرَاشُ
دِيَارٌ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا مُنَعَّمًا ... وَأَطْيَبُ أَرْضِ اللهِ حَيْثُ يُعَاشُ
فَيَا رَبِّ رِشْنِي كَيْ أَعِيشَ مُسَدَّدًا ... فَقَدْ يَسْتَقِيمُ السَّهْمُ حِينَ يُرَاشُ

وقال في الغَزَلِ: (من الوافر)

رَمَيْتُ فَلَمْ أُصِبْ وَرَمَتْ فأَصْمَتْ ... فَيَا عَجَبًا لِسَهْمٍ لا يَطِيشُ
حَوَاجِبُهَا الْقِسِيُّ وَلَحْظَتَاهَا ... بِهَا سَهْمَانِ وَالأَهْدابُ رِيشُ

قافية الصاد

قال يصفُ غَيْضَةً احْتَلَّهَا في «قنديَةَ» أَيَّامَ الحرْب: (من الطويل)

وَمُرْتَبَعٍ لُذْنَا بِهِ غِبَّ سُحْرَةٍ
وَلِلصُّبْحِ أَنْفَاسٌ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ

وَقَدْ مَالَ لِلْغَرْبِ الْهِلالُ كَأَنَّهُ
بِمِنْقَارِهِ عَنْ حَبَّةِ النَّجْمِ يَفْحَصُ

رَقِيقِ حَوَاشِي النَّبْتِ أَمَّا غُصُونُهُ
فَرَيَّا وَأَمَّا زَهْرُهُ فَمُنَصَّصُ

إِذَا عَبَثَتْ أَفْنَانَهُ الرِّيحُ خِلْتَهَا
سَلاسِلَ تُلْوَى أَوْ غَدَائِرَ تُعْقَصُ

كأنَّ صِحَافَ الزَّهْرِ وَالطَّلُّ ذَائِبٌ
عُيُونٌ يَسِيلُ الدَّمْعُ مِنْهَا وَتَشْخَصُ

يَكَادُ نَسِيمُ الْفَجْرِ إِنْ مرَّ سُحْرَةً
بِسَاحَتِهِ الشَّجْراءِ لا يَتَخَلَّصُ

كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ وَالرِّيحُ رَهْوَةٌ
إِذَا رُدَّ فِيهِ سَارِقٌ يَتَرَبَّصُ

يَمُدُّ يَدًا دُونَ الثِّمَارِ كَأَنَّمَا
يُحَاوِلُ مِنْهَا غَايَةً ثمَّ يَنْكُصُ

عَطَفْنَا إِلَيْهِ الْخَيْلَ فَلَّ مَسِيرَةٍ
وَلِلْقَوْمِ طَرْفٌ مِنْ أَذَى السُّهْدِ أَخْوَصُ

فَمَا أَبْصَرَتْهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَمَطَّرَتْ
بِفُرْسَانِهَا وَاسْتَتْلَعَتْ كَيْفَ تَخْلُصُ

مَدَى لَحْظَةٍ حَتَّى أَتَتْهُ وَمَاؤُهُ
عَلَى زَهْرِهِ والظِّلُّ لا يَتَقَلَّصُ

فَمَدَّتْ بِهِ الأَعْنَاقَ تَعْطُو وَتَخْتَلِي
نِهَابًا وَتُغْلِي فِي النَّبَاتِ وَتُرْخِصُ

أَقَمْنَا بِهِ شَمْسَ النَّهَارِ وَكُلُّنَا
عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُجْبِ يَحْرِصُ

فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الشَّمْسَ جُنْحٌ مِنَ الدُّجَى
وَأَعْرَضَ تَيْهُورٌ مِنَ اللَّيْلِ أَعْوَصُ

دَعَوْنَا بِأَسْمَاءِ الْجِيَادِ فَأَقْبَلَتْ
لَوَاعِبَ فِي أَرْسَانِهَا تَتَرَقَّصُ

وَقُمْنَا وَكُلٌّ بَعْدَ مَا كَانَ لَاهِيًا
بِأَظْلالِهِ كُرْهَ الرَّحِيلِ مُنَغَّصُ

يَوَدُّ الْفَتَى أَلَّا يَزَالَ بِنِعْمَةٍ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ مَخْلَصُ

فَللَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ حُسْنِهِ ... وَمَا أَنَا فِيمَا قُلتُهُ أَتَخَرَّصُ
ظَفِرْتُ بِهِ فِي حِقْبَةٍ فَقَنَصْتُهُ ... عَلَى غِرَّةِ الأيَّامِ واللَّهْوُ يُقنَصُ

وقال في الحكمة: (من الرمل)

بَادِرِ الْفُرْصَةَ وَاحْذَرْ فَوْتَهَا ... فَبُلُوغُ الْعِزِّ فِي نَيْلِ الْفُرَصْ
وَاغْتَنِمْ عُمْرَكَ إِبَّانَ الصِّبَا ... فَهُوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَيْبِ نَقَصْ
إِنَّمَا الدُّنْيَا خَيَالٌ عَارِضٌ ... قَلَّمَا يَبْقَى وَأَخْبَارٌ تُقَصْ
تَارةً تَدْجُو وَطَوْرًا تَنْجَلِي ... عَادَةُ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ قَلَصْ
فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ ... بَادَرَ الصَّيْدَ مَعَ الفَجْرِ قَنَصْ
لَنْ يَنَالَ الْمَرْءُ بِالْعَجْزِ الْمُنَى ... إِنَّمَا الْفَوْزُ لِمَنْ هَمَّ فَنَصْ
يَكْدَحُ الْعَاقِلُ فِي مَأْمَنِهِ ... فَإِذَا ضَاقَ بِهِ الأمْرُ شَخَصْ
إِنَّ ذَا الْحَاجَةِ مَا لَمْ يَغْتَرِبْ ... عَنْ حِمَاهُ مِثْلُ طَيْرٍ فِي قَفَصْ
وَلْيَكُنْ سَعْيُكَ مَجْدًا كُلُّهُ ... إِنَّ مَرْعَى الشَّرِّ مَكْرُوهٌ أَحَصْ
وَاتْرُكِ الْحِرْصَ تَعِشْ فِي رَاحَةٍ ... قَلَّمَا نَالَ مُنَاهُ مِنْ حَرَصْ
قَدْ يَضُرُّ الشَّيءُ تَرْجُو نَفْعَهُ ... رُبَّ ظَمْآنَ بِصَفْوِ الْمَاءِ غَصْ
مَيِّزِ الأَشْيَاءَ تَعْرِفْ قَدْرَهَا ... لَيْسَتِ الْغُرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْبَرَصْ
وَاجْتَنِبْ كُلَّ غَبِيٍّ مَائِقٍ ... فَهْوَ كَالْعَيْرِ إِذَا جَدَّ قَمَصْ
إِنَّمَا الْجَاهِلُ فِي الْعَيْنِ قَذًى ... حَيْثُمَا كَانَ وَفِي الصَّدْرِ غَصَصْ
وَاحْذَرِ النَّمَّامَ تَأْمَنْ كَيْدَهُ ... فَهْوَ كَالْبُرْغُوثِ إِنْ دَبَّ قَرَصْ
يَرْقُبُ الشَّرَّ فَإِنْ لَاحَتْ لَهُ ... فُرْصَةٌ تَصْلُحُ لِلْخَتْلِ فَرَصْ
سَاكِنُ الأَطْرَافِ إِلَّا أَنَّهُ ... إِنْ رَأَى مَنْشَبَ أُظْفُورٍ رَقَصْ
وَاخْتَبِرْ مَنْ شِئْتَ تَعْرِفْهُ فَمَا ... يَعْرِفُ الأَخْلاقَ إِلَّا مَنْ فَحَصْ
هَذِهِ حِكْمَةُ كَهْلٍ خَابِرٍ ... فَاقْتَنِصْهَا فَهْيَ نِعْمَ الْمُقْتَنَصْ

وقال في واجبات الحَاكمِ: (من المتقارب)

إِذَا سُدْتَ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ ... سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصَا
وَوَالِ الْكَرِيمَ وَدَارِ السَّفِيهَ ... وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ وَخُذْ مَنْ عَصَى

وَنَقِّبْ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الأُمُورِ   فَإِنَّ مِنَ الحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا
وَلا تُبْقِيَنَّ عَلَى فَاجِرٍ   فَإِنَّ اللِّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا
وَإِنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ   وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَصْحَصَا
وَأَخْلِصَ لِرَبِّكَ فِي كُلِّ مَا   نَوَيْتَ تَجِدْ عِنْدَهُ مَخْلَصَا
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا خَيَالٌ سَرَى   وظِلٌّ إِذَا مَا سَجَا قَلَّصَا

وقال مُفْتَخِرًا: (من الوافر)

لَعَمْرُ أَبيكَ مَا خَفَّتْ حَصَاتِي   لِنَازِلَةٍ وَلا ارْتَعَدَ الْفَرِيصُ
وَمَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي   وَلَكِنْ رُبَّمَا خَابَ الْحَرِيصُ

قافية الضاد

قال في الغَزَلِ: (من السريع)

أَيْنَ لَيَالِينَا بِوَادِي الْغَضَا ... ذَلِكَ عَهْدٌ لَيْتَهُ مَا انْقَضَى
كُنْتُ بِهِ مِنْ عِيشَتِي رَاضِيًا ... حَتَّى إِذَا وَلَّى عَدِمْتُ الرِّضَا
أَيَّامُ لَهْوٍ وَصِبًا كُلَّمَا ... ذَكَرْتُهَا ضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا
فَآهِ مِنْ دَهْرٍ بِأَحْكَامِهِ ... جَارَ عَلَيْنَا وَقَضَى مَا قَضَى
أَيَّ قِنَاعٍ مِنْ شَبَابٍ سَرَا ... وَأَيَّ ثَوْبٍ مِنْ نَعِيمٍ نَضَا
قَدْ بَيَّضَ الأَسْوَدَ مِنْ لِمَّتِي ... يَا لَيْتَهُ سَوَّدَ مَا بَيَّضَا
عَهْدٌ كَطَيْفٍ زَارَ حَتَّى إِذَا ... أَشْرَقَ صُبْحٌ مِنْ مَشِيبِي مَضَى
مَا كَانَ إِلَّا كَنَسِيمٍ سَرَى ... وَعَارِضٍ غَامَ وَبَرْقٍ أَضَا
وَلَّى وَلَمْ يُعْقِبْ سِوَى حَسْرَةٍ ... بَيْنَ الْحَشَا كَالصَّارِمِ الْمُنْتَضَى
لَوْلا الْغَضَا وَهْوَ مَطَافُ الْهَوَى ... مَا شَبَّ فِي قَلْبِيَ جَمْرُ الْغَضَى
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ بِهِ شَادِنًا ... عَذَّبَنِي بِالصَّدِّ بَلْ أَرْمَضَا
مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ ذُو لَحْظَةٍ ... تَعَلَّمَ الْخَطِّيُّ مِنْهُ الْمَضَا
ظَبْيُ حِمًى مُذْ غَرَبَتْ شَمْسُهُ ... عَنْ نَاظِرِي بِالْبَيْنِ مَا غَمَّضَا
قَدْ سَرَّنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلًا ... وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضَا
حَمَّلَنِي مِنْ وَجْدِهِ لَوْعَةً ... لَو نَهَضَ الدَّهْرُ بِهَا خَفَّضَا
قَدْ أَخَذَ النَّوْمَ وَمَا رَدَّهُ ... وَاسْتَلَبَ الْقَلْبَ وَمَا عَوَّضَا
مَا بَالُهُ مَاطَلَ فِي وَعْدِهِ ... أَلَمْ يَحِنْ لِلدَّيْنِ أَنْ يُقْتَضَى

قَاضَيْتُهُ عِنْدَ مَلِيكِ الْهَوَى   فَغَلَّ حَقِّي وَأَسَاءَ الْقَضَا
فَمَنْ لَهُ أَشْكُو وَقَدْ سَامَنِي   جَوْرًا وَحَقُّ الْجَوْرِ أَنْ يُرْفَضَا
تَاللهِ لَوْلا خَوْفُ هِجْرَانِهِ   مَا بَاتَ قَلْبِي عَانِيًا مُحْرَضَا
فَإِنَّ لِي مِنْ عَزْمَتِي صَاحِبًا   يَمْنَعُنِي فِي الرَّوْعِ أَنْ أَدْحَضَا
وَلَسْتُ مِمَّنْ إِنْ دَجَا حَادِثٌ   أَلْقَى زِمَامَ الأَمْرِ أَوْ فَوَّضَا
لَكِنَّنِي أَلْقَى الرَّدَى حَاسِرًا   وَأَصْدَعُ الْخَصْمَ إِذَا عَرَّضَا
أَسْتَحْقِبُ الشَّهْدَ لِمَنْ وَدَّنِي   وَأَنْفُثُ السُّمَّ لِمَنْ أَبْغَضَا
جَرَّدْتُ نَفْسِي لِطِلَابِ الْعُلا   وَالسَّيْفُ لا يُرْهَبُ أَوْ يُنْتَضَى
وَلِي مِنَ الْقَوْلِ نَصِيرٌ إِذَا   دَعَوْتُهُ فِي حَاجَةٍ أَوْفَضَا
سَلْ عَنِّيَ الْمَجْدَ وَلا تَحْتَشِمْ   فَالمَجْدُ يَدْرِي أَيَّ سَيْفٍ نَضَا

وَقَالَ يَصِفُ نَاقَةً مِنَ النُّعْمَانيَّات: (من الوافر)

وَرَوْعَاءِ الْمَسَامِعِ مَا تَمَطَّتْ   بِحَمْلٍ بَيْنَ سَائِمَةٍ مَخَاضِ
خَرَجْتُ بِهَا عَلَى الْبَيْدَاءِ وَهْنًا   خُرُوجَ اللَّيْثِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ
تُقَلِّبُ أَيْدِيًا مُتَسَابِقَاتٍ   إِلَى الْغَايَاتِ كَالْنَّبْلِ الْمَوَاضِي
مَدَدْتُ زِمَامَهَا والصُّبْحُ بَادٍ   فَمَا كَفْكَفْتُهَا وَاللَّيْلُ غَاضِي
فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى   أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَاضِي
أَحَالَ السَّيْرُ جِرَّتَهَا رَمَادًا   فَراحَتْ وَهْيَ خَاوِيَةُ الْوِفَاضِ
وَمَا كَانَتْ لِتسْأَمَ غَيْرَ أَنِّي   رَمَيْتُ بِهَا اعْتِزَامِي واعْتِرَاضِي
هَتَكْتُ بِهَا سُتُورَ اللَّيْلِ حَتَّى   خَرَجْتُ مِنَ السَّوادِ إِلَى الْبَيَاضِ

وقال يَعْتَذِرُ: (من البسيط)

رَبَّ الْفُتُوَّةِ لا تَسْبِقْ إِلَى عَذَلٍ   يَبِيتُ مِنْ مَسِّهِ قَلْبِي عَلَى مَضَضِ
فَإِنْ تَكُنْ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ عَرَضَتْ   فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَانًا عَنِ الْغَرَضِ

وقال: (من الطويل)

إِذَا أَنْتَ أَبْغَضْتَ امْرأً فَاخْشَ ضَرَّهُ   فَـأَنْـتَ لَـدَيْـهِ مِـثْلُ ذَاكَ بَـغِـيـضُ
فَـإِنَّ قُلُوبَ النَّـاسِ تَمْتَازُ فِطْرَةً   فَـمِـنْـهَـا لِـبَـعْـضٍ آلِـفٌ وَنَـقِـيـضُ
وَعَاشِرْ مِنَ الْخُلَّانِ مَنْ كَانَ سَالِمًا   فَـلَـيْـسَ سَـوَاءً سَـالِـمٌ وَمَـرِيـضُ
فَقَدْ لا يُفِيدُ الْقَوْلُ نُصْحًا وَحِكْمَةً   إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ الْقَرِيضِ جَرِيضُ

وقال: (من الطويل)

تَحَبَّبْ إِلَى الإِخْوَانِ بِالْحِلْمِ تَغْتَنِمْ   مَوَدَّتَهُمْ فَالْحِلْمُ لِلشَّرِّ يَرْحَضُ
فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ مَا لَمْ تُجَارِهِ   بِأَفْعَالِهِ وَافَاكَ بِالعُذْرِ يَرْكُضُ

وقال: (من الوافر)

أَبَـيْـتُ الـرَّدَّ لِـلـسُّـؤَالِ عِـلْـمًـا   بِمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَسْطٍ وَقَبْضِ
فَـإِمَّـا عَـائِـلٌ فَـأَصُـونُ مِـنْـهُ   وَإِمَّا فَاجِرٌ فَأَصُونُ عِرْضِـي

وقال: (من البسيط)

رَضِيتُ بِالْبَيْنِ إِيثَارًا عَلَى سَكَنٍ   فِي مَعْشَرٍ وُدُّهُمْ إِنْ أَخْلَصُوا مَرَضُ
فَـمَـا أَسَـيْـتُ لِـشَـيْءٍ كُنْتُ أَمْـلِـكُـهُ   فِي فَقْدِ أَوْجُهِهِمْ عَنْ ثَرْوَتِي عِوَضُ

قافية الطاء

وقال: (من البسيط)

هَلْ فِي الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَنَشْتَرِطُ ... أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَةٌ فِي طَيِّهَا قَنَطُ؟
نَبْكِي عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ثُمَّ يُضْحِكُنَا ... مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بُقْيَا فَنَخْتَلِطُ
وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الأَيَّامِ عَافِيَةً ... وَصِحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِهَا السَّقَطُ
نَرْعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثًا نَبْتُهُ أَسَفٌ ... لِلرَّائِدِينَ وَرَوْضًا زَهْرُهُ شَطَطُ
فَلا يَغُرَّنْكَ مِنْ دَهْرٍ بَشَاشَتُهُ ... فَإِنَّمَا هُوَ بِشْرٌ تَحْتَهُ سَخَطُ
لا يُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ ... ثَبْتِ الْعَزِيمَةِ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ
إِنْ مَسَّهُ الضَّيْمُ نَاجَى السَّيْفَ مُنْتَصِرًا ... أَوْ هَمَّهُ الأَمْرُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ الثَّبَطُ
فَاقْذِفْ بِنَفْسِكَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهَا ... إِنَّ النَّجَاحَ بِسَعْيِ الْمَرْءِ مُرْتَبِطُ
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الأَلْوَى بِحَاجَتِهِ ... وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا الْهَيَّابَةُ الْخَلِطُ
وَإِنْ شَأَتْكَ الْمُنَى فَاقْنَعْ بِأَقْرَبِهَا ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يُدْرَكُ الْوَسَطُ
لا تَغْفُلَنَّ إِذَا أُمْنِيَّةٌ عَرَضَتْ ... فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِي هَذَا الْوَرَى لَقَطُ
إِنِّي وَإِنْ كَانَتْ الأَيَّامُ قَدْ أَخَذَتْ ... مِنِّي وَأَخْنَى عَلَيَّ الضَّعْفُ وَالشَّمَطُ
فَقَدْ أَذُودُ السَّبَنْتَى عَنْ فَرِيسَتِهِ ... وَأَفْجَأُ الْبَطَلَ الْحَامِي فَأَخْتَبِطُ
وَأَصْدَعُ الْجَيْشَ وَالْفُرْسَانُ مِنْ مَرَحٍ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ بِأَطْرَافِ الْقَنَا نُخُطُ
فَمَا بِنَصْلِي إِنْ لاقَى ضَرِيبَتَهُ ... نَكْلٌ وَلا فِي جَفِيرِي أَسْهُمٌ مُرُطُ
وَرُبَّ يَوْمٍ طَوِيلِ الْعُمْرِ قَصَّرَهُ ... جَرْيُ السَّوَابِقِ والْوَخَّادَةُ النُّشُطُ
كأَنَّمَا الْوَحْشُ مِنْ تَلْهَابِ جَمْرَتِهِ ... مُبَدَّدًا تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَضَى خَبَطُ

تَرَى بِهِ الْقَوْمَ صَرْعَى لا حَرَاكَ بِهِمْ ... كَأَنَّهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا
وَلَـيْـلَـةٍ ذَاتِ تَـهْـتَـانٍ وَأَنْـدِيَـةٍ ... كأنَّمَا الْبَرْقُ فِيهَا صَارِمٌ سَلِطُ
لَفَّ الْغَمَامُ أَقَاصِيهَا بِبُرْدَتِهِ ... وَانْهَلَّ فِي حَجْرَتَيْهَا وَابِلٌ سَبِطُ
بَهْمَاءَ لا يَهْتَدِي السَّارِي بِكَوْكَبِهَا ... مِنَ الْغَمَامِ وَلا يَبْدُو بِهَا نَمَطُ
يَكَادُ يَجْهَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمُ ... لَوْلا صَهِيلُ جِيادِ الْخَيْلِ وَاللَّغَطُ
يَطْغَى بِهَا الْبَرْقُ أَحْيَانًا فَيَزْجُرُهُ ... مُخْرَنْطِمٌ زَجِلٌ مِنْ رَعْدِهَا خَمِطُ
كَأنَّمَا الْبَرْقُ سَوْطٌ وَالْحَيَا نُجُبٌ ... يَلُوحُ فِي جِسْمِها مِنْ مَسِّهِ حَبَطُ
كَأَنهُ صَارِمٌ يَرْفَضُّ مِنْ عَلَقٍ ... بِالأُفْقِ يُغْمَدُ أَحْيَانًا ويُخْتَرَطُ
مَزَّقْتُ جِلْبَابَهَا بِالْخَيْلِ طَالِعَةً ... مِثْلَ الْحَمَائِمِ فِي أَجْيَادِهَا الْعُلُطُ
وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظُلْمَتَهَا ... كَمَا تَخَلَّلَ شَعْرَ اللِّمَّةِ الْوَخَطُ
كَأَنَّهَا وَصَدِيعُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا ... مِنْ جَانِبٍ أَدْهَمٌ قَدْ مَسَّهُ نَبَطُ
وَمَرْبَعٍ لِنسِيمِ الْفَجْرِ هَيْنَمَةٌ ... فِيهِ وَلِلطَّيْرِ فِي أَرْجَائِهِ لَغَطُ
كَأَنَّمَا الْقَطْرُ دُرٌّ فِي جَوَانِبِهِ ... يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الأَزْهارِ يُلْتَقَطُ
وَلِلنَّسِيمِ خِلالَ النَّبْتِ غَلْغَلَةٌ ... كَمَا تَغَلْغَلَ وَسْطَ اللِّمَّةِ الْمُشُطُ
وَالرِّيحُ تَمْحُو سُطُورًا ثُمَّ تُثْبِتُهَا ... فِي النَّهْرِ لا صِحَّةٌ فِيهَا وَلا غَلَطُ
وَلِلسَّماءِ خُيُوطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ ... تَكَادُ تُجْمَعُ بِالأَيْدِي فَتُرْتَبَطُ
كأنَّها وَأَكُفُّ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا ... سُلُوكُ عِقْدٍ تَوَاهَتْ فَهْيَ تَنْخَرِطُ
فالضَّوْءُ مُحْتَبِسٌ وَالْمَاءُ مُنْطَلِقٌ ... وَالْجَوُّ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطُ
لُذْنَا بِأَطْرَافِهِ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ ... عَلَيْهِ وَالنُّورُ بِالظَّلْمَاءِ مُخْتَلِطُ
فِي فِتْيَةٍ رَضِعُوا ثَدْيَ الْوِفَاقِ فَمَا ... فيهِمْ إِذَا مَا انْتَشَوْا جَوْرٌ وَلا شَطَطُ
تَحَالَفُوا فِي صَفَاءِ الْوُدِّ وَاجْتَمَعُوا ... عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَهْرِ وَاشْتَرَطُوا
كَالْغَيْثِ إِنْ وَهَبُوا وَاللَّيْثِ إِنْ وَثَبُوا ... وَالْمَاءِ إِنْ عَدَلُوا وَالنَّارِ إِنْ قَسَطُوا
تَكَشَّفَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ بَعْدَ غُمَّتِهِ ... كَمَا تَكَشَّفَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّفَطُ
مِيلٌ بِأبْصَارِهِمْ نَحْوِي لِيَسْتَمِعُوا ... قَوْلِي وَكُلٌّ لأَمْرِي طَائِعٌ نَشِطُ
إِنْ سِرْتُ سَارُوا وإِنْ أَصْعَدْ إِلَى نَشَزٍ ... كَانُوا صُعُودًا وإِنْ أَهْبِطْ بِهِمْ هَبَطُوا
يَمْشُونَ حَوْلِي كَمَا يَمْشِي الْقَطَا بَدَدًا ... فَإِنْ مَضَى بَقَطٌ مِنْهُمْ أَتَى بَقَطُ
إِنْ يَكْنُفُونِي مِنْ حَوْلِي فَلا عَجَبٌ ... لا يَسْقُطُ الطَّيْرُ إِلَّا حَيْثُ يَلْتَقِطُ

نَمْشِي بِهِ بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عَلَى أَفْنَانِهَا مِنْ بُرُودِ الْيَمْنَةِ الرِّيَطُ
مِثْلِ الطَّوَاوِيسِ فِي أَذْنَابِهَا عَجَبٌ لِلنَّاظِرِينَ وَفِي أَجْيَادِهَا عَنَطُ
كَأَنَّهُنَّ جِمَالاتٌ مُوَقَّرَةٌ تَمُورُ مَوْرًا عَلَى أَثْبَاجِهَا الْغُبُطُ
وَلِلْفَوَاخِتِ فِي أَفْنَانِها هَزَجٌ قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهِنَّ السَّهْلُ والفُرُطُ
خُضْرُ الْجَنَاحَيْنِ وَالأَطْوَاقِ تَحْسَبُهَا أَطْفَالَ مَلْكٍ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ
حَتَّى إِذَا حَلَّ ضَاحِي الْيَوْمِ حَبْوَتَهُ وَكَادَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الْغَرْبِ تَنْهَبطُ
رُحْنَا نَجُرُّ ذُيُولَ العِزِّ ضَافِيَةً وَكُلُّنَا بِنَعِيمِ الْعَيْشِ مُغْتَبِطُ
يَوْمٌ مِنَ الدَّهرِ أَهْوَى لَو بَذَلْتُ لَهُ مَا شَاءَ فِي مِثْلِهِ لَوْ كَانَ يَشْتَرِطُ

وقال: (من الطويل)

تَمَهَّلْ وَلا تَعْجَلْ إِذَا رُمْتَ حَاجَةً فَقَدْ يَلْحَقُ الْخُسْرَانُ مَن يَتَوَرَّطُ
فَذُو الْحَزْمِ يَرْعَى الْقَصْدَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَذُو الْجَهْلِ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفَرِّطُ

قافية الظاء

قَالَ فِي الْغَزَل: (من الكامل)

سَكِرَتْ بِخَمْرِ حَدِيثِكِ الأَلْفَاظُ وَتَكَلَّمَتْ بِضَمِيرِكِ الأَلْحَاظُ
يَا دُمْيَةً لَوْلا التَّقِيَّةُ لَاسْتَوَتْ فـي حُبِّهَا الْفُتَّاكُ والْوُعَّاظُ
مَا لِي مَنَحْتُكِ خُلَّتِي وَجزَيْتِني نَارًا لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شُوَاظُ
هَلَّا مَنَنْتِ إِذِ امْتَلَكْتِ فطَالَمَا مَنَّ الْكَرِيمُ وَقَلْبُهُ مُغْتَاظُ
فَلَقَدْ هَجَرْتُ إِلَيْكِ جُلَّ عَشِيرَتِي فَقُلُوبُهُمْ أَبَدًا عَلَيَّ غِلاظُ
وَنَفَيْتِ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَ فَمَا لَهَا غَيْرَ الْمَدَامِعِ وَالسُّهَادِ لَمَاظُ
هَذَا وَمَا اخْتَضَبَتْ لِغَيْرِكِ أَسْهُمٌ بِدَمِي وَلا احْتَكَمَتْ عَلَيَّ لِحَاظُ
فَعَلامَ تَسْتَمِعِينَ مَا يَأْتِي بِهِ عَنِّي إِلَيْكِ الْحَاسِدُ الجَوَّاظُ
فَصِلِي مُحِبًّا مَا أَصَابَ خَطِيئَةً فِي دِينِ حُبِّكِ وَالْغَرَامُ حِفَاظُ
يَهْوَاكِ حَتَّى لا يَمِيلُ بِطَبْعِهِ فِـي حُبِّكِ الإِيذَاءُ وَالإِحْفَاظُ
نَابي الْمَضَاجِعِ لا تَزُورُ جُفُونَهُ سِنَةُ الْكَرَى وَأُولُو الْهَوَى أَيْقَاظُ
مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضَهُ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ لَفَاظُوا
فَإِذَا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِيمَا جَرَى مِنْ دَمْعِهِ وَإِذَا تَنَفَّسَ قَاظُوا
هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ تِلْكَ الصُّدُورُ وَقَلَّتِ الْحُفَّاظُ

وقال: (من الطويل)

مَتَى يَجِدُ الإِنْسَانُ خِلًّا مُوَافِقًا يُخَفِّفُ عَنْهُ كُلْفَةَ الْمُتَحَفِّظِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ بَيْنَ مُخَادِعٍ لإِخْوَانِهِ أَوْ حَاسِدٍ مُتَغَيِّظِ

وقال: (من مجزوء الخفيف)

مَنْ لِقَلْبِي بِشَادِنٍ لَمْ يُمَتَّعْ بِحَظِّهِ
قَدْ سَبَانِي بِطَرْفِهِ وَشَجَانِي بِلَفْظِهِ
كُلُّ شَيْءٍ سَيَرْعَوِي غَيْرَ قَلْبِي وَلَحْظِهِ

وقال: (من الخفيف)

أَنْتَ مِنِّي مَا بَيْنَ فِكْرٍ ولَفْظِ فَمَتَى يَشْتَفِي بِقُرْبِكَ لَحْظِي
غِبْتَ عَنِّي مَدَى ثَلاثٍ فَزَادَتْ حَسَرَاتِي وغَابَ أُنْسِي وَحَظِّي
فَأَجِبْ دَعْوَتِي وَلا تَنْسَ وَعْدًا لَكَ بِالْوَصْلِ لَا يَزَالُ بِحِفْظِي

قافية العين

وقال: (من الطويل)

مَتَى أنتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الْغَيِّ نَازِعُ … وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الأبِيَّةِ وَازِعُ

أَلا إِنَّ فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً … لِكُلِّ أَخِي لَهْوٍ عَنِ اللَّهْوِ رَادِعُ

فَحَتَّامَ تُصْبِيكَ الْغَوَانِي بِدَلِّهَا … وتَهْفُو بِلِيتَيْكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ

أَمَا لَكَ فِي الْمَاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِرٌ … يَكُفُّكَ عَنْ هَذَا بَلَى أَنْتَ طَامِعُ

وَهَلْ يَسْتَفِيقُ الْمَرْءُ مِنْ سَكْرَةِ الصِّبَا … إِذَا لَمْ تُهَذِّبْ جَانِبَيْهِ الْوَقَائِعُ

يَرَى الْمَرْءُ عُنْوَانَ الْمَنُونِ بِرَأْسِهِ … وَيَذْهَبُ يُلْهِي نَفْسَهُ وَيُصَانِعُ

أَلا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَارِبٌ … تَدِبُّ وَهَذَا الدَّهْرُ ذِئْبٌ مُخَادِعُ

فَلا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةَ هَازِلٍ … فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ

فَيَا رُبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهْوَ آمِنٌ … وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ

فَفِيمَ اقْتِنَاءُ الدِّرْعِ وَالسَّهْمُ نَافِذٌ … وَفِيمَ ادِّخَارُ الْمَالِ وَالْعُمْرُ ضَائِعُ

يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الأَرْضَ كُلَّهَا … إِلَيْهِ وَلَمَّا يَدْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ حَتْفًا لِرَبِّهِ … وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ

أَلَا إِنَّمَا الأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِها … فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ وَيُرْزَقُ وَادِعُ

فَلا تَقْعُدَنْ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غِبَّهُ … عَلَى حَسْرَةٍ فَاللهُ مُعْطٍ وَمَانِعُ

فَلَو أَنَّ مَا يُعْطِي الْفَتَى قَدْرُ نَفْسِهِ … لَمَا بَاتَ رِئْبَالُ الشَّرَى وَهْوَ جَائِعُ

وَدَعْ كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ … يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَازِعُ

فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِي أَنَا عَالِمٌ … قَدِيمًا وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ نَافِعُ

وَلَسْتُ بِعَلَّامِ الْغُيُوبِ وإنَّمَا … أَرَى بِلِحَاظِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ
وَذَرْهُمْ يَخُوضُوا إِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ … لَهُمْ بَيْنَهَا عَمَّا قَلِيلٍ مَصَارِعُ
فَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ مَا هُوَ كَائِنٌ … لَمَا نَامَ سُمَّارٌ وَلا هَبَّ هَاجِعُ
وَمَا هَذِهِ الأَجْسَامُ إِلَّا هَيَاكِلٌ … مُصَوَّرَةٌ فِيهَا النُّفُوسُ وَدَائِعُ
فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الأَقْدَمُونَ تَسَنَّمُوا … قِلالَ الْعُلا فَالأَرْضُ مِنْهُمْ بَلاقِعُ
مَضَوْا وَأَقَامَ الدَّهْرُ وَانْتَابَ بَعْدَهُمْ … مُلُوكٌ وَبَادُوا وَاسْتَهَلَّتْ طَلائِعُ
أَرَى كُلَّ حَيٍّ ذَاهِبًا بِيَدِ الرَّدَى … فَهَلْ أَحَدٌ مِمَّنْ تَرَحَّلَ رَاجِعُ
أُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ أَسْأَلُ عَنْهُمُ … فَهَلْ أَنْتَ يَا دَهْرَ الأَعَاجِيبِ سَامِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءً وَلَمْ تُحِرْ … جَوَابًا فَأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أُنَازِعُ
خَيَالٌ لَعَمْرِي لَيْسَ يُجْدِي طِلابُهُ … وَمَأْسَفَةٌ تُدْمَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ
فَمَنْ لِي وَرَوْعَاتُ الْمُنَى طَيْفُ حَالِمٍ … بِذِي خُلَّةٍ تَزْكُو لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ
أُشَاطِرُهُ وُدِّي وَأُفْضِي لِسَمْعِهِ … بِسِرِّي وَأُمْلِيهِ الْمُنَى وَهْوَ رَابِعُ
لَعَلِّي إِذَا صَادَفْتُ فِي الْقَوْلِ رَاحَةً … نَضَحْتُ غَلِيلًا مَا رَوَتْهُ الْمَشَارِعُ
لَعَمْرُ أَبِي وَهْوَ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ … لَمَا اخْتَالَ فَخَّارٌ ولا احْتَالَ خَادِعُ
لَمَا نَازَعَتْنَى النَّفْسُ فِي غَيْرِ حَقِّهَا … وَلا ذَلَّلَتْنِي لِلرِّجَالِ الْمطَامِعُ
وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ … بِذِي تَرَفٍ تَحْنُو عَلَيْهِ الْمَضَاجِعُ
فَلا السَّيْفُ مَفلُولٌ وَلا الرَّأيُ عَازِبٌ … وَلا الزَّنْدُ مَغْلُولٌ وَلا السَّاقُ ظَالِعُ
وَلَكِنَّنِي فِي مَعْشَرٍ لَمْ يَقُمْ بِهِمْ … كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِعُ
لَوَاعِبُ بِالأَسْمَاءِ يَبْتَدِرُونَهَا … سَفَاهًا وَبِالأَلْقَابِ فَهْيَ بَضَائِعُ
وَهَلْ فِي التَّحَلِّي بِالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ … إِذَا لَمْ تُزَيَّنْ بِالْفِعَالِ الطَّبَائِعُ
أُعَاشِرُهُمْ رَغْمًا وَوُدِّي لَوَ انَّ لِي … بِهِمْ نَعَمًا أَدْعُو بِهِ فَيُسَارِعُ
فَيَا قَوْمُ هُبُّوا إِنَّمَا الْعُمْرُ فُرْصَةٌ … وَفِي الدَّهْرِ طُرْقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ
أَصَبْرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمُ … عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللهِ رَاجِعُ
وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ … وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ فِي الأَرْضِ وَاسِعُ
أَرَى أَرْؤُسًا قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا … فَأَيْنَ وَلا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
فَكُونُوا حَصِيدًا خَامِدِينَ أَوِ افْزَعُوا … إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضَّيْمَ دَافِعُ
أَهَبْتُ فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً … إِلَيَّ وَلَبَّانِي الصَّدَى وَهْوَ طَائِعُ

فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ قَبْلَكُمْ تَمَاثِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعُ
فَلا تَدَعُوا هَذِي الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا قَوَارِيرُ مَحْنِيٌّ عَلَيْهَا الأَضَالِعُ
وَدُونَكُمُوهَا صَعْدَةً مَنْطِقِيَّةً تَفُلُّ شَبَا الأَرْمَاحِ وَهْيَ شَوَارِعُ
تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ
فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشُحٌ وَقَلائِدٌ وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ جَوَامِعُ
أَلا إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي لَوْ تَنَزَّلَتْ عَلَى جَبَلٍ أَهْوَتْ بِهِ فَهْوَ خَاشِعُ

وقال: (من الكامل)

أَتُرَى الْحَمَامَ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي وَنَدَى الْغَمَامَةِ يَسْتَهِلُّ لِمَدْمَعِي
مَا لِلنَّسِيمِ بَلِيلَةً أَذْيَالُهُ أَتُرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاوِلِ أَدْمُعِي
بَلْ مَا لِهَذَا الْبَرْقِ مُلْتَهِبَ الْحشَا أَسَمَتْ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي
لَمْ أَدْرِ هَلْ شَعَرَ الزَّمَانُ بِلَوْعَتِي فَرَثَى لَهَا أَمْ هَاجَتِ الدُّنْيَا مَعِي
فَالْغَيْثُ يَهمِي رِقَّةً لِصَبَابَتِي وَالطَّيْرُ تَبْكِي رَحْمَةً لِتَوَجُّعِي
خَطَرَاتُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ بِجَوَانِحِي نَارًا يَدِبُّ أَزِيزُهَا فِي مِسْمَعِي
وَجَوًى كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ لَمْ يَدَعْ لِلصَّبْرِ بَيْنَ مقِيلِهِ مِنْ مَفْزَعِ
يَا أَهْلَ ذَا النَّادِي أَلَيْسَ بِكُمْ فَتًى يَرْثِي لِوَيْلاتِ الْمَشُوقِ الْمُولَعِ
أَبْكِي فَيَرْحَمُنِي الْجَمَادُ وَلا أَرَى خِلًّا يَرِقُّ إِلَى شَكَاتِي أَوْ يَعِي
فَإِذَا دَعَوْتُ بِصَاحِبٍ لَمْ يَلْتفِتْ وَإِذَا لَجَأْتُ إِلَى أَخٍ لَمْ يَنْفَعِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي أَشْكُو الْهَوَى وَالذَّنْبُ لِي فِي كُلِّ مَا أَنَا مُدَّعِي
قَدْ طَالَمَا يَا قَلْبُ قُلْتُ لَكَ احْتَرِسْ أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَخِيبُ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ
أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ فِي حَبَائِلِ خُدْعَةٍ لا تُسْتَقَالُ فَخُذْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعِ
يَا ظَبْيَةَ الْمِقْيَاسِ هَذَا مَدْمَعِي فَرِدِي وَهَذَا رَوْضُ قَلْبِي فَارْتَعِي
إِنْ كَانَ لا يُرْضِيكِ إِلَّا شِقْوَتِي فَلَقَدْ بَلَغْتِ مُنَاكِ مِنْهَا فَاقْنَعِي
أَنَا مِنْكِ بَيْنَ صَبَابَةٍ لا تَنْقَضِي أَيَّامُهَا وَغَوَايَةٍ لَمْ تُقْلِعِ
فَثِقِي بِمَا تُمْلِيهِ أَلْسِنَةُ الْهَوَى وَهْيَ الدُّمُوعُ فَحَقُّهَا لَمْ يُدْفَعِ
لا تَحْسَبِي قَوْلِي خَدِيعَةَ مَاكِرٍ إِنَّ الْوَفِيَّ بِعَهْدِهِ لَمْ يَخْدَعِ
إِنِّي لأَقْنَعُ مِنْ هَوَاكِ بِنَظْرَةٍ وَأَعُدُّهَا صِلَةً إِذَا لَمْ تَمْنَعِي
هَذِي مُنَايَ وَحَبَّذَا لَوْ نِلْتُهَا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَهْيَ أَكْبَرُ مُقْنِعِ

وقال: (من السريع)

هَلْ مِنْ فَتًى يَنْشُدُ قَلْبِي مَعِي ... بَيْنَ خُدُورِ الْعِينِ بِالأَجْرَعِ
كَانَ مَعِي ثُمَّ دَعَاهُ الْهَوَى ... فَمَرَّ بِالْحَيِّ وَلَمْ يَرْجِعِ
فَهَلْ إِذَا نَادَيْتُهُ بِاسْمِهِ ... يُفِيقُ مِنْ سَكْرَتِهِ أَوْ يَعِي
هَيْهَاتَ يَلْقَى رَشَدًا بَعْدَ مَا ... أَغْوَاهُ لَحْظُ الرَّشَإِ الأَتْلَعِ
فَيَا دُمُوعَ الْقَطْرِ سِيلِي دَمًا ... وَيَا بَنَاتِ الأَيْكِ نُوحِي مَعِي
وَأَنْتِ يَا نَسْمَةَ وَادِي الْغَضَى ... مُرِّي بِرَيَّاكِ عَلَى مَرْبَعِي
وَأَنْتِ يَا عُصْفُورَةَ الْمُنْحَنَى ... بِاللَّهِ غَنِّي طَرَبًا وَاسْجَعِي
وَأَنْتِ يَا عَيْنُ إِذَا لَمْ تَفِي ... بِذِمَّةِ الدَّمْعِ فَلا تَهْجَعِي
صَبَابَةٌ أَغْرَتْ عَلَيَّ الأَسَى ... ودَلَّتِ السُّهْدَ عَلَى مَضْجَعِي
ويْلاهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى إِنَّهَا ... لَوْلا دُمُوعِي أَحْرَقَتْ أَضْلُعِي
أَبِيتُ أَرْعَى النَّجْمَ فِي سُدْفَةٍ ... ضَلَّ بِهَا الصُّبْحُ فَلَمْ يَطْلُعِ
لا أَهْتَدِي فِيهَا إِلَى حِيلَةٍ ... تَقِي حَيَاتِي مِنْ يَدَيْ مَصْرَعِي
طَوْرًا أُدَارِي لَوْعَتِي بِالْمُنَى ... وَتَارَةً يَغْلِبُنِي مَدْمَعِي
فَهَلْ إِلَى الأَشْوَاقِ مِنْ غَايَةٍ ... أَمْ هَلْ إِلَى الأَوْطَانِ مِنْ مَرْجَعِ
لا تَأْسَ يَا قَلْبُ عَلَى مَا مَضَى ... لَا بُدَّ لِلمِحْنَةِ مِنْ مَقْطَعِ

وقال: (من الطويل)

فُؤَادٌ بِأَقْمَارِ الأَكِلَّةِ مُولَعُ ... وَعَيْنٌ عَلَى إِثْرِ التَّفَرُّق تَدْمَعُ
وَشَوْقٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ لَوْ شِمْتُ حَدَّهُ ... عَلَى بَطَلٍ لانْقَدَّ مِنْهُ الْمُقَنَّعُ
أُحَاوِلُ كِتْمَانَ الْهَوَى فَتَشِي بِهِ ... غُرُوبٌ مِنَ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ تَهْمَعُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَفْثَةٌ بَابِلِيَّةٌ ... يَكَادُ الصَّفَا مِنْ مَسِّهَا يَتَصدَّعُ
خَلِيلَيَّ هَلْ بَعْدَ الصَّبَابَةِ سَلْوَةٌ ... وَهَلْ لِشَبَابٍ فَاتَ بِالأَمْسِ مَرْجِعُ
أَبِيتُ أُمَنِّي النَّفْسَ طَوْرًا فَتَرْعَوِي ... وَأَتْلُو عَلَيْهَا الْيَأْسَ طَوْرًا فَتَجْزَعُ
وَمَا ذِكْرُ رَيْعَانِ الصِّبَا غَيْرُ حَسْرَةٍ ... تَذِلُّ لَهَا نَفْسُ الْعَزِيزِ وتَخْضَعُ
فَلا رَحِمَ اللهُ الْمَشِيبَ وَعَصْرَهُ ... وَإِنْ كَانَ فِي أَثْنَائِهِ الْحِلْمُ أَجْمَعُ

نَهَارُ مَشِيبٍ سَاءَنِي وَهْوَ أَبْيَضٌ وَلَيْلُ شَبَابٍ سَرَّنِي وَهْوَ أَسْفَعُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ فُؤَادُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِلْبَشَاشَةِ مَوْضِعُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي مَشِيبٍ وَرَاءَهُ هُمُومٌ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْقَلْبِ يَفْزَعُ
لِيَبْكِ الصِّبَا قَلْبِي وَطَرْفِي كِلاهُمَا وَقَلَّ لَهُ مِنِّي نَجِيعٌ وَأَدْمُعُ
زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ إِذَا خَطَرَتْ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تُنْزَعُ

وقال في الغزل: (من المتقارب)

كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ إِفْشَائِهِ فَأَلْهَبَ نَارَ الْغَضَى فِي ضُلُوعِي
فَلَمَّا خَشِيتُ عَلَى مُهْجَتِي أَذَعْتُ الْهَوَى بِلِسَانِ الدُّمُوعِ

وقال: (من الطويل)

أَلا بِأَبِي مَنْ حُسْنُهُ وَحَدِيثُهُ إِذَا مَا الْتَقَيْنَا لَذَّةُ الْعَيْنِ وَالسَّمْعِ
رَأَى مُقْلَتِي تَرْعَى رِيَاضَ جَمَالِهِ فعَاقَبَهَا حَدَّيْنِ بالسُّهْدِ وَالدَّمْعِ

وَقَالَ فِي العِتَابِ: (من المتقارب)

أَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَسْمَعَا فَأَشْكُو إِلَيْكَ نَمُومًا سَعَى
أَطَاعَ لَهُ الْمَاءُ حَتَّى اسْتَقَى وَأَمْكَنَهُ الرِّعْيُ حَتَّى رَعَى
أَتَاكَ فَأَغْشَيْتَهُ مَنْزِلًا رَحِيبًا وَأَرْعَيْتَهُ مِسْمَعَا
فَأَبْدَعَ مَا شَاءَ فِي فِرْيَةٍ تَأَنَّقَ فِي صُنْعِهَا وَادَّعَى
صَنَاعُ اللِّسَانِ خَلُوبُ الْبَيَا نِ يَخْلُقُ مِنْ ضِحْكِهِ أَدْمُعَا
حَرِيصٌ عَلَى الشَّرِّ لا يَنْثَنِي عَنِ الْقَصْدِ مَا لَمْ يَجِدْ مَنْزَعا
يَسِيرُ مَعَ الرِّفْقِ حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ فُرْصَةٍ أَوْضَعَا
وَمَا كَانَ لَوْلا خِلاجُ الظُّنُونِ لِيَرْغَبَ فِي الْقَوْلِ أَوْ يَطْمَعَا
وَلا وَحِفَاظِكَ وَهْوَ الْيَمِيـ ـنُ مَا حُلْتُ عَنْ عَهدِكُمْ إِصْبَعَا
وَلَكِنَّهَا نَزَغَاتُ الْوُشَاةِ أَصَابَتْ هَوًى فَلَوَتْ أَخْدَعَا
وَلَيْسَ مَلامِي عَلَى مَنْ وَشَى وَلَكِنْ مَلامِي عَلَى مَنْ وَعَى

أَيَجْمُلُ بِالْعَهْدِ أَنْ يُسْتَبَاحَ لِوَاشٍ وَلِلْوُدِّ أَنْ يُقْطَعَا
فَشَتَّانَ مَا بَيْنَنَا فِي الْوِدَا دِ خِلٌّ أَضَاعَ وَخِلٌّ رَعَى
وَمَنْ أشرَكَ النَّاسَ فِي أَمْرِهِ دَعَتْهُ الضَّرُورَةُ أَنْ يُخْدَعَا
فَخُذْهَا إِلَيْكَ عِتَابِيَّةً تَرُدُّ عَصِيَّ الْمُنَى طَيِّعَا
وَلَوْلا مَكَانُكَ مِنْ مُهْجَتِي لَمَا قُلْتُ لِابْنِ عِثَارٍ لَعَا

وَقَالَ فِي الْوَدَاعِ: (من الخفيف)

إِنَّ قَلْبِي وَهْوَ الأَبِيُّ دَهَتْهُ فُرْقَةٌ صَيَّرَتْهُ نَهْبًا مُشَاعَا
لا تَرَى غَيْرَ وَاقِفٍ يَسْفَحُ الدَّمْـ ـعَ وَسَاهٍ لا يَسْتَطِيعُ زَمَاعَا
وُصْلَةٌ قَرَّبَتْ بِعَادًا وَبَيْنٌ مِنْ حَبِيبٍ أَجَدَّ فِيهِ اجْتِمَاعَا
كُنْتُ أَخْشَى الْوَدَاعَ حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرْجُو الْوَدَاعَا

وقال: (من الطويل)

إِذَا كَانَ أَمْرُ اللهِ حَتْمًا مُقَدَّرًا فَمَاذَا يُفِيدُ الْحِرْصُ وَالأَمْرُ وَاقِعُ

وقال: (من مجزوء الكامل)

إِنَّ النَّصِيحَةَ لا تَحُضْـ ـضُ عَلَى الأَذَى إِنْ لَمْ تَزَعْ
فَاسْمَعْ فَإِنْ خَيْرًا أَصَبْـ ـتَ فَخُذْ وَإِنْ شَرًّا فَدَعْ

وقال: (من البسيط)

لِكُلِّ قَوْلٍ مَنَارٌ يَسْتَقِيمُ بِهِ عِنْدَ الخِطَابِ فَمَلْفُوظٌ ومَسْمُوعُ
فَالْعَتْبُ إِنْ جَازَ حَدَّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةٌ وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السِّرِّ تَقْرِيعُ

وقَالَ يَرْثِي صَدِيقَهُ «أَحْمَدَ فَارس» وَيُعَزِّي ابْنَهُ: (من الطويل)

مَتَى يَشْتَفِي هَذَا الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ   وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَاحِلٌ لَيْسَ يَرْجِعُ

نَميلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى ظِلِّ مُزْنَةٍ   لَهَا بَارِقٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ

وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْمَرْءُ قَائِمٌ   عَلَى حَذَرٍ مِنْ هَوْلِ مَا يَتَوَقَّعُ

بِنَا كُلَّ يَوْمٍ لِلْحَوَادِثِ وَقْعَةٌ   تَسِيلُ لَهَا مِنَّا نُفُوسٌ وَأَدْمُعُ

فَأَجْسَادُنَا فِي مَطْرَحِ الأَرْضِ هُمَّدٌ   وَأَرْوَاحُنَا فِي مَسْرَحِ الجَوِّ رُتَّعُ

ومِنْ عَجَبٍ أَنَّا نُسَاءُ ونَرْتَضِي   وَنُدْرِكُ أَسْبَابَ الفَنَاءِ وَنَطْمَعُ

وَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ عُقْبانَ أَمْرِهِ   لَهَانَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ ويَفْجَعُ

تَسِيرُ بِنَا الأَيَّامُ وَالْمَوْتُ مَوْعِدٌ   وَتَدْفَعُنَا الأَرْحَامُ والأَرْضُ تَبْلَعُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا لِعِدَاتِهَا   وَفَاءٌ وَلا فِي عَيْشِهَا مُتَمَتَّعُ

أَبَعْدَ سَمِيرِ الْفَضْلِ أَحْمَدَ فَارِسٍ   تَقِرُّ جُنُوبٌ أَوْ يُلائِمُ مَضْجَعُ

كَفَى حَزنًا أَنَّ النَّوَى صَدَعَتْ بِهِ   فُؤَادًا مِنَ الحِدْثَانِ لا يَتَصدَّعُ

وَمَا كُنْتُ مِجْزَاعًا وَلَكِنَّ ذَا الأَسَى   إِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ التَّصَبُّرُ يَجْزَعُ

فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَا   فَفِي كُلِّ قَلْبٍ غُلَّةٌ لَيْسَ تُنْقَعُ

وَأَيُّ فُؤَادٍ لَمْ يَبِتْ لِمُصَابِهِ   عَلَى لَوْعَةٍ أَوْ مُقْلَةٍ لَيْسَ تَدْمَعُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلدَّمعِ فِي الْخَدِّ مَسْرَبٌ   رَوِيٌّ فَمَا لِلْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ عُلُومًا غَزِيرَةً   تَظَلُّ بِهَا هِيمُ الْخَوَاطِرِ تَشْرَعُ

إِذَا تُلِيَتْ آيَاتُهَا فِي مَقَامَةٍ   تَنَافَسَ قَلْبٌ فِي هَوَاهَا ومِسْمَعُ

سَقَى جَدَثًا فِي أَرْضِ لُبْنَانَ عَارِضٌ   مِنَ الْمُزْنِ فَيَّاضُ الْجَدَاوِلِ مُتْرَعُ

فَإِنَّ بِهِ لِلْمَكْرُمَاتِ حُشَاشَةً   طَوَاهَا الرَّدَى فَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُوجَعُ

فَإِنْ يَكُنِ الشِّدْيَاقُ خَلَّى مَكَانَهُ   فَإِنَّ ابْنَهُ عَنْ حَوْزَةِ الْمَجْدِ يَدْفَعُ

وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ فَاضِلًا   يُؤَلِّفُ أَشْتَاتَ الْمَعَالِي وَيَجْمَعُ

رَزِينُ حَصَاةِ الحِلْمِ لا يَسْتَخِفُّهُ   إِلَى اللَّهْوِ طَبْعٌ فَهْوَ بالْجِدِّ مُولَعُ

تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلٌ   تَدُلُّ عَلَى طِيبِ الْخِلالِ وَتَنْزِعُ

فَصَبْرًا جَمِيلًا يَا سَلِيمُ فإِنَّمَا   يُسِيغُ الْفَتَى بِالصَّبْرِ مَا يَتَجَرَّعُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ   فَمَاذَا تُرَاهُ فِي الْمُقَدَّرِ يَصْنَعُ

وَمِثْلُكَ مَنْ رَازَ الأُمُورَ بِعَقْلِهِ   وَأَدْرَكَ مِنْهَا مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

فَلا تُعْطِيَنَّ الْحُزْنَ قَلْبَكَ وَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِصَبْرٍ فَهْوَ فِي الْحُزْنِ أَنْجَعُ
وَهَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبَةً إِلَى النَّفْسِ يَدْعُوهَا الْوَفَاءُ فَتَتْبَعُ
رَعَيْتُ بِهَا حَقَّ الْوِدَادِ عَلَى النَّوَى وَلِلْحَقِّ فِي حُكْمِ البَصِيرَةِ مَقْطَعُ

وَقَالَ يُجِيبُ الأَمِيرَ «شكيب أرسلان» عن قَصِيدَة لَهُ: (من الكامل)

رُدِّي التَّحِيَّةَ يَا مَهَاةَ الأَجْرَعِ وَصِلِي بِحَبْلِكِ حَبْلَ مَنْ لَمْ يَقْطَعِ
وتَرَفَّقِي بِمُتَيَّمٍ عَلِقَتْ بِهِ نَارُ الصَّبَابَةِ فَهْوَ ذَاكِي الأَضْلُعِ
طَرِبِ الْفُؤَادِ يَكَادُ يَحْمِلُهُ الْهَوَى شَوْقًا إِلَيْكِ مَعَ الْبُرُوقِ اللُّمَّعِ
لا يَسْتَنِيمُ إِلَى الْعَزَاءِ وَلا يَرَى حَقًّا لِصَبْوَتِهِ إِذَا لَمْ يَجْزَعِ
ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ إِلَيْكِ رِسَالَةً عُنْوَانُهَا فِي الْخَدِّ حُمْرُ الأَدْمُعِ
فَمَتَى يَبُوحُ بِمَا أَجَنَّ ضَمِيرُهُ إِنْ كُنْتِ عَنْهُ بِنَجْوَةٍ لَمْ تَسْمَعِي
أَصْبَحْتُ بَعْدَكِ فِي دَيَاجِرِ غُرْبَةٍ مَا لِلصَّبَاحِ بِلَيْلِهَا مِنْ مَطْلَعِ
لا يَهْتَدِي فِيهَا لِرَحْلِيَ طَارِقٌ إِلَّا بِأَنَّةِ قَلْبِيَ الْمُتَوَجِّعِ
أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّ لِي عِنْدَ النُّجُومِ رَهِينَةً لَمْ تُدْفَعِ
زُهْرٌ تَأَلَّقُ بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا حَبَبٌ تَرَدَّدَ فِي غَدِيرٍ مُتْرَعِ
وَكَأَنَّهَا حَوْلَ الْمَجَرِّ حَمَائِمٌ بِيضٌ عَكَفْنَ عَلَى جَوَانِبِ مَشْرَعِ
وَتَرَى الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا حَلَقَاتُ قُرْطٍ بِالْجُمَانِ مُرَصَّعِ
بَيْضَاءُ نَاصِعَةٌ كَبَيْضِ نَعَامَةٍ فِي جَوْفِ أُدْحِيٍّ بِأَرْضٍ بَلْقَعِ
وَكَأَنَّهَا أُكَرٌ تَوَقَّدَ نُورُهَا بِالْكَهْرَبَاءَةِ فِي سَمَاوَةِ مَصْنَعِ
وَاللَّيْلُ مَرْهُوبُ الْحَمِيَّةِ قَائِمٌ فِي مِسْحِهِ كَالرَّاهِبِ الْمُتَلَفِّعِ
مُتَوَشِّحٌ بِالنَّيِّرَاتِ كَبَاسِلٍ مِنْ نَسْلِ حَامٍ بِاللُّجَيْنِ مُدَرَّعِ
حَسِبَ النُّجُومَ تَخَلَّفَتْ عَنْ أَمْرِهِ فَوَحَى لَهُنَّ مِنَ الْهِلالِ بِإِصْبَعِ
مَا زِلْتُ أَرْقُبُ فَجْرَهُ حَتَّى انْجَلَى عَنْ مِثْلِ شَادِخَةِ الْكُمَيْتِ الأَتْلَعِ
وَتَرَنَّمَتْ فَوْقَ الأَرَاكِ حَمَامَةٌ تَصِفُ الْهَوَى بِلِسَانِ صَبٍّ مُولَعِ
تَدْعُو الْهَدِيلَ وَمَا رَأَتْهُ وَتِلْكَ مِنْ شِيَمِ الْحَمَائِمِ بِدْعَةٌ لَمْ تُسْمَعِ
رَيَّا الْمَسَالِكِ حَيْثُ أَمَّتْ صَادَفَتْ مَا تَشْتَهِي مِنْ مَجْثَمٍ أَوْ مَرْتَعِ
فَإِذَا عَلَتْ سَكَنَتْ مَظَلَّةَ أَيْكَةٍ وَإِذَا هَوَتْ وَرَدَتْ قَرَارَةَ مَنْبَعِ

أَمْلَتْ عَلَيَّ قَصِيدَةً فَجَعَلْتُهَا / لِشَكِيبَ تُحْفَةَ صَادِقٍ لَمْ يَدَّعِ

هِيَ مِنْ أَهَازِيجِ الْحَمَامِ وَإِنَّمَا / ضَمَّنْتُهَا مَدْحَ الْهُمَامِ الأَرْوَعِ

هُوَ ذَلِكَ الشَّهْمُ الَّذِي بَلَغَتْ بِهِ / مَسْعَاتُهُ أَمَدَ السِّمَاكِ الأَرْفَعِ

نِبْرَاسُ دَاجِيَةٍ وَعُقْلَةُ شَارِدٍ / وَخَطِيبُ أَنْدِيَةٍ وَفَارِسُ مَجْمَعِ

صَدْقُ الْبَيَانِ أَعَضَّ «جَرْوَلَ» بِاسْمِهِ / وَثَنَى «جَرِيرًا» بِالْجَرِيرِ الأَطْوَعِ

لَمْ يَتَّخِذْ بَدْرَ الْمُقَنَّعِ آيَةً / بَلْ جَاءَ خَاطِرُهُ بِآيَةِ يُوشَعِ

أَحْيَا رَمِيمَ الشِّعْرِ بَعْدَ هُمُودِهِ / وَأَعَادَ لِلأَيَّامِ عَصْرَ «الأَصْمَعِي»

كَلِمٌ لَهَا فِي السَّمْعِ أَطْرَبُ نَغْمَةٍ / وَبِحُجْرَةِ الأَسْرَارِ أَحْسَنُ مَوْقِعِ

كَالزَّهْرِ خَامَرَهُ النَّدَى فَتَأَرَّجَتْ / أَنْفَاسُهُ بِالْعَنْبَرِ الْمُتَضَوِّعِ

يَعْنُو لَهَا الْخَصْمُ الأَلَدُّ ويغْتَذِي / بِلِبَانِهَا ذِهْنُ الْخَطِيبِ الْمِصْقَعِ

هِيَ نُجْعَةُ الأدَبِ الَّتِي مَنْ أَمَّهَا / أَلْقَى مَرَاسِيَهُ بِوَادٍ مُمْرِعِ

مَلَكَتْ هَوَى نَفْسِي وَأَحْيَتْ خَاطِرِي / وَرَوَتْ صَدَى قَلْبِي وَلَذَّتْ مسْمَعِي

فَاسْلَمْ شَكِيبُ وَلا بَرِحْتَ بِنِعْمَةٍ / تَحْنُو عَلَيْكَ بِأَيْكِهَا الْمُتَفَرِّعِ

فَلأَنْتَ أَجْدَرُ بِالثَّنَاءِ لِمِنَّةٍ / أَوْلَيْتَهَا والْبِرُّ أَفْضَلُ مَا رُعِي

أَرْهَفْتَ حَدِّي فَهْوَ غَيْرُ مُفَلَّلٍ / وَرَعَيْتَ عَهْدِي فَهْوَ غَيْرُ مُضَيَّعِ

وَبَثَقْتَ لِي مِنْ فَيْضِ بَحْرِكَ جَدْوَلًا / غَمَرَ الْبِحَارَ بِسَيْلِهِ الْمُتَدَفِّعِ

عَذُبَتْ مَوَارِدُهُ فَلَوْ أَلْقَتْ بِهِ / هِيمُ السَّحَابِ دِلاءَهَا لَمْ تُقْلِعِ

وَزَهَتْ فَرَائِدُهُ فَصَارَتْ غُرَّةً / لِجَبِينِ كُلِّ مُتَوَّجٍ وَمُقَنَّعِ

هُوَ ذَلِكَ النَّظْمُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ / أَهْلُ الْبَرَاعَةِ بِالْمَقَالِ الْمُبْدَعِ

أَبْصَرْتُ منْهُ أَخَا «إِيَادٍ» خَاطِبًا / وسَمِعْتُ «عَنْتَرَةَ» الْفَوَارِسِ يَدَّعِي

وَحَلَمْتُ أَنِّي فِي خَمَائِلِ جَنَّةٍ / وَمِنَ الْعَجَائِبِ حَالِمٌ لَمْ يَهْجَعِ

فَضْلٌ رَفَعْتَ بِهِ مَنَارَ كَرَامَةٍ / صَرَفَ الْعُيُونَ عَنِ الْمَنَارِ «لِتُبَّعِ»

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي / وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ غَايَةً مِنْ مَنْزِعِي

فَاعْذِرْ إِذَا قَصَرَ الثَّنَاءُ فَإِنَّنِي / رُزْتُ الْمَقَالَ فَلَمْ أجِدْ مِنْ مَقْنَعِ

لا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي وِشَاءِ سَعَادَةٍ / وَحَبِيرِ عَافِيَةٍ وعَيْشٍ أَمْرَعِ

وقال: (من البسيط)

هَلْ بِالْحِمَى عَنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ مَنْ يَزَعُ ... هَيْهَاتَ قَدْ ذَهَبَ الْمَتْبُوعُ وَالتَّبَعُ
هَذِي الْجَزِيرَةُ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا ... يَنْأَى بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُو بِهِ الطَّمَعُ
أَضْحَتْ خَلاءً وَكَانَتْ قَبْلُ مَنْزِلَةً ... لِلْمُلْكِ مِنْهَا لِوَفْدِ الْعِزِّ مُرْتَبَعُ
فَلا مُجِيبَ يَرُدُّ الْقَوْلَ عَنْ نَبَإٍ ... وَلا سَمِيعَ إِذَا نَادَيْتَ يَسْتَمِعُ
كَانَتْ مَنَازِلَ أَمْلاكٍ إِذَا صَدَعُوا ... بِالأَمْرِ كَادَتْ قُلُوبُ النَّاسِ تَنْصَدِعُ
عَاشُوا بِهَا حِقْبَةً حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ ... طَيْرُ الْحَوَادِثِ مِنْ أَوْكَارِهَا وَقَعُوا
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا مِقْدَارَ مَا فَغَرَتْ ... بِهِ الْحَوَادِثُ مَا شَادُوا وَلا رَفَعُوا
دَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الأَيَّامِ فَانْشَعَبُوا ... أَيْدِي سَبَا وَتَخَلَّتْ عَنْهُمُ الشِّيَعُ
كَانَتْ لَهُمْ عُصَبٌ يَسْتَدْفِعُونَ بِهَا ... كَيْدَ الْعَدُوِّ فَمَا ضَرُّوا وَلا نَفَعُوا
أَيْنَ الْمَعَاقِلُ بَلْ أَيْنَ الْجَحَافِلُ بَلْ ... أَيْنَ الْمَنَاصِلُ وَالْخِطِّيَّةُ الشُّرَعُ
لا شَيْءَ يَدْفَعُ كَيْدَ الدَّهْرِ إِنْ عَصَفَتْ ... أَحْدَاثُهُ أَوْ يَقِي مِنْ شَرِّ مَا يَقَعُ
زَالُوا فَمَا بَكَتِ الدُّنْيَا لِفُرْقَتِهِمْ ... وَلا تَعَطَّلَتْ الأَعْيَادُ وَالْجُمَعُ
وَالدَّهْرُ كَالْبَحْرِ لا يَنْفَكُّ ذَا كَدَرٍ ... وَإِنَّمَا صَفْوُهُ بَيْنَ الْوَرَى لُمَعُ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ فِكْرٌ فِي عَوَاقِبِهِ ... مَا شَانَ أَخْلاقَهُ حِرْصٌ وَلا طَبَعُ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ ... مَنْ لَمْ يَزَلْ بِغُرُورِ الْعَيْشِ يَنْخَدِعُ
دَهْرٌ يَغُرُّ وَآمَالٌ تَسُرُّ وَأَعْـ ... ـمَارٌ تَمُرُّ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ
يَسْعَى الْفَتَى لأُمُورٍ قَدْ تَضُرُّ بِهِ ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَعُ
يَا أَيُّهَا السَّادِرُ الْمُزْوَرُّ مِنْ صَلَفٍ ... مَهْلًا فَإِنَّكَ بِالأَيَّامِ مُنْخَدِعُ
دَعْ مَا يَرِيبُ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ ... لَعَلَّ قَلْبَكَ بِالإِيمَانِ يَنْتَفِعُ
إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ تَخْلَعُهُ ... وَكُلُّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رَثَّ يَنْخَلِعُ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيب: (من البسيط)

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الأَشْوَاقِ مِنْ دَاعِي ... أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ أَسْمَاعِي
مُرْنِي بِمَا شِئْتَ أَبْلُغْ كُلَّ مَا وَصَلَتْ ... يَدِي إِلَيْهِ فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
فَلا وَرَبِّكَ مَا أُصْغِي إِلَى عَذَلٍ ... وَلا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ

إِنِّي امْرُؤٌ لا يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِي ... وَلا تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي

أَجْرِي عَلَى شِيمَةٍ فِي الْحُبِّ صَادِقَةٍ ... لَيْسَتْ تَهُمُّ إِذَا رِيعَتْ بِإِقْلاعِ

لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِهِ ... مِنْ غَدْرِ كُلِّ امْرِئٍ بِالشَّرِّ وَقَّاعِ

بَذَلْتُ فِي الْحُبِّ نَفْسِي وَهْيَ غَالِيَةٌ ... لِبَاخِلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَّاعِ

أَشْكُو إِلَيْهِ وَلا يُصْغِي لِمَعْذِرَتِي ... مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي

وَيْلاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَا ... قَلْبِي وَقَصَّرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بَاعِي

أَسْعَى لَهَا وَهْيَ مِنِّي غَيْرُ دَانِيَةٍ ... وَكَيْفَ يَبْلُغُ شَأْوَ الْكَوْكَبِ السَّاعِي

يَا حَبَّذَا جُرْعَةٌ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ

وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ ... رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ

يَا هَلْ أَرَانِي بِذَاكَ الْحَيِّ مُجتَمِعًا ... بِأَهْلِ وُدِّي مِنْ قَوْمِي وَأَشْيَاعِي

وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِلطِّرَادِ إِلَى ... صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ

مَنَازِلٌ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلَهْنِيَةٍ ... مُمَتَّعًا بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي

إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا ... قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي

يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي ... وَيُرْعَدُ الْجَيْشُ بِاسْمِي قَبْلَ إِيقَاعِي

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لا سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ ... إِذَا رَمَيْتُ وَلا سَيْفِي بِقَطَّاعِ

أَبِيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ ... هَامَ السِّمَاكِ وَفَاتَتْهُ بِأَبْوَاعِ

يَسْتَقْبِلُ الْمُزْنَ لِيتَيْهَا بِوَابِلِهِ ... وَتَصْدِمُ الرِّيحُ جَنْبَيْهَا بِزَعْزَاعِ

يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْسًا وَأَسْفَلُهَا ... مُكَلَّلًا بِالنَّدَى يَرْعَى بِهِ الرَّاعِي

إِذَا الْبُرُوقُ ازْمَهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا ... شَهْمًا تَدَرَّعَ مِنْ تِبْرٍ بِأَدْرَاعِ

تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً ... وَتَحْبِسُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاعِ

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِسًا ... نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعِ

لا فِي سَرَنْدِيبَ خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ ... عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي

يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكًا جَذِلًا ... أَنِّي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلاعِي

وَلا وَرَبِّكَ مَا وَجْدِي بِمُنْدَرِسٍ ... عَلَى الْبِعَادِ وَلا صَبْرِي بِمِطْوَاعِ

لَكِنَّنِي مَالِكٌ حَزْمِي وَمُنْتَظِرٌ ... أَمْرًا مِنَ اللَّهِ يَشْفِي بَرْحَ أَوْجَاعِي

أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَةٌ ... خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَاعِ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادَرَنِي ... رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ

فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَانًا يَسُرُّهُمُ ... قُرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي

قافية الفاء

وقَالَ يُجِيبُ أحد شعراء الهند عَنْ قَصِيدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ يَخْطُبُ بها مَوَدَّتَهُ: (من الطويل)

قَلِيلٌ بِآدَابِ الْمَوَدَّةِ مَنْ يَفِي ... فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرَ صَاحِبًا ... يَدُومُ عَلَى وُدٍّ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
فَهَلْ مِنْ فَتًى يَسْرُو عَنِ الْقَلْبِ هَمَّهُ ... بِشِيمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْمَجْدِ مُسْعِفِ
رَضِيتُ بِمَنْ لا تَشْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ ... ومَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً يَتَكلَّفِ
وَلَوْ أَنَّنِي صَادَفْتُ خِلًّا يَسُرُّنِي ... عَلَى عُدَوَاءِ الدَّارِ لَمْ أتَلَهَّفِ
وَلَكِنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ... مُقِيمًا لَدَى قَوْمٍ عَلَى البُدِّ عُكَّفِ
زَعَانِفُ هَدَّاجُونَ فِي عَرَصَاتِهِمْ ... كَخَيْطِ نَعَامٍ بَيْنَ جَرْدَاءَ صَفْصَفِ
حُفَاةٌ عُرَاةٌ غَيْرَ أَخْلاقِ صُدْرَةٍ ... تَطِيرُ كَنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ الْمُسَدَّفِ
يَمُجُّونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ رَشْحَ مُضْغَةٍ ... كَنَضْحِ دَمٍ يَنْهَلُّ مِنْ أَنْفِ مُرْعَفِ
إِذَا رَاطَنُوا بَعْضًا سَمِعْتَ لِصَوْتِهِمْ ... عَزِيفًا كَجِنٍّ فِي الْمَفَاوِزِ هُتَّفِ
فَهَا أَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ شَمْلٍ مُبَدَّدٍ ... وَمِنْ حَسَرَاتِي بَيْنَ شَمْلٍ مُؤَلَّفِ
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَذْكُرُ جِيرَتِي ... وَأَشْتَاقُ خُلَّانِي وَأَصْبُو لِمَأْلَفِي
فَلا أَنَا أَسْلُو عَنْ هَوَايَ فَأَنْتَهِي ... وَلا أَنَا أَلْقَى مَنْ أُحِبُّ فَأَشْتَفِي
وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ النَّوَى ... لَبَاقٍ عَلَى وُدِّي لِمَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي
سَجِيَّةُ نَفْسٍ لا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى ... وَذِمَّةُ عَهْدٍ بَيْنَ سَيْفٍ وَمُصْحَفِ
وَمَا كُلُّ مَوْشِيِّ الْحَدِيثِ بِصَادِقٍ ... وَلا كُلُّ مَنْسُوبٍ إِلَى الْوُدِّ بِالْوَفِي
تَشَابَهَتِ الأَخْلاقُ إِلَّا بَقِيَّةً ... بِهَا يُعْرَفُ الْمَاضِي مِنَ الْمُتَخَلِّفِ

وَمَا شَرَفُ الإِنْسَانِ إِلَّا بِنَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ تَلِيدٍ وَمُطْرِفِ
وَلَوْ كَانَ نَيْلُ الفَضْلِ سَهْلًا لَزَاحَمَتْ رِجَالُ الْخَنَا أَهْلَ الْعُلا وَالتَّعَطُّفِ
فَإِنْ أَخْلَفَتْ نَفْسٌ طَوِيَّةَ مَا وَأَتْ فَلِي مِنْ عَلِيٍّ صَاحِبٌ غَيْرُ مُخْلِفِ
هُمَامٌ دَعَا بِاسْمِي فَلَبَّيْتُ صَوْتَهُ بِيَا مَرْحَبَاهُ مِنْ فُؤَادٍ مُكَلَّفِ
وَلَوْ صَاحَ بِي فِي غَارَةٍ لَوَزَعْتُهَا عَلَى مَتْنِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ بِمُرْهَفِ
وَلَكِنَّنِي لَبَّيْتُ دَعْوَةَ نَظْمِهِ بِأَسْمَرَ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ مُحَرَّفِ
إِذَا حَرَّكَتْهُ رَاحَتِي فَوْقَ مُهْرَقٍ بِذِكْرِ عُلاهُ بَزَّ كُلَّ مُثَقَّفِ
هُوَ البَطَلُ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ غَايَةٍ يَهَابُ رَدَاهَا الْمَرْءُ قَبْلَ التَّعَسُّفِ
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ بَيَانًا لِقَائِلٍ وَإِنْ سَارَ لَمْ يَتْرُكْ مَجالًا لِمُقْتَفِي
لَهُ قَلَمٌ لَوْ كَانَ لِلسَّيْفِ حَدُّهُ لَفَلَّ حَبِيكَ السَّرْدِ فِي كُلِّ مَوْقِفِ
وَشُعْلَةُ فِكْرٍ لَوْ بِمِثْلِ ضِيَائِهَا أَنَارَ سِرَاجَ الأُفْقِ مَا كَانَ يَنْطَفِي
فَسِيحُ مَجَالِ الْفِكْرِ ثَبْتٌ يَقِينُهُ بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ حُرُّ التَّصَرُّفِ
أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشِّعْرِ دَوْحَةٌ أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرُفِ
إِذَا نَوَّرَتْ أَفْنَانُهَا غِبَّ دِيمَةٍ مِنَ الفِكْرِ جَاءَتْ بِالْبَدِيعِ الْمُفَوَّفِ
تَرَنَّمَ فِيهَا مِنْ ثَنَائِي بُلْبُلٌ بِلَحْنٍ لَهُ فِي السَّمْعِ نَبْرَةُ مِعْزَفِ
حَفِيتُ لَهُ بِالْوُدِّ مِنِّي وَكَيْفَ لا أُسَابِقُهُ فِي وُدِّهِ وَهْوَ بِي حَفِي
تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَ مَا زَالَ أُنْسُهَا وَنَوَّهَ بِاسْمِي بَعْدَ مَا كَادَ يَخْتَفِي
وَحَرَّكَ أَسْلاكَ التَّرَاسُلِ بَيْنَنَا بِسَيَّالِ وُدٍّ لَفْظُهُ لَمْ يُحَرَّفِ
وَفِي النَّاسِ مَعْطُوفٌ عَلَى الوُدِّ قَلْبُهُ وَمِنْهُمْ سَقِيمُ الْعَهْدِ بَادِي التَّحَرُّفِ
تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبْرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
وَمَا حَرَكَاتُ النَّفْسِ إِلَّا دِلالَةٌ عَلَى صِدْقِ مَا قَالُوا بِهِ فِي التَّعَيُّفِ
فَقَدْ تَكْذِبُ الْعَيْنُ الْفَتَى وَهْوَ غَافِلٌ وَيَصْدُقُ ظَنُّ الْعَاقِلِ الْمُتَشَوِّفِ
وَفَيْتُ بِوَعْدِي فِي الثَّنَاءِ وَإِنْ يَكُنْ مَقَالِي بِهَاتِيكَ الْفَضَائِلِ لا يَفِي
وَكَيْفَ وَإِنْ أُوتِيتُ فِي النَّظْمِ قُدْرَةً أَضُمُّ شَتَاتَ الْكَوْنِ فِي بَعْضِ أَحْرُفِ

وقَالَ فِي الغَزَلِ: (من المتقارب)

لَوَى جِيدَهُ وَانْصَرَفْ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفْ
غَـزَالٌ لَـهُ نَـظْـرَةٌ أَعَانَتْ عَلَـيَّ الْكَلَفْ
تَـبَـسَّـمَ عَـنْ لُـؤْلُـؤٍ لَهُ مِنْ عَقِيقٍ صَدَفْ
وَتَـاهَ فَـلَـمْ يَـلْـتَـفِـتْ وَشَأْنُ الْجَمَالِ الصَّلَفْ
جَرَى الْبَنْدُ فِي خَصْرِهِ عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيَفْ
وَمَـا ذَاكَ خَـالٌ بَـدَا وَلَكِنْ وِسَامُ التَّرَفْ
رَآنِـي بِـهِ مُـولَـعًـا فَعَاتَبَنِي وَانْحَرَفْ
وَلَـمْ يَـدْرِ أَنِّـي بِـهِ عَلَى جَمَرَاتِ التَّلَفْ
فَـقُـلْـتُ لَـهُ سَـيِّـدِي تَـرَفَّـقْ بِـصَـبٍّ دَنِفْ
فَـقَـالَ أَخَافُ الْعِدَا فَقُلْتُ لَهُ لا تَـخَـفْ
فَإِنِّي عَفِيفُ الْهَوَى وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَعِفْ
وَأَنْـشَـدْتُـهُ قِـطْـعَـةً وَشِعْرِي إِحْدَى الطُّرَفْ
فَأَصْغَى لَهَا بَاسِمًا وَبَانَ عَلَيْهِ الأَسَفْ
وَنَـمَّـتْ بِـهِ خَـجْـلَـةٌ تَدُلُّ عَلَى مَا اقْتَرَفْ
وَقَـالَ أَهَـذَا الـضَّـنَـى جَنَاهُ عَلَيْكَ الشَّغَفْ
فَقُلْتُ نَعَمْ سَيِّدِي وَأَبْـرَحُ مِـمَّـا أَصِـفْ
فَـصَـدَّقَ لَـكِـنَّـهُ تَـجَـاهَـلَ لَـمَّـا عَـرَفْ
وَقَـالَ أَطَـعْـتَ الْمُـنَـى وَبَعْضُ الأَمَانِي سَرَفْ
وَمَـا كُـلُّ ذِي حَـاجَـةٍ يَفُوزُ بِهَا إِنْ عَكَفْ
فَأَشْفَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَـكِـنَّ رَبِّـي لَـطَـفْ
فَـلَـمَّـا رَأَى أَدْمُـعِـي تَوَالَتْ وَقَلْبِي رَجَفْ
تَبَسَّمَ لِي ضَاحِكًا وَمَانَعَ ثُمَّ انْعَطَفْ
فَـأَغْـرَمْـتُـهُ قُـبْـلَـةً «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفْ»

وقال: (من البسيط)

مَنْ لِي بِظَبْيَةِ خِدْرٍ كُلَّمَا وَعَدَتْ بِزَوْرَةٍ أَعْقَبَتْ لِلْوَعْدِ إِخْلافَا
تَحْكِي الْغَزَالَةَ أَلْحَاظًا إِذَا نَظَرَتْ وَالْوَرْدَ خَدًّا وغُصْنَ الْبَانِ أَعْطَافَا
تَاهَتْ بِنُقْطَةِ خَالٍ فَوْقَ وَجْنَتِهَا زِيدَتْ بِهَا عَشَرَاتُ الْحُسْنِ أَضْعَافَا

وقال: (من الكامل)

بَكَرَ النَّدَى وَتَرَفَّعَ السَّدَفُ وَأَتَتْ وُفُودُ اللَّهْوِ تَخْتَلِفُ
وَدَعَتْ إِلَى شُرْبِ الصَّبُوحِ وَقَدْ رَقَّ الظَّلامُ حَمَائِمٌ هُتُفُ
فَانْهَضْ عَلَى قَدَمِ الرَّبِيعِ فَمَا فِي نَيْلِ أَيَّامِ الصِّبَا سَرَفُ
وَانْظُرْ فَثَمَّ غَمَامَةٌ أُنُفٌ تُولِي الْجَمِيلَ وَرَوْضَةٌ أُنُفُ
زَهْرٌ يَرِفُّ عَلَى كَمَائِمِهِ وَنَدًى يَشِفُّ وَمُزْنَةٌ تَكِفُ
فَالطَّلُّ مُنْتَشِرٌ وَمُنْتَظِمٌ وَالْغُصْنُ مُفْتَرِقٌ وَمُؤْتَلِفُ
وَالرَّوْضُ يَرْفُلُ فِي مُعَصْفَرَةٍ بِالزَّهْرِ لِلأَبْصَارِ تَخْتَطِفُ
عُنِيَ الرَّبِيعُ بِنَسْجِ بُرْدَتِهَا إِنَّ الرَّبِيعَ لَصَانِعٌ ثَقِفُ
لا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ بُلَهْنِيَةٍ فِي الْعَيْشِ قَلَّدَ جِيدَهَا الشَّغَفُ
وَعِصَابَةٍ غَلَبَ الْكَمَالُ عَلَى أَخْلاقِهِمْ وَغَذَاهُمُ التَّرَفُ
نَازَعْتُهُمْ طَرَفَ الْحَدِيثِ وَقَدْ جَرَتِ الْكُئُوسُ بِنَا فَمَا اخْتَلَفُوا
قَلْبِي بِهِمْ كَلِفٌ وَنَاظِرَتِي عَنْ حُسْنِهِمْ تَاللهِ تَنْحَرِفُ
فَمَحَبَّتِي لَهُمُ كَمَا عَرَفُوا صِدْقٌ وَوَجْدِي فَوْقَ مَا أَصِفُ
لِلهِ أَيَّامٌ بِهِمْ سَلَفَتْ لَوْ أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتَنَفُ
إِذْ لِمَّتِي فَيْنَانَةٌ وَيَدِي فَوْقَ الأَكُفِّ وَقَامَتِي أَلِفُ
أَجْرِي عَلَى إِثْرِ الشَّبَابِ وَلَا يَمْشِي إِلَى سَاحَاتِيَ الْجَنَفُ
ضَافِي الْغَدِيرَةِ عَارِمٌ شَرِسٌ صَعْبُ الْمَرِيرَةِ سَادِرٌ أَنِفُ
إِنْ سِرْتُ سَارَ النَّاسُ لِي تَبَعًا وَإِذَا وَقَفْتُ لِحَاجَةٍ وَقَفُوا
فَالآنَ أُصْبِحُ طَائِرِي وَقِعٌ بَعْدَ السُّمُوِّ وَصَبْوَتِي أَسَفُ
وَغَدَوْتُ بَعْدَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِالْعَجْزِ أَعْتَرِفُ

وَكَـذَلِـكَ الأَيَّـامُ آخِـرُهَـا   بَعْدَ الشَّبَابِ الضَّعْفُ وَالخَرَفُ
وَالْمَرْءُ مَهْمَا طَالَ طَائِلُهُ   يَوْمًا لِصَائِبَةِ الرَّدَى هَدَفُ
فَلَبِئْسَ مَا قَدِمَ الْمَشِيبُ بِهِ   وَلَنِعْمَ مَا وَلَّى بِهِ السَّلَفُ

وَقَالَ يَصِفُ غَيْثًا: (من الطويل)

وَذِي نَعَرَاتٍ يَقْطَعُ الأَرْضَ سَارِيًا   عَلَى غَيْرِ سَاقٍ وَهْوَ بِالأَرْضِ أَعْرَفُ
لَهُ فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَاحِ سَبَائِبُ   مُحَبَّرَةٌ مِنْهَا قَصِيرٌ وَمُسْدَفُ
كَأَنَّ «سُلَيْمَانَ بْن دَاوُدَ» فَوْقَهُ   عَلَى عَرْشِهِ وَالْجِنُّ بِالْجِنِّ تَعْزِفُ
يَجِدُّ بِنَا فِي أَمْرِهِ وَهْوَ لاعِبٌ   وَيَضْحَكُ أَحْيَانًا وَعَيْنَاهُ تذْرِفُ
تَلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ وَالْمَاءُ سَافِحٌ   فَلا الْمَاءُ يُطْفِيهَا وَلا النَّارُ تَضْعُفُ
إِذَا سَارَ عَنْ أَرْضٍ غَدَتْ وَهْيَ جَنَّةٌ   وَإِنْ حَلَّ عَمَّهَا مِنْهُ زُخْرُفُ
يَكُونُ حَيَاةً لِلنُّفُوسِ وَرُبَّمَا   ضَبَتْ مِنْهُ نَارٌ أَوْ سَطَا مِنْهُ مُرْهَفُ
لَهُ زَفْرَةٌ تَتْرَى وَعَيْنٌ سَخِيَّةٌ   وَقَلْبٌ كَزَهْرَاءِ الْمَصَابِيحِ يَرْجُفُ
يَسِيرُ عَلَى مَتْنِ الْهَوَاءِ وَتَارَةً   يُخَضْخِضُ سَجْلًا فِي الْبِحَارِ فَيَغْرِفُ
أَضَرَّ بِأَعْنَاقِ النَّعَائِمِ حَمْلُهُ   فَأَلْقَتْ بِهِ عَنْ ظَهْرِهَا فَهْوَ يَرْسُفُ
لَهُ هَيْدَبٌ مِلْءُ الفَضَاءِ كَأَنَّهُ   مَنَاكِبُ أَطْوَادٍ عَلَى الأَرْضِ تَزْحَفُ
فَزِعْنَا إِلَيْهِ نَحْسَبُ الْجَوْنَ عَسْكَرًا   يَسِيرُ فَشِمْنَا بِرْقَهُ وَهْوَ يَخْطَفُ
فَقُلْنَا سَحَابٌ يَا سَقَى اللَّهُ أَرْضَنَا   بِهِ وَرَوَانَا فَهْوَ بِالنَّاسِ أَرْأَفُ
فَمَا تَمَّ أَنْ سَارَتْ بِهِ الرِّيحُ سَيْرَةً   إِلَيْنَا وَوَافَى رَائِدُ الحَيِّ يَحْلِفُ
فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَاتِّقِينَ بِجُودِهِ   نَسِيرُ وَيَعْرُونَا السُّرُورُ فَنَهْتِفُ
دَنَا فَتَنَاوَلْنَا خَيَاشِيمَ مُزْنِهِ   قُعُودًا فَظَلَّتْ وَهْيَ بِالْمَاءِ تَرْعُفُ
وَطَافَتْ بِهِ الوِلْدَانُ يَخْلِجْنَ مَاءَهُ   بِأَكْوَابِهَا وَالْهِمُّ يَدْنُو فَيَغْرِفُ
فَلَأْيًا بِلَأْيٍ مَا تَوَلَّتْ حُدَاءَهُ   مُزَمْجِرَةٌ هَوْجَاءُ بِالْقَاعِ تَعْصِفُ
فَأَبْقَى لَنَا أَثْرًا حَمِيدًا وَنِعْمَةً   لَهَا مَسْحَبٌ نَضْرٌ وَجَيْبٌ مُفَوَّفُ
كَذَلِكَ مَا كُنَّا لِنَكْفُرَ صُنْعَهُ   عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ بِالشَّرِّ أَكْلَفُ

وقَالَ — وَهُو مُتَرْجَمٌ مِنَ الْفَارِسيَّةِ: (من مجزوء الخفيف)

هَتَفَ الدِّيكُ سُحْرَةً   فَاصْطَبَحْنَا لِهتْفِهِ
بِـشَـرَابٍ كَـعَـيْـنِـهِ   وَكَـبَـابٍ كَـعُـرْفِـهِ

وَقَالَ: (من مجزوء الوافر)

حَيَاتِي فِي الْهَوَى تَلَفُ   وَأَمْـرِي فِـيـهِ مُـخْـتَـلِـفُ
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُكْتَئِبًا   وَقَلْبِي فِي الْحَشَا يَجِفُ
فَـنَـوْمِـي كُـلُّـهُ سَـهَـرٌ   وعَـيـشِـي كـلُّـهُ أَسَـفُ
وَمَا أُخْفِيهِ مِنْ وَجْدِي   وحُزنِي فَوْقَ مَا أَصِفُ
فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ يَرْثِي   لِـمَـا أَلْـقَـى فَـيَـنْـعَـطِـفُ
أَيَقْتُلُنِي الْهَوَى ظُلْمًا   وَمَا فِي النَّاسِ لِي خَلَفُ
وَهَبْنِي فَارِسَ الهَيْجَا   ءِ أَغْـشَـاهَـا فَـتَـنْـكَـشِـفُ
أَلَيْسَ الْعِشْقُ سُلْطَانًا   لَـهُ الأَكْـوَانُ تَـرْتَـجِـفُ
إِذَا كَانَ الْهَوَى خَصْمِي   فَقُلْ لِي كَيْفَ أَنْتَصِفُ

وقال: (من مجزوء الخفيف)

قَـلْـبِـي عَـلَـيْـكَ يَـرُفُّ   وعَـبْـرَتِـي لا تَـجِـفُّ
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي   بِـلـوْعَـتِـي تَـسْـتَـخِـفُّ
قَدْ شَفَّنِي طُولُ وَجْدِي   وَالْـحُـبُّ دَاءٌ يَـشُـفُّ
فَارْحَمْ فَدَيْتُكَ صَبًّا   إِلَـى لُـقَـاكَ يَـخِـفُّ

وقال: (من مجزوء الكامل)

عَيْنِي لِبُعْدِكَ أَصْبَحَتْ   لا تَسْتَقِلُّ الْجَفْنَ ضُعْفَا
إِنْـسَـانُـهَـا فِـي غَـمْـرَةٍ   مِنْ أَدْمُعِي يَبْدُو وَيَخْفَى

والبيتُ الثانِي مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ: (من الطويل)

وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسُرُ الْمَاءَ تَارَةً   فَيَبْدُو وَأَحْيَانًا يَجِمُّ فَيَغْرَقَ

وَقَالَ يَحُثُّ عَلَى السَّعْي: (من الطويل)

تَغَرَّبْ إِذَا أَتْرَبْتَ وَالْتَمِسِ الْغِنَى   فَمَا الْعِزُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ التَّعَسُّفِ
فَقَدْ يَعْدَمُ الإِنْسَانُ فِي عُقْرِ دَارِهِ   مُنَاهُ ويَلْقَى حَظَّهُ فِي التَّطَوُّفِ
فَكُلُّ مَكَانٍ يَضْمَنُ الرِّزْقَ لِلْفَتَى   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَدِيمَ التَّصَرُّفِ

قافية القاف

وَقَالَ يَنْعَتُ الْبَازِيَ وَالأَسَدَ والْحَيَّةَ: (من الكامل)

سَكَنَ الْفُؤَادُ وَجَفَّتِ الآمَاقُ ... وَمَضَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا الأَشْوَاقُ
وَنَزَعْتُ عَنْ نَزَقِ الشَّبِيبَةِ وَالصِّبَا ... بَعْدَ الْمَشِيبِ ولِلشَّبَابِ نِزَاقُ
لا الدَّارُ دَارٌ بَعْدَ مَا رَحَلَ الصِّبَا ... عَنِّي وَلا تِلْكَ الرِّفَاقُ رِفَاقُ
وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الْغَوَايَةَ وَالصِّبَا ... جَرْيَ الْكُمَيْتِ وَلِلْغَرَامِ سِبَاقُ
وَلَبِسْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ أَطْرَافِهِ ... وَنَزَعْتُهُ وَقَمِيصُهُ أَخْلاقُ
فَإِذَا الشَّبَابُ وَدِيعَةٌ وَإِذَا الْفَتَى ... هَدْيٌ لِفَاغِرَةِ الْمَنُونِ يُسَاقُ
لِلَّهِ أَيَّامٌ لَنَا مَعْرُوفَةٌ ... سَبَقَتْ وَلَيْسَ لِسَبْقِهِنَّ لحَاقُ
حَيْثُ الصِّبَا نَهْبٌ وَسَلْسَالُ الْهَوَى ... عَذْبٌ وَآنِيَةُ السُّرُورِ دِهَاقُ
فِي جَنَّةٍ خَضْرَاءَ وَرْدُ خُدُودِهَا ... زَاهٍ وَغَيْثُ مُدَامِهَا غَيْدَاقُ
سَفَرَتْ بِهَا الأَقْمَارُ مِنْ أَطْوَاقِهَا ... وَتَجَمَّعَتْ بِفِنَائِهَا الْعُشَّاقُ
فَالنُّطْقُ جَهْرٌ وَالتَّحِيَةُ قُبْلَةٌ ... بَيْنَ الأَحِبَّةِ وَالسَّلامُ عِنَاقُ
لا يَسْأَمُونَ اللَّهْوَ بَيْنَ مَلاعِبٍ ... قَدْ قَامَ فِيهَا لِلْخَلاعَةِ سَاقُ
يَفْتَنُّ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي تَصْوِيرِهَا ... وَتَحَارُ فِي تَمْثِيلِهَا الأَحْدَاقُ
فَعَلَى الْمُرُوجِ مِنَ الْخَمَائِلِ رَفْرَفٌ ... وَعَلَى الْخَمَائِلِ لِلْغُيُومِ رُوَاقُ
بَعَثَ الرَّبِيعُ لَهُنَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ ... فَسَمَتْ طِبَاقٌ فَوْقَهُنَّ طِبَاقُ
دُنْيَا نَعِيمٍ لا بَقَاءَ لِحُسْنِهَا ... وَنَعِيمُ دُنْيَا مَا لَهَا مِيثَاقُ
فَلَقَدْ مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ بِحُسْنِهِ ... وَسَمَا إِلَيَّ الْهَمُّ وَالإِيرَاقُ

وَغَـدَوْتُ حَـرَّانَ الْـفُـؤَادِ كَـأَنَّـمَـا ... ضَـاقَـتْ عَـلَـيَّ بِـرُحْـبِـهَـا الآفَـاقُ
نَفِسَتْ عَلَيَّ بَنُو الزَّمَانِ شَمَائِلِي ... فَـلَـهُـمْ بِـذَلِـكَ خِـفَّـةٌ وَنِـزَاقُ
حَسِبُوا التَّحَوُّلَ فِي الطِّبَاعِ خَلِيقَةً ... وَتَـحَـوُّلُ الأَخْـلاقِ لَـيْـسَ يُـطَـاقُ
تَـالـلَّـهِ أَهْـدَأُ أَوْ تَـقُـومُ قِـيَـامَـةٌ ... فِيهَا الدِّمَاءُ عَلَى الدِّمَاءِ تُرَاقُ
تَرْتَدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ فِي سَتَرَاتِهَا ... وَيَـضِـلُّ فِـي هَـبَـوَاتِـهَـا الإِمـرَاقُ
شَعْوَاءُ تَلْتَهِمُ الْفَضَاءَ وَيَرْتَقِي ... مِنْهَا عَلَى حُبُكِ السَّمَاءِ نِطَاقُ
أَنَا لا أَقَرُّ عَلَى الْقَبِيحِ مَهَابَةً ... إِنَّ الْقَرَارَ عَلَى الْقَبِيحِ نِفَاقُ
قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ وَنَفْسِي حُرَّةٌ ... تَـأْبَـى الـدَّنِـيَّ وَصَـارِمِـي ذَلَّاقُ
فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ فُرْقَةَ رُوحِهِ ... أَوَلَـيْـسَ عَـاقِـبَـةُ الْـحَـيَـاةِ فِـرَاقُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ وَهْيَ فِي أَثْوَابِهَا ... إِنْ لَـمْ تَـكُـنْ شَـامٌ فَـتِـلْـكَ عِـرَاقُ
لا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْجَبَانِ يَحُوطُهُ ... مِـنْ جَـانِـبَـيْـهِ الـذُّلُّ وَالإِمْـلاقُ
عَابُوا عَلَيَّ حَمِيَّتِي ونِكَايَتِي ... وَالـنَّـارُ لَـيْـسَ يَـعِـيـبُـهَـا الإِحْـرَاقُ
فَاضْرَحْهُمُ ضَرْحَ الْعُيُونِ قَذَاتَهَا ... وَحَـذَارِ لا تَـعْـلَـقْ بِـكَ الـعُـلاقُ
فَـالـنَّـاسُ أَشْـبَـاهٌ وَشَـتَّـى بَـيْـنَـهُـمْ ... تَدْنُـو الْـجُـسُـومُ وتَـبْـعُـدُ الأَخْـلاقُ
فَاعْرِضْهُمُ وَاحْذَرْ تَشَابُهَ أَمْرِهِمْ ... لا تَـسْـتَـوِي الأَغْـلالُ وَالأَطْـوَاقُ
لا تَحْسَبَنَّ الرِّفْقَ يَنْزِعُ غِلَّهُمْ ... الـشَّـرُّ دَاءٌ مَـا لَـهُ إِفْـرَاقُ
شَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَاغْتَرَّهُمْ ... لِـيـنُ الْـحَـيَـاةِ وَمَـاؤُهَـا الـرَّقْـرَاقُ
فَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ كَأَنَّ بِرَأْسِهِ ... نَزْغَ الْجُنُونِ فَلَيْسَ فِيهِ لَيَاقُ
مُـتَـلَـوِّنُ الأَخْـلاقِ بَـيْـنَ عَـشِـيـرِهِ ... جَـهـلًا كَـمَـا يَـتَـلَـوَّنُ الـشِّـقْـرَاقُ
لَهِجٌ بِعَارِيَةِ الْحَيَاةِ وَمَا دَرَى ... أَنَّ الْحَيَاةَ إِلَى الْمَنُونِ مَسَاقُ
لَوْ كَانَ يَسْلَمُ فِي الزَّمَانِ مِنَ الرَّدَى ... حَـيٌّ لَـعَـاشَ بِـجَـوِّهِ الـسَّـيْـذَاقُ
أَرْبَى عَلَى شِمْرَاخِ أَرْعَنَ بَاذِخٍ ... سَامٍ لَهُ فَوْقَ السَّحَائِبِ طَاقُ
نَهْمَانُ يَعْتَلِقُ الْقَطَا بِمَخَالِبٍ ... حُجْنٍ لَهُنَّ بِوَقْعِهَا تَصْعَاقُ
لا يَستَقِرُّ بِهِ الجَنَاحُ وَطَرْفُهُ ... مُـتَـقَـلِّـبٌ يَـسْـمُـو بِـهِ الإِرْشَـاقُ
بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَ عِصَابَةً ... لِلطَّيْرِ أَرْسَلَهَا صَدًى مِحْرَاقُ
فَسَمَا فَحَلَّقَ فَاسْتَدَارَ فَصَكَّهَا ... بِـمُـذَرَّبٍ تَـمْـكُـو لَـهُ الأَعْـنَـاقُ
تَسْمُو فَيَتْبَعُهَا فَتَهْوِي وَهْوَ فِي ... آثَـارِهَـا مَـرَّ الـشِّـهَـابِ حِـرَاقُ

مَذْعُورَةٌ تَبْغِي الْفِرَارَ مِنَ الرَّدَى إنَّ الـفِـرَارَ مِـنَ الْـمَـنُـونِ وثَـاقُ
حَتَّى إِذَا فَتَرَتْ وَحَطَّ بِهَا الوَنَى سَـقَطَتْ فَلَيْسَ لِنَفْسِـهَا أَرْمَاقُ
فَأَتَى فَمَزَّقَهَا كَمَا حَكَمَ الرَّدَى وَلِـكُـلِّ نَـفْـسٍ مَـرَّةً إِزْهَـاقُ
أَفَذَاكَ أَمْ ضِرْغَامُ خِيسٍ مُدْهِشٌ تَـنْـجَـابُ عَـنْ أَنْـيَـابِـهِ الأَشْـدَاقُ
مَنَع الطَّرِيقَ فَمَا تَجُوسُ خِلالَهُ فِـي سَـيْـرِهَـا الـطُّـرَّاقُ وَالْـمُـرَّاقُ
غَضْبَانُ يَضْرِبُ ذَيْلَهُ ويَلُفُّهُ مِـنْ جَـانِـبَـيْـهِ كَـأَنَّـهُ مِـخْـرَاقُ
عَصَفَتْ عَلَيْهِ النَّائِحَاتُ وَخَابَ مِنْ هَامِ الْوُحُوشِ لَهُ حَشًا وَصِفَاقُ
فَسَمَا فَأَبْصَرَ رَاعِيَيْنِ تَخَلَّفَا بِـالْـعِـيرِ تَصْدَحُ بَيْنَهُنَّ نِيَاقُ
فَـأَجَـمَّ قُـوَّتَـهُ وَشَـدَّ بِـوَثْـبَـةٍ صُـمُّ الـصُّـخُـورِ لِوَقْـعِـهَـا أَفْلاقُ
حَتَّى إِذَا اعْتَرَضَ الرِّحَالَ إِذَا بِهَا يَـقِـظٌ تَـلِـيـنُ لِـكَـفِّـهِ الأَرْزَاقُ
مُـتَـقَـلِّـدٌ سَـيْـفًـا تَـرِفُّ مُـتُـونُـهُ رَفَّ الْـمَـصَـابِـحِ شَـفَّـهُـنَّ لِـيَـاقُ
فَتَصَاولا حَتَّى إِذَا مَا اسْتَنْفَدا مَا كَانَ عِنْدَهُمَا وَضَاقَ خِنَاقُ
هَمَّا بِبَعْضِـهِمَا فَمَاتَا مِيتَةً لَـهُـمَـا بِـهَـا حَـتَّـى الْـمَـعَـادِ وِفَـاقُ
أَمْ أَرْقَـشٌ مَـرِسٌ يَـسِـيـلُ كَـأَنَّـهُ بَـيْـنَ الْـخَـمَـائِـلِ جَـدْوَلٌ دَفَّـاقُ
يَـتَـنَـاذَرُ الـرَّاقُـونَ سُـمَّ لُـعَـابِـهِ رُعْـبًـا فَـلَـيْـسَ لِـمَـسِّـهِ دِرْيَـاقُ
تَـسِـمُ الـظَّـلامَ ذُبَـالَـتَـانِ بِـرَأْسِـهِ تَـقِـدَانِ لَـيْـسَ عَـلَـيْـهِـمَـا أَطْـبَـاقُ
يَسْرِي فِيَقْتَحِمُ السِّرَارَ ويَرْتَمِي بِـسَـنَـاهُـمَـا الْـمُـتَـنَـبِّـلُ الـمِـرْشَـاقُ
تَرَكَ الْوُحُوشُ لَهُ الْفَلاةَ وَأَوْغَلَتْ طَـلَـبَ الـنَّـجَـاةِ فَـجَـمْـعُـهَـا أَحْـذَاقُ
حَتَّى إِذَا ظَنَّ الظُّنُونَ بِنَفْسِهِ تِـيـهًـا بِـهَـا وَخَـلَـتْ لَـهُ الأَعْـمَـاقُ
أَنْحَى فَأَقْصَدَهُ الزَّمَانُ بِسَهْمِهِ إِنَّ الـزَّمَـانَ لَـنَـابِـلٌ مِـيـفَـاقُ
حِكَمٌ تَحَيَّرَتِ الْبَرِيَّةُ دُونَهَا وَتَـنَـازَعَـتْ أَسْـبَـابَـهَـا الْـحُـذَّاقُ
فَاسْمَعْ فَمَا كُلُّ الْكَلامِ بِطَيِّبٍ وَلِـكُـلِّ قَـوْلٍ فِـي الـسَّـمَـاعِ مَـذَاقُ
نَزَلَ الْكَلامُ إِلَيَّ مِنْ شُرُفَاتِهِ وتَـمَـثَّـلَـتْ بِـحَـدِيـثِـيَ الآفَـاقُ

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ: (من السريع)

عُودِي بِوَصْلٍ أَوْ خُذِي مَا بَقِي فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِي
أَيُّ فُـؤَادٍ بِـكِ لَـمْ يَـعْـلَـقِ وَأَنْتِ صِنْوُ الْقَمَرِ الْمُشْرِقِ

عَلَّمْتِنِي الذُّلَّ وَكُنْتُ امْرَأً ... أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلا أَتَّقِي
فَارْحَمْ فُؤَادًا أَنْتَ أَبْلَيْتَهُ ... ومُقْلَةً لَوْلاكَ لَمْ تَأْرَقِ
لَمْ أَدْرِ حَتَّامَ أُقَاسِي الْجَوَى ... يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْكَ مَاذَا لَقِي
إِذَا تَذَكَّرْتُكَ فِي خَلْوَةٍ ... هَوَتْ بِدَمْعِي زَفْرَةٌ تَرْتَقِي
تَاللهِ مَا أَنْصَفَ مَنْ لامَنِي ... فِيكَ وَهَلْ لَوْمٌ عَلَى مُشْفِقِ
وكَيْفَ لا أَعْشَقُ مَنْ حُسْنُهُ ... يَدْعُو إِلَى الصَّبْوَةِ قَلْبَ التَّقِي
لَكَ الْجَمَالُ التَّمُّ دُونَ الْوَرَى ... ولَيْسَ لِلْبَدْرِ سِوَى رَوْنَقِ
فَاعْطِفْ عَلَى قَلْبٍ بِهِ لَوْعَةٌ ... يَنْزُو لَهَا فِي الصَّدْرِ كَالزِّئْبَقِ
يَكَادُ يَرْفَضُّ هَوًى كُلَّمَا ... لاحَ لَهُ الْبَرْقُ مِنَ الأَبْرَقِ
حِمًى بِهِ مَا شِئْتَ مِنْ صَبْوَةٍ ... لَوْ كَانَ فِيهِ مَنْ يَفِي أَوْ يَقِي
حَاطَتْ بِهِ الْفُرْسَانُ حُورَ الْمَهَا ... يَا مَنْ رَأَى الرَبْرَبَ فِي الْفَيْلَقِ
مِنْ كُلِّ هَيْفَاءَ كَخُوطِ الْقَنَا ... بِلَحْظَةٍ كَاللَّهْذَمِ الأَزْرَقِ
تَخْطِرُ فِي الْفَيْنَانِ مِنْ فَرْعِهَا ... فَهْيَ عَلَى التَّمْثِيلِ كَالْبَيْرَقِ
أَرْنُو إِلَيْهَا وَهْيَ فِي شَأْنِهَا ... كَنَظْرَةِ الْعَانِي إِلَى الْمُطْلَقِ
فَمَا تَرَانِي صَانِعًا وَهْيَ لا ... تَسْمَعُ مَا أَسْرُدُ مِنْ مَنْطِقِي
يَا رَبَّةَ الْقُرْطَقِ هَلْ نَظْرَةٌ ... أَحْيَا بِهَا يَا رَبَّةَ الْقُرْطَقِ
إِنْ كَانَ يُرْضِيكِ ذَهَابُ الَّذِي ... أَبْقَيْتِ مِنِّي فَخُذِي مَا بَقِي
لَمْ تُبْقِ مِنِّي صَدَمَاتُ الْهَوَى ... غَيْرَ صَدًى بَيْنَ حَشًا مُحْرَقِ
قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْحُبِّ ذَا تُدْرَأٍ ... أَقْتَحِمُ الْهَوْلَ وَلَمْ أَفْرَقِ
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ عَدِيمَ الْقُوَى ... يَسبِقُنِي الذَّرُّ وَلَمْ أَلْحَقِ
وَالْحُبُّ مَلْكٌ نَافِذٌ حُكْمُهُ ... مِنْ مَغْرِبِ الْأَرْضِ إِلَى الْمَشْرِقِ
فَلْيَقُلِ الْعَاذِلُ مَا شَاءَهُ ... فَالْعِشْقُ دَأْبُ الشَّاعِرِ الْمُفْلِقِ
لَوْ لَمْ أَكُنْ ذَا شِيمَةٍ حُرَّةٍ ... لَمْ أَقْرِضِ الشِّعْرَ وَلَمْ أَعْشَقِ

وقال: (من الخفيف)

أَيُّ قَلْبٍ عَلَى صُدُودِكَ يَبْقَى ... أَوَلَمْ يَكْفِ أَنَّنِي ذُبْتُ عِشْقَا
لَمْ تَدَعْ مِنِّي الصَّبَابَةُ إِلَّا ... شَبَحًا شَفَّهُ السَّقَامُ فَدَقَّا

ودُمُوعًا أَسَالَهَا الوَجْدُ حَتَّى غَلَبَتْ أَدْمُعَ الْغَمَامَةِ سَبْقَا
فَتَصَدَّقْ بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَشْفِي داءَ قَلْبٍ مِنَ الْغَرَامِ مُلَقَّى
كَانَ أَبْقَى مِنْهُ الْغَرَامُ قَلِيلًا فَأَذَابَ الصُّدُودُ مَا قَدْ تَبَقَّى
لا تَسَلْنِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ غَرَامٍ فَلَسْتُ أَمْلِكُ نُطْقَا
سَلْ إِذَا شِئْتَ أَنْجُمَ اللَّيْلِ عَنِّي فَهْيَ أَدْرَى بِكُلِّ مَا بِتُّ أَلْقى
نَفَسٌ لا يَبِينُ ضَعْفًا وَجِسْمٌ سَارَ فِيهِ الضَّنَى فَأَصْبَحَ مُلْقَى
فَتَرَفَّقْ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الوَجْـ ـدُ فَذَابَتْ وَأَدْمُعٍ لَيْسَ تَرْقَا
إِنْ يَكُنْ دَأْبُكَ الصُّدُودَ فَقَلْبِي عَنْكَ رَاضٍ وَإِنْ غَدَا بِكَ يَشْقَى
فَعَلَيْكَ السَّلامُ مِنِّي فَإِنِّي مُتُّ شَوْقًا وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

وقال: (من الوافر)

أَلَيْلَى مَا لِقَلْبِكِ لَيْسَ يَرْثِي لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ
كَتَمْتُ هَوَاكِ حَتَّى نَمَّ دَمْعِي وَذَابَتْ مُهْجَتِي مِمَّا أُلاقِي
وَرَقَّتْ لِي قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى بَكَى لِي كُلُّ سَاقٍ فَوْقَ سَاقِ
تَلُومِينِي عَلَى عَبَرَاتِ عَيْنِي وَلَوْلا الْحُبُّ لَمْ تَجْرِ الْمَآقِي
وَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى يَا لَيْلُ أَنِّي فَنِيتُ صَبَابَةً وَهَوَاكِ بَاقِي
وَمَا إِنْ عِشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا لِمَا أَرْجُوهُ مِنْ وَشْكِ التَّلاقِي
وَلَوْلا أَنَّنِي فِي قَيْدِ سُقْمٍ لَطِرْتُ إِلَيْكِ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقِي

وقال: (من الخفيف)

رَبِّ خُذْ لِي مِنَ العُيونِ بِحَقِّي وَأَجِرْنِي مِنْ ظَالِمٍ لَيْسَ يُبْقِي
قَد تَوَقَّيْتُ مَا اسْتَطَعْتُ مِنَ الحُبْـ ـبِ وَلَكِنْ مَاذَا يَرُدُّ التَّوَقِّي
وَتَرَفَّقْتُ بِالْفُؤَادِ وَلَكِنْ غَلَبَتْ لَوْعَةُ الصَّبَابَةِ رِفْقِي
لا تَلُمْنِي عَلَى الْهَوَى فَغُمُوضُ الـ ـحَقِّ عُذْرٌ يَرُدُّ كُلَّ مُحِقِّ
سَلْ دُمُوعِي فَهُنَّ يُنْبِئْنَ عَمَّا فِي ضَمِيرِي وَيَعْتَرِفْنَ بِصِدْقِي
كَيْفَ لِي بِالنَّجَاةِ مِنْ شَرَكِ الحُبْـ ـبِ سَلِيمًا وَالْحُبُّ مَالِكُ رِقِّي

قَدْ تَلَقَّيْتُ لَوْعَتِي مِنْ عُيُونٍ عَلَّمَتْنِي دَرْسَ الْهَوَى بِالتَّلَقِّي
وَرَشَوْتُ الْهَوَى بِلُؤْلُؤِ دَمْعِي وَالرُّشَا وُصْلَةٌ لِنَيْلِ التَّرَقِّي
فَلَعَلِّي أَفُوزُ يَوْمًا بِوَصْلٍ أَتَوَلَّى بِهِ إِمَارَةَ عِشْقِ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِهِ: (من البسيط)

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ لِدَاءِ الْحُبِّ أَوْ رَاقِي يَشْفِي عَلِيلًا أَخَا حُزْنٍ وَإِيرَاقِ
قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَاقِي
حُزْنٌ بَرَانِي وَأَشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقِ
أُكَلِّفُ النَّفْسَ صَبْرًا وَهْيَ جَازِعَةٌ وَالصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلَّ مُشْتَاقِ
لا فِي سَرَنْدِيبَ لِي خِلٌّ أَلُوذُ بِهِ وَلا أَنِيسٌ سِوَى هَمِّي وِإِطْرَاقِي
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا فِي قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَى الرَّاقِي
تَقَلَّدَتْ مِنْ جُمَانِ الشُّهْبِ مِنطَقَةً مَعْقُودَةً بِوِشَاحٍ غَيْرَ مِقْلاقِ
كَأَنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا وَهْوَ مُضْطَرِبٌ دُونَ الْهِلالِ سِرَاجٌ لاحَ فِي طَاقِ
يَا رَوْضَةَ النِّيلِ لَا مَسَّتْكِ بَائِقَةٌ وَلَا عَدَتْكِ سَمَاءٌ ذَاتُ أَغْدَاقِ
وَلا بَرِحْتِ مِنَ الأَوْرَاقِ فِي حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسٍ عَبْقَرِيِّ الْوَشْيِ بَرَّاقِ
يَا حَبَّذَا نَسَمٌ مِنْ جَوِّهَا عَبِقٌ يَسْرِي عَلَى جَدْوَلٍ بِالْمَاءِ دَفَّاقِ
بَلْ حَبَّذَا دَوْحَةٌ تَدْعُو الْهَدِيلَ بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ قَمَارِيٌّ بِأَطْوَاقِ
مَرْعَى جِيَادِي وَمَأْوَى جِيرَتِي وَحِمَى قَوْمِي وَمَنْبِتُ آدَابِي وَأَعْرَاقِي
أَصْبُو إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ وَيُعْجِبُنِي أَنِّي أَعِيشُ بِهَا فِي ثَوْبِ إِمْلاقِ
وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارًا قَدْ تَرَكْتُ بِهَا أَهْلًا كِرَامًا لَهُمْ وُدِّي وَإِشْفَاقِي
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا بِهِمْ سَلَفَتْ تَحَدَّرَتْ بِغُرُوبِ الدَّمْعِ آمَاقِي
فَيَا بَرِيدَ الصَّبَا بَلِّغْ ذَوِي رَحِمِي أَنِّي مُقِيمٌ عَلَى عَهْدِي وَمِيثَاقِي
وَإِنْ مَرَرْتَ عَلَى الْمِقْيَاسِ فَاهْدِ لَهُ مِنِّي تَحِيَّةَ نَفْسٍ ذَاتِ أَعْلاقِ
وَأَنْتَ يَا طَائِرًا يَبْكِي عَلَى فَنَنٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَاقٍ عَلَى سَاقِ
أَذَكَرْتَنِي مَا مَضَى وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِمِصْرَ وَالْحَرْبُ لَمْ تَنْهَضْ عَلَى سَاقِ
أَيَّامَ أَسْحَبُ أَذْيَالَ الصِّبَا مَرِحًا فِي فِتْيَةٍ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ سُبَّاقِ
فَيَا لَهَا ذُكْرَةً شَبَّ الْغَرَامُ بِهَا نَارًا سَرَتْ بَيْنَ أَرْدَانِي وَأَطْوَاقِي

عَصْرٌ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُؤَادِ هَوًى يَكَادُ يَشْمَلُ أَحْشَائِي بِإِحْرَاقِ
وَالْمَرْءُ طَوْعُ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا لا يَمْلِكُ الأَمْرَ مِنْ نُجْحٍ وَإِخْفَاقِ
عَلَيَّ شَيْمُ الْغَوَادِي كُلَّمَا بَرَقَتْ وَمَا عَلَيَّ إِذَا ضَنَّتْ بِرَقْرَاقِ
فَلا يَعِبْنِي حَسُودٌ أَنْ جَرَى قَدَرٌ فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلَّاقِي
أَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَوْلًى لا يَخِيبُ لَهُ رَاجٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالْمَوْلَى هُوَ الْوَاقِي
وَهَوَّنَ الْخَطْبَ عِنْدِي أَنَّنِي رَجُلٌ لاقٍ مِنَ الدَّهْرِ مَا كُلُّ امْرِئٍ لاقِي
يَا قَلْبُ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلاقِ
لا بُدَّ لِلضِّيقِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجٍ وكُلُّ دَاجِيَةٍ يَوْمًا لإِشْرَاقِ

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةً كَثِيرَةَ الأَشْجَارِ غَزِيرَةَ المِياهِ فِي «كَنْدي» مِنْ جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ»:
(من الطويل)

دَعَانِي إِلَى غَيِّ الصِّبَا بَعْدَمَا مَضَى مَكَانٌ كَفِرْدَوسِ الْجِنَانِ أَنِيقُ
فَسِيحُ مَجَالِ الْعَيْنِ أَمَّا غَدِيرُهُ فَطَامٍ وَأَمَّا غُصْنُهُ فَرَشِيقُ
كَسَا أَرْضَهُ ثَوْبًا مِنَ الظِّلِّ بَاسِقٌ مِنَ الأَيْكِ فَيْنَانُ السَّرَاةِ وَرِيقُ
سَمَتْ صُعُدًا أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ إِحْدَى النَّيِّرَاتِ عَشِيقُ
يَمُدُّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا سَلاسِلَ مِنْ نُورٍ لَهُنَّ بَرِيقُ
وَيَشْدُو بِهَا الْقُمْرِيُّ حَتَّى كَأَنَّهُ أَخُو صَبْوَةٍ أَوْ دَبَّ فِيهِ رَحِيقُ
تَمُرُّ طُيُورُ الْمَاءِ فِيهَا عَصَائِبًا كَرَكْبٍ عِجَالٍ ضَمَّهُنَّ طَرِيقُ
إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ رَفْرَفَتْ عَلَيْهَا فَطَافٍ فَوْقَهَا وَغَرِيقُ
غَدَوْنَا لَهُ وَالْفَجْرُ يَنْصَاحُ ضَوْءُهُ فَيَنْمُو وَأَقْطَارُ الظَّلامِ تَضِيقُ
وَلِلطَّيْرِ فِي مَهْدِ الأَرَاكَةِ رَنَّةٌ وَلِلطَّلِّ فِي ثَغْرِ الأَقَاحَةِ رِيقُ
مَلاعِبُ زَانَتْهَا الرِّفَاقُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْسُنَ لَهْوٌ يَزِنْهُ رَفِيقُ
وَمَنْزِلُ أُنْسٍ قَدْ عَقَدْنَا بِجَوِّهِ رَتَائِمَ لَهْوٍ عَقْدُهُنَّ وَثِيقُ
جَمَعْنَا بِهِ الأَشْتَاتَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَمَا كُلُّ يَوْمٍ بِالسُّرُورِ حَقِيقُ
وَغَنَّى لَنَا شَادٍ أَغَنُّ مُقَرْطَقٌ رَفِيقٌ بِجَسِّ الْمِلْهَيَاتِ لَبِيقُ
إِذَا مَدَّ مِنْ صَوْتٍ وَرَجَّعَ أَقْبَلَتْ عَلَيْنَا وُجُوهُ الْعَيْشِ وَهْوَ رَقِيقُ
فَيَا حُسْنَهُ مِنْ مَنْزِلٍ لَمْ يَطُفْ بِهِ غَوِيٌّ وَلَمْ يَحْلُلْ حِمَاهُ لَصِيقُ

جَـعَـلْـنَـاهُ تَـارِيـخًـا لأَيَّـامِ صَـبْـوَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ مَسَّ الْقُلُوبَ حَرِيقُ
أَقَـمْـنَـا بِـهِ يَـوْمًـا طَـلِـيـقًـا ولـيلَـةً دُجَـاهَـا بِـلأْلاءِ الْـمُـدَامِ طَـلِـيـقُ
فَـلَـمَّـا اتَّـعَـدْنَـا لِـلـرَّوَاحِ تَـرَوَّعَـتْ قُلُوبُ النَّدَامَى وَالْمُحِبُّ شَفِيقُ
فَـلِـلَّـهِ قَـلْـبٌ بِـالـفِـرَاقِ مُـرَوَّعٌ حَزِينٌ وَجَفْنٌ بِالدُّمُوعِ شَرِيقُ
وَقَالَ لِي الْخُلَّانُ صِفْ حُسْنَ يَوْمِنَا فَـأَنْـتَ بِـنَـجْـدِيِّ الْـكَـلامِ خَـلِـيـقُ
فَرَوَّيْتُ شَيْئًا ثُمَّ جِئْتُ بِمَنْطِقٍ ذَكِيٍّ يَفُوقُ الْمِسْكَ وَهْوَ فَتِيقُ
وَكَيْفَ يَغُبُّ القَوْلُ عَنِّي وَفِي فَمِي لِسَانٌ كَغَرْبِ المَشْرَفِيِّ ذَلِيقُ

وَقَالَ يُعَرِّضُ بِرُؤَسَاءِ الْجُنْدِ الَّذِينَ تَخَاذَلُوا فِي الثَّوْرَةِ العُرَابِيَّةِ: (من الطويل)

لأَيِّ خَـلِـيـلٍ فِـي الـزَّمَـانِ أُرَافِـقُ وَأَكْـثَـرُ مَـنْ لاقَـيْـتُ خِـبٌّ مُـنَـافِـقُ
بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرَ صَادِقًا فَـأَيْـنَ لَـعَـمْـرِي الأَكْـرَمُـونَ الأَصَـادِقُ
أُحَاوِلُ أَمْرًا قَصَّرَتْ دُونَهُ النُّهَى وَشَابَتْ وَلَمْ تَبْلُغْ مَدَاهُ الْمَفَارِقُ
وَأَعْـظَـمُ مَـا تَـرْجُـوهُ مَـا لا تَـنَـالُـهُ وَأَكْـثَـرُ مَـنْ تَـلْـقَـاهُ مَـنْ لا يُـوَافِـقُ
وَمَـا كُـلُّ مَـنْ حَـدَّ الـرَّوِيَّـةَ حَـازِمٌ وَلا كُـلُّ مَـنْ رَامَ الـسَّـوِيَّـةَ فَـارِقُ
أَضَعْتُ زَمَانِي بَيْنَ قَوْمٍ لَوَ انَّ لِي بِهِمْ غَيْرَهُمْ مَا أَرْهَقَتْنِي الْبَوَائِقُ
فَإِنْ أَكُ مُلْقَى الرَّحْلِ فِيهِمْ فَإِنَّنِي لَهُمْ بِالْخِلالِ الصَّالِحَاتِ مُفَارِقُ
مَعَاشِرُ سَادُوا بِالنِّفَاقِ وَمَا لَهُمْ أُصُـولٌ أَظَـلَّـتْـهَـا فُـرُوعٌ بَـوَاسِـقُ
فَأَعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْخُصُومَةِ جَاهِلٌ وَأَتْـقَـاهُـمُ عِـنْـدَ الْـعَـفَـافَـةِ فَـاسِـقُ
طَلاقَةُ وَجْهٍ تَحْتَهَا الْغَيْظُ كَاشِرٌ وَنَـغْـمَـةُ وُدٍّ بَـيْـنَـهَـا الْـغَـدْرُ نَـاعِـقُ
وَأَخْـلاقُ صِـبْـيَـانٍ إِذَا مَـا بَـلَـوْتَـهُـمْ عَلِمْتَ بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ نَافِقُ
تَعَلَّمْتُ كَظْمَ الْغَيْظِ فِيهِمْ وَإِنَّهُ لَحِلْمٌ وَلَكِنْ لِلْحَفِيظَةِ مَاحِقُ
دَعَوْنِي إِلَى الْجُلَّى فَقُمْتُ مُبَادِرًا وَإِنِّـي إِلَـى أَمْـثَـالِ تِـلْـكَ لَـسَـابِـقُ
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الْجِدُّ سَاقُوا حُمُولَهُمْ إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُ حَادٍ وَسَائِقُ
فَـلا رَحِـمَ الـلـهُ امْـرَأً بَـاعَ دِيـنَـهُ بِـدُنْـيَـا سِـوَاهُ وَهْـوَ لِـلْـحَـقِّ رَامِـقُ
عَلَى أَنَّنِي حَذَّرْتُهُمْ غِبَّ أَمْرِهِمْ وَأَنْـذَرْتُـهُـمْ لَـوْ كَـانَ يَـفْـقَـهُ مَـائِـقُ
وَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا عَنِ الشَّرِّ تَغْنَمُوا فَـلِـلـشَّـرِّ يَـوْمٌ لا مَـحَـالَـةَ مَـاحِـقُ
فَظَنُّوا بِقَوْلِي غَيْرَ مَا فِي يَقِينِهِ عَلَى أَنَّنِي فِي كُلِّ مَا قُلْتُ صَادِقُ

فَهَلْ عَلِمُوا أَنِّي صَدَعْتُ بِحُجَّتِي ... وَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْخَفَاءِ الْحَقَائِقُ
فَتَبًّا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَيْسَ فِيهِمُ ... رَشِيدٌ وَلا مِنْهُمْ خَلِيلٌ مُصَادِقُ
ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْرًا فَأُبْتُ بِحَسْرَةٍ ... لَهَا شَجَنٌ بَيْنَ الجَوانِحِ لاصِقُ
فَيَا لَيْتَنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُنْ ... زَعِيمًا وَعَاقَتْنِي لِذَاكَ الْعَوَائِقُ
وَيَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ ... وَلَمْ أَرَ مَا آلَتْ إِلَيْهِ الْوَثَائِقُ
هُمُ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا ... سِرَاعًا وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقُ
وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا فَمَا بَدَا ... سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءُ طَوَالِقُ
مَضَوْا غَيْرَ مَعْذُورِينَ لا النَّقْعُ سَاطِعٌ ... وَلا الْبِيضُ فِي أَيْدِي الْكُمَاةِ دَوَالِقُ
وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبْأَةٌ فَتَفَرَّقُوا ... كَمَا انْقَضَّ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ
فَكَمْ آبِقٍ تَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ طَارِدٍ ... وَكَمْ وَاقِفٍ تَلْقَاهُ وَالْعَقْلُ آبِقُ
إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصًا يَقُولُونَ جَحْفَلٌ ... وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ
أُسُودٌ لَدَى الأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ ... وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِقُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمِ سَيْفِهِ ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ

وقال: (من الكامل)

إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعَ أَرْبَعٍ ... مَجْمُوعَةِ الأَجْزَاءِ فِي أَخْلاقِهِ
تَبْدُو فَوَاعِلُهَا عَلَى حَرَكَاتِهِ ... فِي بَطْشِهِ وَسُكُونِهِ وَنِزَاقِهِ
فَإِذَا تَغَلَّبَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى ... أَقْرَانِهِ أَدَّى إِلَى إِقْلاقِهِ
بَيْنَا تَرَاهُ كَالزُّلالِ لَطَافَةً ... أَلْفَيْتَهُ كَالنَّارِ فِي إِحْرَاقِهِ
أَوْ كَالتُّرَابِ يَهِيلُ مِنْ عَقَدَاتِهِ ... أَوْ كَالْهَوَاءِ يَجُولُ فِي آفَاقِهِ
فَإِذَا تَعَادَلَ جَمْعُهَا وَتَوَازَنَتْ ... حَرَكَاتُهَا كَانَتْ دَلِيلَ وِفَاقِهِ
وَالْمَرْءُ مَهْمَا كَانَ فِي أَفْعَالِهِ ... لا يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى أَعْرَاقِهِ

وقَالَ: (من الوافر)

أَضِنُّ بِصَاحِبِي وَأَذُودُ عَنْهُ ... وَأَمْنَحُهُ السَّوِيَّةَ فِي الْحُقُوقِ
وَإِنْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِهِ فَإِنِّي ... أَقُومُ بِنَصْرِهِ فِعْلَ الصَّدِيقِ

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْ أَخَاهُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقِ
فَدَعْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيهِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

وقال (من الطويل)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاةَ بِمِثْلِهَا لِيَدْفَعَ ضَيْمًا فَهْوَ بِالذُّلِّ أَخْلَقُ
ومَن شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذودُ بِها عَن نَفْسِهِ فَهْوَ أحمَقُ

وَقَالَ: (من الكامل)

اكْتُمْ ضَميركَ مِن عَدُوِّكَ جاهِدًا وحَذارِ لا تُطلِعْ عَليهِ رَفيقًا
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ مُعَادِيًا وَلَرُبَّمَا رَجَعَ العَدُوُّ صَدِيقًا

وقَالَ يفْتَخِرُ بِشِعْرِهِ: (من الطويل)

تَرَنَّمْ بِأَشْعَارِي وَدَعْ كُلَّ مَنْطِقِ فَمَا بَعْدَ قَوْلِي مِنْ بَلاغٍ لِمُفْلِقِ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَاذِيُّ طَوْرًا وَتَارَةً يَثُورُ الشَّجَا مِنْهُ مَكَانَ الْمُخَنَّقِ
يُغَنِّي بِهِ شَادٍ وَيَحْدُو رِكَابَهُ بِهِ كُلُّ حَادٍ بَيْنَ بَيْدَاءَ سَمْلَقِ
فَطَوْرًا تَرَاهُ زَهْرَةً بَيْنَ مجْلِسٍ وَطَوْرًا تَرَاهُ لَهْذَمًا بَيْنَ فَيْلَقِ
وَمَا كَلَفِي بِالشِّعْرِ إِلَّا لأَنَّهُ مَنَارٌ لِسَارٍ أَوْ نَكَالٌ لأَحْمَقِ
عَلِقْتُ بِهِ طِفلًا وَشِبْتُ وَلَمْ يَزَلْ شَدِيدًا بِأَهْدَابِ الْكَلامِ تَعَلُّقِي
إِذَا قُلْتُ بَيْتًا سَارَ فِي الدَّهْرِ ذِكْرُهُ مَسِيرَ الْحَيَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
يَهِيمُ بِهِ رَبُّ الْحُسَامِ حَمَاسَةً وَتَلْهُو بِهِ ذَاتُ الْوِشَاحِ الْمُنَمَّقِ
بَلَغْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ فَلَمْ أَدَعْ بَدَائعَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ
فَهَذَا نَمِيرُ الشِّعْرِ فَاقْصِدْ حِيَاضَهُ لِتَرْوَى وَهَذَا مُرْتَقَى الفَضْلِ فَارْتَقِ

وقال: (من الطويل)

سَلِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ إِنْ كَانَ يَنْطِقُ وَكَيْفَ يُحِيرُ القَوْلَ أَخْرَسُ مُطْرِقُ
نُسَائِلُهُ عَنْ شَأْنِهِ وَهْوَ صَامِتٌ وَنَخْبُرُ مَا فِي نَفْسِهِ وَهْوَ مُطْبَقُ

فَلا سِرُّهُ يَبْدُو وَلا نَحْنُ نَرْعَوِي وَلا شَأْوُهُ يَدْنُو وَلا نَحْنُ نَلْحَقُ
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ مِنْهُ لُبَانَةً وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ عَنِ الظَّنِّ أَسْحَقُ
فَضَاءٌ يَرُدُّ الْعَيْنَ حَسْرَى وَمَسْرَحٌ يَقُصُّ جَنَاحَ الْفِكْرِ وَهْوَ مُحَلِّقُ
أَقَامَ عَلَى رَغْمِ الفَنَاءِ وَكُلُّ مَا تَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ يَنْفُقُ
فَكَمْ ثَلَّ عَرْشًا وَاسْتَبَاحَ قَبِيلَةً وفَرَّقَ جَمعًا وَهْوَ لا يَتَفَرَّقُ
تَحَسَّى مَرَارَاتِ الْكُبُودِ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ صِبْغَةٌ مِنْ لَوْنِهَا فَهْوَ أَزْرَقُ
نَهَارٌ وَلَيْلٌ يَدْأَبَانِ وَأَنْجُمٌ تَغِيبُ إِلَى مِيقَاتِهَا ثُمَّ تَشْرُقُ
تَرِفُّ كَزَهْرٍ طَوَّحَتْهُ عَوَاصِفٌ بِلُجَّةِ مَاءٍ فَهْوَ يَطْفُو وَيَغْرَقُ
سَوَابِحُ لا تَنْفَكُّ تَجْرِي لِغَايَةٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ الْمُتَعَمِّقُ
فَيَا أَيُّهَا السَّارِي عَلَى غَيْرِ هُدْيَةٍ رُوَيْدًا فَإِنَّ الْبَابَ دُونَكَ مُغْلَقُ
أَتَحْسَبُ أَنَّ الظَّنَّ يُدْرِكُ بَعْضَ مَا تُحَاوِلُهُ وَالظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُوبِقُ
وَكَيْفَ يَنَالُ الْحِسُّ وَهْوَ مُحَدَّدٌ سَرِيرَةَ غَيْبٍ دُونَهَا الْحِسُّ يَصْعَقُ
فَلا تَتَّبِعْ رَيْبَ الظُّنُونِ فَكُلُّ مَا تَصَوَّرَهُ الإِنْسَانُ وَهْمٌ مُلَفَّقُ
وَلا تَحْسَبَنَّ الْحَدْسَ يُدْرِكُ مَا نَأَى فَمَا كُلَّ حِينٍ قَائِفُ الْحَدْسِ يَصْدُقُ
وَأَيْنَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِدْرَاكُ حِكْمَةٍ بِهَا يُنْشِئُ اللَّهُ الْقُرُونَ وَيَمْحَقُ؟
فَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ حَالَةَ نَفْسِهِ كَفَاهُ وَلَكِنَّ ابنَ آدَمَ أَخرَقُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْلِكْ بَوَادِرَ وَهْمِهِ عَنِ الْقَوْلِ فِيمَا لَمْ يُفِدْ فَهْوَ أَحْمَقُ
فَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا يَزُولُ وَمَلْبُوسُ الْجَدِيدَيْنِ يَخْلُقُ
فَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا سَتَخْشُنُ مِنْ بَعْدِ اللَّيَانِ وتَخْرُقُ
فَلا وُدُّهَا يَبْقَى وَلا صَفْوُ عَيْشِهَا يَدُومُ وَلا مَوْعُودُهَا يَتَحَقَّقُ
فَكَمْ أَخْلَفَتْ وَعْدًا وَمَلَّتْ صَحَابَةً وَخَانَتْ وَفِيًّا فَهْيَ بَلْهَاءُ تَنْزَقُ
وَكَيْفَ يَعِيشُ الدَّهْرَ خِلْوًا مِنَ الأَسَى سَقِيمٌ يُغَادَى بِالْهُمُومِ وَيُطْرَقُ
لَعَمْرُ أَبِي إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ صَفَتْ مَسَافَةَ يَوْمٍ فَهْوَ صَفْوٌ مُرَنَّقُ
فَفِيمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ وَفِي طُولِهَا شَمْلُ الْهَنَاءِ مُفرَّقُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مُسْتَعِدٌّ لِوَثْبَةٍ فَحِذْرَكَ مِنْهُ فَهْوَ غَضْبَانُ مُطْرِقُ
كَأَنَّ هِلالَ الأُفْقِ سَيْفٌ مُجَرَّدٌ عَلَيْنَا بِهِ وَالنَّجْمَ سَهْمٌ مُفَوَّقُ
أَبَادَ بَنِيهِ ظَالِمًا غَيْرَ رَاحِمٍ فَيَا عَجَبًا مِنْ وَالِدٍ لَيْسَ يُشْفِقُ

فَلا تَبْتَئِسْ بِالأَمْرِ تَخْشَى وُقُوعَهُ ... فَقَدْ يَأْمَنُ الإنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَفْرَقُ
فَمَا كُلُّ مَا تَهْوَاهُ يَأْتِيكَ بِالْمُنَى ... وَلا كُلُّ مَا تَخْشَاهُ فِي الدَّهْرِ يَطْرُقُ
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللهِ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ ... فَلَلَّهُ أَوْلَى بِالْعِبَادِ وَأَرْفَقُ

وَقَالَ وَهُوَ «بِسَرَنْدِيبَ»: (من الطويل)

أَسَلَّةُ سَيْفٍ أَمْ عَقِيقَةُ بَارِقِ ... أَضَاءَتْ لَنَا وَهْنًا سَمَاوَةَ بَارِقِ
لَوَى الرَّكْبُ أَعْنَاقًا إِلَيْهَا خَوَاضِعًا ... بِزَفْرَةِ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةِ وَامِقِ
وَفِي حَرَكَاتِ الْبَرْقِ لِلشَّوْقِ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى مَا جَنَّهُ كُلُّ عَاشِقِ
تَفُضُّ جُفُونًا عَنْ دُمُوعٍ سَوَائِلٍ ... وَتَفْرِي صُدُورًا عَنْ قُلُوبٍ خَوَافِقِ
وَكَيْفَ يَعِي سِرَّ الْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ ... وَيَعْرِفُ مَعْنَى الشَّوْقِ مَنْ لَمْ يُفَارِقِ
لَعَمْرُ الْهَوَى إِنِّي لَدُنْ شَفَّنِي النَّوَى ... لَفِي وَلَهٍ مِنْ سَوْرَةِ الْوَجْدِ مَاحِقِ
كَفَى بِمُقَامِي فِي سَرَنْدِيبَ غُرْبَةً ... نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلائِقِ
وَمَنْ رَامَ نَيْلَ الْعِزِّ فَلْيَصْطَبِرْ عَلَى ... لِقَاءِ الْمَنَايَا وَاقْتِحَامِ الْمَضَايِقِ
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ رَنَّقْنَ مَشْرَبِي ... وثَلَّمْنَ حَدِّي بِالْخُطُوبِ الطَّوَارِقِ
فَمَا غَيَّرَتْنِي مِحْنَةٌ عَنْ خَلِيقَتِي ... وَلا حَوَّلَتْنِي خُدْعَةٌ عَنْ طَرَائِقِي
وَلَكِنَّنِي بَاقٍ عَلَى مَا يَسُرُّنِي ... وَيُغْضِبُ أَعْدَائِي وَيُرْضِي أَصَادِقِي
فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ ... كَفَرْحَةِ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَاذِقِ
فَتِلْكَ بِهَذِي وَالنَّجَاةُ غَنِيمَةٌ ... مِنَ النَّاسِ وَالدُّنْيَا مَكِيدَةُ حَاذِقِ
أَلا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِجَهْلِهِ ... وَلَمْ يَدْرِ أَنِّي دُرَّةٌ فِي الْمَفَارِقِ
تَعَزَّ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِاللُّؤْمِ وَاعْتَزِلْ ... فَإِنَّ الْعُلا لَيْسَتْ بِلَغْوِ الْمَنَاطِقِ
فَمَا أَنَا مِمَّنْ تَقْبَلُ الضَّيْمَ نَفْسُهُ ... وَيَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ كُلُّ مَائِقِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ لِمَا فِيهِ مَجْدُهُ ... قَضَى وَهْوَ كَلٌّ فِي خُدُورِ الْعَوَاتِقِ
وَأَيُّ حَيَاةٍ لامْرِئٍ إِنْ تَنَكَّرَتْ ... لَهُ الْحَالُ لَمْ يَعْقِدْ سُيُورَ الْمَنَاطِقِ
فَمَا قُذُفَاتُ الْعِزِّ إِلَّا لِمَاجِدٍ ... إِذَا هَمَّ جَلَّى عَزْمُهُ كُلَّ غَاسِقِ
يَقُولُ أُنَاسٌ إِنَّنِي ثُرْتُ خَالِعًا ... وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلائِقِي
وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِبًا ... رِضَا اللهِ وَاسْتَنْهَضْتُ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
أَمَرْتُ بِمَعْرُوفٍ وَأَنْكَرْتُ مُنْكَرًا ... وَذَلِكَ حُكْمٌ فِي رِقَابِ الْخَلائِقِ

فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي فَإِنَّنِي … أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةَ خَالِقِي

وَهَلْ دَعْوَةُ الشُّورَى عَلَيَّ غَضَاضَةٌ … وَفِيهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهُدَى كُلُّ فَارِقِ

بَلَى إِنَّهَا فَرْضٌ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ … عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسُوقٍ وَسَائِقِ

وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَرْءُ حُرًّا مُهَذَّبًا … وَيَرْضَى بِمَا يَأْتِي بِهِ كُلُّ فَاسِقِ

فَإِنْ نَافَقَ الأَقْوَامُ فِي الدِّينِ غَدْرَةً … فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ غَيْرُ مُنَافِقِ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ آلُ نُصْحًا لِمَعْشَرٍ … أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقِ

رَأَوْا أَنْ يَسُوسُوا النَّاسَ قَهْرًا فَأَسْرَعُوا … إِلَى نَقْضِ مَا شَادَتْهُ أَيْدِي الْوَثائِقِ

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ … مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلادِ فَأَقْبَلُوا … إِلَيْهِمْ سِراعًا بَيْنَ آتٍ وَلاحِقِ

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلادِ نَفَاذَ مَا … تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقِ

فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا … وَحَالَ طِلابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافُقِ

أُنَاسٌ شَرَوْا خِزْيَ الضَّلالَةِ بِالهُدَى … نِفَاقًا وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُم بِدَانِقِ

فَجَاءُوا إِلَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ضَلالَهُمْ … بِخُدْعَةِ مُغْتَالٍ وَحِيلَةِ سَارِقِ

فَلَمَّا اطْمَأَنُّوا فِي الْبِلادِ وَأَيْقَنُوا … بِعَجْزِ الْمُحَامِي دُونَهَا وَالْمَوَاثِقِ

أَقَامُوا وَقَالُوا تِلْكَ يَا قَوْمُ أَرْضُنَا … وَمَا أَحَدٌ مِنَّا لَهَا بِمُفَارِقِ

وَعَاثُوا بِهَا يَنْفُونَ مَنْ خِيفَ بَأْسُهُ … عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى الْبَوائِقِ

وَأَصْبَحَ وَادِي النِّيلِ نَهْبًا وَأَصْبَحَتْ … إِمَارَتُهُ الْقَعْسَاءُ نُهْزَةَ مَارِقِ

فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَلا تَسَلْ … سِوَايَ فَإِنِّي عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ

فَيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكِ وَارْتَوَى … ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقِ

وَلا بَرِحَتْ تَمْتَارُ مِنْكِ يَدُ الصِّبَا … أَرِيجًا يُدَاوِي عَرْفُهُ كُلَّ نَاشِقِ

فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي وَمَشْعَبُ أُسْرَتِي … وَمَلْعَبُ أَتْرَابِي وَمَجْرَى سَوَابِقِي

بِلادٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي … وَنَاطَ نِجَادَ الْمَشْرَفِيِّ بِعَاتِقِي

إِذَا صَاغَهَا بَهْزَارُ فِكْرِي تَصَوَّرَتْ … لِعَيْنِي فِي زِيٍّ مِنَ الْحُسْنِ رَائِقِ

تَرَكْتُ بِهَا أَهْلًا كِرَامًا وَجِيرَةً … لَهُمْ جِيرَةٌ تَعْتَادُنِي كُلَّ شَارِقِ

هَجَرْتُ لَذِيذَ الْعَيْشِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ … وَوَدَّعْتُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ الْغُرَانِقِ

فَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ لِي بِلِقَائِهِمْ … وَيَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا مَشُوقٌ بِشَائِقِ

لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ النَّوَى وَتَقَطَّعَتْ … وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ شَتَّى الْمَوَاثِقِ

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ سَاءَتْ صُرُوفُهَا فَإِنِّي بِفَضْلِ اللهِ أَوَّلُ وَاثِقِ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلأَوْطَانِ كُلُّ مُفَارِقِ

قافية الكاف

قَالَ فِي الغَزَل: (من الرمل)

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ فَبَكَى ... وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ فَشَكَا
وَتَمنَّى نَظْرَةً يَشْفِي بِهَا ... عِلَّةَ الشَّوْقِ فَكَانَتْ مَهْلَكَا
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ ... مَهْبِطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا
نَظْرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ ... ثُمَّ أَغْرَاهَا فَكَانَتْ شَرَكَا
غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُبَّهُ ... وَسَقَتْهُ أَدْمُعِي حَتَّى زَكَا
آهٍ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى إِنَّ لَهُ ... بَيْنَ جَنْبَيَّ مِنَ النَّارِ ذَكَا
كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنِّي رَمَقًا ... فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكَا
إِنَّ طَرْفِي غَرَّ قَلْبِي فَمَضَى ... فِي سَبِيلِ الشَّوْقِ حَتَّى هَلَكَا
قَدْ تَوَلَّى إِثْرَ غِزْلانِ النَّقَا ... لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ وَادٍ سَلَكَا
لَمْ يَعُدْ بَعْدُ وَظَنِّي أَنَّهُ ... لَجَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى فَارْتَبَكَا
وَيْحَ قَلْبِي مِنْ غَرِيمٍ مَاطِلٍ ... كُلَّمَا جَدَّدَ وَعْدًا أَفَكَا
ظَنَّ بِي سُوءًا وَقَدْ سَاوَمْتُهُ ... قُبْلَةً فَازْوَرَّ حَتَّى فَرِكَا
فَاغْتَفِرْهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِئٍ ... لَمْ يَكُنْ بِاللَّهِ يَوْمًا أَشْرَكَا
يَا غَزالًا نَصَبَتْ أَهْدَابُهُ ... بِيَدِ السِّحْرِ لِضَمِّي شَبَكَا
قَدْ مَلَكْتَ الْقَلْبَ فَاسْتَوْصِ بِهِ ... إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكَا
لا تُعَذِّبْهُ عَلَى طَاعَتِهِ ... بَعْدَ مَا تَيَّمْتَهُ فَهْوَ لَكَا
غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى ... فِيكَ وَاسْتَوْلَى عَلَى الضِّحْكِ الْبُكَا

فَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي   مِنْ غَرَامٍ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى؟
سَلَكَتْ نَفْسِي سَبِيلًا فِي الْهَوَى   لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِغَيْرِي مَسْلَكَا

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ أَيْضًا: (من السريع)

يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ هَوَى شَادِنٍ   غَازَلَ قَلْبِي لَحْظُهُ فَانْهَتَكْ
ذِي نَظْرَةٍ كَالسِّحْرِ لَوْ صَادَفَتْ   غَمْزَتُهَا لَيْثَ وَغًى مَا فَتَكْ
فَكَيْفَ أَحْمِي مُهْجَتِي بَعْدَمَا   خَامَرَهَا الوَجْدُ فَطَارَتْ بِتَكْ
فَلا يَلُمْنِي غَافِلٌ فَالْهَوَى   سَيْفٌ إِذَا مَرَّ بِشَيءٍ بَتَكْ
مَاذَا عَلَى مَنْ بَخِلَتْ نَفْسُهُ   بِالْوَصْلِ لَو قَبَّلْتُ طَرْفَ الأَتَكْ

وقال: (من الكامل)

تَاللهِ لَسْتَ بِهَالِكٍ جُوعًا وَلَا   لاقٍ وَإِنْ طَوَّفْتَ إِلَّا رِزْقَكَا
إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى   وَأَقَاتَهُ فَعَلامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَا

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من مجزوء الكامل)

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لا تُفِيـ   ـقُ مِنَ الْهَوى يَا قَلْبُ مَا لَكْ
أَوَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعُو   دَ عَنِ الصِّبَا أَوَمَا بَدَا لَكْ
أَمْ خِلْتَ أَنَّ يَدَ الزَّمَا   نِ قَصِيرَةٌ عَنْ أَنْ تَنَالَكْ
هَيْهَاتَ صَدَّ بِكَ الْهَوَى   عَنْ أَنْ تَرِيعَ وَلَنْ إِخَالَكْ
سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّذِي   أَنْشَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَعَالَكْ
وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَا   لِ فَإِنَّهُ يَبْرِي مِحَالَكْ
فَعَسَاكَ تَنْزِعُ مِنْ يَدِ الـ   أَهْوَاءِ يَا قَلْبِي حِبَالَكْ

قافية اللام

وقال في ذم الحكام وحض الناس على طلب العدل. وذلك في عهد «إسماعيل باشا» خديو مصر: (من البسيط)

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ — وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ

يَأْبَى لِيَ الْغَيَّ قَلْبٌ لا يَمِيلُ بِهِ — عَنْ شِرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

أَهِيمُ بِالْبِيضِ فِي الأَغْمَادِ بَاسِمَةً — عَنْ غُرَّةِ النَّصْرِ لا بِالْبِيضِ فِي الْكِلَلِ

لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ — فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الثَّمَلِ

كَمْ بَيْنَ مُنْتَدِبٍ يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ — وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

لَولا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ — مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَلِ

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا — فَالْبَازُ لَمْ يَأْوِ إِلَّا عَالِيَ الْقُلَلِ

وَدَعْ مِنَ الأَمْرِ أَدْنَاهُ لأَبْعَدِهِ — فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ

قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الأَلْوَى بِحَاجَتِهِ — وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيَّابَةِ الْوَكَلِ

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمْ فَرُبَّ فَتًى — أَلْقَى بِهِ الأَمْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ

وَلا يَغُرَّنْكَ بِشْرٌ مِنْ أَخِي مَلَقٍ — فَرَوْنَقُ الآلِ لا يَشْفِي مِنَ الْغَلَلِ

لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ دَخَنٍ — لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ

فَلا تَثِقْ بِوِدَادٍ قَبْلَ مَعْرِفَةٍ — فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ

وَاخْشَ النَّمِيمَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ قَائِلَهَا — يُصْلِيكَ مِنْ حَرِّهَا نَارًا بِلا شُعَلِ

كَمْ فِرْيَةٍ صَدَعَتْ أَرْكَانَ مَمْلَكَةٍ — وَمَزَّقَتْ شَمْلَ وُدٍّ غَيْرِ مُنْفَصِلِ

فَاقْبَلْ وَصَاتِي وَلا تَصْرِفْكَ لاغِيَةٌ — عَنِّي فَمَا كُلُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

إِنِّي امْرُؤٌ كَفَّنِي حِلْمِي وَأَدَّبَنِي ... كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ مَاضٍ وَمُقْتَبَلِ
فَمَا سَرَيْتُ قِنَاعَ الْحِلْمِ عَنْ سَفَهٍ ... وَلا مَسَحْتُ جَبِينَ الْعِزِّ مِنْ خَجَلِ
حَلَبْتُ أَشْطُرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً ... وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلِ
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَيَّامِ بَاقِيَةً ... أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ
لَكِنَّنَا غَرَضٌ لِلشَّرِّ فِي زَمَنٍ ... أَهْلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ ... أَدْهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى ثَكَلِ
مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ ... بُغْضًا وَيَلْفِظُهُ الدِّيوَانُ مِنْ مَلَلِ
ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ واضْطَرَبَتْ ... قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلِ
وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْفُسْطَاطِ خَاضِعَةً ... بَعْدَ الإِبَاءِ وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ
قَوْمٌ إِذَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلًا وَجَمُوا ... غَيْظًا وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقَدُّ مِنْ دَغَلِ
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلا عَجَبٌ ... فَالشَّمْسُ وَهْيَ ضِيَاءٌ آفَةُ الْمُقَلِ
نَزَّهْتُ نَفْسِيَ عَمَّا يَدْنَسُونَ بِهِ ... وَنَخْلَةُ الرَّوْضِ تَأْبَى شِيمَةَ الْجُعَلِ
بِئْسَ الْعَشِيرُ وَبِئْسَتْ مِصْرُ مِنْ بَلَدٍ ... أَضْحَتْ مُنَاخًا لأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
أَرْضٌ تَأَثَّلَ فِيهَا الظُّلْمُ وَانْقَذَفَتْ ... صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لَمْ يَخْطُ فِيهَا امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى زَلَلِ
لَمْ أَدْرِ مَا حَلَّ بِالأَبْطَالِ مِنْ خَوَرٍ ... بَعْدَ الْمِرَاسِ وَبِالأَسْيَافِ مِنْ فَلَلِ
أَصَوَّحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ أَمْ نَضَبَتْ ... غُدْرُ الْحَمِيَّةِ حَتَّى لَيْسَ مِنْ رَجُلِ
لا يَدْفَعُونَ يَدًا عَنْهُمْ وَلَوْ بَلَغَتْ ... مَسَّ الْعَفَافَةِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَزَلِ
خَافُوا الْمَنِيَّةَ فَاحْتَالُوا وَمَا عَلِمُوا ... أَنَّ الْمَنِيَّةَ لا تَرْتَدُّ بِالْحِيَلِ
فَفِيمَ يَتَّهِمُ الإِنْسَانُ خَالِقَهُ ... وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا قَيْدٌ مِنَ الأَجَلِ
هَيْهَاتَ يَلْقَى الْفَتَى أَمْنًا يَلَذُّ بِهِ ... مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْرًا مِنَ الْوَهَلِ
فَمَا لَكُمْ لا تَعَافُ الضَّيْمَ أَنْفُسُكُمْ ... وَلا تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَلِ
وَتِلْكَ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلادُ بِهَا ... لَفِيفَ أَسْلافِكُمْ فِي الأَعْصُرِ الأُوَلِ
قَوْمٌ أَقَرُّوا عِمَادَ الْحَقِّ وَامْتَلَكُوا ... أَزِمَّةَ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
جَنَوْا ثِمَارَ الْعُلا بِالْبِيضِ وَاقْتَطَفُوا ... مِنْ بَيْنِ شَوْكِ الْعَوَالِي زَهْرَةَ الأَمَلِ
فَأَصْبَحَتْ مِصْرُ تَزْهُو بَعْدَ كُدْرَتِهَا ... فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِيبِ النَّدَى خَضِلِ
لَمْ تَنْبُتِ الأَرْضُ إِلَّا بَعْدَمَا اخْتَمَرَتْ ... أَقْطَارُهَا بِدَمِ الأَعْنَاقِ وَالْقُلَلِ

شَنُّوا بِهَا غَارَةً أَلْقَتْ بِرَوْعَتِهَا   أَمْنًا يُؤَلِّفُ بَيْنَ الذِّئْبِ وَالْحَمَلِ

حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي مَعْقِلٍ أَشِبٍ   يَرُدُّ عَنْهَا يَدَ الْعَادِي مِنَ الْمِلَلِ

أَخْنَى الزَّمَانُ عَلَى فُرْسَانِهَا فَغَدَتْ   مِنْ بَعْدِ مَنْعَتِهَا مَطْرُوقَةَ السُّبُلِ

فَأَيَّ عَارٍ جَلَبْتُمْ بِالْخُمُولِ عَلَى   مَا شَادَهُ السَّيْفُ مِنْ فَخْرٍ عَلَى زُحَلِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ   فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ

فَبَادِرُوا الأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَانْتَزِعُوا   شِكَالَةَ الرَّيْثِ فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمًا أَخَا ثِقَةٍ   يَكُونُ رِدْءًا لَكُمْ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

مَاضِي الْبَصِيرَةِ غَلابٌ إِذَا اشْتَبَهَتْ   مَسَالِكُ الرَّأْيِ صَادَ الْبَازَ بِالْحَجَلِ

إِنْ قَالَ بَرَّ وَإِنْ نَادَاهُ مُنْتَصِرٌ   لَبَّى وَإِنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلا نَفَلِ

يَجْلُو الْبَدِيهَةَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ إِذَا   عَزَّ الْخِطَابُ وَطَاشَتْ أَسْهُمُ الْجَدَلِ

وَلا تَلَجُّوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لاحَ لَكُمْ   إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفَشَلِ

قَدْ يُدْرِكُ الْمَرْءُ بِالْتَدْبِيرِ مَا عَجَزَتْ   عَنْهُ الْكُمَاةُ وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى بَطَلِ

هَيْهَاتَ مَا النَّصْرُ فِي حَدِّ الأَسِنَّةِ بَلْ   بِقُوَّةِ الرَّأْيِ تَمْضِي شَوْكَةُ الأَسَلِ

وَطَالِبُوا بِحُقُوقٍ أَصْبَحَتْ غَرَضًا   لِكُلِّ مُنْتَزِعٍ سَهْمًا وَمُخْتَتِلِ

وَلا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشَؤُكُمْ   فَالْحُوتُ فِي الْيَمِّ لا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ

عَيْشُ الْفَتَى فِي فَنَاءِ الذُّلِّ مَنْقَصَةٌ   وَالْمَوْتُ فِي الْعِزِّ فَخْرُ السَّادَةِ النُّبَلِ

لا تَتْرُكُوا الْجِدَّ أَوْ يَبْدُو الْيَقِينُ لَكُمْ   فَالْجِدُّ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَطْلَبِ الْعَضِلِ

طَوْرًا عِرَاكًا وَأَحْيَانًا مُيَاسَرَةً   رِيَاضَةُ الْمُهْرِ بَيْنَ الْعُنْفِ وَالْمَهَلِ

حَتَّى تَعُودَ سَمَاءُ الأَمْنِ ضَاحِيَةً   وَيَرْفُلَ الْعَدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلَلِ

هَذِي نَصِيحَةُ مَنْ لا يَبْتَغِي بَدَلًا   بِكُمْ وهَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلِ

أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَظْمِ قَافِيَةٍ   مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشِّعْرِ مِنْ مَثَلِ

كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَالرَّعْدِ فِي زَجَلٍ   وَالْغَيْثِ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلِ فِي هَمَلِ

غَرَّاءُ تَعْلَقُهَا الأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ   وَتَسْتَطِيرُ بِهَا الأَلْبَابُ مِنْ جَذَلِ

حَوْلِيَّةٌ صَاغَهَا فِكْرٌ أَقَرَّ لَهُ   بِالْمُعْجِزَاتِ قَبِيلُ الإِنْسِ وَالْخَبَلِ

تَلُوحُ أَبْيَاتُهَا شَطْرَيْنِ فِي نَسَقٍ   كَالْمَشْرَفِيَّةِ قَدْ سُلَّتْ مِنَ الْخِلَلِ

إِنْ أَخْلَقَتْ جِدَّةُ الأَشْعَارِ أَثَّلَهَا   لَفْظٌ أَصِيلٌ ومَعْنًى غَيْرُ مُنْتَحَلِ

تَفْنَى النُّفُوسُ وَتَبْقَى وَهْيَ نَاضِرَةٌ   عَلَى الدُّهُورِ بَقَاءَ السَّبْعَةِ الطُّوَلِ

وَقَالَ وَهُوَ بِحُلْوَانَ وَقَدْ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً لِمُلازَمَةِ الحَمَّامَاتِ: (من الطويل)

طَرِبْتُ وَلَوْلا الْحِلْمُ أَدْرَكَنِي الْجَهْلُ ... وَعَاوَدَنِي مَا كَانَ مِنْ شِرَّتِي قَبْلُ
فَرُحْتُ كَأَنِّي خَامَرَتْنِي سَبِيئَةٌ ... مِنَ الرَّاحِ مَنْ يَعْلَقْ بِهَا الدَّهْرَ لا يَسْلُو
سَلِيلَةُ كَرْمٍ شَابَ فِي المَهْدِ رَأْسُهَا ... وَدَبَّ لَهَا نَسْلٌ وَمَا مَسَّهَا بَعْلُ
إِذَا وَلَجَتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ رَأَيْتَهَا ... وَرَاءَ بَنَاتِ الصَّدْرِ تَسْفُلُ أَوْ تَعْلُو
كَأَنَّ لَهَا ضِغْنًا عَلَى الْعَقْلِ كَامِنًا ... فَإِنْ هِيَ حَلَّتْ مَنْزِلًا رَحَلَ الْعَقْلُ
تُعَبِّرُ عَنْ سِرِّ الضَّمِيرِ بِأَلْسُنٍ ... مِنَ السُّكْرِ مَقْرُونٍ بِصِحَّتِهَا النَّقْلُ
مُحَبَّبَةٌ لِلنَّفْسِ وَهْيَ بَلاؤُهَا ... كَمَا حُبِّبَتْ فِي فَتْكِهَا الأَعْيُنُ النُّجْلُ
يَكَادُ يَذُودُ اللَّيْثَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ... إِذَا مَا تَحَسَّى كَأْسَهَا الْعَاجِزُ الْوَغْلُ
تَرَى لِخَوَابِيهَا أَزِيزًا كَأَنَّهَا ... خَلايَا تَغَنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النَّحْلُ
سَوَاكِنُ آطَامٍ زَفَتْهَا مَعَ الضُّحَى ... يَدَا عَاسِلٍ يَشْتَارُ أَوْ خَابِطٍ يَفْلُو
دَنَا ثُمَّ أَلْقَى النَّارَ بَيْنَ بُيُوتِهَا ... فَطَارَتْ شَعَاعًا لا يَقِرُّ لَهَا رَحْلُ
مُرَوَّعَةٌ هِيجَتْ فَضَلَّتْ سَبِيلَهَا ... فَسَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا انْتَشَرَ الرِّجْلُ
فَبِتُّ أُدَارِي الْقَلْبَ بَعْضَ شُجُونِهِ ... وَأَزْجُرُ نَفْسِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا الْهَزْلُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي وَالشَّبَابُ مَطِيَّةٌ ... إِلَى الْجَهْلِ أَنَّ الْعِشْقَ يَعْقُبُهُ الْخَبْلُ
رَمَى اللهُ هَاتِيكَ الْعُيُونَ بِمَا رَمَتْ ... وَحَاسَبَهَا حُسْبَانَ مَنْ حُكْمُهُ الْعَدْلُ
فَقَدْ تَرَكَتْنِي سَاهِيَ الْعَقْلِ سَادِرًا ... إِلَى الْغَيِّ لا عَقْدٌ لَدَيَّ وَلا حَلُّ
أَسِيرُ وَمَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَنْتَهِي ... بِيَ السَّيْرُ لكِنِّي تَلَقَّفُنِي السُّبْلُ
فَلا تَسْأَلَنِّي عَنْ هَوَايَ فَإِنَّنِي ... وَرَبِّكَ أَدْرِي كَيْفَ زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ
فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ نَظَرْتُ فُجَاءَةً ... بِحُلْوَانَ حَيْثُ انْهَارَ وَانْعَقَدَ الرَّمْلُ
إِلَى نِسْوَةٍ مِثْلِ الْجُمَانِ تَنَاسَقَتْ ... فَرَائِدُهُ حُسْنًا وَأَلَّفَهُ الشَّمْلُ
مِنَ الْمَاطِلاتِ الْمَرْءَ مَا قَدْ وَعَدْنَهُ ... كِذَابًا فَلا عَهْدٌ لَهُنَّ وَلا إِلُّ
تَكَنَّفْنَ تِمْثَالًا مِنَ الْحُسْنِ رَائِعًا ... يُجَنُّ جُنُونًا عِنْدَ رُؤْيَتِهِ الْعَقْلُ
فَكَانَ الَّذِي لَوْلاهُ مَا دُرْتُ هَائِمًا ... أَرُودُ الْفَيَافِي لا صَدِيقٌ وَلا خِلُّ
فَوَيْلُمِّهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَضْرَحِيَّةٍ ... رُمِيتُ بِهَا مِنْ حَيْثُ وَاجَهَنِي الأَثْلُ
رُمِيتُ بِهَا وَالْقَلْبُ خِلْوٌ مِنَ الْهَوَى ... فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ شُغْلُ
لَقَدْ عَلِقَتْ مَا لَيْسَ لِلنَّفْسِ دُونَهَا ... غَنَاءٌ وَلا مِنْهَا لِذِي صَبْوَةٍ وَصْلُ

فَتَاةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِي قَسَمَاتِهَا ... لَهَا مَنْظَرٌ مِنْ رَائِدِ الْعَيْنِ لا يَخْلُو
لَطِيفَةُ مَجْرَى الرُّوحِ لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ ... عَلَى سَارِبَاتِ الذَّرِّ مَا آدَهُ الْحِمْلُ
لَهَا نَظْرَةٌ سَكْرَى إِذَا أَرْسَلَتْ بِهَا ... إِلَى كَبِدٍ فَالْوَيْلُ مِنْ ذَاكَ وَالثُّكْلُ
تُرِيقُ دِمَاءً حَرَّمَ اللهُ سَفْكَهَا ... وَتَخْرُجُ مِنْهَا لا قِصَاصٌ ولا عَقْلُ
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي هَوَاهَا مَصَارِعٌ ... يَهِيجُ الرَّدَى فِيهَا وَيَلْتَهِبُ الْقَتْلُ
مَصَارِعُ شَوْقٍ لَيْسَ يَجْرِي بِهَا دَمٌ ... وَمَرْمَى نُفُوسٍ لا يَطِيرُ بِهِ نَبْلُ
هَنِيئًا لَهَا نَفْسِي عَلَى أَنَّ دُونَهَا ... فَوَارِسَ لا خُرْسُ الصِّفَاحِ وَلا عُزْلُ
مِنَ الْقَوْمِ ضَرَّابِي الْعَرَاقِيبِ وَالطُّلَى ... إِذَا اسْتَنَّتِ الْغَارَاتُ أَوْ فَغَرَ الْمَحْلُ
إِذَا نَامَتِ الأَضْغَانُ عَنْ وَتَرَاتِهَا ... فَقَوْمِيَ قَوْمٌ لا يَنَامُ لَهُمْ ذَحْلُ
رِجَالٌ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَنَجْدَةٍ ... فَقَوْلُهُمُ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمُ فِعْلُ
إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا إِلَى الأُفْقِ شَمْسَهُ ... وَسَالَ بِدِفَاعِ الْقَنَا الْحَزْنُ وَالسَّهْلُ
مَسَاعِيرُ حَرْبٍ لا يَخَافُونَ ذِلَّةً ... أَلا إِنَّ تَهْيَابَ الْحُرُوبِ هُوَ الذُّلُّ
إِذَا أَطْرَقُوا أَبْصَرْتَ بِالْقَوْمِ خِيفَةً ... لإِطْرَاقِهِمْ أَوْ بَيَّنُوا رَكَدَ الْحَفْلُ
وَإِنْ زَلَّتِ الأَقْدَامُ فِي دَرْكِ غَايَةٍ ... تَحَارُ بِهَا الأَلْبَابُ كَانَ لَهَا الْخَصْلُ
أُولَئِكَ قَوْمِي أَيَّ قَوْمٍ وَعُدَّةٍ ... فَلا رَبْعُهُمْ مَحْلٌ وَلا مَاؤُهُمْ ضَحْلُ
يَفِيضُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَيْضًا فَلَيْسَ فِي ... عَطَائِهِمُ وَعْدٌ وَلا بَعْدَهُ مَطْلُ
فَزُرْهُمْ تَجِدْ مَعْرُوفَهُمْ دَانِيَ الْجَنَى ... عَلَيْكَ وَبابَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قُفْلُ
تَرَى كُلَّ مَشْبُوبِ الْحَمِيَّةِ لمْ يَسِرْ ... إِلَى فِئَةٍ إِلَّا وَطَائِرُهُ يَعْلُو
بَعِيدُ الْهَوَى لا يَغْلِبُ الظَّنُّ رَأْيَهُ ... وَلا يَتَهَادَى بَيْنَ تَسْرَاعِهِ الْمَهْلُ
تَصِيحُ الْقَنَا مِمَّا يَدُقُّ صُدُورَهَا ... طِعَانًا وَيَشْكُو فِعْلَ سَاعِدِهِ النَّصْلُ
إِذَا صَالَ رَوَّى السَّيْفُ حَرَّ غَلِيلِهِ ... وَإِنْ قَالَ أَوْرَى زَنْدَهُ الْمَنْطِقُ الْفَصْلُ
لَهُ بَيْنَ مَجْرَى الْقَوْلِ آيَاتُ حِكْمَةٍ ... يَدُورُ عَلَى آدَابِهَا الْجِدُّ وَالْهَزْلُ
تَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ... مَخَايِلُ سَاوَى بَيْنَهَا الْفَرْعُ وَالأَصْلُ
فَأَشْيَبُنَا فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ أَمْرَدٌ ... وَأَمْرَدُنَا فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ كَهْلُ
لَنَا الْفَصْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وَهْوَ قَائِمٌ ... لَدَيْنَا وَفِيمَا بَعْدَ ذَاكَ لَنَا الْفَضْلُ

وَقَالَ وكَتَبَ بِهَا إلى الأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ «حُسَيْنٍ الْمَرْصَفِيِّ»: (من الطويل)

مَضَى اللَّهْوُ إِلَّا أَنْ يُخَبِّرَ سَائِلُ ... وَوَلَّى الصِّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلائِلُ
بَوَاقٍ تُمَارِيهَا أَفَانِينُ لَوْعَةٍ ... يُؤَرِّثُهَا فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ
فَلِلشَّوْقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ... وَخَبْلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلُ
أَلِفْتُ الضَّنَى إِلْفَ السُّهَادِ فَلَوْ سَرَى ... بِيَ الْبُرْءُ غَالَتْنِي لِذَاكَ الْغَوَائِلُ
فَلِلَّهِ هَذَا الشَّوْقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ ... أَسَالَ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ
رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا وَإِنَّنَا ... لَلُدٌّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
وَإِنَّا رِجَالٌ تَعْلَمُ الْحَرْبُ أَنَّنَا ... بَنُوهَا وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ
إِذَا مَا ابْتَنِي النَّاسُ الْحُصُونَ فَمَا لَنَا ... سِوَى الْبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ مَعَاقِلُ
فَمَا لِلْهَوَى يَقْوَى عَلَيَّ بِحُكْمِهِ ... أَلَمْ يَدْرِ أَنِّي الشَّمَّرِيُّ الْحُلاحِلُ
وَإِنِّي لَثَبْتُ الْجَأْشِ مُسْتَحْصِدُ الْقُوَى ... إِذَا أَخَذَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ الأَفَاكِلُ
إِذَا مَا اعْتَقَلْتُ الرُّمْحَ وَالرُّمْحُ صَاحِبِي ... عَلَى الشَّرِّ قَالَ الْقِرْنُ إِنِّي هَازِلُ
لَطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ مُطَاعِنٍ ... وَنَازَلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَازِلُ
وَشَاغَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنِّي بِعَزْمَةٍ ... أَرَتْنِي سَبِيلَ الرُّشْدِ وَالْغَيُّ حَائِلُ
إِذَا أَنْتَ أَعْطَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا ... فَأَضْيَعُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَعِيشَ مُحَسَّدًا ... تَنَازَعُ فِيهِ النَّاجِذَيْنِ الْأَنَامِلُ
لَعَمْرُكَ مَا الأَخْلاقُ إِلَّا مَوَاهِبٌ ... مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ الْوَرَى وَفَوَاضِلُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَادِحَانِ فَعَالِمٌ ... يَسِيرُ عَلَى قَصْدٍ وَآخَرُ جَاهِلُ
فَذُو الْعِلْمِ مَأْخُوذٌ بِأَسْبَابِ عِلْمِهِ ... وَذُو الْجَهْلِ مَقْطُوعُ الْقَرِينَةِ جَافِلُ
فَلا تَطْلُبَنْ فِي النَّاسِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... مِنَ الْوُدِّ أُمُّ الْوُدِّ فِي النَّاسِ هَابِلُ
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَرْضَى الْفَتَى غَيْرَ طَبْعِهِ ... وَأَنْ يَصْحَبَ الإِنْسَانُ مَنْ لا يُشَاكِلُ
بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرًّا فَلَمْ يَكُنْ ... سِوَى الْمَرْصَفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ
هُمَامٌ أَرَانِي الدَّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ ... وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَتْنِي الأَمَاثِلُ
أَخٌ حِينَ لا يَبْقَى أَخٌ وَمُجَامِلٌ ... إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ
بَعِيدُ مَجَالِ الْفِكْرِ لَوْ خَالَ خِيلَةً ... أَرَاكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الدَّهْرُ فَاعِلُ
طَرَحْتُ بَنِي الأَيَّامِ لَمَّا عَرَفْتُهُ ... وَمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَحْثِ إِلَّا مَخَايِلُ
فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا ... لأَوْرَدْتُهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ

فَـلا بَـرِحَـتْ مِـنِّـي إِلَـيْـهِ تَـحِـيَّـةٌ   تَنَاقَلُـهَا عَنِّي الضُّحَى وَالأَصَائِلُ
وَلا زَالَ غَضَّ الْعُمْرِ مُمْتَنِعَ الذُّرَا   مَرِيعَ الْفِنَا تُطْوَى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ

وَقَالَ فِي الفَخْرِ: (من الطويل)

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ   وَأَغْضَبْتُ فِي مَرْضَاةِ حُبِّ الْمَهَا عَقْلِي
وَنَـازَعْـتُ أَرْسَـانَ الْـبَـطَـالَـةِ وَالـصِّـبَـا   إِلَـى غَـايَـةٍ لَـمْ يَـأْتِـهَـا أَحَـدٌ قَـبْـلِـي
فَخُذْ فِي حَدِيثٍ غَيْرَ لَوْمِي فَإِنَّنِي   بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلامِكَ فِي شُغْلِ
إِذَا كَانَ سَمْعُ الْمَرْءِ عُرْضَةَ أَلْسُنٍ   فَمَـا هُـوَ إِلَّا لِـلْـخَـدِيـعَـةِ وَالْـخَـتْـلِ
رُوَيْدَكَ لا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ   أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ فَفِي الدَّهْرِ مَا يُسْلِي
فَلَيْسَتْ بِعَارٍ صَبْوَةُ الْمَرْءِ ذِي الْحِجَا   إِذَا سَلِمَتْ أَخْلاقُهُ مِنْ أَذَى الْخَبْلِ
وَإِنِّـي وَإِنْ كُـنْـتُ ابْـنَ كَـأْسٍ وَلَـذَّةٍ   لَـذُو تُـدْرَإٍ يَـوْمَ الْـكَـرِيـهَـةِ وَالْأَزْلِ
وَقُـورٌ وَأَحْـلامُ الـرِّجَـالِ خَـفِـيـفَـةٌ   صَبُورٌ وَنَارُ الْحَرْبِ مِرْجَلُهَا يَغْلِي
إِذَا رَاعَتِ الظَّلْمَاءُ غَيْرِي فَإِنَّمَا   هِلالُ الدُّجَى قَوْسِي وَأَنْجُمُهُ نَبْلِي
أَنَا ابْنُ الْوَغَى وَالْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالظُّبَا   وَسُمْرِ الْقَنَا وَالرَّأْيِ وَالْعَقْدِ والْحَلِّ
فَقُلْ لِلَّذِي ظَنَّ الْمَعَالِي قَرِيبَةً   رُوَيْدًا فَلَيْسَ الْجِدُّ يُدْرَكُ بِالْهَزْلِ
فَـمَـا تَـصْـدُقُ الآمَـالُ إِلَّا لِـفَـاتِـكٍ   إِذَا هَمَّ لَمْ تَعْطِفْهُ قَارِعَةُ الْعَذْلِ
لَهُ بِالْفَلا شُغْلٌ عَنِ الْمُدْنِ وَالْقُرَى   وَفِي رَائِدَاتِ الْخَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الأَهْلِ
إِذَا ارْتَـابَ أَمْـرًا أَلْـهَـبَـتْـهُ حَـفِـيـظَـةٌ   تُمِيتُ الرِّضَا بِالسُّخْطِ وَالْحِلْمَ بِالْجَهْلِ
فَلا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خَوْفَ مَنِيَّةٍ   فَإِنَّ احْتِمَالَ الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْقَتْلِ
وَلا تَلْتَمِسْ نَيْلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَةٍ   فَتَجْنِي ثِمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ
فَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ ذُو مَكِيدَةٍ   وَآخَرُ مَحْنِيُّ الضُّلُوعِ عَلَى دَخْلِ
تِبَاعُ هَوًى يَمْشُونَ فِيهِ كَمَا مَشَى   وَسُمَّاعُ لَغْوٍ يَكْتُبُونَ كَمَا يُمْلِي
وَمَـا أَنَـا وَالأَيَّـامُ شَـتَّـى صُـرُوفُـهَـا   بِمُهْتَضِمٍ جَارِي وَلا خَاذِلٍ خِلِّي
أَسِـيـرُ عَلَى نَـهْـجِ الْـوَفَـاءِ سَـجِـيَّـةً   وكلُّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ يَجْرِي عَلَى الأَصْلِ
تَـرَكْـتُ ضَـغِـيـنَـاتِ الـنُّـفُـوسِ لأَهْـلِـهَـا   وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي أَنْ أَبِيتَ عَلَى ذَحْلِ
كَذَلِكَ دَأْبِي مُنْذُ أَبْصَرْتُ حُجَّتِي   وَلِيدًا وَحُبُّ الْخَيْرِ مِنْ سِمَةِ النُّبْلِ
وَرُبَّ صَدِيقٍ كَشَفَ الْخُبْرُ نَفْسَهُ   فَعَايَنْتُ مِنْهُ الْجَوْرَ فِي صُورَةِ الْعَدْلِ

وَهَبْتُ لَهُ مَا قَدْ جَنَى مِنْ إسَاءَةٍ وَلَوْ شِئْتُ كَانَ السَّيْفُ أَدْنَى إِلَى الْفَصْلِ
وَمُسْتَخْبِرٍ عَنِّي وَمَا كَانَ جَاهِلًا بِشَأْنِي وَلَكِنْ عَادَةُ الْبُغْضِ لِلْفَضْلِ
أَتَى سَادِرًا حَتَّى إذا قَرَّ أَوْجَسَتْ سُوَيْدَاؤُهُ شَرًّا فَأَغْضَى عَلَى ذُلِّ
وَمَنْ حَدَّثَتْهُ النَّفْسُ بِالْغَيِّ بَعْدَمَا تَنَاهَى إِلَيْهِ الرُّشْدُ سَارَ عَلَى بُطْلِ
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أُرَى صَرِيعَ مَرَامٍ لا يَفُوزُ بِهَا خَصْلِي
أَقُولُ وَأَتْلُو الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ كُلَّمَا أَرَدْتُ وَبِئْسَ الْقَوْلُ كَانَ بِلا فِعْلِ
أَرَى السَّهْلَ مَقْرُونًا بِصَعْبٍ وَلا أَرَى بِغَيْرِ اقْتِحَامِ الصَّعْبِ مُدَّرَكَ السَّهْلِ
وَيَوْمٍ كَأَنَّ النَّقْعَ فِيهِ غَمَامَةٌ لَهَا أَثَرٌ مِنْ سَائِلِ الطَّعْنِ كَالْوَبْلِ
تَقَحَّمْتُهُ فَرْدًا سِوَى النَّصْلِ وَحْدَهُ وَحَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَطْلُبَ النَّصْرَ بِالنَّصْلِ
لَوَيْتُ بِهِ كَفِّي وَأَطْلَقْتُ سَاعِدِي وَقُلْتُ لِدَهْرِي وَيْكَ فَامْضِ عَلى رِسْلِ
فَمَا يَبْعَثُ الْغَارَاتِ إِلَّا مُهَنَّدِي وَلا يَرْكَبُ الأَخْطَارَ إِلَّا فَتًى مِثْلِي

وَقَالَ يَذْكُرُ مُقَامَهُ فِي «سِيلان» وَيَتَشَوَّقُ إلى الأَهْلِ وَالأَوْطَانِ: (من البسيط)

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِيَ الْخَالِي وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِي
مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا لاحَتْ مَخَايِلُهُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ إِلَّا هَاجَ بَلْبَالِي
سَلَتْ قُلُوبٌ فَقَرَّتْ فِي مَضَاجِعِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ وَقَلْبِي لَيْسَ بِالسَّالِي
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ أَنِّي بِنَارِ الأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي
يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي
غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي مِنْكُمْ عَلَى ثِقَةٍ حَتَّى مُنِيتُ بِمِا لَمْ يَجْرِ فِي بَالِي
لَمْ أَجْنِ فِي الْحُبِّ ذَنْبًا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَتْبًا وَلَكِنَّهَا تَحْرِيفُ أَقْوَالِ
وَمَنْ أَطَاعَ رُوَاةَ السُّوءِ نَفَّرَهُ عَن الصَّدِيقِ سَمَاعُ الْقِيلِ وَالْقَالِ
أَدْهَى الْمَصَائِبِ غَدْرٌ قَبْلَهُ ثِقَةٌ وَأَقْبَحُ الظُّلْمِ صَدٌّ بَعْدَ إِقْبَالِ
لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى حُرِّيَةٍ مَلَكَتْ أَعِنَّتِي عَنْ قَبُولِ الذُّلِّ بِالْمَالِ
تَبِعْتُ خُطَّةَ آبَائِي فَسِرْتُ بِهَا عَلَى وَتِيرَةِ آدَابٍ وَآسَالِ
فَمَا يَمُرُّ خَيَالُ الْغَدْرِ فِي خَلَدِي وَلا تَلُوحُ سِمَاتُ الشَّرِّ فِي خَالِي
قَلْبِي سَلِيمٌ وَنَفْسِي حُرَّةٌ وَيَدِي مَأْمُونَةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ خَتَّالِ

لَكِنَّني فِي زَمَانٍ عِشْتُ مُغْتَرِبًا ... فِي أَهْلِهِ حِينَ قَلَّتْ فِيهِ أَمْثَالِي

بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحْمَدْتُ سِيرَتَهُ ... فِي سَابِقٍ مِنْ لَيَالِيهِ وَلا تَالِي

حَلَبْتُ شَطْرَيْهِ مِنْ يُسْرٍ وَمَعْسَرَةٍ ... وَذُقْتُ طَعْمَيْهِ مِنْ خِصْبٍ وَإِمْحَالِ

فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدِرَةٍ ... وَلا فَرِحْتُ بِوَفْرٍ بَعْدَ إِقْلالِ

عَفَافَةٌ نَزَّهَتْ نَفْسِي فَمَا عَلِقَتْ ... بِلَوْثَةٍ مِنْ غُبَارِ الذَّمِّ أَذْيَالِي

فَالْيَوْمَ لا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلا ... قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ

لَمْ يَبْقَ لِي أَرَبٌ فِي الدَّهْرِ أَطْلُبُهُ ... إِلَّا صَحَابَةُ حُرٍّ صَادِقِ الْخَالِ

وَأَيْنَ أُدْرِكُ مَا أَبْغِيهِ مِنْ وَطَرٍ ... وَالصِّدْقُ فِي الدَّهْرِ أَعْيَا كُلَّ مُحْتَالِ

لا فِي سَرَنْدِيبَ لِي إِلْفٌ أُجَاذِبُهُ ... فَضْلَ الْحَدِيثِ وَلا خِلٌّ فَيَرْعَى لِي

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ ... مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ المِرْبَإِ الْعَالِي

إِذَا تَلَفَّتُّ لَمْ أُبْصِرْ سِوَى صُوَرٍ ... فِي الذِّهْنِ يَرْسُمُهَا نَقَّاشُ آمَالِي

تَهْفُو بِيَ الرِّيحُ أَحْيَانًا وَيَلْحَفُنِي ... بَرْدُ الطِّلالِ بِبُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالِ

فَفِي السَّمَاءِ غُيُومٌ ذَاتُ أَرْوِقَةٍ ... وَفِي الْفَضَاءِ سُيُولٌ ذَاتُ أَوْشَالِ

كَأَنَّ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرِّ قَنْطَرَةٌ ... مَعْقُودَةٌ فَوْقَ طَامِي الْمَاءِ سَيَّالِ

إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى خَلْفَهَا نَشَرَتْ ... بَدَائِعًا ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالِ

فَلَوْ تَرَانِي وَبُرْدِي بِالنَّدَى لَثِقٌ ... لَخِلْتَنِي فَرْخَ طَيْرٍ بَيْنَ أَدْغَالِ

غَالَ الرَّدَى أَبَوَيْهِ فَهْوَ مُنْقَطِعٌ ... فِي جَوْفِ غَيْنَاءَ لا رَاعٍ وَلا وَالِي

أُزَيْغِبَ الرَّأْسِ لَمْ يَبْدُ الشَّكِيرُ بِهِ ... وَلَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ مِنْ كَيْدِ مُغْتَالِ

كَأَنَّهُ كُرَةٌ مَلْسَاءُ مِنْ أَدَمٍ ... خَفِيَّةُ الدَّرْزِ قَدْ عُلَّتْ بِجِرْيَالِ

يَظَلُّ فِي نَصَبٍ حَرَّانَ مُرْتَقِبًا ... نَقْعَ الصَّدَى بَيْنَ أَسْحَارٍ وآصَالِ

يَكَادُ صَوْتُ الْبُزَاةِ الْقُمْرِ يَقْذِفُهُ ... مِنْ وَكْرِهِ بَيْنَ هَابِي التُّرْبِ جَوَّالِ

لا يَسْتَطِيعُ انْطِلاقًا مِنْ غَيَابَتِهِ ... كَأَنَّمَا هُوَ مَعْقُولٌ بِعُقَّالِ

فَذَاكَ مِثْلِي وَلَمْ أَظْلِمْ وَرُبَّتَمَا ... فَضَلْتُهُ بِجَوَى حُزْنٍ وَإِعْوَالِ

شَوْقٌ وَنَأْيٌ وَتَبْرِيحٌ وَمَعْتَبَةٌ ... يَا لَلْحَمِيَّةِ مِنْ غَدْرِي وَإِهْمَالِي

أَصْبَحْتُ لا أَسْتَطِيعُ الثَّوْبَ أَسْحَبُهُ ... وَقَدْ أَكُونُ وَضَافِي الدِرْعِ سِرْبَالِي

وَلا تَكَادُ يَدِي تُجْرِي شَبَا قَلَمِي ... وَكَانَ طَوْعَ بَنَانِي كُلُّ عَسَّالِ

فَإِنْ يَكُنْ جَفَّ عُودِي بَعْدَ نَضْرَتِهِ ... فَالدَّهْرُ مَصْدَرُ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ

عَـلام أَجْـزَعُ وَالأَيَّـامُ تَـشْـهَـدُ لِـي ... بِصِدْقِ مَا كَانَ مِنْ وَسْمِي وَإِغْفَالِي
رَاجَعْتُ فِهْرِسَ آثَارِي فَمَا لَمَحَتْ ... بَصِيرَتِي فِيهِ مَا يُزْرِي بِأَعْمَالِي
فَكَيْفَ يُنْكِرُ قَوْمِي فَضْلَ بَادِرَتِي ... وَقَدْ سَرَتْ حِكَمِي فِيهِمْ وَأَمْثَالِي
أَنَا ابْنُ قَوْلِي وَحَسْبِي فِي الْفَخَارِ بِهِ ... وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
وَلِي مِنَ الشِّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ ... تَلُوحُ فِي وَجْنَةِ الأَيَّامِ كَالْخَالِ
يَنْسَى لَهَا الْفَاقِدُ الْمَحْزُونُ لَوْعَتَهُ ... وَيَـهْـتَـدِي بِـسَـنَـاهَـا كُـلُّ قَـوَّالِ
فَانْظُرْ لِقَوْلِي تَجِدْ نَفْسِي مُصَوَّرَةً ... فِي صَفْحَتَيْهِ فَقَوْلِي خَطُّ تِمْثَالِي
وَلا تَغُرَّنْكَ فِي الدُّنْيَا مُشَاكَلَةٌ ... بَيْنَ الأَنَامِ فَلَيْسَ النَّبْعُ كَالضَّالِ
إِنَّ ابْـنَ آدَمَ لَـوْلا عَـقْـلُـهُ شَـبَـحٌ ... مُرَكَّبٌ مِنْ عِظَامٍ ذَاتِ أَوْصَالِ

وَقَالَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ «سَرَنْدِيبَ» يَمْدَح الْخِدِيو «عَبَّاسَ حِلمي الثَّاني» وَيَشْكُرُهُ عَلَى اسْتِدْعائِهِ إِليْهِ وَحُسْنِ إِقْبَالِهِ عَلَيْه فِي أَثْنَاء مُحَادَثَتِه مَعَهُ: (من الطويل)

سَمَا الْمُلْكُ مُخْتَالًا بِمَا أَنْتَ فَاعِلُ ... وَعَـادَتْ بِـكَ الأَيَّـامُ وَهْـيَ أَصَـائِـلُ
رَبَـأْتَ مِـنَ الْـعَـلْـيَـاءِ قُـنَّـةَ سُـودَدٍ ... يُقَصِّرُ عَنْهَا صَاغِرًا مَنْ يُطَاوِلُ
وَأَدْرَكْتَ فِي عَصْرِ الشَّبِيبَةِ غَايَةً ... مِنَ الْفَضْلِ لَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا الأَفَاضِلُ
فَـخَـيْـرُكَ مَـأْمُـولٌ وَفَـضْـلُـكَ وَاسِـعٌ ... وَظِـلُّـكَ مَـمْـدُودٌ وعَـدْلُـكَ شَـامِـلُ
مَسَاعٍ جَلاهَا الرَّأْيُ فَهْيَ كَوَاكِبٌ ... لَـهَـا بَـيْـنَ أَفلاكِ الْـقُـلُـوبِ مَـنَـازِلُ
يُقَصِّرُ قَابُ الْفِكْرِ عَنْهَا وَيَنْتَهِي ... أَخُو الْجِدِّ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَهْوَ ذَاهِلُ
وَكَيْفَ يَنَالُ الْفَهْمُ مِنْهَا نَصِيبَهُ ... وَأَقْـرَبُـهَـا لِـلـنَّـيِّـرَاتِ حَـبَـائِـلُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ حَتَّى لَوَ انَّهُ ... أَرَادَ مَـزِيـدًا لَـمْ يَـجِـدْ مَـا يُـحَـاوِلُ
فَمُرْ بِالَّذِي تَهْوَاهُ فَالسَّعْدُ قَائِمٌ ... بِمَا تَشْتَهِي وَاللهُ بِالنَّصْرِ كَافِلُ
فَقَدْ تَصْدُقُ الآمَالُ وَالْحَزْمُ رائِدٌ ... وَتَـقْـتَـرِبُ الْـغَـايَـاتُ وَالـجِـدُّ عَـامِـلُ
وَأَيُّ صَنِيعٍ بَعْدَ فَضْلِكَ يُرْتَجَى ... وَأَنْـتَ مَـلِـيـكٌ فِـي الْـبَـرِيَّـةِ عَـادِلُ
يَعُمُّ الرِّضَا مَا قَامَ بِالْحَقِّ صَادِعٌ ... وَتَبْقَى الْعُلا مَا دَامَ لِلسَّيْفِ حَامِلُ
فَـيَـا طَـالِـبًـا مَـسْـعَـاتَـهُ لِـيَـنَـالَـهَـا ... رُوَيْدَكَ إِنَّ الْحِرْصَ لِلنَّفْسِ خَاذِلُ
فَمَا كُلُّ مَنْ رَاضَ الْبَدِيهَةَ عَاقِلٌ ... وَلا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْكَرِيهَةَ بَاسِلُ
وَلَوْلا اخْتِلافُ النَّاسِ فِي دَرَجَاتِهِمْ ... لَعَادَلَ «قُسًّا» فِي الْفَصَاحَةِ «بَاقِلُ»

هُوَ الْمَلِكُ الْمَكْفُولُ بِالنَّصْرِ جُنْدُهُ ... إِذَا احْمَرَّ بَأْسٌ أَوْ تَنَمَّرَ بَاطِلُ
لَهُ بَدَهَاتٌ لا تَغِبُّ وَعَزْمَةٌ ... مُؤَيَّدَةٌ تَعْنُو إِلَيْهَا الْجَحَافِلُ
فَآرَاؤُهُ فِي الْمُشْكِلاتِ كَوَاكِبٌ ... وَهِمَّاتُهُ فِي الْمُعْضِلاتِ مَنَاصِلُ
تَدُلُّ مَسَاعِيهِ عَلَى فَضْلِ نَفْسِهِ ... وَلِلشَّمْسِ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا دَلائِلُ
فَيَا مَلِكًا عَمَّتْ أَيَادِيهِ وَالْتَقَتْ ... بِهِ فِرَقُ الآمَالِ وَهْيَ جَوَافِلُ
بِكَ اخْضَرَّتِ الآمَالُ بَعْدَ ذُبُولِهَا ... وَحَقَّتْ وُعُودُ الظَّنِّ وَهْيَ مَخَايِلُ
بَسَطْتَ يَدًا بِالْخَيْرِ فِينَا كَرِيمَةً ... هِيَ الْغَيْثُ أَوْ فِي الْغَيْثِ مِنْهَا شَمَائِلُ
وَأَيْقَظْتَ أَلْبَابَ الرِّجَالِ فَسَارِعُوا ... إِلَى الْجِدِّ حَتَّى لَيْسَ فِي النَّاسِ خَامِلُ
وَمَا مِصْرُ إِلَّا جَنَّةٌ بِكَ أَصْبَحَتْ ... مُنَوِّرَةً أَفْنَانُهَا وَالْخَمَائِلُ
طَلَعْتَ عَلَيْهَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ أَشْرَقَتْ ... بِلَأْلائِهِ الآفَاقُ وَاللَّيْلُ لَائِلُ
وَأَجْرَيْتَ مَاءَ الْعَدْلِ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ ... وَسَاحَاتُهَا لِلْوَارِدِينَ مَنَاهِلُ
وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَوْطَانِهِ النِّيلُ سَائِحًا ... إِلَى مِصْرَ إِلَّا وَهْوَ حَرَّانُ سَائِلُ
فَيَا أَيُّهَا الصَّادِي إِلَى الْعَدْلِ وَالنَّدَى ... هَلُمَّ فَذَا بَحْرٌ لَهُ الْبَحْرُ سَاحِلُ
مَلِيكٌ أَقَرَّ الأَمْنَ وَالْخَوْفُ شَامِلٌ ... وَأَحْيَا رَمِيمَ الْعَدْلِ وَالْجَوْرُ قَاتِلُ
فَسَلْهُ الرِّضَا وَانْزِلْ بِسَاحَةِ مُلْكِهِ ... فَثَمَّ الأَمَانِي وَالْعُلا وَالْفَوَاضِلُ
رَعَى اللَّهُ يَوْمًا قَرَّبَتْنِي سُعُودُهُ ... إِلَى سُدَّةٍ تَأْوِي إِلَيْهَا الأَمَاثِلُ
لَثَمْتُ بِهَا كَفًّا هِيَ الْبَحْرُ فِي النَّدَى ... تَفِيضُ سَمَاحًا وَالْبَنَانُ جَدَاوِلُ
نَطَقْتُ بِفَضْلٍ مِنْكَ لَوْلاهُ لَمْ يَدُرْ ... لِسَانِي وَلَمْ يَحْفِلْ بِقَوْلِيَ فَاضِلُ
وَلا أَدَّعِي أَنِّي بَلَغْتُ بِمِدْحَتِي ... عُلاكَ وَلَكِنْ جُهْدُ مَا أَنَا قَائِلُ
وَكَيْفَ أُوَفِّي مَنْطِقَ الشُّكْرِ حَقَّهُ ... وَدُونَ ثَنَائِي مِنْ عُلاكَ مَرَاحِلُ
وَحَسْبِيَ عُذْرًا أَنَّكَ الشَّمْسُ رِفْعَةً ... وَكَيْفَ يَنَالُ الْكَوْكَبَ الْمُتَنَاوِلُ
لِتَهْنَ بِكَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا ... فَلَوْلاكَ أَمْسَى جِيدُهَا وَهْوَ عَاطِلُ
وَدُمْ لِلْعُلا مَا ذَرَّ بِالأُفْقِ شَارِقٌ ... وَمَا حَنَّ مِنْ شَوْقٍ عَلَى الأَيْكِ هَادِلُ
وَلا زَالَتِ الأَيَّامُ تَتْلُو مَدَائِحِي ... عَلَيْكَ وَيُمْلِيهَا الضُّحَى وَالأَصَائِلُ

وقال: (من الطويل)

أَلا حَيِّ مِنْ أَسْمَاءَ رَسْمَ الْمَنَازِلِ   وَإِنْ هِيَ لَمْ تَرْجِعْ بَيَانًا لِسَائِلِ
خَلاءٌ تَعَفَّتْهَا الرَّوَامِسُ وَالْتَقَتْ   عَلَيْهَا أَهَاضِيبُ الْغُيُومِ الْحَوَافِلِ
فَلَأْيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَرَسُّمٍ   أَرَانِي بِهَا مَا كَانَ بِالأَمْسِ شَاغِلِي
غَدَتْ وَهْيَ مَرْعًى لِلظِّبَاءِ وَطَالَمَا   غَنَتْ وَهْيَ مَأْوًى لِلْحِسَانِ الْعَقَائِلِ
فَلِلْعَيْنِ مِنْهَا بَعْدَ تَزْيَالِ أَهْلِهَا   مَعَارِفُ أَطْلالٍ كَوَحْيِ الرَّسَائِلِ
فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنَانِ فِيهَا بِوَاكِفٍ   مِنَ الدَّمْعِ يَجْرِي بَعْدَ سَحٍّ بِوَابِلِ
دِيَارُ الَّتِي هَاجَتْ عَلَيَّ صَبَابَتِي   وَأَغْرَتْ بِقَلْبِي لاعِجَاتُ الْبَلابِلِ
مِنَ الْهَيْفِ مِقْلاقُ الْوِشَاحَيْنِ غَادَةٌ   سَلِيمَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ رَيَّا الْخَلاخِلِ
إِذَا مَا دَنَتْ فَوْقَ الْفِرَاشِ لِوَسْنَةٍ   جَفَا خَصْرُهَا عَنْ رِدْفِهَا الْمُتَخَاذِلِ
تَعَلَّقْتُهَا فِي الْحَيِّ إِذْ هِيَ طِفْلَةٌ   وَإِذْ أَنَا مَجْلُوبٌ إِلَيَّ وَسَائِلِي
فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَانْجَلَتْ   غَيَابَتُهُ هَاجَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي
فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَهْدَ بَاق وَأَنَّنَا   دَوَارِجُ فِي غُفْلٍ مِنَ الْعَيْشِ خَامِلِ
تَمُرُّ بِنَا رُعْيَانُ كُلِّ قَبِيلَةٍ   فَمَا يَمْنَحُونَا غَيْرَ نَظْرَةِ غَافِلِ
صَغِيرَيْنِ لَمْ يَذْهَبْ بِنَا الظَّنُّ مَذْهَبًا   بَعِيدًا ولَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِطَوَائِلِ
نَسِيرُ إِذَا مَا الْقَوْمُ سَارُوا غَدِيَّةً   إِلَى كلِّ بَهْمٍ رَاتِعَاتٍ وَجَامِلِ
وَإِنْ نَحْنُ عُدْنَا بِالْعَشِيِّ أَضَافَنَا   إِلَيْهِ سَدِيلٌ مِنْ نَقًا مُتَقَابِلِ
فَوَيْلٌ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا أَرَادَهُ   إِلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا كِرَامَ الْمَحَاصِلِ
عَلَى عِفَّةٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا   مُبَرَّأَةٌ مِنْ كُلِّ غَيٍّ وَبَاطِلِ
وَلَكِنَّهَا الأَيَّامُ لَمْ تَأْتِ صَالِحًا   مِنَ الأَمْرِ إِلَّا أَعْقَبَتْ بِالتَّنَازُلِ
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى   تَسَاقَطُ نَفْسِي إِثْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
قَبَائِلُ أَفْنَتْهَا الْحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ   لِتَفْنَى كِرَامُ النَّاسِ مَا لَمْ تُقَاتِلِ
قَضَتْ بَعْدَهُمْ نَفْسِي عَزَاءً وَأَصْحَبَتْ   عَشَوْزَنَتِي وَانْقَادَ لِلذُّلِّ كَاهِلِي
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ عَنِ الَّتِي   أُحَاوِلُهَا وَالدَّهْرُ جَمُّ الْغَوَائِلِ
صَرِيعُ لُبَانَاتٍ تَقَسَّمْنَ نَفْسَهُ   وَغَادَرْنَهُ نَهْبَ الأَكُفِّ الْخَوَاتِلِ
كَأَنِّيَ لَمْ أَعْقِدْ مَعَ الْفَجْرِ رَايَةً   وَلَمْ أُدْعَ بِاسْمِي لِلْكَمِيِّ الْمُنَازِلِ
وَلَمْ أَبْعَثِ الْخَيْلَ الْمُغِيرَةَ فِي الضُّحَا   بِكُلِّ رَكُوبٍ لِلْكَرِيهَةِ بَاسِلِ

نَزَائِعَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ عَلَى الْوَجَى إِذَا عُرِّيَتْ أَمْثَالُهَا فِي الْمَنَازِلِ
مِنَ الْقَوْمِ بَادٍ مَجْدُهُمْ فِي شِمَالِهِمْ وَلا مَجْدَ إِلَّا دَاخِلٌ فِي الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرْءَ مِنْهُمْ لِدَعْوَةٍ عَلَى عَجَلٍ لَبَّاكَ غَيْرَ مُسَائِلِ
يُكَفْكِفُ أُولَى الْخَيْلِ مِنْهُ بِطَعْنَةٍ تَمُجُّ دَمًا مَطْعُونُهَا غَيْرُ وَائِلِ
يَكُونُ عَشَاءَ الزَّادِ آخِرَ آكِلٍ وَيَوْمَ اخْتِلاجِ الطَّعْنِ أَوَّلَ حَامِلِ
قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ دَهْرِهِمْ ثُمَّ فَوَّزُوا إِلَى دَارِ خُلْدٍ ظِلُّهَا غَيْرُ زَائِلِ

وَقَالَ: (من البسيط)

رَدَّ الصِّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللِّمَّةِ الْغَزَلُ وَرَاحَ بِالْجِدِّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَزَلُ
وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبْرٍ إِلَى جَزَعٍ بَعْدَ الإِبَاءِ وَأَيَّامُ الْفَتَى دُوَلُ
فَلْيَصْرِفِ اللَّوْمَ عَنِّي مَنْ بَرِمْتُ بِهِ فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي غَيْرِ الْهَوَى شُغُلُ
وَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ يَوْمَ الْفِرَاقِ شَعَاعًا إِثْرَ مَنْ رَحَلُوا
تَقَسَّمَتْنِي النَّوَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَدَتْ عَنْهُمْ عَوَادٍ فَلا كُتْبٌ وَلا رُسُلُ
فَالصَّبْرُ مُنْخَذِلٌ وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلُ
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ مِنْ تِلْقَائِهِمْ نَسَمٌ تَسْرِي بِهِ فِي أَرِيجِ الْعَنْبَرِ الأُصُلُ
سَارُوا فَمَا اتَّخَذَتْ عَيْنِي بِهِمْ بَدَلًا إِلَّا الْخَيَالَ وَحَسْبِي ذَلِكَ الْبَدَلُ
فَخَلِّ عَنْكَ مَلامِي يَا عَذُولُ فَقَدْ سَرَّتْ فُؤَادِي عَلَى ضَعْفٍ بِهِ الْعِلَلُ
لا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى سَهْلًا فَأَيْسَرُهُ خَطْبٌ لَعَمْرُكَ لَوْ مَيَّزْتَهُ جَلَلُ
يَسْتَنْزِلُ الْمَلْكَ مِنْ أَعْلَى مَنَابِرِهِ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الرِّعْدِيدُ وَالْبَطَلُ
فَكَيْفَ أَدْرَأُ عَنْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لَيْسَ لِي بِمُنَاوَاةِ الْهَوَى قِبَلُ
فَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ فِي الْحُبِّ لَكِنْ قَضَاءٌ خَطَّهُ الأَزَلُ
وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةٌ سَلَفَتْ فِي الذَّاهِبِينَ وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَلُ
فَإِنْ تَكُنْ نَازَعَتْنِي النَّفْسُ بَاطِلَهَا وَأَطْلَعَتْنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكِلَلُ
فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً وَالْجَوُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبِيضِ مُشْتَعِلُ
بِكُلِّ أَشْقَرَ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ حُجُولُهُ غَيْرَ يُمْنَى زَانَها الْعَطَلُ
كَأَنَّهُ خَاضَ نَهْرَ الصُّبْحِ فَانْتَبَذَتْ يُمْنَاهُ وَانْبَثَّ فِي أَعْطَافِهِ الطَّفَلُ
زُرْقٌ حَوَافِرُهُ سُودٌ نَوَاظِرُهُ خُضْرٌ جَحَافِلُهُ فِي خَلْقِهِ مَيَلُ

كَأَنَّ فِي حَلْقِهِ نَاقُوسَ رَاهِبَةٍ ... بَاتَتْ تُحَرِّكُهُ أَوْ رَاعِدٌ زَجِلُ
يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرْعَى فِي مَكَامِنِهَا ... فَمَا تَبِينُ لَهُ شَدًا فَتَنْخَذِلُ
يَرَى الإِشَارَةَ فِي وَحْيٍ فَيَفْهَمُهَا ... وَيَسْمَعُ الزَّجْرَ مِنْ بُعْدٍ فَيَمْتَثِلُ
لا يَمْلِكُ النَّظْرَةَ الْعَجْلاءَ صَاحِبُهَا ... حَتَّى تَمُرَّ بِعِطْفَيْهِ فَتُحْتَبَلُ
إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبْوَتِهِمْ ... وَاسْتَشْرَفَتْ نَحْوَهُ الأَلْبَابُ وَالْمُقَلُ
تَقُودُهُ بِنْتُ خَمْسٍ فَهْوَ يَتْبَعُهَا ... وَيَسْتَشِيطُ إِذَا هَاهَى بِهِ الرَّجُلُ
أُمْضِي بِهِ الْهَوْلَ مِقْدَامًا وَيَصْحَبُنِي ... مَاضِي الْغِرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْحَلَ الْوَهَلُ
يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ ... وَقْتَ الضِّرَابِ وَلَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَلَلُ
تَرَى الرِّجَالَ وُقُوفًا بَعْدَ فَتْكَتِهِ ... بِهِمْ يُظَنُّونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُتِلُوا
كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ ... تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
لَوْلا الدِّمَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهَلًا ... لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللأْلاءِ يَشْتَعِلُ
يَقُلُّ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبْضَتُهُ ... كُلَّ الْحَدِيدِ وَلَمْ يَثْأَرْ بِهِ فَلَلُ
بَلْ رُبَّ سَارِيَةٍ هَطْلاءَ دَانِيَةٍ ... تَنْمُو السَّوَامُ بِهَا وَالنَّبْتُ يَكْتَهِلُ
كَأَنَّ آثَارَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ... رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ فِي الأَرْضِ أَوْ حُلَلُ
يَمَّمْتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِمْ ... لَبُّوا سِرَاعًا وَإِنْ أَنْزِلْ بِهِمْ نَزَلُوا
قَصْدًا إِلَى الصَّيْدِ لا نَبْغِي بِهِ بَدَلًا ... وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِي شَأْنِهَا عَمَلُ
حَتَّى إِذَا أَلْمَعَ الرُّوَّادُ مِنْ بَعَدٍ ... وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَعْلُو وَيَسْتَفِلُ
تَغَاوَتِ الْخَيْلُ حَتَّى كِدْنَ مِنْ مَرَحٍ ... يَذْهَبْنَ فِي الأَرْضِ لَوْلا اللُّجْمُ وَالشُّكُلُ
فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ ... إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزُلُ
فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتَنَا ... كَمَا اشْتَهَيْنَا فَلا غِشٌّ وَلا دَغَلُ
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لا لَغْوُ الْحَدِيثِ وَلا ... مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذُو الإِفْكَةِ النَّمِلُ
إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالأَفْوَاهُ تَضْرِمُهَا ... نَارٌ مُحَرِّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شُعَلُ
فَاتْبَعْ هَوَاكَ وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ ... فَأَكْثَرُ النَّاسِ إِنْ جَرَّبْتَهُمْ هَمَلُ
وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمْ مِنْ خَدِيعَتِهِ ... إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
وَعَالِجِ السِّرَّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمَدُهُ ... فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الزَّلَلُ
وَلا تَكُنْ مُسْرِفًا غِرًّا وَلا بَخِلًا ... فَبِئْسَتِ الْخَلَّةُ الإِسْرَافُ وَالْبَخَلُ
وَلا يَهُمَّنْكَ بَعْضُ الأَمْرِ تَسْأَمُهُ ... لا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَجَلُ

وَاعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ
فَالرَّيْثُ يُحْمَدُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ كَمَا ... فِي بَعْضِ حَالاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَلُ
هَذَا هُوَ الأَدَبُ الْمَأْثُورُ فَارْضَ بِهِ ... عِلْمًا لِنَفْسِكَ فَالأَخْلاقُ تَنْتَقِلُ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ إِذَا الإِنْشَادُ سَيَّرَهُ ... فَلَيْسَ يَمْنَعُهُ سَهْلٌ وَلا جَبَلُ
لَمْ تُبْنَ قَافِيَةٌ فِيهِ عَلَى خَلَلٍ ... كَلَّا وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَصْفِهَا الْجُمَلُ
فَلا سِنَادٌ وَلا حَشْوٌ وَلا قَلَقٌ ... وَلا سُقُوطٌ وَلا سَهْوٌ وَلا عِلَلُ
تَغَايَرَتْ فِيهِ أَسْمَاعٌ وَأَفْئِدَةٌ ... فَكُلُّ نَادٍ عُكَاظٌ حِينَ يُرْتَجَلُ
لا تُنْكِرُ الْكَاعِبُ الْحَسْنَاءُ مَنْطِقَهُ ... وَلا يُعَادُ عَلَى قَوْمٍ فَيُبْتَذَلُ

وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ: (من السريع)

عَمَّ الْحَيَا وَاسْتَنَّتِ الْجَدَاوِلُ ... وَفَاضَتِ الْغُدْرَانُ وَالْمَنَاهِلُ
وَازَّيَّنَتْ بِنَوْرِهَا الْخَمَائِلُ ... وَغَرَّدَتْ فِي أَيْكِهَا الْبَلابِلُ
وَشَمِلَ الْبِقَاعَ خَيْرٌ شَامِلُ ... فَصَفْحَةُ الأَرْضِ نَبَاتٌ خَائِلُ
وَجَبْهَةُ الْجَوِّ غَمَامٌ حَافِلُ ... وَبَيْنَ هَذَيْنِ نَسِيمٌ جَائِلُ
تَنْدَى بِهِ الأَسْحَارُ وَالأَصَائِلُ ... كَأَنَّمَا النَّبَاتُ بَحْرٌ هَائِلُ
وَلَيْسَ إِلَّا الأَكَمَاتِ سَاحِلُ ... وشَامِخُ الدَّوْحِ سَفِينٌ جَافِلُ
مُعْتَدِلٌ طَوْرًا وَطَوْرًا مَائِلُ ... تَهْفُو بِهِ الْجَنُوبُ وَالشَّمَائِلُ
وَالْبَاسِقَاتُ الشُّمَّخُ الْحَوَامِلُ ... مَشْمُورَةٌ عَنْ سُوقِهَا الذَّلاذِلُ
مَلْوِيَّةٌ فِي جِيدِهَا الْعَثَاكِلُ ... مَعْقُودَةٌ فِي رَأْسِهَا الْفَلائِلُ
لِلْبُسْرِ فِيهَا قَانِئٌ وَنَاصِلُ ... مُخَضَّبٌ كَأَنَّهُ الأَنَامِلُ
كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ قَنَادِلُ ... مِنَ الْعَرَاجِينِ لَهَا سَلاسِلُ
لِلْمَنْجَنُونِ بَيْنَهَا أَزَامِلُ ... تَخَالُهَا مَحْزُونَةً تُسَائِلُ
لَهَا دُمُوعٌ ذُرَّفٌ هَوَامِلُ ... كَأَنَّهَا أُمٌّ بَنِينَ ثَاكِلُ
فِي جِيدِهَا مِنْ ضَفْرِهَا حَبَائِلُ ... مِنَ الْقَوَادِيسِ لَهَا جَلاجِلُ
تَدُورُ كَالشُّهْبِ لَهَا مَنَازِلُ ... فَصَاعِدٌ وَدَافِقٌ وَنَازِلُ
وَالْمَاءُ مَا بَيْنَ الْغِيَاضِ سَائِلُ ... تَحْنُو عَلَى شُطْآنِهِ الْغَيَاطِلُ
كَأَنَّهَا حَوَائِمُ نَوَاهِلُ ... وَالطَّيْرُ فِي أَفْنَانِهَا هَوَادِلُ

تَزْهُو بِهَا الأَسْحَارُ وَالأَصَائِلُ فَانْهَضْ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى يَا غَافِلُ
وَانْعَمْ فَأَيَّامُ الصِّبَا قَلائِلُ وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا خَيَالٌ زَائِلُ
وَالدَّهْرُ لِلإِنْسَانِ يَوْمًا آكِلُ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الزَّمَانِ بَاطِلُ

وَقَالَ يَصِفُ الْبَحْرَ: (من الطويل)

وَذِي حَدَبٍ يَلْتَجُّ بِالسُّفْنِ كُلَّمَا زَفَتْهُ نَئُوجٌ فَهْوَ يَعْلُو وَيَسْفُلُ
كَأَنَّ اطِّرَادَ الْمَوْجِ فَوْقَ سَرَاتِهِ نَعَائِمُ فِي عَرْضِ السَّمَاوَةِ جُفَّلُ
إِذَا شَاغَبَتْهُ الرِّيحُ جَاشَ عُبَابُهُ وَظَلَّ أَعَالِي مَوْجِهِ يَتَجَفَّلُ
يَهِيجُ فَيَرْغُو أَوْ يَعِجُّ كَأَنَّمَا تَخَبَّطَهُ مِنْ أَوْلَقِ الضِّغْنِ أَزْفَلُ
تَقَسَّمَهُ خُلْقَانِ لِينٌ وَشِدَّةٌ بِعَصْفَةِ رِيحٍ فَهْوَ دَاهٍ وَأَرْفَلُ
عَلَوْنَا مَطَاهُ وَهْوَ سَاجٍ فَمَا انْبَرَتْ لَهُ الرِّيحُ حَتَّى ظَلَّ يَهْفُو وَيَرْفُلُ
كَأَنَّا عَلَى أُرْجُوحَةٍ كُلَّمَا وَنَتْ أَحَالَ عَلَيْهَا قَائِمٌ لَيْسَ يَغْفُلُ
فَطَوْرًا لَنَا في غَمْرَةِ اللُّجِّ مَسْبَحٌ وَطَوْرًا لَنَا بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ مَحْفِلُ
فَلا هُوَ إِنْ رُعْنَاهُ بِالْجِدِّ يَرْعَوِي وَلا إِنْ سَأَلْنَاهُ الْهَوَادَةَ يَحْفِلُ
عَرَوْنَا فَأَبْخَلْنَاهُ فَضْلَ حِبَائِهِ وَمِنْ عَجَبٍ إِمْسَاكُهُ وَهْوَ نَوْفَلُ
قَلِيلٌ عَلَى عَهْدِ الإِخَاءِ ثَبَاتُهُ فَأَسْفَلُهُ عَالٍ وَعَالِيهِ سَافِلُ
إِذَا حَرَّكَتْهُ غَضْبَةٌ مَاتَ حِلْمُهُ وَظَلَّ عَلَى أَضْيَافِهِ يَتَأَفَّلُ
شَدِيدُ الْحُمَيَّا يَرْهَبُ النَّاسُ بَطْشَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ نَفْخَةِ الرِّيحِ يُجْفِلُ
كَأَنَّ أَعَالِي الْمَوْجِ عِهْنٌ مُشَعَّثٌ بِهِ وَانْحِدَارَ السَّيْحِ شَعْرٌ مُفَلْفَلُ
ذَكَرْنَا بِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذُنُوبِنَا وَفِي النَّاسِ إِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ غُفَّلُ
وَكَيْفَ تُرَانَا صَانِعِينَ وَكُلُّنَا بِقَارُورَةٍ صَمَّاءَ وَالْبَابُ مُقْفَلُ
فَلا تَبْتَئِسْ إِنْ فَاتَ حَظٌّ فَرُبَّمَا أَضَاءَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى وَهْيَ أُفَّلُ
فَقَدْ يَبْرَأُ الدَّاءُ الْعُضَالُ وَيَنْجَلِي ضَبَابُ الرَّزَايَا وَالْمُسَافِرُ يَقْفُلُ
وَكَيْفَ يَخَافُ الْمَرْءُ حَيْفًا وَرَبُّهُ بِأَحْسَنِ ما يَرْجُو مِنَ الرِّزْقِ يَكْفُلُ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ: (من مجزوء الرمل)

أَهِـلالٌ بَـيْـنَ هَـالَـهْ   أَمْ غَـزَالٌ فـي غِـلالَـهْ
صَـادَ بِاللَّـحْظِ فُؤَادِي   أَتَـرى الْـهُـدْبَ حِـبَالَـهْ
غَـرَّنِـي ثُـمَّ تَـوَلَّـى   لَيْتَ شِعْرِي مَا بَدَا لَهْ
أَنَـا مِـنْ شَـوْقِـي إِلَـيْـهِ   وَاقِـعٌ بَـيْـنَ ضَـلالَـهْ
أَيُّـهَا الظَّـالِمُ هَبْ لِي   مَـرَّةً مِـنْـكَ الْـعَـدَالَـهْ
وَارْعَ لِـي حَـقَّ وِدَادٍ   فِيكَ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَهْ
مَنْطِقٌ عَذْبٌ وَمَغْنًى   يَبْسِمُ السِّحْرُ خِلالَهْ
كُلُّ بَيْتٍ كَنَسِيجِ الر   وْضِ حُسْنًا وَطَلالَـهْ
أَنَا فِي الشِّعْرِ عَرِيقٌ   لَـمْ أَرِثْـهُ عَـنْ كَـلالَـهْ
كَانَ إِبْـرَاهِـيمُ خَالِـي   فِيهِ مَشْهُورَ الْمَقَالَهْ
وَسَـمَـا جَـدِّي عَـلِـيٌّ   يَطْلُبُ النَّجْمَ فَنَالَهْ
فَـهْـوَ لِـي إِرْثٌ كَـرِيـمٌ   سَوْفَ يَبْقَى في السُّلالَهْ

وَقَالَ يَذْكُرُ مَا لَحِقَهُ من حيف: (من السريع)

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ   خُذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَدَيْ مَاطِلِي
جَارَ عَلَى ضَعْفِي بِسُلْطَانِهِ   وَمَا رَثَى لِلْمَدْمَعِ الْهَاطِلِ
أَخْرَجَنِي عَمَّا حَوَتْهُ يَدِي   مِنْ كَسْبِيَ الْحُرِّ بِلا نَاطِلِ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ سِوَى مَنْطِقٍ   ذِي رَوْنَقٍ كَالصَّارِمِ القَاطِلِ
أَتْلُو بِهِ الْحَقَّ وَأَرْمِي بِهِ   نَحْرَ الْعِدَا فِي الرَّهَجِ السَّاطِلِ
فَإِنْ أَكُنْ جُرِّدْتُ مِنْ ثَرْوَتِي   فَفَضْلُ رَبِّي حِلْيَةُ الْعَاطِلِ

وَقَالَ أَيْضًا: (من الوافر)

لأَمْرٍ مَا تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ   فَهَلْ تَدْرِي الْخَلائِقُ مَا تَقُولُ
تَغِيبُ الشَّمْسُ ثُمَّ تَعُودُ فِينَا   وَتَذْوَى ثُمَّ تَخْضَرُّ الْبُقُولُ
طَبَائِعُ لا تُغِبُّ مُرَدَّدَاتٍ   كَمَا تَعْرَى وَتَشْتَمِلُ الْحُقُولُ

يَزُولُ الْخَلْقُ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ وَتَخْتَلِفُ الْحَقَائِقُ وَالنُّقُولُ
فَمَا جَرَتِ الظُّنُونُ عَلَى يَقِينٍ تَفِيءُ بِهِ وَلا صَحَّ الْمَقُولُ
فَسِيَّانِ الْجَهُولُ إِذَا تَنَاهَتْ بِهِ الأَيَّامُ وَالْفَطِنُ الْعَقُولُ

وَقَالَ: (من السريع)

مَا الدَّهْرُ إِلَّا ضَوْءُ شَمْسٍ عَلا وَكَوْكَبٌ غَامَ وَنَبْتٌ بَقَلْ
وَرَاحِلٌ أَعْقَبَهُ نَازِلٌ مَا قِيلَ قَدْ خَيمَ حَتَّى اسْتَقَلْ
عَمَايَةٌ يَخْبِطُ فِيهَا النُّهَى عَجْزًا وَلا تُبْصِرُ فِيهَا الْمُقَلْ
فَبَادِرِ النُّقْلَةَ وَاعْمَلْ لَهَا مَا شِئْتَ فَالدَّهْرُ سَرِيعُ النُّقَلْ
وَاصْمُتْ عَنِ الشَّرِّ إِذَا لَمْ تُطِقْ دَفْعًا وَإِنْ صَادَفْتَ خَيْرًا فَقُلْ
وَسِرْ إِذَا مَا عَرَضَتْ فُرْصَةٌ فَالْبَدْرُ قَدْ يَنْمُو إِذَا مَا انْتَقَلْ
مَنْ طَلَبَ الأَمْرَ بِأَسْبَابِهِ سَاعَدَهُ الْمَقْدُورُ إِمَّا عَقَلْ
قَدْ يَجْبُنُ الأَعْزَلُ وَهْوَ الْفَتَى وَيَشْجُعُ النِّكْسُ إِذَا مَا اعْتَقَلْ

وَقَالَ: (من الكامل)

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى الزَّمَانِ فَرُبَّمَا خَدَعَتْ مَخِيلَتُهُ الْفُؤَادَ الْغَافِلا
وَاصْبِرْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَكُلَّمَا ذَهَبَ الْغَدَاةَ أَتَى الْعَشِيَّةَ قَافِلا
كَفَلَ الشَّقَاءَ لِمَنْ أَنَاخَ بِرَبْعِهِ وَكَفَى ابْنَ آدَمَ بِالْمَصَائِبِ كَافِلا
يَمْشِي الضَّرَاءَ إِلَى النُّفُوسِ وَتَارَةً يَسْعَى لَهَا بَيْنَ الأَسِنَّةِ رَافِلا
لا يَرْهَبُ الضِّرْغَامَ بَيْنَ عَرِينِهِ بَأْسًا وَلا يَدَعُ الظِّبَاءَ مَطَافِلا
بَيْنَا تَرَى نَجْمَ السَّعَادَةِ طَالِعًا فَوْقَ الأَهِلَّةِ إِذْ تَرَاهُ آفِلا
فَإِذَا سَأَلْتَ الدَّهْرَ مَعْرِفَةً بِهِ فاسْأَلْ لِتَعْرِفَهُ النَّعَامَ الْجَافِلا
فَالدَّهْرُ كَالدُّولابِ يَخْفِضُ عَالِيًا مِنْ غَيْرِ مَا قَصْدٍ وَيَرْفَعُ سَافِلا

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ: (من الرجز)

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْوِيَ الْمَعَالِيَ فَادَّرِعْ صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ غُنْمٌ عَاجِلُ
وَاحْلُمْ كَأَنَّكَ جَاهِلٌ وَاذْكُرْ كَأَنْـ ـنَكَ ذَاهِلٌ وَافْطُنْ كَأَنَّكَ غَافِلُ
فَلَقَلَّمَا يُفْضِي إِلَى آرَابِهِ فِي الدَّهْرِ إِلَّا الْعَالِمُ الْمُتَجَاهِلُ

وَقَالَ: (من البسيط)

لا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ
حُبُّ الْحَيَاةِ وَبُغْضُ الْمَوْتِ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطِّبَاعِ وَتَصْدِيقَ الأَبَاطِيلِ

وَقَالَ فِي الحِكْمَة: (من الطويل)

أَلا إِنَّ أَخْلاقَ الرِّجَالِ وَإِنْ نَمَتْ فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَفُوقُ عَلَى الْكُلِّ
وَقَارٌ بِلا كِبْرٍ وَصَفْحٌ بِلا أَذًى وَجُودٌ بِلا مَنٍّ وَحِلْمٌ بِلا ذُلِّ

وقَالَ فِي الْحِكْمَةِ أَيْضًا: (من الوافر)

تَسَابَقْ فِي الْمَكَارِمِ تعْلُ قَدْرًا فَسَبْقُ النَّاسِ لِلْخَيْرَاتِ نَضْلُ
إِذَا ذَهَبَ الْكِرَامُ فَلا رَجَاءٌ وَإِنْ ذَهَبَ الرَّجَاءُ فَلَيْسَ فَضْلُ

وَقَالَ: (من الطويل)

إِذَا سَتَرَ الْفَقْرُ امْرَأً ذَا نَبَاهَةٍ فَلا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُشِيدَ بِهِ الْفَضْلُ
فَإِنَّ لَهِيبَ النَّارِ مَهْمَا كَفَأْتَهُ إِلَى أَسْفَلٍ قَسْرًا فَلا بُدَّ أَنْ يَعْلُو

وَقَالَ: (من الطويل)

لَعَمْرُكَ مَا الإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا لُبْثَةٌ وَزِيَالُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا دَفْتَرٌ فِي خِلالِهِ تَصَاوِيرُ لَمْ يُعْهَدْ لَهُنَّ مِثَالُ
فَفِي صَفْحَةٍ مِنْهُ زَمَانٌ قَدِ انْقَضَى وَفِي وَجْهِ أُخْرَى دَوْلَةٌ وَرِجَالُ

وَقَالَ: (من الرجز)

طَهِّرْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلا تَكُنْ خِبًّا يُقَرِّبُ لِلنُّفُوسِ ضَلالَهَا
إِنَّ الْوَقِيعَةَ لا تَعُودُ بِخِزْيَةٍ أَوْ سُبَّةٍ إِلَّا عَلَى مَنْ قَالَهَا

وَقَالَ: (من البسيط)

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ بلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ
إِنْ رَابَكَ الدَّهْرُ لَمْ تَفْشَلْ عَزَائِمُهُ أَوْ نَابَكَ الْهَمُّ لَمْ تَفْتُرْ وَسائِلُهُ
يَرْعَاكَ فِي حَالَتَيْ بُعْدٍ وَمَقْرَبَةٍ وَلا تُغِبُّكَ مِنْ خَيْرٍ فَوَاضِلُهُ
لا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدًّا وَبَاطِنُهُ بِجَمْرِ أَحْقَادِهِ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ
يَذُمُّ فِعْلَ أَخِيهِ مُظْهِرًا أَسَفًا لِيُوهِمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ
وَذَاكَ مِنْهُ عِدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ فَاحْذَرْهُ وَاعْلَمْ بَأَنَّ اللَّهَ خَاذِلُهُ

وَقَالَ: (من الكامل)

الْحُبُّ مَعْنًى لا يُحِيطُ بِسِرِّهِ وَصْفٌ وَلا يَجْرِي عَلَيْهِ مِثَالُ
كَالْكَهْرَبَاءَةِ دَرْكُهَا مُتَعَذِّرٌ وَنَسِيمُهَا مُتَحَدِّرٌ سَيَّالُ
وَكَذَلِكَ الأَرْوَاحُ يَظْهَرُ فِعْلُهَا وَيَغِيبُ عَنَّا سِرُّهَا الْفَعَّالُ
حِكَمٌ تَمَلَّكَهَا الْغُمُوضُ فَلَمْ يُحِطْ بِرُمُوزِهَا فِي الْعَالَمِينَ مَقَالُ

وَقَالَ فِي الغَزَلِ: (من الخفيف)

لَيْسَ لِي غَيْرَ خَالِكَ الْحَجَرِ الأَسْـ ـوَدِ فِي كَعْبَةِ الْمَحَاسِنِ قِبْلَهْ
فَأَثِبْنِي عَلَى الْجَمَالِ زَكَاةً وَزَكَاةُ الْجَمَالِ فِي الْخَدِّ قُبْلَهْ

وَقَالَ: (من الكامل)

يَا هَاجِرِي ظُلْمًا بِغَيْرِ خَطِيئَةٍ هَلْ لِي إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ سَبِيلُ
مَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِنَظْرَةٍ تَحْيَا بِهَا نَفْسٌ عَلَيْكَ تَسِيلُ

وَقَالَ: (من البسيط)

مَنْ ظَنَّنِي مَوْضِعًا يَوْمًا لِحَاجَتِهِ كُنْتُ الْحَرِيَّ بِأَنْ أُعْطِيهِ مَا سَأَلا
لَهُ عَلَيَّ بِحُسْنِ الظَّنِّ مَأْثُرَةٌ لا يَسْتَقِلُّ بِهَا شُكْرِي وَإِنْ جَمُلا

وَقَالَ فِي الغَزَلِ: (من البسيط)

عَاتَبْتُهُ لا لأَمْرٍ فِيهِ مَعْتَبَةٌ عَلَيْهِ لَكِنْ لأَرْعَى وَرْدَةَ الْخَجَلِ
فَأَلْبَسَتْ يَاسَمِينَ الخَدِّ خَجْلَتُهُ وَرْدًا جَنِيًّا جَنَاهُ رَائِدُ الْمُقَلِ

وَقَالَ فِي الحِكْمَةِ: (من البسيط)

دَعِ الْمَخَافَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَهَا وَإِنْ تَحَصَّنَ لا يَنْجُو مِنَ الْغِيَلِ
لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عِلْمٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْعَوَاقِبِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى الْحِيَلِ

وَقَالَ فِي فَقْدِ الشَّبَابِ: (من الطويل)

يُعَزَّى الْفَتَى فِي كُلِّ رُزْءٍ وَلَيْتَهُ يُعَزَّى عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ الْمُزَايِلِ
فَكَمْ بَيْنَ مَفْقُودٍ يُعَاشُ بِغَيْرِهِ وَآخَرَ يُزْرِي بِالْهَوَى وَالْوَسَائِلِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْكِ الشَّبَابَ فَمَا الَّذِي يَعِزُّ عَلَيْهِ وَهْوَ أَكْرَمُ رَاحِلِ

وَقَالَ يَهْجُو عثمان رفقي: (من الخفيف)

كُلُّ صَعْبٍ سِوَى الْمَذَلَّةِ سَهْلُ وَحَيَاةُ الْكَرِيمِ فِي الضَّيْمِ قَتْلُ
لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ مَا لَمْ يَكُ فِيهِ مِنْ صِبْغَةِ اللُّؤْمِ دَخْلُ
إِنَّ مُرَّ الْحِمَامِ أَعْذَبُ وِرْدًا مِنْ حَيَاةٍ فِيهَا شَقَاءٌ وَذُلُّ
أَنَا رَاضٍ بِتَرْكِ مَالِي وَأَهْلِي فَالْعَفَافُ الثَّرَاءُ وَالنَّاسُ أَهْلُ
لا يَلُمْنِي عَلَى الْحَفِيظَةِ قَوْمٌ غَرَّهُمْ مَنْظَرُ الْحَيَاةِ فَضَلُّوا
أَلِفُوا الضَّيْمَ خَشْيَةَ الْمَوْتِ والضَّيْـ ـمُ لَعَمْرِي فَجْعٌ خَسِيسٌ وَثُكْلُ
كَيفَ لا أَنْصُرُ الرَّشَادَ عَلَى الْغَيْـ ـيِ وَعَقْلِي مَعِي وَفِي النَّفْسِ فَضْلُ

إِنَّمَا الْمَرْءُ بِاللِّسَانِ وَبِالْقَلـ   ـبِ فَإِنْ خَابَ مِنْهُمَا فَهْوَ فَسْلُ

قَدْكِ يَا نَفْسُ فَالتَّصَبُّرُ إِلَّا   فِي لِقَاءِ الْحُرُوبِ غَبْنٌ وَجَهْلُ

فَابْعَثِيهَا شَعْوَاءَ يَحْكُمُ فِيهَا   مُنْصُلٌ صَارِمٌ وَرُمْحٌ مِتَلُّ

هُوَ إِمَّا الْحِمَامُ أَوْ عِيشَةٌ خَضـ   ـرَاءُ فِيهَا لِمَنْ تَفَيَّأَ ظِلُّ

إِنَّ مُلْكًا فِيهِ فُلانٌ وَزِيرًا   لَمُبَاحٌ لِلْخَائِنِينَ وَبِلُّ

أَهْوَجٌ أَحْمَقٌ شَتِيمٌ لَئِيمٌ   أَغْتَمٌ أَبْلَهٌ زَنِيمٌ عُتُلُّ

صَغُرَتْ رَأْسُهُ وَأَفْرَطَ فِي الطُّولِ   شَوَاهُ وَعُنْقُهُ فَهْوَ صَعْلُ

أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ   شَكْلَ لُؤْمٍ إِنْ كَانَ لِلُّؤْمِ شَكْلُ

هَدَفٌ لِلْعُيُوبِ فِي كُلِّ عُضْوٍ   مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَصْلُ

نَسَلَتْهُ مِنِ استِهَا أُمُّ سُوءٍ   مَا لَهَا غَيْرَ طَائِفِ اللَّيْلِ بَعْلُ

كُنْ كَمَا شِئْتَ يَا فُلانُ وَمَا شَا   ءَتْ رِجَالٌ فَأَنْتَ لِلُّؤْمِ أَهْلُ

لَيْسَ تُغْنِي الأَلْقَابُ عَنْ كَرَمِ الأَصـ   ـلِ فَمَجْدُ الْفَتَى عَفَافٌ وَعَقْلُ

أَنْتَ مِنْ عُنْصُرٍ لَوِ اتَّكَأَ الذَّرْ   رُ عَلَيْهِ لآدَهُ مِنْهُ حِمْلُ

نَازَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيـ   ـكَ النَّصَارَى فَأَنْتَ لا شَكَّ بَغْلُ

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيـ   ـئًا وَلَكِنَّ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلُ

كَثُرُوا عِدَّةً وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا   بَ أَبُوهُمْ عَنِ الزُّنَاةِ لَقَلُّوا

لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لأَبِيهِ   مِنْ فرَاخِ الْوَزَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلُ

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا   زٍ وَلَكِنْ مِنَ الْحِمَارِ أَضَلُّ

قَدْ تَغَذَّى بِاللُّؤْمِ إِذْ هُوَ طِفْلٌ   وَتَمَادَى فِي الْغَيِّ إِذْ هُوَ كَهْلُ

لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ تَحْمَدُ الْعَيْنُ رُؤْيَا   هُ وَلا مِنْهُمْ إِلَى النَّفْسِ خِلُّ

أَدْرَكُوا فِي الْعُيُوبِ أَبْعَدَ خَصْلٍ   كُلُّ حَيٍّ لَهُ بِمَا شَاءَ خَصْلُ

كَيْفَ لا تَشْمَلُ الدَّنَاءَةُ قَوْمًا   نَشَأُوا فِي الصَّغَارِ حِينَ اسْتَهَلُّوا

هُمْ لَعَمْرِي أَذَلُّ مِنْ قَدَمِ النَّعْـ   ـلِ نُفُوسًا وَالنَّعْلُ مِنْهُمْ أَجَلُّ

كُنْتُ لا أُحْسِنُ الْهِجَاءَ وَلَكِنْ   عَلَّمَتْنِي صِفَاتُهُمْ كَيْفَ أَتْلُو

كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَلَكِنْ هِجَائِي   فِيكَ بَاقٍ مَا عَاقَبَ السَّيْفَ صَقْلُ

وَقَالَ يَهْجُو: (من الطويل)

وِصَالُكَ لِي هَجْرٌ وَهَجْرُكَ لِي وَصْلُ فَزِدْنِي صُدُودًا مَا اسْتَطَعْتَ وَلا تَأْلُ
إِذَا كَانَ قُرْبِي مِنْكَ بُعْدًا عَنِ الْمُنَى فَلا حُمَّتِ اللُّقْيَا وَلا اجْتَمَعَ الشَّمْلُ
وَكَيْفَ أَوَدُّ الْقُرْبَ مِنْ مُتَلَوِّنٍ كَثِيرِ خَبَايَا الصَّدْرِ شِيمَتُهُ الْخَتْلُ
فَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ لا طَلْحٌ يَرِفُّ وَلا أَثْلُ
خَبُثْتَ فَلَوْ طُهِّرْتَ بِالْمَاءِ لاكْتَسَى بِكَ الْمَاءُ خُبْثًا لا يَحِلُّ بِهِ الْغَسْلُ
فَوَجْهُكَ مَنْحُوسٌ وَكَعْبُكَ سَافِلٌ وَقَلْبُكَ مَدْغُولٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلُّ
بِكَ اسْوَدَّتِ الأَيَّامُ بَعْدَ ضِيَائِهَا وَأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْلِ لَيْسَ بِهِ أَهْلُ
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مَا انْقَضَّ حَادِثٌ بِقَوْمٍ وَلا زَلَّتْ بِذِي أَمَلٍ نَعْلُ
فَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ رَسُولُهَا وَلا خَيْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا أَصْلُ
أَذُمُّ زَمَانًا أَنْتَ فِيهِ وَبَلْدَةً طَلَعْتَ عَلَيْهَا إِنَّهُ زَمَنٌ وَغْلُ
ذِمَامُكَ مَخْفُورٌ وَعَهْدُكَ ضَائِعٌ وَرَأْيُكَ مَأْفُونٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَلُّ
مَخَازٍ لَوَ انَّ النَّجْمَ حُمِّلَ بَعْضَهَا لَعَاجَلَهُ مِنْ دُونِ إِشْرَاقِهِ أَفْلُ
فَسِرْ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا قُصَارَى ذَمِيمِ الْعَهْدِ أَنْ يُقْطَعَ الْحَبْلُ

وَقَالَ: (من الطويل)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ لَيْلِي وَجَارَةً تَبِيتُ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ بِإِعْوَالِ
لَهَا صِبْيَةٌ لا بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ قِبَاحُ النَّوَاصِي لا يَنَمْنَ عَلَى حَالِ
صَوَارِخُ لا يَهْدَأْنَ إِلَّا مَعَ الضُّحَا مِنَ الشَّرِّ فِي بَيْتٍ مِنَ الْخَيْرِ مِمْحَالِ
تَرَى بَيْنَهُمْ يَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ لَهِيبَ صِيَاحٍ يَصْعَدُ الْفَلَكَ الْعَالِي
كَأَنَّهُمُ مِمَّا تَنَازَعْنَ أَكْلُبٌ طُرِقْنَ عَلَى حِينِ الْمَسَاءِ بِرِئْبَالِ
فَهِجْنَ جَمِيعًا هَيْجَةً فُزِّعَتْ لَهَا كِلابُ الْقُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ مِنَ الْحَيِّ إِلَّا جَاءَ بِالْعَمِّ وَالْخَالِ
وَفُزِّعَتِ الأَنْعَامُ وَالْخَيْلُ فَانْبَرَتْ تُجَاوِبُ بَعْضًا فِي رُغَاءٍ وَتَصْهَالِ
فَقَامَتْ رِجَالُ الْحَيِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا أُصِيبَتْ بِجَيْشٍ ذِي غَوَارِبَ ذَيَّالِ
فَمِنْ حَامِلٍ رُمْحًا وَمِنْ قَابِضٍ عَصًا وَمِنْ فَزِعٍ يَتْلُو الْكِتَابَ بِإِهْلالِ

وَمِنْ صِبْيَةٍ رِيعَتْ لِذَاكَ وَنِسْوَةٍ قَوَائِمَ دُونَ الْبَابِ يَهْتِفْنَ بِالْوَالِي
فَيَا رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ تَصَبُّرًا عَلَى مَا أُقَاسِيهِ وَخُذْهُمْ بِزَلْزَالِ

وَقَالَ فِي الزُّهدِ: (من مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلا لَسْتَ لِلتَّكْرِيمِ أَهْلا
كَيْفَ صَادَفْتَ الأَمَانِي هَلْ رَأَيْتَ الصَّعْبَ سَهْلا
خِلْتَهَا مَاءً نَمِيرًا فَاشْرَبَنْ علًّا وَنَهْلا
أَيْنَ أَهْلُ الدَّارِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى بِالدَّارِ أَهْلا
رُبَّ حُسْنٍ فِي ثِيَابٍ عَادَ غِسْلِينًا ومُهْلا
وَعُيُونٍ كُنَّ سُودًا صِرْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ شُهْلا
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ بَاغٍ فِي الْوَرَى خِزْيًا وَبَهْلا
إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ لَمْ تَدَعْ طِفْلًا وَكَهْلا
كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا فَاكْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلا

قافية الميم

وَقَالَ فِي صِبَاهُ: (من البسيط)

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةُ الأُمَمِ ... فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ

كَمْ بَيْنَ مَا تَلْفِظُ الأَسْيَافُ مِنْ عَلَقٍ ... وَبَيْنَ مَا تَنْفُثُ الأَقْلامُ مِنْ حِكَمِ

لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمُ ... بِقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ لا بِسَفْكِ دَمِ

فَاعْكُفْ عَلَى الْعِلْمِ تَبْلُغْ شَأْوَ مَنْزِلَةٍ ... فِي الْفَضْلِ مَحْفُوفَةٍ بِالْعِزِّ وَالْكَرَمِ

فَلَيْسَ يَجْنِي ثِمَارَ الْفَوْزِ يَانِعَةً ... مِنْ جَنَّةِ الْعِلْمِ إِلَّا صَادِقُ الْهِمَمِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ ... سَبْقُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ ... أَوْقَاتُهَا عَبَثًا لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ

لَوْلا مُدَاوَلَةُ الأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

كَمْ أُمَّةٍ دَرَسَتْ أَشْبَاحُهَا وَسَرَتْ ... أَرْوَاحُهَا بَيْنَنَا فِي عَالَمِ الْكَلِمِ

فَانْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ الْمَاثِلَيْنِ تَجِدْ ... غَرَائِبًا لا تَرَاهَا النَّفْسُ فِي الْحُلُمِ

صَرْحَانِ مَا دَارَتِ الأَفْلاكُ مُنْذُ جَرَتْ ... عَلَى نَظِيرِهِمَا فِي الشَّكْلِ وَالْعِظَمِ

تَضَمَّنَا حِكَمًا بَادَتْ مَصَادِرُهَا ... لَكِنَّهَا بَقِيَتْ نَقْشًا عَلَى رَضَمِ

قَوْمٌ طَوَتْهُمْ يَدُ الأَيَّامِ فَانْقَرَضُوا ... وَذِكْرُهُمُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا عَلَى الْقِدَمِ

فَكَمْ بِهَا صُوَرٌ كَادَتْ تُخَاطِبُنَا ... جَهْرًا بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ

تَتْلُو لِـ «هِرْمِسَ» آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى ... فَضْلٍ عَمِيمٍ وَمَجْدٍ بَاذِخِ الْقِدَمِ

آيَاتِ فَخْرٍ تَجَلَّى نُورُهَا فَغَدَتْ ... مَذْكُورَةً بِلِسَانِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وَلاحَ بَيْنَهُمَا «بَلْهِيبُ» مُتَّجِهًا ... لِلشَّرْقِ يَلْحَظُ مَجْرَى النِّيلِ مِنْ أَمَمِ

كَـأَنَّـهُ رَابِـضٌ لِـلْـوَثْـبِ مُـنْـتَـظِـرٌ فَـرِيـسَـةً فَـهْـوَ يَـرْعَـاهَـا وَلَـمْ يَـنَـمِ
رَمْـزٌ يَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّ الْـعُـلُـومَ إِذَا عَمَّتْ بِمِصْرَ نَزَتْ مِنْ وَهْدَةِ الْعَدَمِ
فَاسْتَيْقِظُوا يَا بَنِي الأَوْطَانِ وَانْتَصِبُوا لِلْعِلْـمِ فَـهْوَ مَدَارُ الْعَدْلِ فِـي الأُمَـمِ
وَلا تَـظُـنُّـوا نَـمَـاءَ الْـمَـالِ وَانْـتَـسِـبُـوا فَـالْعِلْـمُ أَفْضَلُ مَا يَحْوِيهِ ذُو نَسَمِ
فَـرُبَّ ذِي ثَـرْوَةٍ بِـالْـجَـهْـلِ مُـحْـتَـقَـرٍ وَرُبَّ ذِي خَـلَّـةٍ بِـالْـعِـلْـمِ مُـحْـتَـرَمِ
شِيدُوا الْمَدَارِسَ فَهْيَ الْغَرْسُ إِنْ بَسَقَتْ أَفْـنَـانُـهُ أَثْـمَـرَتْ غَـضًّـا مِـنَ الـنِّـعَـمِ
مَـغْـنَـى عُـلُـومٍ تَـرَى الأَبْـنَـاءَ عَـاكِـفَـةً عَلَى الدُّرُوسِ بِهِ كَالطَّيْرِ في الْحَرَمِ
مِنْ كُلِّ كَهْلِ الْحِجَا في سِنِّ عَاشِرَةٍ يَـكَـادُ مَـنْـطِـقُـهُ يَـنْـهَـلُّ بِـالْـحِـكَـمِ
كَـأَنَّـهَـا فَـلَـكٌ لاحَـتْ بِـهِ شُـهُـبٌ تُـغْـنِي بِـرَوْنَـقِـهَا عَنْ أَنَجُـمِ الظُّلَـمِ
يَجْنُونَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَهْرَةً عَبِقَتْ بِـنَـفْـحَـةٍ تَـبْـعَـثُ الأَرْوَاحَ فِـي الـرِّمَـمِ
فَكَمْ تَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ شَاعِرٍ لَسِنٍ أَوْ كَـاتِـبٍ فَـطِـنٍ أَوْ حَـاسِـبٍ فَـهِـمِ
وَنَابِغٍ نَالَ مِنْ عِلْمِ الْحُقُوقِ بِهَا مَـزِيَّـةً أَلْـبَـسَـتْـهُ خِـلْـعَـةَ الْـحَـكَـمِ
وَلُـجِّ هَـنْـدَسَـةٍ تَـجْـرِي بِـحِـكْـمَـتِـهِ جَـدَاوِلُ الْـمَـاءِ فِـي هَـالٍ مِـنَ الأَكَـمِ
بَلْ كَمْ خَطِيبٍ شَفَى نَفْسًا بِمَوْعِظَةٍ وَكَمْ طَبِيبٍ شَفَى جِسْمًا مِنَ السَّقَمِ
مُـؤَدَّبُـونَ بِـآدَابِ الْـمُـلُـوكِ فَـلَا تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَالِي الْقَدْرِ مُحْتَشِمِ
قَوْمٌ بِهِمْ تَصْلُحُ الدُّنْيَا إِذَا فَسَدَتْ وَيَـفْـرُقُ الْـعَـدْلُ بَـيْـنَ الـذِّئْـبِ وَالْـغَـنَـمِ
وَكَيْفَ يَثْبُتُ رُكْنُ الْعَدْلِ فِي بَلَدٍ لَمْ يَنْتَصِبْ بَيْنَهَا لِلْعِلْمِ مِنْ عَلَمِ؟
مَـا صَـوَّرَ الـلَّـهُ لِـلأَبْـدَانِ أَفْـئِـدَةً إِلَّا لِـيَـرْفَـعَ أَهْـلَ الْـجِـدِّ وَالْـفَـهَـمِ
وَأَسْـعَـدُ الـنَّـاسِ مَنْ أَفْـضَـى إِلَـى أَمَدٍ فِي الْفَضْلِ وَامْتَازَ بِالْعَالِي مِنَ الشِّيَمِ
لَوْلا الْـفَـضِـيـلَـةُ لَـمْ يَـخْـلُـدْ لِـذِي أَدَبٍ ذِكْرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ
فَلْـيَـنْـظُـرِ الْـمَـرْءُ فِـيـمَـا قَـدَّمَـتْ يَـدُهُ قَـبْـلَ الْـمَـعَـادِ فَـإِنَّ الْـعُـمْـرَ لَـمْ يَـدُمِ

وَقَالَ يَمْدَحُ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا خِدِيوِ مِصْرَ: (من الطويل)

لِـعِـزَّةِ هَـذِي الـلاهِـيَـاتِ الـنَّـوَاعِـمِ تَـذِلُّ عَـزِيـزَاتُ الـنُّـفُـوسِ الْـكَـرَائِـمِ
فَمَا كُنْتُ لَوْلاهُنَّ تَهْتَاجُنِي الصَّبَا أصيلًا وَيُشْجِينِي هَدِيرُ الْحَمَائِمِ
وَلا شَـاقَـنِـي بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِـنًـا كَـزَنْـدٍ تُـوَالِـي قَـدْحَـهُ كَـفُّ ضَـارِمِ
وَبَيْضَاءَ رَيَّا الرِّدْفِ مَهْضُومَةِ الْحَشَا يُـقِـلُّ ضُـحَـاهَـا جُـنْـحَ أَسْـوَدَ فَـاحِـمِ

مِنَ الْعِينِ يَحْمِي خِدْرَهَا كُلُّ ضَيْغَمٍ ... بَعِيدِ مَشَقِّ الْجَفْنِ عَبْلِ الْمَعَاصِمِ

فَلَوْلا هَوَاهَا مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ ... بِغُصْنٍ وَلا انْهَلَّتْ شُئُونُ الْغَمَائِمِ

وَلا الْتَهَبَ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ وَلا غَدَتْ ... تَحِنُّ مَطَايَانَا حَنِينَ الرَّوَائِمِ

أَمَا وَهِلالٍ فِي دُجُنَّةِ طُرَّةٍ ... يَلُوحُ وَدُرٍّ فِي عَقِيقِ مَبَاسِمِ

لَقَدْ أَوْدَعَ الْبَيْنُ الْمُشِتُّ بِمُهْجَتِي ... نُدُوبًا كَأُثْرِ الْوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ

وَكَمْ لَيْلَةٍ سَاوَرْتُهَا نَابِغِيَّةٍ ... سَقَتْنِي بِمَا مَجَّتْ شِفَاهُ الأَرَاقِمِ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا كَفُّ عَذْرَاءَ طَفْلَةٍ ... بِهِ رَعْشَةٌ لِلْبَيْنِ بَادِي الْخَوَاتِمِ

إِذَا اضْطَرَبَتْ تَحْتَ الظَّلامِ تَخَالُهَا ... دُمُوعَ الْعَذَارَى فِي حِدَادِ الْمَآتِمِ

وَبَرْقٍ يَمَانِيٍّ أَرِقْتُ لِوَمْضِهِ ... يَطِيرُ بِهُدَّابٍ كَثِيرِ الزَّمَازِمِ

كَأَنَّ اصْطِخَابَ الرَّعْدِ فِي جَنَبَاتِهِ ... هَدِيرُ فُحُولٍ أَوْ زَئِيرُ ضَرَاغِمِ

تَخَالَفَتِ الأَهْوَاءُ فِيهَا فَعَاذِرٌ ... هَوَايَ الَّذِي أَشْكُو وَآخَرُ لائِمِي

وَنَافَسَنِي فِي حُبِّهَا كُلُّ كَاشِحٍ ... يَلُفُّ عَلَى الشَّحْنَاءِ عُوجَ الْحَيَازِمِ

فَكَمْ صَاحِبٍ أَلْقَاهُ يَحْمِلُ صَدْرُهُ ... فُؤَادَ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ مُسَالِمِ

أُغَالِطُهُ قَوْلِي وَأَمْحَضُهُ الْوَفَا ... كَأَنِّي بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمِ

وَمَنْ لمْ يُغَالِطْ فِي الزَّمَانِ عَدُوَّهُ ... وَيُبْدِي لَهُ الْحُسْنَى فَلَيْسَ بِحَازِمِ

فَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الَّتِي هَدَرَتْ دَمِي ... وَأَلْقَتْ إِلَى أَيْدِي الْفِرَاقِ شَكَائِمِي

إِلَيْكِ اسْتَثَرْتُ الْعَيْنَ مَحْلُولَةَ الْعُرَا ... وَفِيكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ رَعْيَ السَّوَائِمِ

فَلا تَتْرُكِي نَفْسِي تَذُوبُ وَمُهْجَتِي ... تَسِيلُ دَمًا بَيْنَ الدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُدْلِجِينَ هَفَتْ بِهِمْ ... رِيَاحُ الْكَرَى مِيلِ الطُّلَى وَالْعَمَائِمِ

تَجِدُّ بِهِمْ كُومُ الْمَهَارِي لَوَاغِبًا ... عَلَى مَا تَرَاهُ دَامِيَاتِ الْمَنَاسِمِ

تُصِيخُ إِلَى رَجْعِ الْحُدَاءِ كَأَنَّهَا ... تَحِنُّ إِلَى إِلْفٍ قَدِيمٍ مُصَارِمِ

وَيَلْحَقُهَا مِنْ رَوْعَةِ السَّوْطِ جِنَّةٌ ... فَتَمْرُقُ شُعْثًا مِنْ فِجَاجِ الْمَخَارِمِ

لَهُنَّ إِلَى الْحَادِي الْتِفَاتَةُ وَامِقٍ ... فَمِنْ رَازِحٍ مَعِيِ وَآخَرَ رَازِمِ

أَلا أَيُّهَا الرَّكْبُ الَّذِي خَامَرَ السُّرَى ... بِكُلِّ فَتًى لِلْبَيْنِ أَغْبَرَ سَاهِمِ

قِفَا بِي قَلِيلًا وَانْظُرَا بِيَ أَشْتَفِي ... بِلَثْمِ الْحَصَى بَيْنَ اللِّوَى فَالنَّعَائِمِ

فَكَمْ عَهْدِ صِدْقٍ مَرَّ فِيهِ وَأَعْصُرٍ ... تَوَلَّتْ عِجَالًا دُونَ تَهْوِيمِ نَائِمِ

أَبِيتُ لَهَا دَامِي الْجُفُونِ مُسَهَّدًا ... طَرِيحَ الثَّرَى مُحْمَرَّ طَرْفِ الأَبَاهِمِ

وَمَا هَاجَنِي إِلَّا عُصَيْفِيرُ رَوْضَةٍ عَلَى مَلْعَبٍ مِنْ دَوْحَةِ الضَّالِ نَاعِمِ
يَصِيحُ فَمَا أَدْرِي لِفُرْقَةِ صَاحِبٍ كَرِيمِ السَّجَايَا أَمْ يُغَنِّي لِقَادِمِ
كَأَنَّ الْعُصَيْفِيرَ اسْتُطِيرَ فُؤَادُهُ سُرُورًا بِرَبِّ الْمَكْرُمَاتِ الْجَسَائِمِ
أَبُو الْمَجْدِ نَجْلُ الْجَوْدِ خَالُ زَمَانِهِ أَخُو الْفَخْرِ إِسْمَاعِيلُ خِدْنُ الْمَكَارِمِ
قَشِيبُ الصِّبَا كَهْلُ التَّدَابِيرِ جَامِعٌ صُنُوفَ الْعُلا وَالْمَجْدِ فِي صَدْرِ جَازِمِ
تَجَمَّعَ فِيهِ الْحِلْمُ وَالْبَأْسُ وَالنَّدَى فَلَيْسَ لَهُ فِي مَجْدِهِ مِنْ مُزَاحِمِ
ذَكَاءُ «أَرِسْطَالِيسَ» فِي حِلْمِ «أَحْنَفٍ» وَهِمَّةُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ «حَاتِمِ»
لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْغُيُوبِ وَفَوْقَهَا عُيُونٌ تَرَى الأَشْيَاءَ لا وَهْمُ وَاهِمِ
فَنَظْرَتُهُ وَحْيٌ وَسَاكِنُ صَدْرِهِ فُؤَادُ خَبِيرٍ نَاطِقٍ بِالْعَظَائِمِ
تَكَادُ لِعَلْيَاهُ الْمَلائِكُ تَرْتَمِي عَلَى كَتِفَيْهِ كَالطُّيُورِ الْحَوَائِمِ
أَرَاهُ فَيَمْحُونِي الْجَلالُ وَأَنْتَحِي أُغَالِطُ أَفْكَارِي وَلَسْتُ بِحَالِمِ
وَتُوهِمُنِي نَفْسِي الْكِذَابَ سَفَاهَةً أَلا إِنَّمَا الأَوْهَامُ طُرْقُ الْمَآثِمِ
هُوَ السَّيْفُ فِي حَدَّيْهِ لِينٌ وَشِدَّةٌ فَتَلْقَاهُ حُلْوَ الْبِشْرِ مُرَّ الْمَطَاعِمِ
تَرَاهُ لَدَى الْخَطْبِ الْمُلِمِّ مُجَمِّعًا عُرَا الْحِلْمِ ثَبْتَ الْجَأْشِ مَاضِي الْعَزَائِمِ
لَهُ النَّظْرَةُ الشَّزْرَاءُ يَعْقُبُهَا الرِّضَا لإِسْعَافِ مَظْلُومٍ وَإِرْغَامِ ظَالِمِ
فَلَوْلا نَدَى كَفَّيْهِ أَوْقَدَ بَأْسُهُ لَدَى الرَّوْعِ أَطْرَافَ الظُّبَا وَاللَّهَاذِمِ
وَلَوْلا ذَكَاهُ أَعْشَبَتْ بِيَمِينِهِ قَنَا الْخَطِّ وَاخْضَلَّتْ طُرُوسُ الْمَظَالِمِ
لَهُ بَيْتُ مَجْدٍ رَفْرَفَتْ دُونَ سَقْفِهِ حَمَامُ الدَّرَارِي مُشْمَخِرُّ الدَّعَائِمِ
فَمَنْ رَامَهُ فَلْيَتَّخِذْ مِنْ قَصَائِدِي سُطُورًا إِلَى مَرْقَاهُ مِثْلَ السَّلالِمِ
فَيَا بْنَ الأُلَى سَادُوا الْوَرَى وَانْتَهَوْا إِلَى تَمَامِ الْعُلا مِنْ قَبْلِ نَزْعِ التَّمَائِمِ
أُهَنِّيكَ بِالْمُلْكِ الَّذِي طَالَ جِيدُهُ بِعِزِّكَ حَتَّى حَلَّ بَيْتَ النَّعَائِمِ
لَسَوَّدْتَهُ بِالْفَخْرِ فَابْيَضَّ وَجْهُهُ بِأَسْمَرَ خَطِّيٍّ وَأَبْيَضَ صَارِمِ
تَدَارَكْتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَادَ يَنْمَحِي لِفَرْطِ تَبَارِيحِ الدُّهُورِ الْغَوَاشِمِ
بَكَى زَمَنًا وَاغْبَرَّ حَتَّى أَتَيْتَهُ فَعَادَ رَحِيبَ الصَّدْرِ طَلْقَ الْمَبَاسِمِ
وَسُسْتَ الْوَرَى بِالْعَدْلِ حَتَّى تَشَوُّقًا إِلَيْكَ الْتَوَى جِيدُ الدُّهُورِ الْقَدَائِمِ
وَجِئْتَ مَجِيءَ الْبَدْرِ مَدَّ شُعَاعَهُ عَلَى أُفُقٍ بِالْجَوْنِ وَحْفِ الْقَوَادِمِ
بِرَأْيٍ كَخَيْطِ الشَّمْسِ نُورًا تَخَالُهُ فِرِنْدًا تَمَشَّى فِي خُدُودِ الصَّوَارِمِ

فَلَوْ مِصْرُ تَدْرِي أَرْسَلَتْ لَكَ نِيلَهَا لِيَلْقَاكَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ قَاتِمِ
وَجَاءَتْ لَكَ الأَهْرَامُ تَسْعَى تَشَوُّقًا إِلَى دَارِ قُسْطَنْطِينَ سَعْيَ النَّسَائِمِ
فَبُورِكْتَ فِي مُلْكٍ وَرِثْتَ دَمَاءَهُ وَخَلَّدْتَهُ فِي نَسْلِ مَجْدٍ أَكَارِمِ
بِهِمْ كُلُّ غِطْرِيفٍ يَمُدُّ إِلَى الْعُلا يَدًا خُلِقَتْ فِينَا لِبَذْلِ الْمَكَارِمِ
يَجُولُ مَجَالَ الْبَرْقِ وَالْخَيْلُ تَرْتَمِي بِأَعْطَافِهَا فِي الْمَأْزِقِ الْمُتَلاحِمِ
فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ بَاكَرَهَا الْحَيَا بِأَوْطَفَ سَاجٍ أَشْعَلِ الْبَرْقِ سَاجِمِ
يَضُوعُ بِهَا نَشْرُ الْعَبِيرِ فَتَغْتَدِي تَقَاسَمَهُ فِينَا أَكُفُّ النَّوَاسِمِ
إِذَا الشَّمْسُ لاحَتْ مِنْ خِلالِ ظِلالِهَا عَلَى الأَرْضِ لاحَتْ مِثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ
يَقِيلُ بِهَا سِرْبُ الْمَهَا وَهْوَ آمِنٌ فَمِنْ أَرْبَدَ سَاجٍ وَأَحْوَرَ بَاغِمِ
بِأَلْطَفَ مِنْ أَخْلاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ إِذَا الْعُودُ ضَمَّتْهُ أَكُفُّ الْعَوَاجِمِ
وَمَا الشِّعْرُ مِنْ دَأْبِي وَلا أَنَا شَاعِرٌ وَلا عَادَتِي نَعْتُ الصُّوَى وَالْمَعَالِمِ
وَلَكِنْ حَدَانِي جُودُهُ فَاسْتَثَارَنِي لِوَصْفِ مَعَالِيهِ الْعِظَامِ الْجَسَائِمِ
وَكَيْفَ وَجَدْوَاهُ ثَنَتْ ضَبْعَ هِمَّتِي وَهَزَّتْ إِلَى نَظْمِ الْقَرِيضِ قَوَادِمِي
فَتِلْكَ لآلٍ أَمْ رَبِيعٌ تَفَتَّحَتْ أَزَاهِرُهُ كَالزَّهْرِ أَمْ نَظْمُ نَاظِمِ
وَمَا هُوَ إِلَّا عِقْدُ مَدْحٍ نَظَمْتُهُ لِجِيدِ عُلاهُ فِي صُدُورِ الْمَوَاسِمِ
فَعِشْ مَا تَغَنَّتْ بِالأَرَاكِ حَمَامَةٌ وَمَا اتَّجَهَتْ لِلْبَرْقِ نَظْرَةُ شَائِمِ
لَكَ السَّعْدُ خِدْنٌ وَالْمَهَابَةُ صَاحِبٌ وَشَخْصُ الْعُلا وَالنَّصْرِ فِي زِيِّ خَادِمِ

وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ: (من الكامل)

أَسَلُ الدِّيَارَ عَنِ الْحَبِيبِ وَفِي الْحَشَا دَارٌ لَهُ مَأْهُولَةٌ وَمَقَامُ
وَمِنَ الْعَنَاءِ سُؤَالُ خَاشِعَةِ الصُّوَى بِيَدِ الْفَنَاءِ جَوَابُهَا إِرْمَامُ
ذَكَرَتْ بِهَا النَّفْسُ اللَّجُوجُ زَمَانَهَا إِنَّ التَّذَكُّرَ لِلنُّفُوسِ غَرَامُ
إِذْ لِلْهَوَى ثَمَرٌ يَرِفُّ وَلِلصِّبَا كَأْسٌ تُشَفُّ وَلِلْمُنَى إِلْمَامُ
تَسْتَنُّ فِيهَا الْعِينُ بَيْنَ مَخَانِسٍ فِيهَا السَّلامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمُ وَنَمَاهُمُ التَّبْجِيلُ وَالإِعْظَامُ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي تَلْعَابِهِمْ هَذَرٌ وَلا إِبْرَامُ
لا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلاءِ كِرَامُ

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ كَالْبَدْرِ جَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لا يَسُوءُ جَلِيسَهُ بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَّامُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلًى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهْوَ هُمَامُ
تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ دُونَ فِعَالِهِ وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الأَقْوَامُ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّءُوسُ خَوَاضِعٌ وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالصُّفُوفُ قِيَامُ
حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصِّبَا أَنَّ الْخَلاعَةَ وَالصِّبَا أَحْلامُ
لا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتْرَفٍ هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَمْعَ السَّرَابِ وَتَنْقَضِي الأَعْوَامُ
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الأَيَّامُ
لا طَائِرٌ يَنْجُو وَلا ذُو مِخْلَبٍ يَبْقَى وَعَاقِبَةُ النُّفُوسِ حِمَامُ
فَادْرَأْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنْكَ إِذَا اعْتَرَتْ بِالْكَأْسِ فَهْيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامُ
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي أَلْوَانِهِ إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ
مِنْ خَمْرَةٍ تَذَرُ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهْوَ غُلامُ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا شَبَحًا تَحَارُ لِدَرْكِهِ الأَفْهَامُ
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ فَلَكًا تَحُفُّ سَمَاءَهُ الأَجْرَامُ
لا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الأَقْدَامُ
تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفَ لَمْ يَقُمْ بِفِنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظَلامُ
حَتَّى إِذَا رَقَدَتْ وَقَرَّ قَرَارُهَا سَلِسَتْ فَلَيْسَ لِذَوْقِهَا إِيلامُ
تَسِمُ الْعُيُونَ بِنَارِهَا لَكِنَّهَا بَرْدٌ عَلَى شُرَّابِهَا وَسَلامُ
فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلا تَكُنْ غِرًّا تَطِيرُ بِلُبِّهِ الأَوْهَامُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامُ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا دَاءٌ لَهُ دُونَ الشِّغَافِ عُقَامُ
فَاطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ وَهَلْ لابْنِ السَّبِيلِ مُقَامُ
هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النَّعِيمِ وَهَذِهِ الأَهْرَامُ
لا شَيْءَ يَبْقَى غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةً فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الأَحْلامُ
وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الأُمُورَ بِغَيْرِهَا وَأَتَى عَلَيَّ النَّقْضُ وَالإِبْرَامُ

وَإِذَا السُّكُونُ تَحَرُّكٌ وَإِذَا الْخُمُو ... دُ تَلَهُّبٌ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلامُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلا حَيَاةَ مَنِيَّةٌ ... تَحْيَا بِهَا الأَجْسَادُ وَهْيَ رِمَامُ
هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهًا ... عَنْهُ فَصُلْحُ تَارَةً وَخِصَامُ
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةٌ ... وَالْبَدءُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ خِتَامُ

وقد رويت هذه القصيدة في كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي عَلَى الشكل التالي: (من الكامل)

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتِ الأَيَّامُ ... فَعَلَى الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلامُ
تَاللَّهِ أَنْسَى مَا حَيِيتُ عُهُودَهُ ... ولِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامِ ذِمَامُ
إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرِفُّ ظِلالُهُ ... وَلَنَا بِمُعْتَرَكِ الْهَوَى آثَامُ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ ... فِيهَا السَّلامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمُ ... وَنَمَاهُمُ التَّبْجِيلُ وَالإِعْظَامُ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي ... تَلْعَابِهِمْ هَذرٌ وَلا إِبْرَامُ
لا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى ... سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلاءِ كِرَامُ
مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ ... كَالْبَدْرِ حَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لا يَسُوءُ جَلِيسَهُ ... بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَّامُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلًى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهْوَ هُمَامُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ ... وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الأَقْوَامُ
فَإِذَا تَكَلَّم فَالرُّءُوسُ خَوَاضِعٌ ... وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالصُّفُوفُ قِيَامُ
نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضْرِ حَدَائِقٍ ... لَيْسَتْ بِغَيْرِ خُيُولِنَا تُسْتَامُ
حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصِّبَا ... إِنَّ اللَّذَاذَةَ وَالصِّبَا أَحْلامُ
لا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتْرَفٍ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا ... لَمْعَ السَّرَابِ وَتَنْقَضِي الأَعْوَامُ
وَالنَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَارِدٌ ... أَوْ صَادِرٌ تَجْرِي بِهِ الأَيَّامُ
لا طَائِرٌ يَنْجُو وَلا ذُو مِخْلَبٍ ... يَبْقَى وَعَاقِبَةُ الْحَيَاةِ حِمَامُ
فَادْرَأْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنْكَ إِذَا اعْتَرَتْ ... بِالْكَأْسِ فَهْيَ عَلَى الْهُمُومِ حُسَامُ
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَدُومُ فِي أَلْوَانِهِ ... إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْجَامُ

مِنْ خَمْرَةٍ تَذَرُ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهْوَ غُلامُ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا فَغَادَرَ جِسْمَهَا شَبَحًا تَهَافَتُ دُونَهُ الأَوْهَامُ
حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ فَصَوَّرَتْ فَلَكًا تَحُفُّ سَمَاءَهُ الأَجْرَامُ
لا تَسْتَقِيمُ الْعَيْنُ فِي لَمَعَانِهَا وَتَزِلُّ عِنْدَ لِقَائِهَا الأَقْدَامُ
تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا
حُبِسَتْ بِأَكْلَفَ لَمْ يَصِلْ لِفِنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَسْرَحْ عَلَيْهِ ظَلامُ
حَتَّى إِذَا اصْطَفَقَتْ وَطَارَ فِدَامُهَا وَثَبَتْ فَلَمْ تَثْبُتْ لَهَا الأَجْسَامُ
وَقَدَتْ حَمِيَّتُهَا فَلَوْلا مَزْجُهَا بِالْمَاءِ بَعْدَ الْمَاءِ شَبَّ ضِرَامُ
تَسِمُ الْعُيُونَ بِنُورِهَا لَكِنَّهَا بَرْدٌ عَلَى شُرَّابِهَا وَسَلامُ
فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلا تَكُنْ غِرًّا تَطِيشُ بِلُبِّهِ الآلامُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامُ
يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا دَاءٌ لَهُ لَوْ يَسْتَبِينُ عُقَامُ
فَاطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ وَهَلْ لابْنِ السَّبِيلِ مُقَامُ
هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النِّظَامِ وَهَذِهِ الأَهْرَامُ
لا شَيْءَ يَخْلُدُ غَيْرَ أَنَّ خَدِيعَةً فِي الدَّهْرِ تَنْكُلُ دُونَهَا الأَحْلامُ
وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الأُمُورَ بِغَيْرِهَا وَأَتَى عَلَيَّ النَّقْضُ وَالإِبْرَامُ
فَإِذَا السُّكُونُ تَحَرُّكٌ وَإِذَا الْخُمُو دُ تَلَهُّبٌ وَإِذَا السُّكُوتُ كَلامُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَلا حَيَاةَ مَنِيَّةٌ تَحْيَا بِهَا الأَجْسَادُ وَهْيَ رِمَامُ
هَذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهًا عَنْهُ فَصُلْحٌ تَارَةً وَخِصَامُ
فَالنُّورُ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ظُلْمَةٌ والْبَدْءُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ خِتَامُ

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمِقْيَاس: (من الطويل)

أَلا حَيِّ بِالْمِقْيَاسِ رَيَّا الْمَعَالِمِ وَقَلَّ لَهَا مِنَّا تَحِيَّةُ قَادِمِ
مَلاعِبُ آرَامٍ وَمَأْوَى حَمَائِمٍ وَمَسْقَطُ أَنْدَاءٍ وَمَسْرَى نَسَائِمِ
أَحَاطَتْ بِهِ لِلنِّيلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَدَاوِلُ تُسْقِيهِ سُلافَ الْغَمَائِمِ
تَدُورُ مَدَارَ الطَّوْقِ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِي مَسِيرًا وَتَنْسَلُّ انْسِلالَ الأَرَاقِمِ
إِذَا ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ مُتُونُهَا رَفِيفَ الثَّنَايَا خَلْفَ حُمْرِ الْمَبَاسِمِ

وَإِنْ سَلْسَلَتْهَا الرِّيحُ أَبْدَتْ سَبَائِكًا مُقَدَّرَةً كَالْوَشْمِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ
تَجُوسُ خِلالَ البَاسِقَاتِ وتَنْتَهِي إِلَى سَاعِدٍ فِي غَمْرَةِ النِّيلِ سَاجِمِ
تَرَى حَوْلَهَا الأَشْجَارَ وَلْهَى مُكِبَّةً عَلَى الْمَاءِ فِعْلَ الصَّادِيَاتِ الْحَوَائِمِ
وَمُنْبَعِثَاتٍ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهَا بَيَارِقُ لَهْوٍ رُكِّزَتْ فِي الْمَوَاسِمِ
مِنَ اللاءِ قَدْ آلَيْنَ يَشْرَبْنَ أَوْ تَلِي مَنَابِتُهَا غَوْرَ الْبِحَارِ الْخَضَارِمِ
إِذَا لاعَبَتْ أَعْرَافَهَا الرِّيحُ خِلْتَهَا فَوَارِسَ تَعْصُو بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
يَلُوحُ بِهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ كَأَنَّهُ فَرَائِدُ سَاوَى بَيْنَهَا كَفُّ نَاظِمِ
إِذَا مَا أَتَى مِيقَاتُهَا وَتَضَرَّجَتْ حَسِبْتَ عَقِيقًا فِي صِحَافِ الْكَمَائِمِ
مَسَارِحُ لَهْوٍ لَوْ رَأَى الشَّعْبُ حُسْنَهَا لَعَضَّ عَلَى مَا فَاتَهُ بِالأَبَاهِمِ
ذَكَرْتُ بِهَا عَصْرًا تَوَلَّى وَلَذَّةً تَقَضَّتْ ومَا عَهْدُ الزَّمَانِ بِدائِمِ
وَمَا تَحْسُنُ الأَيَّامُ إِلَّا بِأَهْلِهَا وَلا الدَّارُ إِلَّا بِالصَّدِيقِ الْمُلائِمِ
فَيَا نِعْمَ مَا وَلَّتْ بِهِ دَوْلَةُ الصِّبَا وَلَمْ تَرْعَهُ مِنْ عَهْدِنَا الْمُتَقَادِمِ
إِذِ الْعَيْشُ أَفْنَانٌ وَنَحْنُ عِصَابَةٌ أُولُو تَرَفٍ مَا بَيْنَ غَادٍ وَهَائِمِ
نَسِيرُ عَلَى دِينِ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْحُبِّ مِنْ قَاضٍ عَلَيْنَا وَحَاكِمِ
إِذَا قَالَ مِنَّا قَائِلٌ قَامَ دُونَهُ شَهِيدٌ عَلَيْهِ صَادِقٌ غَيْرُ آثِمِ
يَحُومُ عَلَيْهِ وَالْمَنَايَا مُسِفَّةٌ وَيَدْرَأُ عَنْهُ فِي صُدُورِ اللَّهَاذِمِ
إِذَا أَلْهَبَتْهُ غَضْبَةٌ وَتَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ أَغْرَى الظُّبَا بِالْجَمَاجِمِ
فَقَدْ مَرَّ ذَاكَ الْعَصْرُ إِلَّا لُبَانَةً مُعَلَّقَةً بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ
إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ يَوْمًا تَرَاجَعَتْ عَلَيْهَا عَقَابِيلُ الْهُمُومِ الْقَدَائِمِ
وَمَنْزِلَةٍ لِلأُنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرْعَى بِهَا اللَّذَّاتِ رَعْيَ السَّوَائِمِ
عَفَتْ وَكَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ وَالْتَقَتْ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيَاحِ الْهَوَاجِمِ
وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمِ
عَلَى هَذِهِ تَمْضِي اللَّيَالِي وَيَنْقَضِي حَدِيثُ الْمُنَى فِيهَا كَأَحْلامِ نَائِمِ

وَقَالَ وَكَتَبَ بِهَا مِنْ حَرْبِ رُوسيَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلف هِجْرِيَّة إِلَى صَدِيقِهِ الْعَلَّامَةِ الشيْخِ «حُسَيْنٍ الْمَرْصَفِيِّ»: (من السريع)

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامْ أَسْهَرْتَنِي فِيكَ وَنَامَ الأَنَامْ
أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقَضِي وَالْعَيْنُ لا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامْ
وَيْلاهُ مِنْ ظَبْيِ الْحِمَى إِنَّهُ جَرَّعَنِي بِالصَّدِّ مُرَّ الْحِمَامْ
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِيَ آهٍ وَهَلْ قَوْلِيَ آهٍ يَا بْنَ وُدِّي حَرَامْ
لا كُتْبُهُ تَتْرَى وَلا رُسْلُهُ تَأْتِي وَلا الطَّيْفُ يُوَافِي لِمَامْ
اللهُ فِي عَيْنٍ جَفَاهَا الْكَرَى فِيكُمْ وَقَلْبٍ قَدْ بَرَاهُ الْغَرَامْ
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَانْقَضَتْ بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمُقَامْ
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعًا وَالسَّقَامْ
يَا لَيْتَنِي فِي السِّلْكِ حَرْفٌ سَرَى أَوْ ريشَةٌ بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامْ
حَتَّى أُوَافِي مِصْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذِّمَامْ
مَوْلايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي أَلْفُ عَامْ
أَنْظُرُ حَوْلِيَ لا أَرَى صَاحِبًا إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلًا صِيَامْ
وَدَيْدَبَانًا صَارِخًا فِي الدُّجَى ارْجِعْ وَرَاءً إِنَّهُ لا أَمَامْ
يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى وَيَنْقَضِي النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلامْ
وَلا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى وَلا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلامْ
فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ دَبْرِيجَةٍ لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامْ
وَرَاءَنَا الْبَحْرُ وَتِلْقَاءَنَا سَوَادُ جَيْشٍ مُكْفَهِرٍّ لُهَامْ
فَتِلْكَ حَالِي لا رَمَتْكَ النَّوَى فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا، يَا هُمَامْ؟

وَقَالَ: (من الخفيف)

حَيِّ مَغْنَى الْهَوَى بِوَادِي الشَّآمِ وَادْعُ بِاسْمِي تُجِبْكَ وُرْقُ الْحَمَامِ
هُنَّ يَعْرِفْنَنِي بِطُولِ حَنِينِي بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالآكَامِ
فَلَقَدْ طَالَمَا هَتَفْنَ بِشَدْوِي وَتَنَاقَلْنَ مَا حَلا مِنْ هُيَامِي
وَلَكَمْ سِرْتُ كَالنَّسِيمِ عَلِيلًا أَتَقَرَّى مَلاعِبَ الآرَامِ

فِي شِعَارٍ مِنَ الضَّنَى نَسَجَتْهُ بِخُيُوطِ الدُّمُوعِ أَيْدِي الْغَرَامِ
كُلَّمَا شِمْتُ بارِقًا خِلْتُ ثَغْرًا بَاسِمًا مِنْ خِلالِ تِلْكَ الْخِيَامِ
وَالْهَوى يَجْعَلُ الْخِلاجَ يَقِينًا وَيَغُرُّ الْحَلِيمَ بِالأَوْهَامِ
خَطَرَاتٌ لَهَا بِمِرْآةِ قَلْبِي صُوَرٌ لا تَزُولُ كَالأَحْلامِ
مَا تَجَلَّتْ عَلَى الْمَخِيلَةِ إِلَّا أَذْكَرَتْنِي مَا كَانَ مِنْ أَيَّامِي
ذَاكَ عَصْرٌ خَلا وَأَبْقَى حَدِيثًا نَتَعَاطَاهُ بَيْنَنَا كَالْمُدَامِ
كُلَّمَا زَحْزَحَتْ بَنَانَةُ فِكْرِي عَنْهُ سِتْرَ الْخَيَالِ لاح أَمَامِي
يَا نَسِيمَ الصَّبَا فَدَيْتُكَ بَلِّغْ أَهْلَ ذَاكَ الْحِمَى عَبِيرَ سَلامِي
وَاقْضِ عَنِّي حَقَّ الزِّيَارَةِ وَاذْكُرْ فَرْطَ وَجْدِي بِهِمْ وَطُولَ سَقَامِي
أَنَا رَاضٍ مِنْهُمْ بِذُكْرَةِ وُدٍّ أَوْ كِتَابٍ إِنْ لَمْ أَفُزْ بِلِمَامِ
هُمْ أَبَاحُوا الْهَوَى حَرِيمَ فُؤَادِي وَأَذَلُّوا لِلْعَاذِلِينَ خِطَامِي
أَتَمَنَّاهُمُ وَدُونَ التَّلاقِي قُذُفَاتٌ مِنْ لُجٍّ أَخْضَرَ طَامِي
صَائِلُ الْمَوْجِ كَالْفُحُولِ تَرَاغَى مِنْ هِيَاجٍ وَتَرْتَمِي بِاللُّغَامِ
وَتَرَى السُّفْنَ كَالْجِبَالِ تَهَادَى خَافِقَاتِ الْبُنُودِ وَالأَعْلامِ
تَعْتَلِي تَارَةً وَتَهْبِطُ أُخْرَى فِي فَضَاءٍ بَيْنَ السُّهَا وَالرَّغَامِ
هِيَ كَالدُّهْمِ جَامِحَاتٌ وَلكِنْ لَيْسَ يُثْنَى جِمَاحُهَا بِلِجَامِ
كُلُّ أُرْجُوحَةٍ تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا خُشَّعًا بَيْنَ رُكَّعٍ وَقِيَامِ
لا يُفِيقُونَ مِنْ دُوَارٍ فَهَاوٍ لِيَدَيْهِ وَرَاعِفُ الأَنْفِ دَامِي
يَسْتَغِيثُونَ فَالْقُلُوبُ هَوَافٍ حَذَرَ الْمَوْتِ وَالْعُيُونُ سَوَامِي
فِي وِعَاءٍ يَحْدُونَهُ بِدُعَاءٍ لِجَلالِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلَّامِ
ذَاكَ بَحْرٌ يَلِيهِ بَرٌّ تَرَامَى فِيهِ خُوصُ الْمَطِيِّ مِثْلَ النَّعَامِ
فَسَوَادِي بِمِصْرَ ثَاوٍ وَقَلْبِي فِي إِسَارِ الْهَوَى بِأَرْضِ الشَّآمِ
أَخْدَعُ النَّفْسَ بِالْمُنَى وَهْيَ تَأْبَى وَخِدَاعُ الْمُنَى غِذَاءُ الأَنَامِ
فَمَتَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ فَأَلْقَى بِشَكِيبٍ مَا فَاتَنِي مِنْ مَرَامِ
هُوَ خِلٌّ لَبِسْتُ مِنْهُ خِلالًا عَبِقَاتٍ كَالنُّورِ فِي الأَكْمَامِ
صَادِقُ الْوُدِّ لا يَخِيسُ بِعَهْدٍ وَقَلِيلٌ فِي النَّاسِ رَعْيُ الذِّمَامِ
جَمَعَتْنَا الآدَابُ قَبْلَ التَّلاقِي بِنَسِيمِ الأَرْوَاحِ لا الأَجْسَامِ

وَبَلَغْنَا بِالْوُدِّ مَا لَمْ يَنَلْهُ بِحَيَاةِ الْقُرْبَى ذَوُو الأَرْحَامِ
فَلَئِنْ لَمْ نَكُنْ بِأَرْضٍ فَإِنَّا لاتِّصَالِ الْهَوَى بِدَارِ مُقَامِ
وَائْتِلافُ النُّفُوسِ أَصْدَقُ عَهْدًا مِنْ لِقَاءٍ لَمْ يَقْتَرِنْ بِدَوَامِ
أَلْمَعِيٌّ لَهُ بَدِيهَةُ رَأْيٍ تُدْرِكُ الْغَيْبَ مِنْ وَرَاءِ لِثَامِ
وَقَرِيضٌ كَمَا وَشَتْ نَسَمَاتٌ بِضَمِيرِ الأَزْهَارِ إِثْرَ الْغَمَامِ
هَزَّنِي شِعْرُهُ فَأَيْقَظَ مِنِّي فِكْرَةً كَانَ حَظُّهَا فِي الْمَنَامِ
سُمْتُها الْقَوْلَ بعْدَ لأْيٍ فَبَضَّتْ بِيَسِيرٍ لَمْ يَرْوِ عُودَ ثُمَامِ
فَارْضَ مِنِّي بِمَا تَيَسَّرَ مِنْهَا رُبَّ ثَمْدٍ فِيهِ غِنًى عَنْ جِمَامِ
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ شَرْحَ وِدَادِي وَاشتِيَاقِي لَضَاقَ وُسْعُ الكَلامِ
أَنَا أَهْوَاكَ فِطْرَةً لَيْسَ فِيهَا مِنْ مَسَاغٍ لِلنَّقْضِ وَالإِبْرَامِ
وَإِذَا الْحُبُّ لَمْ يَكُنْ ذَا دَوَاعٍ كَانَ أَرْسَى قَوَاعِدًا مِنْ شَمَامِ
فَتَقَبَّلْ شُكْرِي عَلَى حُسْنِ وُدٍّ رُحْتُ مِنْهُ مُقَلَّدًا بِوِسَامِ
أَتَبَاهَى بِهِ إِذَا كَانَ غَيْرِي يَتَبَاهَى بِزِينَةِ الإِنْعَامِ
دُمْتَ فِي نِعْمَةٍ تَرِفُّ حُلاهَا فَوْقَ فَرْعٍ مِنْ طِيبِ أَصْلِكَ نَامِي

أَبْيَاتٌ وَرِسَالَةٌ:

وَكَانَ الأَمِيرُ «شَكِيب أَرسلان» ذَكَرَ أَبْيَاتًا لِصَاحِبِ هَذَا الديوانِ فِي بَعْضِ مَقَالاتِهِ الأَدَبِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُرَاسِلُ بهَا جَرِيدَةَ الأَهْرَامِ وَأَثْنَى عَلى قَائِلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَرِّحَ بِاسْمِهِ ثُمَّ أَوْرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْيَاتًا فِي مقالة أُخْرَى نَوَّهَ فِيهَا بِاسْمِهِ فَقَالَ يَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ. وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ وبالرِّسَالَةِ بَعْدَهَا: (من الطويل)

أَشَدْتَ بِذِكْرِي بَادِئًا وَمُعَقِّبًا وَأَمْسَكْتُ لَمْ أَهْمِسْ وَلَمْ أَتَكَلَّمِ
وَمَا ذَاكَ ضَنًّا بِالْوِدَادِ عَلَى امْرِئٍ حَبَانِي بِهِ لَكِنْ تَهَيَّبْتُ مَقْدَمِي
فَأَمَّا وَقَدْ حَق الْجَزَاءُ فَلَمْ أَكُنْ لأَنْطِقَ إِلَّا بِالثَّنَاءِ الْمُنَمْنَمِ
وَكَيْفَ أَذُودُ الْفَضْلَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَأُنْكِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ بَعْدَ تَوَسُّمِ
وَأَنْتَ الَّذِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي وَرِشْتَنِي بِقَوْلٍ سَرَا عَنِّي قِنَاعَ التَّوَهُّمِ
لَكَ السَّبْقُ دُونِي فِي الْفَضِيلَةِ فَاشْتَمِلْ بِحُلَّتِهَا فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
وَدُونَكَهَا يَا بْنَ الْكِرَامِ حَبِيرَةً مِنَ النَّظْمِ سَدَّاهَا بِمَدْحِ الْعُلا فَمِي

ثم أردف هذه القصيدة بالرسالة النثرية الآتية:

«هَذِهِ أَبْيَاتٌ تَفطَّرَتْ بِهَا الْقَرِيحَةُ بَعْدَ الْعُقْمِ، وَتَنَفَّسَتْ لها الطَّبِيعَةُ بَعْدَ مُعَانَاةِ السُّقْمِ. جَعَلْتُهَا شُكْرًا لِمَا قَرَأْتُهُ فِي الأَهْرَامِ مِنْ عَوَاطِفِ البِرِّ لَهَا وَالإِكْرَامِ. وَلَوْلا أَنِّي فِي مَكَان حَرِيد، وَقَدْ حَانَ قِيَامُ الْبَرِيدِ، لأَطَلْتُ عَنَانَ الثَّنَاء، وَملأتُ صَدْرَ الإِنَاء. وَلَسَوْفَ أَفِي بِذِمَّةِ الْوَعْدِ، إِنْ أَضَاءَ نَجْمُ السَّعْدِ، فَاقْبَلْ مِنِّي عَلى عُدَوَاءِ الدَّارِ سَلامًا عَلَى جَنَاحِ الْبِدَارِ.»

وَقَالَ يَرْثِي وَالِدَتَهُ وَقَدْ وَرَدَ نَعْيُهَا وَهُوَ فِي الْحَرْبِ: (من الطويل)

هَوًى كَانَ لِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا   فَلَمَّا مَلَكْتُ السَّبْقَ عِفْتُ التَّقَدُّمَا
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ   مِنَ الْعَيْشِ هَمًّا يَتْرُكُ الشَّهْدَ عَلْقَمَا
وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي حَيَاةٍ وَرَاءَهَا   مَصَائِبُ لَوْ حَلَّتْ بِنَجْمٍ لأَظْلَمَا
إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ حَيٍّ مَنِيَّةٌ   فَسِيَّانِ مَنْ حَلَّ الْوِهَادَ وَمَنْ سَمَا
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّا نَرَى الْحَقَّ جَهْرَةً   وَنَلْهُو كَأَنَّا لا نُحَاذِرُ مَنْدَمَا
يَوَدُّ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ لُبَانَةً   فَإِنْ نَالَهَا أَنْحَى لأُخْرَى وَصَمَّمَا
طَمَاعَةُ نَفْسٍ تُورِدُ الْمَرْءَ مَشْرَعًا   مِنَ الْبُؤْسِ لا يَعْدُوهُ أَوْ يَتَحَطَّمَا
أَرَى كُلَّ حَيٍّ غَافِلًا عَنْ مَصِيرِهِ   وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةِ لانْتَمَى
فَأَيْنَ الأُلَى شَادُوا وَبَادُوا أَلَمْ نَكُنْ   نَحُلُّ كَمَا حَلُّوا وَنَرْحَلُ مِثْلَمَا
مَضَوْا وَعَفَتْ آثَارُهُمْ غَيْرَ ذُكْرَةٍ   تُشِيدُ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثًا مُرَجَّمَا
سَلِ الأَوْرَقَ الْغِرِّيدَ فِي عَذَبَاتِهِ   أَنَاحَ عَلَى أَشْجَانِهِ أَمْ تَرَنَّمَا
تَرَجَّحَ فِي مَهْدٍ مِنَ الأَيْكِ لا يَنِي   يَمِيلُ عَلَيْهِ مَائِلًا وَمُقَوَّمَا
يَنُوحُ عَلَى فَقْدِ الْهَدِيلِ وَلَمْ يَكُنْ   رَآهُ فَيَا لِلَّهِ كَيْفَ تَهَكَّمَا
وَشَتَّانَ مَنْ يَبْكِي عَلَى غَيْرِ عِرْفَةٍ   جِزَافًا وَمَنْ يَبْكِي لِعَهْدٍ تَجَرَّمَا
لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ الرَّدَى مَنْ أُحِبُّهُ   وَكَانَ بِوُدِّي أَنْ أَمُوتَ وَيَسْلَمَا
وَأَيُّ حَيَاةٍ بَعْدَ أُمٍّ فَقَدْتُهَا   كَمَا يَفْقِدُ الْمَرْءُ الزُّلالَ عَلَى الظَّمَا
تَوَلَّتْ فَوَلَّى الصَّبْرُ عَنِّي وَعَادَنِي   غَرَامٌ عَلَيْهَا شَفَّ جِسْمِي وَأَسْقَمَا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُكْرَةٌ تَبْعَثُ الأَسَى   وَطَيْفٌ يُوَافِينِي إِذَا الطَّرْفُ هَوَّمَا
وَكَانَتْ لِعَيْنِي قُرَّةً وَلِمُهْجَتِي   سُرُورًا فَخَابَ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ مِنْهُمَا
فَلَوْلا اعْتِقَادِي بِالْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ   لَقَطَّعْتُ نَفْسِي لَهْفَةً وَتَنَدُّمَا

فَيَا خَبَرًا شَفَّ الْفُؤَادَ فَأَوْشَكَتْ ... سُوَيْدَاؤُهُ أَنْ تَسْتَحِيلَ فَتَسْجُمَا

إِلَيْكَ فَقَدْ ثَلَّمْتَ عَرْشًا مُمَنَّعًا ... وَفَلَّلْتَ صَمْصَامًا وَذلَّلْتَ ضَيْغَمَا

أَشَادَ بِهِ النَّاعِي وَكُنْتُ مُحَارِبًا ... فَأَلْقَيْتُ مِنْ كَفِي الْحُسَامَ الْمُصَمِّمَا

وطَارَتْ بِقَلْبِي لَوْعَةٌ لَوْ أَطَعْتُهَا ... لأَوْشَكَ رُكْنُ الْمَجْدِ أَنْ يَتَهَدَّمَا

ولَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي لأَنْثَنِي ... عَنِ الْحَرْبِ مَحْمُودَ اللِّقَاءِ مُكَرَّمَا

فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْجُنْدَ صِبْغٌ مِنَ الدُّجَى ... وَعَادَ كِلا الْجَيْشَيْنِ يَرْتَادُ مَجْثِمَا

صَرَفْتُ عِنَانِي رَاجِعًا وَمَدَامِعِي ... عَلَى الْخَدِّ يَفْضَحْنَ الضَّمِيرَ الْمُكَتَّمَا

فَيَا أُمَّتَا زَالَ الْعَزَاءُ وَأَقْبَلَتْ ... مَصَائِبُ تَنْهَى الْقَلْبَ أَنْ يَتَلَوَّمَا

وَكُنْتُ أَرَى الصَّبْرَ الْجَمِيلَ مَثُوبَةً ... فَصِرْتُ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَأْثَمَا

وَكَيْفَ تَلَذُّ الْعَيْشَ نَفْسٌ تَدَرَّعَتْ ... مِنَ الْحُزْنِ ثَوْبًا بِالدُّمُوعِ مُنَمْنَمَا

تَأَلَّمْتُ فِقْدَانَ الأَحِبَّةِ جَازِعًا ... وَمَنْ شَفَّهُ فَقْدُ الْحَبِيبِ تَأَلَّمَا

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَاكِ سَقِيمَةً ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتِ فِي التُّرْبِ أَعْظُمَا

بَلَغْتِ مَدَى تِسْعِينَ فِي خَيْرِ نِعْمَةٍ ... وَمَنْ صَحِبَ الأَيَّامَ دَهْرًا تَهَدَّمَا

إِذَا زَادَ عُمْرُ الْمَرْءِ قَلَّ نَصِيبُهُ ... مِنَ الْعَيْشِ وَالنُّقْصَانُ آفَةُ مَنْ نَمَا

فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا تُرَابًا وَلَمْ نَكُنْ ... خُلِقْنَا وَلَمْ نَقْدَمْ إِلَى الدَّهْرِ مَقْدَمَا

أَبَى طَبْعُ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ يَتَكَرَّمَا ... وَكَيْفَ يَدِي مَنْ كَانَ بِالْبُخْلِ مُغْرَمَا

أَصَابَ لَدَيْنَا غِرَّةً فَأَصَابَنَا ... وَأَبْصَرَ فِينَا ذِلَّةً فَتَحَكَّمَا

وَكَيْفَ يَصُونُ الدَّهْرُ مُهْجَةَ عَاقِلٍ ... وَقَدْ أَهْلَكَ الْحَيَّيْنِ عَادًا وَجُرْهُمَا

هُوَ الأَزْلَمُ الْخَدَّاعُ يَخْفِرُ إِنْ رَعَى ... وَيَغْدِرُ إِنْ أَوْفَى وَيُصْمِي إِذَا رَمَى

فَكَمْ خَانَ عَهْدًا واسْتَبَاحَ أَمَانَةً ... وَأَخْلَفَ وَعْدًا وَاسْتَحَلَّ مُحَرَّمَا

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَخْنَتْ بِصَرْفِهَا ... عَلَيَّ فَأَيُّ النَّاسِ يَبْقَى مُسَلَّمَا

وَإِنِّي لأَدْرِي أَنَّ عَاقِبَةَ الأَسَى ... وَإِنْ طَالَ لا يُرْوِي غَلِيلًا تَضَرَّمَا

وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَرَى الصَّبْرَ سُبَّةً ... عَلَيْهَا وَتَرْضَى بِالتَّلَهُّفِ مَغْنَمَا

وَكَيْفَ أَرَانِي نَاسِيًا عَهْدَ خُلَّةٍ ... أَلِفْتُ هَوَاهَا نَاشِئًا وَمُحَكَّمَا

وَلَوْلا أَلِيمُ الْخَطْبِ لَمْ أَمْرِ مُقْلَةً ... بِدَمْعٍ وَلَمْ أَفْغَرْ بِقَافِيَةٍ فَمَا

فَيَا رَبَّةَ الْقَبْرِ الْكَرِيمِ بِمَا حَوَى ... وَقَتْكِ الرَّدَى نَفْسِي وَأَيْنَ وَقَلَّمَا

وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ فِدْيَةَ رَاحِلٍ ... تَخَرَّمَهُ الْمِقْدَارُ فِيمَنْ تَخَرَّمَا؟

سَقَتْكِ يَدُ الرِّضْوَانِ كَأْسَ كَرَامَةٍ مِنَ الْكَوثَرِ الْفَيَّاضِ مَعْسُولَةَ اللَّمَى
وَلا زَالَ رَيْحَانُ التَّحِيَّةِ نَاضِرًا عَلَيْكِ وَهَفَّافُ الرِّضَا مُتَنَسَّمَا
لِيَبْكِ عَلَيْكِ الْقَلْبُ لا الْعَيْنُ إِنَّنِي أَرَى الْقَلْبَ أَوْفَى بِالْعُهُودِ وَأَكْرَمَا
فَوَاللهِ لا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا حَنَّ طَيْرٌ بِالأَرَاكِ مُهَيْنِمَا
عَلَيْكِ سَلامٌ لا لِقَاءَةَ بَعْدَهُ إِلَى الْحَشْرِ إِذْ يَلْقى الأَخِيرُ الْمُقَدَّمَا

وَقَالَ يَرْثِي أَحَدَ قُوَّادِ الْجَيْشِ وَقَدْ مَاتَ بِأَقْرِيطِشَ: (من المنسرح)

أَيُّ فَتًى لِلْعَظِيمِ نَنْدُبُهُ شَاطَ عَلَى أَنْصُلِ الرِّمَاحِ دَمُهْ
أَسْلَمَهُ صَحْبُهُ وَمَا عَلِمُوا أَنْ سَوْفَ يَمْحُو وُجُودَهُمْ عَدَمُهْ
زَالَ الأُلَى حَاذَرُوا مَصَارِعَهُمْ وَلَمْ تَزُلْ عَنْ مَكَانِهَا قَدَمُهْ
طَاحَ بِجُثْمَانِهِ الرَّدَى وَرَقَا إِلَى سَمَوَاتِ رَبِّهِ نَسَمُهْ
نِعْمَ فَتَى الْحَرْبِ فِي الْهِيَاجِ إِذْ شَبَّ لَظَى الْبَأْسَاءِ وَاعْتَلَى ضَرَمُهْ
قَدْ أَلِفَتْ صُحْبَةَ الْقَنَا يَدُهُ وَاعْتَادَ لَبَّيْكَ فِي السَّمَاحِ فَمُهْ
لَيْسَ بِهَيَّابَةٍ وَلا وَكَلٍ بَلْ صَادِقٌ فِي اللِّقَاءِ مُعْتَرَفُهْ
إِنْ صَالَ فَلَّ الْعِدَا بِصَوْلَتِهِ أَوْ قَالَ أَرْوَتْ مُشَاشَنَا كَلِمُهْ
يَنْكَفِتُ الْجَيْشُ حِينَ يَفْجَؤُهُ وَيَصْعَقُ الْقِرْنُ حِينَ يَلْتَزِمُهْ
بَكَى بِدَمْعِ الْفِرِنْدِ صَارِمُهُ وَانْشَقَّ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ قَلَمُهْ
فَمَنْ إِلَى مَلْجَإِ الضَّعِيفِ إِذَا أَقْبَلَ لَيْلٌ وَأَطْبَقَتْ ظُلَمُهْ
وَمَنْ يَقُودُ الزُّحُوفَ رَاجِفَةً وَالْيَوْمُ بِالْحَرْبِ سَاطِعٌ قَتَمُهْ
مَاتَ وَأَبْقَى شَجًى لِفُرْقَتِهِ يَكَادُ يَفْرِي قُلُوبَنَا أَلَمُهْ
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ السَّلامُ مِنْ بَطَلٍ مَاتَ وَعَاشَتْ مِنْ بَعْدِهِ نِعَمُهْ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ: (من الطويل)

سَلامَةُ عِرْضِي فِي خِفَارَةِ صَارِمِي وإِنْ كَانَ مَالِي نُهْبَةً لِلْمَكَارِمِ
بَلَغْتُ عُلًا لا يَبْلُغُ النَّجْمُ شَأْوَهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَنْهَضْ لَهَا بِقَوَادِمِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْرَبْ إِلَى اللَّهْوِ وَالصِّبَا فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ عِدَادِ الْبَهَائِمِ

فَأَيَّةُ أَرْضٍ لَمْ تَجُبْهَا سَوَابِقِي وَغَمْرَةِ بَأْسٍ لَمْ تَخُضْهَا صَوَارِمِي
وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا هَبْوَةٌ مِنْ كَتَائِبِي وَلا الشُّهْبُ إِلَّا لَمْعَةٌ مِنْ لَهَاذِمِي
جَنَانٌ تَحِيدُ الأُسْدُ عَنْهُ وَعَزْمَةٌ هِيَ الْمَوْتُ بَيْنَ الْمَأْزِقِ الْمُتَلاحِمِ
وَلَكِنَّنِي أَمْسَيْتُ لِلْحُبِّ خَاضِعًا وَلِلْحُبِّ سُلْطَانٌ عَلَى كُلِّ حَاكِمِ
وَبِي مِنْ صَمِيمِ الْعُرْبِ حَوْرَاءُ طفْلَةٌ نَحِيلَةُ مَجْرَى الْبَنْدِ رَيَّا الْمَعَاصِمِ
لَهَا نَظْرَةٌ لَوْ خَامَرَتْ قَلْبَ حَازِمٍ لأَصْبَحَ مَسْلُوبَ النُّهَى غَيْرَ حَازِمِ
أَطَعْتُ الْهَوَى فِيهَا وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا وَعَاصَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا كُلَّ رَاحِمِ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَدِينُ لِحُكْمِهَا وَأَكْبُرُ أَنْ أَنْقَادَ طَوْعَ الْخَزَائِمِ
فَقَلْبِيَ حُرٌّ لا يَدِينُ لِصَوْلَةٍ وَعُودِيَ صُلْبٌ لا يَلِينُ لِعَاجِمِ

وَقَالَ فِي هَوِي لَهُ وَقَدْ مَرِضَ: (مِنَ المَدِيدِ)

دَعْ حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا سَقَمُ فَبِنَفْسِي لا بِهِ الأَلَمُ
كَيْفَ حَلَّ السُّقْمُ فِي بَدَنٍ خُلِقَتْ مِنْ حُسْنِهِ النِّعَمُ
يَا لَهَا مِنْ لَوْعَة شَعَبَتْ رُكْنَ قَلْبِي وَهْوَ مُلْتَئِمُ
مَنَعُونِي عَنْ زِيَارَتِهِ وَحِمَى قَلْبِي لَهُ حَرَمُ
حَكَمُوا أَنِّي بِهِ دَنِفٌ أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي حَكَمُوا
أَوَّلُوا وَجْدِي بِهِ عَبَثًا لَيْتَهُمْ قَالُوا بِمَا عَلِمُوا
أَتْهَمُونِي فِي مَوَدَّتِهِ وَالْهَوَى مِنْ شَأْنِهِ التُّهَمُ
رَبِّ قَنِّعْهُمْ بِفِرْيَتِهِمْ وَانْتَصِفْ مِنْهُمْ بِمَا زَعَمُوا
وَاشْفِ نَفْسًا أَنْتَ بَارِئُهَا فَإِلَيْكَ الْبُرْءُ وَالسَّقَمُ

وَقَالَ مُنَوِّهًا بِبَعْضِ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ أُعْجِبَ بِهِمْ فَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَنَسَجَ عَلَى مِنْوَالِهُمْ وهم:

(١) أَبُو نُوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هانِئ.
(٢) وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الأَنْصَارِيُّ.
(٣) وَأَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ.
(٤) وَأَبُو عُبَادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبُحْتُرِيُّ.
(٥) وَأَبو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّي. (من الطويل)

مَضَى «حَسَنٌ» فِي حَلْبَةِ الشِّعْرِ سَابِقًا ... وَأَدْرَكَ لَمْ يُسْبَقْ وَلَمْ يَأْلُ «مُسْلِمُ»
وَبَاراهُمَا «الطَّائِيُّ» فَاعْتَرَفَتْ لَهُ ... شُهُودُ الْمَعَانِي بِالَّتِي هِيَ أَحْكَمُ
وَأَبْدَعَ فِي الْقَوْلِ «الْوَلِيدُ» فَشِعْرُهُ ... عَلَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَشْيٌ مُنَمْنَمُ
وَأَدْرَكَ فِي الأَمْثَالِ «أَحْمَدُ» غَايَةً ... تَبُذُّ الْخُطَى مَا بَعْدَهَا مُتَقَدَّمُ
وَسِرْتُ عَلَى آثارِهِمْ وَلَرُبَّمَا ... سَبَقْتُ إِلَى أَشْيَاءَ واللَّهُ أَعْلَمُ

وَقَالَ: (من الطويل)

لَعَمْرُكَ مَا يُدْعَى الفَتَى بَيْنَ قَوْمِهِ ... بِذِي كَرَمٍ حَتَّى يَكُونَ كَرِيمَا
وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَرْءُ الضَّنِينُ بِمَالِهِ ... إِذَا خَافَ غُرْمًا أَنْ يُعَدَّ لَئِيمَا
فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَازَ مَالًا وَإِنَّمَا ... فَتَى الْقَوْمِ مَنْ أَغْنَتْ يَدَاهُ عَدِيمَا
فَمِزْ بَيْنَ مَا تَخْتَارُ فِي الْفِعْلِ وَالْتَمِسْ ... لِنَفْسِكَ حَظًّا كَيْ تَكُونَ عَظِيمَا

وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَدِيحِ: (من الطويل)

لَهُ نَظْرَتَا جُودٍ وَبَأْسٍ أَثَارَتَا ... غَمَامَيْنِ سَالا بِالْفَوَاضِلِ وَالدَّمِ
فَكَمْ أَحْيَتِ الأُولَى لُبَانَةَ مَعْشَرٍ ... وَكَمْ أَرْدَتِ الأُخْرَى حُشَاشَةَ مُجْرِمِ

وَقَالَ: (من مجزوء الوافر)

عَلِيلٌ أَنْتَ مُسْقِمُهُ ... فَمَا لَكَ لا تُكَلِّمُهُ
سَرَى فِيهِ الضَّنَى حَتَّى ... بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْظُمُهُ
فَلا إِنْ بَاحَ تَعْذِرُهُ ... وَلا إِنْ نَاحَ تَرْحَمُهُ
إِذَا كَانَ الْهَوَى ذَنْبِي ... فَقُلْ لِي كَيْفَ أَكْتُمُهُ
وَدَمْعِي أَنْتَ مُرْسِلُهُ ... وَقَلْبِي أَنْتَ مُؤْلِمُهُ
وَلا وَاللهِ مَا لِي فِي الـ ... ـهَوَى ذَنْبٌ فَأَعْلَمُهُ
فَوَيْلِي مِنْ غَرِيبِ الدَّلـ ... ـلِ أَبْلانِي تَحَكُّمُهُ
تَرَدَّدَ فِي مَحَبَّتِهِ ... وَلَمْ يَسْمَحْ بِهَا فَمُهُ
غَزَالٌ أَحْوَرُ الْعَيْنَيـ ... ـنِ لا يَسْلُو مُتَيَّمُهُ

يَهِيمُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ   فُـؤَادِي وَهْـوَ يَـظْـلِـمُـهُ
نَسَبْتُ بِهِ فَبَانَ عَلَى   جَبِينِ الشِّعْرِ مِيسَمُهُ
فَمَا لِي فِي الَّذِي أُمْلِيـ   ـن مِنْ فضْلٍ فَأَغْنَمُهُ
وَلَـكِنْ حُـسْـنُـهُ يَـبْـدُو   إِلَـى عَـيْـنِـي فَـتَـرْسُـمُـهُ
وَيَـنْـثُـرُ لَـفْـظَـهُ دُرًّا   عَلَى سَمْعِي فَأَنْظِمُهُ
وَلَـوْلا ذَاكَ مَـا لاحَـتْ   بِأُفْقِ الشِّعْرِ أَنْجُمُهُ
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي شِعْرِي   وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَحْكَمُهُ

وَقَالَ: (من الوافر)

وَفَاتِنَةِ الْحَدِيثِ لَهَا نِكَاتٌ   تَحُولُ بِسِحْرِهَا دُونَ الْمَرَامِ
شَكَوْتُ لَهَا ضَنَى جَسَدِي فَقَالَتْ   بِطَرْفِي مَا بِجِسْمِكَ مِنْ سَقَامِ
فَقُلْتُ عِدِي بِوَصْلٍ مِنْكِ صَبًّا   بَرَتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ وَالْغَرَامِ
فَقَالَتْ سَوْفَ تَلْقَانِي قَرِيبًا   فَقُلْتُ مَتَى فَقَالَتْ فِي الْمَنَامِ

وقال: (من مجزوء الخفيف)

ذَنْبِي إِلَيْكَ غَرَامِي   فَهَلْ يَحِلُّ مُلامِي
يَا ظَالِمِي فِي هَوَاهُ   هَلَّا رَعَيْتَ ذِمَامِي
حَتَّامَ تُعْرِضُ عَنِّي   وَلا تَرُدُّ سَلامِي
عَطْفًا عَلَيَّ فَإِنِّي   بَرَى هَوَاكَ عِظَامِي
فَكَيْفَ تُنْكِرُ وَجْدِي   أَمَا رَأَيْتَ سَقَامِي
وَيْلاهُ مِمَّا أُلاقِي   مِنْ لَوْعَتِي وَهُيَامِي
رقَّ النَّسِيمُ لِحَالِي   وَسَالَ دَمْعُ الْغَمَامِ
وَسَاعَدَتْنِي فَنَاحَتْ   عَلَيَّ وُرْقُ الْحَمَامِ
فَيَا سَمِيرَ فُؤَادِي   فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي
مَتَى يَفُوزُ بِوَصْلٍ   أَسِيرُ لَحْظِكَ «سَامِي»

وَقَالَ: (من البسيط)

قَالَتْ أَرَاكَ عَلِيلَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهَا   مَنْ شَفَّهُ الْحُبُّ أَبْلَى جِسْمَهُ السَّقَمُ
قَالَتْ فَهلْ مِنْ دَوَاءٍ يُسْتَطَبُّ بِهِ   قُلْتُ الْوِصَالُ فَرَاحَتْ وَهْيَ تَبْتَسِمُ
فَبِتُّ فِي حَيْرَةٍ لا الْقَلْبُ مُصْطَبِرٌ   وَلا الْوُصُولُ إِلَى مَا يَشْتَهِي أَمَمُ
وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ   بِمَا يَكُونُ فَعُقْبَى أَمْرِهِ نَدَمُ

وَقَالَ نَاظِمًا قَوْلَ رَجُلٍ أَحَبَّ امْرَأَةً دُونَ قَدْرِهِ؛ فَعَذَلَهُ عَمُّهُ فَقالَ: يَا عَم، لا تَلُمْ مُجْبَرًا عَلَى سَقَمِهِ؛ فَإِنَّ الْمُقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَغْنٍ عَن مُنَازَعَةِ خَصْمِهِ. وَإِنَّمَا يُلامُ مَنِ اقْتَرَفَ مَا يَقْدِرُ عَلى تَرْكِهِ، وَلَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى إِلَى الرَّأْيِ، فَيَمْلِكَهُ، وَلا الْعَقْلِ فَيُدَبِّرَهُ بَلْ قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ، وَجَانِبُهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهِ حِيلَةُ حَازِمٍ، وَلُطْفُ مُحْتَالٍ: (من الطويل)

أَلا لا تَلُمْ صَبًّا عَلَى طُولِ سُقْمِهِ   وَدَعْهُ فَلَيْسَ الأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
فَلَيْسَ الْهَوَى مِمَّا يُرَدُّ بِحِيلَةٍ   وَلَكِنَّهُ يَثْنِي الْفَتَى دُونَ عَزْمِهِ
وَمَا يَسْتَوِي جَانٍ أَتَى الإِثْمَ طَائِعًا   وَآخَرُ لَمْ يَقْرِفْهُ إِلَّا بِرَغْمِهِ
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ   فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لَجَاجَةُ خَصْمِهِ

وَقَالَ:

مَنَحْتُكَ أَلْقَابَ الْعُلا فَادْعُنِي بِاسْمِي   فَمَا تَخْفِضُ الأَلْقَابُ حُرًّا وَلا تُسْمِي
إِذَا كَانَ عُقْبَانُ الْجَدِيدِ إِلَى بِلًى   فَلا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْحَدِيثِ وَلا الرَّسْمِ
تَأَمَّلْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ   لَعَلَّكَ تَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَسْمِ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضِيَّةٌ   تَزُولُ كَمَا زَالَ الْحَثِيثُ مِنَ النَّسْمِ
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا   فَسَلْ عَنْ جَدِيسٍ أَيْنَ وَلَّتْ وَعَنْ طَسْمِ
تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهِ بُلْغَةٌ   فَسَوْفَ تُعَانِي الْجَدْبَ يَا رَاعِيَ الْوَسْمِي
لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْمَرْءُ مَنْ بَاتَ رَاضِيًا   بِمَا خَصَّهُ مِنْ فَيْضِهِ سَابِقُ الرَّسْمِ
تَفَلْسَفَ قَوْمٌ فِي الْمَقَالِ وما دَرَوْا   جَرِيرَةَ مَا أَبْقَوْا عَلَى الدَّهْرِ مِنْ وَسْمِ
وَلَوْ رَاجَعُوا هَذِي النُّفُوسَ لَعَالَجُوا   بِتَرْكِ الْخَطَايَا مُعْضِلَ الدَّاءِ بِالْحَسْمِ

فَدَعْ هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا وَإِنْ هِـيَ أَقْـبَـلَـتْ عَلَـيْكَ بِـإِيـمَـاضِ الْـبَـشَـاشَـةِ وَالْـبَـسْـمِ
فَـلَـوْ جَـرَّبَ الإِنْـسَـانُ أَخْـلاقَ دَهْـرِهِ لأَمْسَكَ بِـالْـيَـأْسِ الْمُـرِيحِ عَنِ الْعَسْـمِ
فَـمَـنْ لِـي بِـرَأْيٍ صَـادِقٍ أَقْـتَـفِـي بِـهِ مَـدَارِجَ قَـوْمٍ أَدْرَكُـوا الأَمْـرَ بِـالْـقَـسْـمِ
بَـرَتْـنِـي تَـبَـارِيـحُ الْـحـيَـاةِ فَـلَـمْ تَـدَعْ لَـدَيَّ سِـوَى رُوحٍ تَـرَدَّدَ فِـي جِـسْـمِ
يَـقُـولُـونَ مَـحْـمُـودٌ وَيَـا لَـيْـتَ أَنَّـنِـي كَمَا زَعَمُوا أَوْلَيْتَ لِي طَائِعًا كَاسْمِي

وَقَالَ: (من الكامل)

قَالُوا أَلا تَصِفُ الْغَرَامَ لَنَا حَتَّى يُحِيطَ بِنَعْتِهِ الْفَهْمُ
فَأَجَبْتُهُمْ هَيْهَاتَ أَنْعَتُ مَا يَعْتَلُّ دُونَ صِفاتِهِ الْوَهْمُ
الْحُبُّ يَنْفُذُ بِالْفُؤَادِ كَمَا يَمْضِي عَلَى غُلَوَائِهِ السَّهْمُ
يَعْنُو لِسَوْرَتِهِ الْمَلِيكُ وَلا يَقْوَى عَلَى صَدَمَاتِهِ الشَّهْمُ

وَقَالَ فِي غَدَاةِ أُنْسٍ: (من الوافر)

أَدِرْهَـا قَـبْـلَ تَـغْـرِيـدِ الْـحَـمَـامَـهْ فَمَا يَنْفِي الْهُمُومَ سِوَى الْمُدَامَهْ
مُـعَـتَّـقَـةً إِذَا سَـلَـكَـتْ ضَـمِـيـرًا مَـحَـتْ عَـنْـهُ الْـكَـلالَـةَ والـسَّـآمَـهْ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَصْبَحَتِ الْغَوَادِي لَـهَـا فِـي كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ عَـلامَـهْ
فَكَمْ فِي الأَرْضِ مِنْ مَجْرَى غَدِيرٍ وَكَمْ فِي الجَوِّ مِنْ مَسْرَى غَمَامَهْ
فَـبَـادِرْ صَـفْـوَةَ الأَيَّـامِ تَـغْـنَـمْ لَـذَاذَتَـهَـا وَلا تَـخْـشَ الْـمَـلامَـهْ
وَلا تَـحْـزَنْ عَـلَـى شَـيْءٍ تَـوَلَّـى فَـإِنَّ الْـحُـزْنَ مِـقْـرَاضُ الـسَّـلامَـهْ

وَقَالَ: (من الطويل)

مَتَى يَنْقَضِي عُمْرُ الْحَيَاةِ فَتَنْقَضِي مَـآرِبُ كَـانَـتْ عِـلَّـةً لِـلْـمَـظَـالِـمِ
تَسَاوَتْ نُفُوسُ الْخَلْقِ فِي الشَّرِّ فَاسْتَعِذْ بِـرَبِّ الْـبَـرَايَـا مِـنْ جَـهُـولٍ وَعَـالِـمِ
وَلَـوْ عَـرَفُـوا مَـا أَنْـكَـرُوهُ لأَيْـقَـنُـوا بِـأَنَّ نَـعِـيـمَ الـدَّهْـرِ خُـدْعَـةُ حَـالِـمِ
تَـأَمَّـلْ رُوَيْـدًا يَـابْـنَ وُدِّيَ هَـلْ تَـرَى عَلَـى صَـفَـحَـاتِ الأَرْضِ غَـيْـرَ مَـعَـالِـمِ
يَـظُـنُّ عَـلِـيـلُ الْـقَـوْمِ فِـي الـطِّـبِّ بُـرْأَهُ وَلَـمْ يَـدْرِ أَنَّ الـطِّـبَّ لَـيْـسَ بِـسَـالِـمِ

فَطِرْ لِلسُّهَا أَوْ فَاتَّخِذْ لَكَ سُلَّمًا لِتَرْقَى إِلَى أَبْرَاجِهِ بِالسَّلالِمِ
وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ فِي الدَّهْرِ عِيشَةً تَلَذُّ بِهَا وَالدَّهْرُ غَيْرُ مُسَالِمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

خَلِيلَيَّ مَا فِي الدَّهْرِ أَطْوَلُ حَسْرَةً مِنَ الْمَرْءِ يَلْقَى فُرْصَةً فَيَخِيمُ
وَإِنَّ امْرَأً يَلْقَى فَوَاضِلَ نِعْمَةٍ بِأَرْضٍ وَيَنْوِي غَيْرَهَا لَمُلِيمُ

وَقَالَ: (من الطويل)

أَخُو الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا لِذِي الْجَهْلِ مُحْوَجٌ وَكُلٌّ لَهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ مَعَالِمُ
فَلَولا وُجُودُ الْعِلْمِ مَا عَاشَ جَاهِلٌ وَلَوْلا وُجُودُ الْجَهْلِ مَا عَاشَ عَالِمُ

وَقَالَ: (من مجزوء الرمل)

أَنَا فِي الْحُبِّ وَفِيٌّ لَيْسَ لِي بِالْغَدْرِ عِلْمُ
لا تَظُنُّوا بِيَ سُوءًا إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمُ

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكٍ حَدُّهُ وَجَدٍّ كَهَامِ
حُزْتُ عِلْمًا وَمَا رُزِقْتُ قَبُولاً فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الأَحْكَامِ

وَقَالَ: (من الطويل)

إِذَا مَا كَتَمْتُ الْحُبَّ كَانَ شَرَارَةً وَإِنْ بُحْتُ بِالْكِتْمَانِ كَانَ مَلامَا
فَكَيْفَ احْتِيَالِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَشْكَلا عَلَيَّ فَصَارَا شِقْوَةً وَغَرَامَا

وَقَالَ بَعْدَمَا اسْتَقَالَ مِنْ وَزَارَةِ الْحَرْبِيَّة يَذُمُّ بَعْضَ الوُزَرَاء: (من البسيط)

مَا لِي بِوُدِّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلْمَامُ ... فَاذْهَبْ فَأَنْتَ لَئِيمُ الْعَهْدِ نَمَّامُ

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَدْرَكْتُ مَأْرُبَةً ... مِنَ الْمُنَى فَإِذَا مَا خِلْتُ أَحْلامُ

هَيْهَاتَ مِنِّي الرِّضَا مِنْ بَعْدِ تَجْرِبَةٍ ... إِنَّ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ النَّاسِ أَقْسَامُ

فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَّنِي رَجُلٌ ... يَأْبَى لِيَ الْغَدْرَ أَخْوَالٌ وَأَعْمَامُ

كُلُّ امْرِئٍ تَابِعٌ أَعْرَاقَ نَبْعَتِهِ ... وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ أَنْسَابٌ وَأَرْحَامُ

فَانْظُرْ لِفِعْلِ الْفَتَى تَعْرِفْ مَنَاسِبَهُ ... إِنَّ الْفِعَالَ لأَصْلِ الْمَرْءِ إِعْلامُ

وَلا يَغُرَّنَّكَ وَجْهٌ رَاقَ مَنْظَرُهُ ... فَالنَّصْلُ فِيهِ الْمَنَايَا وَهْوَ بَسَّامُ

مَا كُلُّ ذِي مَنْسَرٍ فَتْخَاءَ كَاسِرَةً ... كَلَّا وَلا كُلُّ ذِي نَابَيْنِ ضِرْغَامُ

فَإِنْ يَكُنْ غَرَّنِي حِلْمِي فَلا عَجَبٌ ... إِنَّ الْحُسَامَ لَيَنْبُو وَهْوَ صَمْصَامُ

ظَنَنْتُ خَيْرًا وَلَمْ أُدْرِكْ عَوَاقِبَهُ ... فَكَانَ شَرًّا وَبَعْضُ الظَّنِّ آثَامُ

فَيَا لَهَا ضِلَّةً مَا إِنْ أَبَهْتُ لَهَا ... حَتَّى تَرَدَّتْ بِهَا فِي الشَّرِّ أَقْدَامُ

آلَيْتُ أَكْذِبُ نَفْسِي بَعْدَهَا سفَهًا ... إِنَّ الْمُنَى عِنْدَ صِدْقِ النَّفْسِ أَوْهَامُ

فَيَابْنَ مَنْ تَزْدَرِيهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعَةٍ ... فَمَا يُحَسُّ لَهُ وَجْدٌ وَإِعْدَامُ

دَعِ الْفَخَارَ وَخُذْ فِيما خُلِقْتَ لَهُ ... مِنَ الصَّغَارِ فَإِنَّ الطَّبْعَ إِلْزَامُ

وَاذْكُرْ مَكَانَكَ مِنْ عَبَّاسَ حَيْثُ مَضَتْ ... عَلَيْكَ فِي الدَّارِ أَعْوَامٌ وَأَعْوَامُ

تَبِيتُ مُرْتَفِعًا فِي ظِلِّ دَسْكَرَةٍ ... لِكُلِّ بَاغٍ بِهَا وَجْدٌ وَتَهْيَامُ

وَفَوْقَ ظَهْرِكَ لِلأَنْفَاسِ مُعْتَرَكٌ ... وَفِي حَشَاكَ لِنَارِ الْفِسْقِ إِضْرامُ

وَيْلُمِّهَا خَزْيَةً طارَتْ بِشُنْعَتِها ... صَحَائِفٌ وجَرَتْ بِالذَّمِّ أَقْلامُ

فَاخْسَأْ فَمَا الْكَلْبُ أَدْنَى مِنْكَ مَنْزِلَةً ... وَاخْسَأْ لِمِثْلِكَ إِعْزَازٌ وَإِكْرَامُ

هَذَا الَّذِي تَكْرَهُ الأَبْصَارُ طَلْعَتَهُ ... فَحَظُّها مِنْهُ إِيذَاءٌ وَإِيلامُ

فِي وَجْهِهِ سِمَةٌ لِلْغَدْرِ بيِّنَةٌ ... وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ أَحْقَادٌ وَأَوْغَامُ

لَهُ عَلَى الشَّرِّ إِقْدَامٌ وَلَيْسَ لَهُ ... إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَالْمعْرُوفِ إِحْجامُ

كَأَنَّمَا أَنْفُهُ مِنْ طُولِ سَجْدَتِهِ ... فِي حَانَةِ اللَّهْوِ حَرْفٌ فِيهِ إِدْغَامُ

كَعقْرَبِ الْمَاءِ يَمْشِي مِشْيَةً صَدَدًا ... فَخَلْفُهُ عِنْدَ جِدِّ الأَمْرِ إِقْدَامُ

أَبْدَى بِعَاتِقِهِ الْمنْدِيلُ سِيمتَهُ ... وَحَتَّ مَوْضِعَهُ مِنْ كَفِّهِ الْجَامُ

وَكَيْفَ يصْلُحُ أَمْرُ النَّاسِ فِي بَلَدٍ ... حُكَّامُهُ لِبَنَاتِ اللَّهْوِ خُدَّامُ

قَدْ يَمَّمَتْهُ الْمَخَازِي فَهْيَ نَازِلَةٌ ... مِنْهُ بِحَيْثُ تَلَاقَى اللُّؤْمُ وَالذَّامُ
مَا إِنْ أَصَبْتُ لَهُ خُلْقًا فَأَحْمَدَهُ ... فَكُلُّ أَخْلَاقِهِ لِلنَّفْسِ آلامُ
فَظٌّ غَلِيظٌ مِقيتٌ سَاقِطٌ وَجِمٌ ... وَغْدٌ لَئِيمٌ ثَقِيلُ الظِّلِّ حَجَّامُ
جَاءَتْ بِهِ عَجُزٌ لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ ... لَهَا بِمَدْرَجَةِ الْفَحْشَاءِ أَزْلامُ
مُسْتَيْقِظٌ لِلْمَخَازِي غَيْرَ أَنَّ لَهُ ... طَرْفًا عَنِ الْعِرْضِ وَالأَوْتَارِ نَوَّامُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ عَداوتِهِ ... فَإِنَّهَا لِجَلالِ اللَّهِ إِعْظامُ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الطَّاعُونُ مِنْ بَلَدٍ ... تَقْفُوهُ بِاللَّعْنِ أَرْوَاحٌ وَأَجْسَامُ
وَهَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلٌ فِي الْهِجَاءِ لَهُ ... فَالْهَجْوُ فِيكَ لِنَقْضِ الْحَقِّ إِبْرَامُ
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِي الأَرْضِ سَائِرَةٍ ... لَهَا بِعِرْضِكَ إِنْجَادٌ وَإِتْهَامُ
شِعْرٌ لِوَجْهِ الْمَخَازِي مِنْهُ سَافِيَةٌ ... بِحَاصِبٍ وَلأَنْفِ الْجَهْلِ إِرْغَامُ
تَبْلَى الْعِظَامُ وَيَبْقَى ذِكْرُهُ أَبَدًا ... فِي كُلِّ عَصْرٍ لَهُ سَجْعٌ وَتَرْنَامُ

وَقَالَ يَهْجُو: (من الوافر)

هَجَوْتُكَ غَيْرَ مُبْتَدِعٍ مَقَالًا ... سُوَى مَا فِيكَ مِنْ دَنَسٍ وَشُؤْمِ
فَإِنْ تَجْزَعْ فَمِنْ خَوَرٍ وَجُبْنٍ ... وَإِنْ تَصْبِرْ فَمِنْ ضَعَةٍ وَلُؤْمِ

وَقَالَ فِي رَجُلٍ: (من المتقارب)

أَلا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبٍ ... جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلْقَمَا
يَسُوءُ الْخَلِيلَ وَيُؤْذِي الْجَلِيـ ... ـسَ وَيَأْنَفُ إِنْ زَلَّ أَنْ يَنْدَمَا
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى ... وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقَهُ ... وَإِنْ لَمْ أُجِبْ قَوْلَهُ بَرْطَمَا
لَهُ جَهَلاتٌ تُمِيتُ الرِّضَا ... وَحُمْقٌ يَكَادُ يُسِيلُ الدِّمَا
يُكَابِرُ فِي الْحَقِّ إِنْ مَضَّهُ ... وَلا يَدَعُ الظَّنَّ أَوْ يَأْثَمَا
فَلا أَنَا مِنْهُ أَرَى رَاحَةً ... وَلا أَنَا عَنْهُ أَرَى مَنْسِمَا
تَبَدَّلَ أُنْسِي بِهِ وَحْشَةً ... وَعَادَ نَهَارِي بِهِ مُظْلِمَا
فَلا رَحِمَ اللهُ يَوْمًا جَرَى ... عَلَيَّ بِهِ طَائِرًا أَشْأَمَا

فِي إحدى نَدَواته سأله الأديب الشاب «مصطفى صادق الرافعي» شيئًا من شعره الحديث فقال إن «عنترة بن شداد العبسي» يقول:

هل غادر الشعراء من متردَّم … أم هل عرفت الدار بعد تَوَهُّمِ؟

وقد نقضت هذه القصيدة بقولي: (من الكامل)

كَمْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ … وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ
فِي كُلِّ عَصْرٍ عبْقَرِيٌّ لا يَنِي … يَفْرِي الْفَرِيَّ بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمِ
وَكَفَاكَ بِي رَجُلًا إِذَا اعْتُقِلَ النُّهَى … بِالصَّمْتِ أَوْ رَعَفَ السِّنَانُ بِعَنْدَمِ
أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْقَرِيضِ بِمَنْطِقِي … وَصَرَعْتُ فُرْسَانَ الْعَجَاجِ بِلَهْذَمِي
وَفَرَعْتُ نَاصِيَةَ الْعُلا بِفَضَائِلٍ … هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلِمِ
سَلْ مِصْرَ عَنِّي إِنْ جَهِلْتَ مَكَانَتِي … تُخْبِرْكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ
بَلِدٌ نَشَأْتُ مَعَ النَّبَاتِ بِأَرْضِهَا … وَلَثَمْتُ ثَغْرَ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ
فَنَسِيمُهَا رُوحِي وَمَعْدِنُ تُرْبِهَا … جِسْمِي وَكَوْثَرُ نِيلِهَا مَحْيَا دَمِي
فَإِذَا نَطَقْتُ فَبِالثَّنَاءِ عَلَى الَّذِي … أَوْلَتْهُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيَّ وَأَنْعُمِ
أَهْلِي بِهَا وأَحِبَّتِي وَكَفَى بِهِمْ … فَخْرًا مَلَكْتُ بِهِ عِنَانَ الأَنْجُمِ
وَأَحَقُّ دَارٍ بِالْكَرَامَةِ مَنْزِلٌ … لِلْقَلْبِ فِيهِ عَلاقَةٌ لَمْ تَصْرَمِ
هِيَ جَنَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي زَهَرَاتُهَا … حُورُ الْمَهَا وَهَزَارُ أَيْكَتِهَا فَمِي
مَا إِنْ خَلَعْتُ بِهَا سُيُورَ تَمَائِمِي … حَتَّى لَبِسْتُ بِهَا حَمَائِلَ مِخْذَمِي
وَغَنِيتُ عَنْ قُلَّتِي بِعَامِلِ أَسْمَرٍ … وَسَلَوْتُ عَنْ مَهْدِي بِصَهْوَةِ أَدْهَمِ
وَفَجَرْتُ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ بِمَنْطِقٍ … عَذْبٍ رَوَيْتُ بِهِ غَلِيلَ الْحُوَّمِ
وَلَكَمْ أَثَرْتُ غَيَابَةً مِنْ قَسْطَلٍ … بِمُهَنَّدِي وَحَلَلْتُ عُقْدَةَ مُبْرَمِ
أَخْتَالُ طَوْرًا فَوْقَ ذِرْوَةِ مِنْبَرٍ … وَأَكُرُّ طَوْرًا فَوْقَ نَهْدٍ شَيْظَمِ
حَتَّى رَبَأْتُ مِنَ الْمَعَالِي هَضْبَةً … شَمَّاءَ تُزْلِقُ أَخْمَصَ الْمُتَسَنِّمِ
نَشَأَتْ بِطَبْعِي لِلْقَرِيضِ بَدَائِعٌ … لَيْسَتْ بِنِحْلَةِ شَاعِرٍ مُتَقَدِّمِ
يَصْبُو بِهَا «الْحَكَمِيُّ» صَبْوَةَ عَاشِقٍ … وَتَخِفُّ مِنْ طَرَبٍ عَرِيكَةُ «مُسْلِمِ»
قَوَّمْتُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ قَنَاتِهِ … وَالرُّمْحُ لَيْسَ يَرُوقُ غَيْرَ مُقَوَّمِ

فِقَرٌ يَكَادُ السِّحْرُ يَبْلُغُ بَعْضَ مَا   فِي طَيِّهَا لَوْ كَانَ غَيْرَ مُحَرَّمِ

مُتَشَابِهُ الطَّرَفَيْنِ يُنْبِئُ صَدْرُهُ   عَمَّا تَلاحَقَ فَهْوَ بَادِي الْمَعْلَمِ

أَحْكَمْتُ مَنْطِقَهُ بِلَهْجَةِ مُفْلِقٍ   يَقِظِ الْبَدِيهَةِ فِي الْقَرِيضِ مُحَكَّمِ

يَبْتَذُّ أُهْبَةَ كُلِّ فَارِسِ بُهْمَةٍ   وَيَزُمُّ شِقْشِقَةَ الْفَتِيقِ الْمُقْرَمِ

ذَلَّلْتُ مِنْهُ غَوَارِبًا لا تُمْتَطَى   وَخَطَمْتُ مِنْهُ مَوَارِنًا لَمْ تُخْطَمِ

شِعْرٌ جَمَعْتُ بِهِ ضُرُوبَ مَحَاسِنٍ   لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَيٍّ مُلْهَمِ

فَإِذَا نَسَبْتُ فَتَنْتُ كُلَّ مُقَنَّعٍ   وَإِذَا نَأَمْتُ ذَعَرْتُ كُلَّ مُلَثَّمِ

كَالرَّوْضِ تَسْمَعُ مِنْهُ نَغْمَةَ بُلْبُلٍ   وَالْغِيلُ تَسْمَعُ مِنْهُ زَأْرَةَ ضَيْغَمِ

أَدْرَكْتُ قَاصِيَةَ الْمَحَامِدِ وَالْعُلا   وَشَأَوْتُ فِيهَا كُلَّ أَصْيَدَ مُسْنِمِ

فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَرْتُ وَإِنْ أَكُنْ   لِأَغَرَّ مِنْ سَلَفِ الأَكَارِمِ أَنْتَمِي

وَالْفَخْرُ بِالآبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ   إِنْ كَانَتْ الأَبْنَاءُ خُورَ الأَعْظُمِ

هَذَا وَرُبَّتَ لَذَّةٍ بَاشَرْتُهَا   فِي ظِلِّ أَخْضَرَ بِالْعَرَارِ مُنَمْنَمِ

طَفِقَ النَّسِيمُ يَحُوكُ وَشْيَ بُرُودِهِ   بِأَنَامِلٍ تَمْرِي خُيُوطَ الْمِرْزَمِ

فَبِكُلِّ أُفْقٍ مُزْنَةٌ فَيَّاضَةٌ   وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَدْوَلٌ كَالأَرْقَمِ

هَاتِيكَ تَجْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا   سُفُنٌ وَهَذَا فِي الْخَمَائِلِ يَرْتَمِي

فَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمُؤَزَّرٍ   وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدَنَّرٍ وَمُدَرْهَمِ

طَلْقُ الْجَبِينِ تَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهُ   عَنْ دُرِّ قَطْرٍ كَالْعُقُودِ مُنَظَّمِ

عَبِقُ الإِزَارِ كَأَنَّمَا جَرَتِ الصَّبَا   فِيهِ بِجُؤْنَةِ عَنْبَرٍ لَمْ تُخْتَمِ

صَبَحَ الْغَمَامُ غُصُونَهُ فَتَرَنَّحَتْ   طَرَبًا لِرَجْعِ الطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ

فَنَسِيمُهُ أَرِجٌ وَطَائِرُ أَيْكِهِ   هَزِجٌ وَجَدْوَلُهُ بَرُودُ الْمَبْسِمِ

يَسْتَوْقِفُ الأَلْبَابَ حُسْنُ رُوَائِهِ   وَيَصِيدُ عَيْنَ النَّاظِرِ الْمُتَوَسِّمِ

وَالْمَرْءُ طَوْعُ يَدِ الزَّمَانِ يَقُودُهُ   قَوْدَ الْجَنِيبِ لِغَايَةٍ لَمْ تُعْلَمِ

فَلَكٌ يَدُورُ وَأَنْجُمٌ لا تَأْتَلِي   تَبْدُو وَتَغْرُبُ فِي فَضَاءٍ أَقْتَمِ

صُوَرٌ إِذَا نَادَيْتَهَا لَمْ تَسْتَجِبْ   أَوْ رُمْتَ مِنْهَا النُّطْقَ لَمْ تتكَلَّمِ

فَدَعِ الْخَفِيَّ وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا   مِمَّا بَدَا لَكَ فَهْوَ أَهْنَأُ مَغْنَمِ

لا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَبْلُغَ مَا نَأَى   عَنْهُ وَلَوْ صَعِدَ السَّمَاءَ بِسُلَّمِ

بَيْنَا يَشُقُّ بِهِ الْجَوَاءَ تَرَفُّعًا   أَهْوَى بِهِ فِي كَسْرِ بَيْتٍ مُظْلِمِ

إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ   غَرَضًا لإِمْرَةِ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ
لا أَرْتَضِي عَيْشَ الْجَبَانِ وَلا أَرَى   فضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقْدِمِ
وَلرُبَّ مَلْحَمَةٍ سَرَيْتُ قِنَاعَهَا   عَنْ وَجْهِ نَصْرٍ بِالْغُبَارِ مُلَثَّمِ
لَوْ كَانَ لِلإِنْسانِ عِلْمٌ بِالَّذِي   فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْرَحْ وَلَمْ يَتَنَدمِ
فَدَعِ الأُمُورَ إِلَى مُدَبِّرِ شَأْنِهَا   وَارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِكَ تَسْلَمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

بِأَيِّ غَزَالٍ فِي الْخُدُورِ تَهِيمُ   وَغِزْلانُ نَجْدٍ مَا لَهُنَّ حَمِيمُ
يَقُدْنَ زِمَامَ النَّفْسِ وَهْيَ أَبِيَّةٌ   وَيَخْدَعْنَ لُبَّ الْمَرْءِ وَهْوَ حَكِيمُ
فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْشَى الدِّيارَ مُخَاطِرًا   فَدُونَ حِمَاهَا لِلأُسُودِ نَئِيمُ
فَوَارِسُ لا يَعْصُونَ أَمْرَ حَمِيَّةٍ   وَلا يَرْهَبُونَ الْخَطْبَ وَهْوَ عَظِيمُ
يَصُونُونَ فِي حُجْبِ الأَكِلَّةِ ظَبْيَةً   لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الْحِسَانِ صَمِيمُ
مِنَ الهيفِ أَمَّا نَعْتُ مَا فِي إِزَارِهَا   فَرَابٍ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَهَضِيمُ
أَنَاةٌ بَرَاهَا اللهُ فِي الْحُسْنِ آيَةً   يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمُ
يَمِيلُ بِهَا سُكْرُ الشَّبَابِ إِذَا مَشَتْ   كَمَا مَالَ بِالْغُصْنِ الرَّوِيِّ نَسِيمُ
لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي أَدُمْيَةُ بِيعَةٍ   تَرَدَّدُ فِيهَا الْحُسْنُ أَمْ هِيَ رِيمُ
يَلُومونَنِي أَنْ هِمْتُ وَجْدًا بِحُسْنِهَا   وَأَيُّ امْرِئٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ
وَهَلْ يَغْلِبُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهْوَ غَالِبٌ   وَيُخْفِي شَكَاةَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ
فَإِنْ أَكُ مَحْسُورًا بِهَا فَلَرُبَّمَا   مَلَكْتُ عِنَانَ الْقَلْبِ وَهْوَ كَظِيمُ
وَكَابَدْتُ فِيهَا مَا لَوِ انْقَضَّ بَعْضُهُ   عَلَى جَبَلٍ لانْهَالَ مِنْهُ قَوِيمُ
فَيَا رَبَّةَ الْبَيْتِ الْمَنِيعِ جِوَارُهُ   أَمَا مِنْ مُسَامٍ عِنْدَكُمْ فَأُسِيمُ
بَخِلْتِ عَلَيْنَا بِالسَّلامِ ضَنَانَةً   وَجَدُّكِ مَطْرُوقُ الفِنَاءِ كَرِيمُ
فَكَيْفَ تَلُومِينِي عَلَى مَا أَصَابَنِي   مِنَ الْحُبِّ يا لَيْلَى وَأَنْتِ غَرِيمُ
وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لا أَدِينُ لِظَالِمٍ   وَلَمْ يَحْتَكِمْ يَوْمًا عَلَيَّ زَعِيمُ
فَأَنْتِ الَّتِي مَرَّهْتِ عَيْنِيَ بِالْبُكَا   وَأَسْقَمْتِ هَذَا الْقَلْبَ وَهْوَ سَلِيمُ
تَنَامِينَ عَنْ لَيْلِي وَعَيْنِي قَرِيحَةٌ   وَتُشْجِينَ قَلْبِي وَهْوَ فِيكِ مُلِيمُ
مَنَحْتُكِ نَفْسِي وَهْيَ نَفْسٌ عَزِيزَةٌ   عَلَيَّ وَمَا لِي مِنْ هَوَاكِ قَسِيمُ

فَإِنْ يَكُ جِسْمِي عَنْ فِنَائِكِ رَاحِلٌ   فَإِنَّ هَوَى قَلْبِي عَلَيْكِ مُقِيمُ
شَكَوْتُ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ بَاكِيًا   وَمَا كُلُّ مَنْ يُشْكَى إِلَيْهِ رَحِيمُ
فَحَتَّامَ أَلْقَى فِي الْهَوَى مَا يَسُوءُنِي   وَأَحْمِلُ عِبْءَ الصَّبْرِ وَهْوَ عَظِيمُ
وَإِنِّي لَحُرٌّ بَيْنَ قَوْمِي وَإِنَّمَا   تَعَبَّدَنِي حُلْوُ الدَّلالِ رَخِيمُ
وَإِنِّي وإِنْ كُنْتُ الْمُسَالِمَ فِي الْهَوَى   لَذُو تُدْرَإٍ فِي النَّائِبَاتِ خَصِيمُ
أَفُلُّ شَبَاةَ الْخَصْمِ وَهْوَ مُنَازِلٌ   وَأَرْهَبُ كَرَّ الطَّرْفِ وَهْوَ سَقِيمُ
أَلا قَاتَلَ اللهُ الْهَوَى مَا أَلَذَّهُ   عَلَى أَنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ أَلِيمُ
طَوَيْتُ لَهُ نَفْسِي عَلَى مَا يَسُوءُهَا   وَأَصْبَحْتُ لا يَلْوِي عَلَيَّ حَمِيمُ
فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ غَيْرِ هَذَا فَإِنَّنِي   بِهِ عِنْدَ رَوْعَاتِ الْفِرَاقِ عَلِيمُ
كَأَنِّي أُدَارِي مِنْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي   لَظًى حَرُّهَا يَكْوِي الْحَشَا وَيَضِيمُ
بَلَوْتُ لَهُ طَعْمَيْنِ أَمَّا مَذَاقُهُ   فَعَذْبٌ وَأَمَّا سُؤْرُهُ فَوَخِيمُ
وَجَرَّبْتُ إِخْوانَ الصَّفَاءِ فَلَمْ أَجِدْ   صَدِيقًا لَهُ فِي الطَّيِّبَاتِ قَسِيمُ
لَهُمْ نَزَوَاتٌ بَيْنَهُنَّ تَفَاوُتٌ   وَعَنٌّ عَلَى طُولِ اللِّقَاءِ ذَمِيمُ
بِمَنْ يَثِقُ الإِنْسَانُ وَالْغَدْرُ شِيمَةٌ   لِكُلِّ ابْنِ أُنْثَى وَالْوَفَاءُ عَقِيمُ
فَلا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فِي الَّذِي   تَوَدُّ مِنَ الْحَاجَاتِ فَهْوَ رَحِيمُ
وَلا تَبْتَئِسْ مِنْ مِحْنَةٍ سَاقَهَا الْقَضَا   إِلَيْكَ فَكَمْ بُؤْسٍ تَلاهُ نَعِيمُ
فَقَدْ تُورِقُ الأَشْجَارُ بَعْدَ ذُبُولِهَا   وَيَخْضَرُّ سَاقُ النَّبْتِ وَهْوَ هَشِيمُ
إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ إِتْمَامَ حَاجَةٍ   أَتَتْكَ عَلَى وَشْكٍ وَأَنْتَ مُقِيمُ

وَقَالَ: (من البسيط)

سَبَقْتَ بِالْفَضْلِ فَاسْمَعْ مَا وَحَاهُ فَمِي   فَأَنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الدُّرِّ مِنْ كَلِمِي
يَا رَائِدَ الْوُدِّ قَدْ صَادفْتَ مُنْتَجَعًا   بَيْنَ الْجَوانِحِ فَانْزِلْهُ وَلا تَرِمِ
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ فَضْلًا قَدْ مَلَكْتَ بِهِ   قَلْبِي فَهَاكَ يَدِي فِي الْوُدَّ فَاحْتَكِمِ
إِنَّ الْمَوَدَّةَ إِنْ صَحَّتْ غَدَتْ نَسَبًا   بَيْنَ الأَبَاعِدِ تُغْنِيهِمْ عَنِ الرَّحِمِ
فَثِقْ بِذِمَّةِ عَهْدٍ فِيكَ صَادِقَةٍ   فَلَيْسَ كُلُّ خَلِيلٍ صَادِقَ الذِّمَمِ
وَاعْذِرْ إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي الْقَوْلِ مُتَّسَعًا   فَالْمَرْءُ لا يَبْلُغُ الأَفْلاكَ بِالْهِمَمِ
لا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ عَافِيَةٍ   مَوْشِيَّةٍ بِطِرَازِ الْحَمْدِ وَالنِّعَمِ

وَقَالَ: (من الكامل)

خَلِّ الْعِتَابَ فَلَوْ طَلَبْتَ مُهَذَّبًا أَعْيَاكَ مَطْلَبُهُ بِهَذَا الْعَالَمِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْكَ جَرَى بِهِ قَدَرٌ فَإِنِّي مِنْ سُلالَةِ آدَمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

سُكُوتِي إِذَا دَامَ الْحَدِيثُ كَلامُ وَتَقْلِيبُ عَيْنِي فِي الْوُجُوهِ مَلامُ
وَصَبْرِي عَلَى الأَيَّامِ لا مِنْ مَذَلَّةٍ وَلَكِنْ يَدٌ مَغْلُولَةٌ وَحُسَامُ
أُلامُ عَلَى أَنِّي صَبَرْتُ وَهَلْ فَتًى عَلَى الصَّبْرِ إِنْ قَلَّ الْمُعِينُ يُلامُ

وَقَالَ: (من مجزوء الكامل)

يَا بَانَةً مَنْ لِي بِضَمِّكْ يَا زَهْرَةً مَنْ لِي بِشَمِّكْ
يَا بِنْتَ سَيِّدَةِ النِّسَا ءِ تَرَفَّقِي بِحَيَاةِ أُمِّكْ
مَا فِيَّ مَنْبِتُ شَعْرَةٍ إِلَّا بِهِ أَثَرٌ لِسَهْمِكْ
كَلَّا وَلا فِي مُهْجَتِي مِنْ طُولِ صَدِّكِ غَيْرُ هَمِّكْ
أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْكَرَى لَمَّا جَفَانِي بَدْرُ تَمِّكْ
إِنْ لَمْ تَجُودِي بِاللِّقَا ءِ عَلَى الْمُحِبِّ وَلا بِلَثْمِكْ
فَتَسَامَحِي لِي مَرَّةً حَتَّى أَفُوزَ بِلَثْمِ كُمِّكْ

وَقَالَ: (من الطويل)

دَعِ الْهَزْلَ وَاحْذَرْ تُرَّهَاتِ الْمُنَادَمَهْ فَكَمْ مِنْ غَوِيٍّ قَدْ أَسَالَ الْمُنَى دَمَهْ
فَمَهْ لا تَفُهْ بِالْقَوْلِ قَبْلَ انْتِقَادِهِ فَرُبَّ كَلامٍ فَضَّ مِنْ قَائِلٍ فَمَهْ

وَقَالَ: (من البسيط)

لا تَعْذِلَنِّي عَلَى وَفْرٍ سَمَحْتُ بِهِ لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي مَاجِدُ الشِّيَمِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى جُودٌ يَسُدُّ بِهِ مَفَاقِرَ الصَّحْبِ فَالْمَثْرَاةُ كَالْعَدَمِ
فَإِنْ يَكُنْ قَلَّ مَالِي بَعْدَ وَفْرَتِهِ فَإِنَّ مَالِيَ لا يَقْوَى عَلَى كَرَمِي

وَقَالَ: (من السريع)

الشِّعْرُ زَيْنُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُن   وَسِيلَةً لِلْمَدْحِ وَالذَّامِ
قَدْ طَالَمَا عَزَّ بِهِ مَعْشَرٌ   وَرُبَّمَا أَزْرَى بِأَقْوَامِ
فَاجْعَلْهُ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حِكْمَةٍ   أَوْ عِظَةٍ أَوْ حَسَبٍ نَامِي
وَاهْتِفْ بِهِ مِنْ قَبْلِ إِطْلاقِهِ   فَالسَّهْمُ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّامِي

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ تَدَبَّرْ   وَاجْعَلِ الْقَوْلَ مِنْكَ ذَا تَحْكِيمِ
لا تَذُمَّ اللَّئِيمَ وَامْدَحْ كَرِيمًا   إِنَّ مَدْحَ الْكَرِيمِ ذَمُّ اللَّئِيمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

حَنَى الشَّيْبُ عُودِي فَاسْتَقَامَتْ رَوِيَّتِي   وَلَوْلا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ مَا تَصْدَعِ الْكَلِمُ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ: (من البسيط)

فِي قَائِمِ السَّيْفِ إِنْ عَزَّ الرِّضَا حَكَمُ   فَالْحُكْمُ لِلسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَصْدَعِ الْكَلِمُ
تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ نَفْسٌ حُرَّةٌ وَيَدٌ   أَطَاعَهَا الْمُرْهَفَانِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ
وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ شَهَرَتْ   بِهَا عَلَى الدَّهْرِ عَضْبًا لَيْسَ يَنثَلِمُ
وَفِتْيَةٌ كَأُسُودِ الْغَابِ لَيْسَ لَهُمْ   إِلَّا الرِّمَاحُ إِذَا احْمَرَّ الْوَغَى أَجَمُ
كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُوا وَالرَّعْدِ إِنْ صَدَمُوا   وَالْغَيْثِ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلِ إِنْ هَجَمُوا
إِنْ حَارَبُوا مَعْشَرًا فِي جَحْفَلٍ غَلَبُوا   أَوْ خَاصَمُوا فِئَةً فِي مَحْفِلٍ خَصَمُوا
لا يَرْهَبُونَ الْمَنَايَا أَنْ تُلِمَّ بِهِمْ   كَأَنَّ لُقْيَ الْمَنَايَا عِنْدَهُمْ حَرَمُ
مُرَفَّهُونَ حِسَانٌ فِي مَجَالِسِهِمْ   وَفِي الْحُرُوبِ إِذَا لاقَيْتَهُمْ بُهَمُ
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ كَالدِّينَارِ غُرَّتُهُ   يَجْلُو الْكَرِيهَةَ مِنْهُ كَوْكَبٌ ضَرِمُ
لا يَرْكَنُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا   إِذَا هُمُ شَعَرُوا بِالذُّلِّ أَوْ نَقَمُوا
قَدْ حَبَّبَ الْمَوْتَ كُرْهُ الضَّيْمِ فِي نَفَرٍ   لَوْلاهُمُ لَمْ تَدُمْ فِي الْعَالَمِ النِّعَمُ

مَاتُوا كِرَامًا وَأَبْقَوْا لِلْعُلا أَثَرًا ... نَالَتْ بِهِ شَرَفَ الْحُرِّيَّةِ الأُمَمُ
فَكَيْفَ يَرْضَى الْفَتَى بِالذُّلِّ يَحْمِلُهُ ... وَالذُّلُّ تَأْنَفُهُ الْعُبْدَانُ وَالْخَدَمُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى فَضْلٌ وَمَحْمِيَةٌ ... فَإِنَّ وِجْدَانَهُ فِي أَهْلِهِ عَدَمُ
فَالْحِلْمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُدْرَةٍ خَوَرٌ ... وَالصَّبْرُ فِي غَيْرِ مَرْضَاةِ الْعُلا نَدَمُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ حَالٍ تُضَامُ بِهَا ... فَلَيْسَ بَعْدَ اطِّرَاحِ الذُّلِّ مَا يَصِمُ
وَلا تَخَفْ وِرْدَ مَوْتٍ أَنْتَ وَارِدُهُ ... مَنْ أَخْطَأَتْهُ الرَّزَايَا غَالَهُ الْهَرَمُ
إِنَّ الْعُلا أَثَرٌ تَحْيَا بِذُكْرَتِهِ ... أَسْمَاءُ قَوْمٍ طَوَى أَحْسَابَهَا الْقِدَمُ

وَقَالَ: (من الطويل)

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَرْضَى عَنِ الدَّهْرِ مُغْرَمُ ... أَمِ الْعُمْرُ يَفْنَى وَالْمآرِبُ تُعْدَمُ
أُحَاوِلُ وَصْلًا مِنْ حَبِيبٍ مُمَنَّعٍ ... وَبَعْضُ أَمَانِي النَّفْسِ غَيْبٌ مُرَجَّمُ
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ الْعَظَائِمَ نَالَهَا ... وَلا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْكَرِيهَةَ يَغْنَمُ
يَسُرُّ الْفَتَى مِنْ عِشْقِهِ مَا يَسُوءُهُ ... وَفِي الرَّاحِ لَهْوٌ لِلنُّفُوسِ وَمَغْرَمُ
وَلَوْ كَانَ لِلإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدُلُّهُ ... عَلَى خَافِيَاتِ الْغَيْبِ مَا كَانَ يَنْدَمُ
كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ فَلَمْ يَزَلْ ... بِيَ الدَّمْعُ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ
وَكَيْفَ أُدَارِي النَّفْسَ وَهْيَ مَشُوقَةٌ ... وَأَحْلُمُ عَنْهَا وَالْهَوَى لَيْسَ يَحْلُمُ
وَتَحْتَ جَنَاحِ اللَّيْلِ مِنِّي ابْنُ لَوْعَةٍ ... يَرِقُّ إِلَيْهِ الطَّائِرُ الْمُتَرَنِّمُ
إِذَا مَدَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ لاحَ بَارِقٌ ... وَإِنْ حَلَّ مِنْ أَجْفَانِهِ فَاضَ خِضْرِمُ
وَإِنَّ الَّتِي يَشْتَاقُهَا الْقَلْبُ غَادَةٌ ... لَهَا الرُّمْحُ قَدٌّ وَالْمُهَنَّدُ مِعْصَمُ
يَنُمُّ بِهَا صُبْحٌ مِنَ الْبِيضِ أَزْهَرٌ ... وَيَكتُمُهَا نَقْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ
إِذَا رَاسَلَتْ كَانَتْ رِسَالَةُ حُبِّهَا ... بِضَرْبِ الظُّبَا تُوحِي وَبِالطَّعْنِ تَعْجُمُ
لَهَا مِنْ دِمَاءِ الصِّيدِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى ... شَرَابٌ وَمِنْ هَامِ الْفَوَارِسِ مَطْعَمُ
فَتِلْكَ الَّتِي لا وَصْلُهَا مُتَوَقَّعٌ ... لَدَيْنَا وَلا سُلْوَانُهَا مُتَصَرَّمُ
عَلِقْتُ بِهَا وَهْيَ الْمَعَالِي وَقَلَّمَا ... يَهِيمُ بِهَا إِلَّا الشُّجَاعُ الْمُصَمِّمُ
هَوًى لَيْسَ فِيهِ لِلْمَلامَةِ مَسْلَكٌ ... وَلا لِامْرِئٍ نَاجَى بِهِ النَّفْسَ مَأْثَمُ
تَلَذُّ بِهِ الآلامُ وَهْيَ مُبِيرَةٌ ... وَيَحْلُو بِهِ طَعْمُ الرَّدَى وَهْوَ عَلْقَمُ
فَمَنْ يَكُ بِالْبِيضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا ... فَإِنِّي بِالْبِيضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمُ

أَسِـيرُ وَأَنْفَـاسُ الْـعَـوَاصِـفِ رُكَّدٌ وَأَسْـرِي وَأَلْـحَـاظُ الْـكَـوَاكِـبِ نُـوَّمُ
وَمَا بَيْنَ سَلِّ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةٌ لَـدَى الْـحَـرْبِ إِلَّا رَيْـثَـمَـا أَتَـكَلَّـمُ
أَنَـا الْـمَـرْءُ لا يَـثْـنِـيـهِ عَـمَّـا يَـرُومُـهُ نَـهِيتُ الْعِـدَا وَالشَّـرُّ عُرْيَـانُ أَشْـأَمُ
أُغِيرُ عَلَى الأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ أَشْهَبٌ وَآوِي إِلَـى الضِّـيفَـانِ وَاللَّيْلُ أَدْهَـمُ
وَيَـصْـحَـبُـنِـي فِـي كُلِّ رَوْعٍ ثَـلاثَـةٌ حُـسَـامٌ وَطِـرْفٌ أَعْـوَجِـيٌّ وَلَـهْـذَمُ
وَيَـنْـصُـرُنِـي فِـي كُلِّ جَـمْـعٍ ثَـلاثَـةٌ لِـسَـانٌ وَبُـرْهَـانٌ وَرَأْيٌ مُـحَـكَّـمُ
فَمَا أَنَا بِالْمَغْمُورِ إِنْ عَنَّ حَادِثٌ وَلا بِـالَّذِي إِنْ أَشْـكَلَ الأَمْرُ يَـفْـحَـمُ
لِسَانِي كَنَصْلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي كَغَرْبِ لِسَانِي حِينَ لَمْ يَبْقَ مُقْدِمُ
إِذَا صُلْتُ فَدَّتْنِي فِرَاسٌ بِشَـيْخِهَا وَإِنْ قُلْتُ حَـيَّـانِـي شَـبِيبٌ وَأَكْـثَـمُ
فَـلا تَـحْـتَـقِـرْ فَـضْـلَ الْـكَلامِ فَـإِنَّـهُ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا جَوْهَرُ الْفَضْلِ وَالنُّهَى يُـسَـرَّدُ فِـي سِـلْـكِ الْـمَـقَـالِ وَيُـنْـظَـمُ
فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقَصَائِدَ شَاعِرٌ وَلا كُـلُّ مَـنْ قَـالَ الـنـسِـيـبَ مُـتَـيَّـمُ
فَإِنْ يَكُ عَصْرُ الْقَوْلِ وَلَّى فَإِنَّنِي بِـفَـضْـلِـي وَإِنْ كُـنْـتُ الأَخِـيـرَ مُـقَـدَّمُ

وَقَالَ في الْمَدْحِ: (من السريع)

يَا لَكَ مِنْ ذِي أَدَبٍ أَطْلَعَتْ فِـكْـرَتُـهُ ثَـاقِـبَـةَ الأَنْـجُـمِ
حَازَ مَدًى قَصَّرَ عَنْ شَأْوِهِ كُلُّ أَخِـي سَـابِـقَـةٍ مِـرْجَـمِ
فَهْوَ إِذَا قَالَ علا أَوْ جَرَى بَـرَّزَ أَوْ نَـاضَـلَ لَـمْ يُـحْـجِـمِ
ذُو فِكْرَةٍ فَاضَتْ بِمَا أُودِعَتْ مِنْ حِكْمَةٍ كَالْعَارِضِ الْمُثْجِمِ
ذَاكَ فَـتًـى نَـبْـعَـتُـهُ لَـمْ تَـلِـنْ لِعَاجِمٍ مِنْ خَوَرِ الْمَعْجَمِ
أَلْفَاظُهُ تُعْزَى إِلَى «يَعْرُب» وَفِكْرُهُ مُقْتَبَسٌ مِنْ «جَمِ»
لَمْ يَنْظِمِ الْحُوشِيَّ عُجْبًا بِهِ وَلَـمْ يُـسَـمِّ الْـوَرْدَ بِـالْـحَـوْجَـمِ
لَكِنَّهُ رَازَ الْحِجَا فَاكْتَفَى بِوَاضِحِ الْقَوْلِ عَنِ الْمُعْجَمِ
دَانَ لَهُ بِالْفَضْلِ عَنْ خِبْرَةٍ كُلُّ فَصِيحِ الْقَولِ أَوْ أَعْجَمِ
دَلَّ عَـلَـى مَـعْـدِنِـهِ فَـضْـلُـهُ دَلالَـةَ الـتِّـبْـرِ عَـلَـى الْـمَـنْـجَـمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي الدَّهْرِ رَحْمَةٌ ... خِيَانَةُ شِمْرٍ بَعْدَ غَدْرِ ابْنِ مُلْجَمِ
هُمَا مَنْجَمَا شَرٍّ وَصِنْوَا ضَلالَةٍ ... وَكُلُّ امْرِئٍ فِي الدَّهْرِ يُعْزَى لِمَنْجَمِ
شَقِيَّانِ هَامَا فِي الضَّلالِ فَأَصْبَحَا ... دَرِيئَةَ لَعْنٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
لَقَدْ فَوَّقَا سَهْمَيْهِمَا وَتَطَاوَلا ... إِلَى فَلَكٍ عَالٍ مُحَاطٍ بِأَنْجُمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ بَاءَا بِخِزْيٍ وَلَعْنَةٍ ... وَمَنْ يَحْتَقِبْ خِزْيًا مِنَ اللهِ يُرْجَمِ

وَقَالَ: (من الطويل)

وَمَا مِصْرُ عُمْرَ الدَّهْرِ إِلَّا غَنِيمَةٌ ... لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا وَنَهْبٌ مُقَسَّمُ
تَدَاوَلَهَا الْمُلَّاكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ... وَنَالَ بِهَا حَظًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمُ
فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا ... وَلا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمُ
عِدَادُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ ... وَدَعْوَاكَ حَقَّ الْمُلْكِ أَدْهَى وَأَعْظَمُ
لَقَدْ هَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا ... رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِ يُوسُفَ تَحْكُمُ
فَإِنْ تَكُ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا ... فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلُ عَبْدٌ مُزَنَّمُ
وَشَتَّانَ عَبْدٌ بِالْمَحَجَّةِ نَاطِقٌ ... وَحُرٌّ إِذَا نَاقَشْتَهُ الْقَوْلَ أَغْتَمُ
فَهَذَا أَذَلَّ الْمُلْكَ وَهْوَ مُعَزَّزٌ ... وَذَاكَ أَعَزَّ الْمُلْكَ وَهْوَ مُهَضَّمُ
فَمَنْ شَكَّ فِي حُكْمِ الْقَضَاءِ فَهَذِهِ ... جَلِيَّةُ مَا شَاءَ الْقَضَاءُ الْمُحَتَّمُ

وَقَالَ: (من الكامل)

رُدِّي الْكَرَى لأَرَاكِ فِي أَحْلامِهِ ... إِنْ كَانَ وَعْدُكِ لا يَفِي بِذِمَامِهِ
أَوْ فَابْعَثِي قَلْبِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ ... جَارَى هَوَاكِ فَقَادَهُ بِزِمَامِهِ
قَدْ كَانَ خَلَّفَنِي لِمَوْعِدِ سَاعَةٍ ... مِنْ يَوْمِهِ فَقَضَى مَسِيرَةَ عَامِهِ
لَمْ أَدْرِ هَلْ ثَابَتْ إِلَيْهِ أَنَاتُهُ ... أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي غَيِّهِ وَهُيَامِهِ
عَهْدِي بِهِ صَعْبُ الْقِيَادِ فَمَا لَهُ ... أَلْقَى يَدًا لِلسِّلْمِ بَعْدَ غَرَامِهِ
خَدَعَتْهُ سَاحِرَةُ الْعُيُونِ بِنَظْرَةٍ ... مِنْهَا فَمَلَّكَهَا عِذَارَ لِجَامِهِ
يَا هَلْ يَعُودُ إِلَى الْجَوَانِحِ بَعْدَمَا ... سَلَبَتْ فَتَاةُ الْحَيِّ ثِنْيَ لِجَامِهِ

تَاللهِ لَوْ مَلَكَتْ يَدَايَ جِمَاحَهُ   لَعَقَدْتُ قَائِمَ رَسْنِهِ بِخِدَامِهِ
يَا لائِمَ الْمُشْتَاقِ فِي أَطْرَابِهِ   مَهْلًا إِلَيْكَ فَلَسْتَ مِنْ لُوَّامِهِ
أَظَنَنْتَ لَوْعَتَهُ فُكَاهَةَ مَازِحٍ   فَطَفِقْتَ تَعْذِلُهُ عَلَى تَهْيَامِهِ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ شَجْوَهُ فَانْظُرْ إِلَى   أَنْفَاسِهِ وَدُمُوعِهِ وَسَقَامِهِ
صَبٌّ بَرَتْهُ يَدُ الضَّنَى حَتَّى اخْتَفَى   عَنْ أَعْيُنِ الْعُوَّادِ غَيْرَ كَلامِهِ
نَطَقَتْ مَدَامِعُهُ بِسِرِّ ضَمِيرِهِ   وَذَكَتْ جَوَانِحُهُ بِنَارِ غَرَامِهِ
طَوْرًا يُخَامِرُهُ الذُّهُولُ وَتَارَةً   يَبْكِي بُكَاءَ الطِّفْلِ عِنْدَ فِطَامِهِ
يَصْبُو إِلَى بَانِ الْعَقِيقِ وَرَنْدِهِ   وَعَرَارِهِ وَبَرِيرِهِ وَبَشَامِهِ
وَادٍ سَرَى فِي جَوِّهِ كَنَسِيمِهِ   وَبَكَى عَلَى أَغْصَانِهِ كَحَمَامِهِ
أَرِجُ النَّبَاتِ كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَّرَى   طِيبًا مُرُورُ الْخِضْرِ بَيْنَ إِكَامِهِ
مَالَتْ خَمَائِلُهُ بِخُضْرِ غُصُونِهِ   وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقِ جِمَامِهِ
يَا صَاحِبِي إِنْ جِئْتَ ذَيَّاكَ الْحِمَى   فَاحْذَرْ عُيُونَ الْعِينِ مِنْ آرامِهِ
وَاسْأَلْ عَنِ الْبَدْرِ الَّذِي كَسَمِيِّهِ   فِي نُورِ غُرَّتِهِ وَبُعْدِ مَرَامِهِ
فَإِنِ اشْتَبَهْتَ وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِيًا   فَاسْمَعْ أَنِينَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ
فَبِذَلِكَ الْوَادِي غَزَالَةُ كِلَّةٍ   تَرْوِي حَدِيثَ الْفَتْكِ عَنْ ضِرْغَامِهِ
ضَاهَتْ بِقَامَتِهَا سِرَاحَ قَنَاتِهِ   وَحَكَتْ بِلَحْظَتِهَا مَضَاءَ حُسَامِهِ
هِيَ مِثْلُهُ فِي الْفَتْكِ أَوْ هُوَ مِثْلُهَا   سِيَّانِ وَقْعُ لِحَاظِهَا وسِهَامِهِ
فَسَقَى الْحِمَى دَمْعِي إِذَا ضَنَّ الْحَيَا   بِجُمَانِ دِرَّتِهِ سُلافَةَ جَامِهِ
مَغْنًى رَعَيْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ غَضَّةً   وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُلافِ غَمَامِهِ
فَنَسِيمُ رُوحِي مِنْ أَثِيرِ هَوَائِهِ   وَقِوَامُ جِسْمِي مِنْ مِزَاجِ رَغَامِهِ
لا يَنْتَهِي شَوْقِي إِلَيْهِ وَقَلَّمَا   يَسْلُو حَمَامُ الأَيْكِ عَنْ تَرْنَامِهِ
يَا حَبَّذَا عَصْرُ الشَّبَابِ وَحَبَّذَا   رَوْضٌ جَنَيْتُ الْوَرْدَ مِنْ أَكْمَامِهِ
عَصْرٌ إِذَا رَسَمَ الْخَيَالُ مِثَالَهُ   فِي لَوْحِ فِكْرِي لاحَ لِي بِتَمَامِهِ
إِنِّي لأَذْكُرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّنِي   بَاقٍ عَلَى التَّبِعَاتِ مِنْ آثَامِهِ
مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دَامَ لِي   مِنْهُ الْوِدَادُ وَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ
وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِبْرَةٍ لَوْ أَنَّنَا   نَتْلُو سِجِلَّ الْغَدْرِ مِنْ آثامِهِ
عَمْرِي لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ وَعَادَنِي   شَيْبٌ تَحَيَّفَ لِمَّتِي بِثَغَامِهِ

وَقَالَ: (من البسيط)

أَعِدْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ   وَاعْذِرْ شَآبِيبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ بِدَمِ

مَلاعِبٌ لِلصِّبَا أَقْوَتْ وَمَا بَرِحَتْ   مَلاعِبًا لِلأَسَى وَالأَعْيُنِ السُّجُمِ

كَانَتْ لَنَا سَكَنًا حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ   مِنَّا غَدَتْ سَكَنًا لِلرِّيحِ وَالدِّيَمِ

لَمْ أَتَّخِذْ بَعْدَهَا دَارًا أُقِيمُ بِهَا   إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِذِي سَلَمِ

وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَارًا قَدْ نَشَأْتُ بِهَا   فِي مَنْبِتِ الْعِزِّ بَيْنَ الأَهْلِ وَالْحَشَمِ

يَا مَنْزِلًا لَمْ يَدَعْ وَشْكُ الْفِرَاقِ بِهِ   إِلَّا رُسُومًا كَوَحْيِ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ كَانَتْ نَوَاظِرُنَا   تَرْعَى الْمَحَاسِنَ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِ

وَدَّعْتُ شَطْرَ حَيَاتِي يومَ فُرْقَتِهِمْ   وَصَافَحَتْنِي يَدُ الأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ

فَيَا أَخَا الْعَذْلِ لا تَعْجَلْ بِلائِمَةٍ   عَلَيَّ فَالْحُبُّ مَعْدُودٌ مِنَ الْقِسَمِ

أَسْرَفْتَ فِي اللَّوْمِ حَتَّى لَوْ أَصَبْتَ بِهِ   مَقَاطِعَ الْحَقِّ لَمْ تَسْلَمْ مِنَ التُّهَمِ

فَارْحَمْ شَبَابَ فَتًى أَلْوَتْ بِنَضْرَتِهِ   أَيْدِي الضَّنَى فَغَدَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

تَاللهِ مَا غَدْرَةُ الْخِلَّانِ مِنْ أَرَبِي   وَلا التَّلَوُّنُ فِي الأَخْلاقِ مِنْ شِيَمِي

فَكَيْفَ أُنْكِرُ وُدًّا قَدْ أَخَذْتُ بِهِ   عَلَى الْوَفَاءِ عُهُودًا بَرَّةَ الْقَسَمِ

إِنْ لَمْ يكُنْ لِلْفَتَى عقلٌ يَصُونُ بِهِ   عَلائِقَ الْوُدَّ ضَاعَتْ ذِمَّةُ الْحُرَمِ

وَأَيْنَ مَنْ تَمْلِكُ الأَحْرَارَ شِيمَتُهُ   وَالْغَدْرُ فِي النَّاسِ دَاءٌ غَيْرُ مُنْحَسِمِ

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى   خِلًّا وَفِيًّا وَعَهْدًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ

هَيْهَاتَ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا أَخُو ثِقَةٍ   يَرْعَى الْمَوَدَّةَ أَوْ يُلْقِي يَدَ السَّلَمِ

فَلا يَغُرَّنكَ مِنْ وَجْهٍ بَشَاشَتُهُ   فَالنَّارُ كَامِنَةٌ فِي نَاخِرِ السَّلَمِ

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ   وَاسْتَحْكَمَ الْغَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ

وَظَلَّ أَعْدَلُ مَنْ تَلْقَاهُ مِنْ رَجُلٍ   أَعْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذِئْبٍ عَلَى غَنَمِ

مِنْ كُلِّ أَشْوَهَ فِي عِرْنِينِهِ فَطَسٌ   خَالٍ مِنَ الْفَضْلِ مَمْلُوءٍ مِنَ النَّهَمِ

سُودُ الْخَلائِقِ دَلاجُونَ مَا طُبِعُوا   عَلَى الْمَحَارِمِ هَدَّاجُونَ فِي الظُّلَمِ

لا يُحْسِنُونَ التَّقَاضِي فِي الْحُقُوقِ وَلا   يُوفُونَ بِالْعَهْدِ إِلَّا خِيفَةَ النِّقَمِ

صُفْرُ الْوُجُوهِ مِنَ الأَحْقَادِ تَحْسَبُهُمْ   وَهُمْ أَصِحَّاءُ فِي دِرْعٍ مِنَ السَّقَمِ

فَلا ذَمَامَةَ فِي قَوْلٍ وَلا عَمَلٍ   وَلا أَمَانَةَ فِي عَهْدٍ وَلا قَسَمِ

بَلَوْتُ مِنْهُمْ خِلالًا لَوْ وَسَمْتَ بِهَا   وَجْهَ الغَزَالَةِ لَمْ تُشْرِقْ عَلَى عَلَمِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ نَبَغَتْ فِي الأَرْضِ نَابِغَةٌ أَمْ هَذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقِدَمِ
لا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا نَهَضَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ لَمْ يَقْعُدْ عَلَى رَغَمِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ فَضْلُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ
فَأَيُّ غَامِضَةٍ لَمْ تَجْلُهَا فِطَنِي وَأَيُّ بَاذِخَةٍ لَمْ تَعْلُهَا قَدَمِي
وَكَيْفَ لا تَسْبِقُ الْمَاضِينَ بَادِرَتِي وَالسَّمْهَرِيَّةُ تَخْشَى الْفَتْكَ مِنْ قَلَمِي
لِكُلِّ عَصْرٍ رِجَالٌ يُذْكَرُونَ بِهِ وَالْفَضْلُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ الْفَضْلُ بِالْقِدَمِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

مَنْ لِعَيْنٍ إِنْسَانُهَا لا يَنَامُ وَفُؤَادٍ قَضَى عَلَيْهِ الْغَرَامُ
أَقْطَعُ اللَّيْلَ بَيْنَ حُزْنٍ وَدَمْعٍ وَسُهَادٍ وَالنَّاسُ عَنِّي نِيَامُ
لا صَدِيقٌ يَرْثِي لِمَا بِتُّ أَلْقَا هُ وَلا مُسْعِدٌ فَأَيْنَ الْكِرَامُ
لَمْ تَدَعْ لَوْعَةُ الصَّبَابَةِ مِنِّي غَيْرَ نَفْسٍ غِذَاؤُهَا الآلامُ
رَقَّ طَبْعُ النَّسِيمِ رِفْقًا بِحَالِي وَبَكَى رَحْمَةً عَلَيَّ الْحَمَامُ
وَبِنَفْسِي لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي قَمَرٌ نُورُهُ عَلَيَّ ظَلامُ
تَسْتَطِيبُ الْقُلُوبُ فِيهِ الرَّزَايَا فَانْظُرُوا كَيْفَ تُعْبَدُ الأَصْنَامُ؟
غَيَّرَتْهُ الْوُشَاةُ فَازْوَرَّ عَنِّي وَهْوَ مِنِّي بِنَجْوَةٍ لا تُرَامُ
زَعَمُونِي أَتَيْتُ ذَنْبًا وَمَا لِي يَعْلَمُ اللهُ فِي هَوَاهُ أَثَامُ
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ امْرِئٍ مَا جَنَاهُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأَحْكَامُ
يَا نَدِيمَيَّ عَلِّلانِي فَلَنْ تَهـ ـلِكَ نَفْسٌ قَدْ عَلَّلَتْهَا النِّدَامُ
رُبَّ قَوْلٍ يَرُدُّ لَهْفَةَ قَلْبٍ وَكَلامٍ تَجِفُّ مِنْهُ الْكِلامُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا وَهْوَ دَاءٌ تَدْوَى بِهِ الأَفْهَامُ
قَدْ لَعَمْرِي بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحـ ـمَدْتُ مِنْهُ مَا تَحْمَدُ الأَقْوَامُ
صَلَفٌ لا يَبُلُّ غُلَّةَ صَادٍ وَمَرَاعٍ هَشِيمُهَا لا يُشَامُ
أَطْلُبُ الصِّدْقَ فِي الْوِدَادِ وَأَنَّى يَصْدُقُ الْوُدُّ وَالْعُهُودُ رِمَامُ
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلًا أَضْحَكَتْنِي مِنْ غَدْرِهِ الأَيَّامُ
فَتَفَرَّدْ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرًّا رُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لُهَامُ
وَاحْذَرِ الضَّيْمَ أَنْ يَمَسَّكَ فَالضَّيـ ـمُ حِمَامٌ يَفِرُّ مِنْهُ الْحِمَامُ

ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الصَّبْرَ حِلْمًا وَهْـوَ إِلَّا لَـدَى الْـكَـرِيـهَـةِ ذَامُ
يَحْسَبُونَ الْحَيَاةَ في الذُّلِّ عَيْشًا وَهْوَ مَوتٌ يَعِيشُ فِيهِ اللِّئَامُ

وَقَالَ: (من الخفيف)

يَا نَدِيمَيَّ فِي «سَرَنْدِيبَ» كُفَّا عَنْ مَلامِي؛ فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ
أَنَـا فِـي هَـذِهِ الـدِّيَـارِ غَـرِيـبٌ وَغَـرِيـبُ الـدِّيَـارِ لَـيْـسَ يُـلامُ
وَاذْكُرَا لِي «فُسْطَاطَ» مِصْرَ؛ فَإِنِّي بِـهَـوَاهَـا مُـتَـيَّـمٌ مُـسْـتَـهَـامُ

قافية النون

وَقَالَ فِي وَدَاعِهِ للْوَطَنِ شَاكِرًا أَحَدَ أَصْحَابِهِ عَلَى صِدْقِ وداده: (من الطويل)

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي ... فَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّي

عَنَاءٌ وَبَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ ... فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحُسْنِ

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَلَيْسَ كِلانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ

أَهَبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي ... وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا خَطْرَةٌ ثُمَّ أَقْلَعَتْ ... بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى ... وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ ... فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي ... إِلَى الْحَزْمِ رَأْيٌ لا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ

وَلَوْلا بُنَيَّاتٌ وَشِيبٌ عَوَاطِلٌ ... لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ جَزِعْتَ فَرُبَّمَا ... جَرَتْ سُنُحًا طَيْرُ الْحَوَادِثِ بِالْيُمْنِ

فَقَدْ تُورِقُ الأَغْصَانُ بَعْدَ ذُبُولِهَا ... وَيَبْدُو ضِيَاءُ الْبَدْرِ فِي ظُلْمَةِ الْوَهْنِ

وَأَيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَهَامَةٌ ... وَلَهْذَمُ رُمْحٍ لا يُفَلُّ مِنَ الطَّعْنِ

وَمَنْ شَاغَبَ الأَيَّامَ لانَ مَرِيرُهُ ... وَأَسْلَمَهُ طُولُ الْمِرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ

وَمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا كَسَالِكٍ ... مَنَاهِجَ لا تَخْلُو مِنَ السَّهْلِ وَالْحَزْنِ

فَـإِنْ تَـكُنِ الـدُّنْـيَا تَـوَلَّـتْ بِـخَـيْـرِهَـا ... فَـأَهْـوِنْ بِـدُنْـيَـا لا تَـدُومُ عَـلـى فَـنِّ
تَـحَـمَّـلْـتُ خَـوْفَ الْـمَـنِّ كُـلَّ رَزِيـئَـةٍ ... وَحَمْلُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ
وَعَـاشَـرْتُ أَخْـدَانًـا فَـلَـمَّـا بَـلَـوْتُـهُـمْ ... تَمَنَّيْتُ أَنْ أَبْقَى وَحِيدًا بِلا خِدْنِ
إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ الْقُلُوبَ وَمَا انْطَوَتْ ... عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ عَاشَ عَلَى ضِغْنِ
يَـرَى بَـصَـرِي مَـنْ لا أَوَدُّ لِـقَـاءَهُ ... وَتَسْمَعُ أُذْنِي مَا تَعَافُ مِنَ اللَّحْنِ
وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنَ أَرْضٍ أَرَى بِهَا ... مِنَ الظُّلْمِ مَا أَخْنَى عَلَى الدَّارِ وَالسَّكْنِ
فَسَمْعُ أَنِينِ الْجَوْرِ قَدْ شَاكَ مَسْمَعِي ... وَرُؤْيَةُ وَجْهِ الْغَدْرِ حَلَّ عُرَا جَفْنِي
وَصَعْبٌ عَلَى ذِي اللُّبِّ رِئْمَانُ ذِلَّةٍ ... يَظَلُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَاهِيَ الْمَتْنِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاةَ بِمِثْلِهَا ... تَخَطَّى إِلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ جَانِبِ الأَمْنِ
فَلا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خِيفَةَ نِقْمَةٍ ... فَعَيْشُ الْفَتَى فِي الذُّلِّ أَدْهَى مِنَ السِّجْنِ
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ سِيمَ خَسْفًا رَمَتْ بِهِ ... حَمِيَّتُهُ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَاللُّدْنِ
فَلا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ ... مَهِيبًا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالنَّارِ فِي دَغْنِ
وَلا تَرْهَبِ الأَخْطَارَ فِي طَلَبِ الْعُلا ... فَمَنْ هَابَ شَوْكَ النَّحْلِ عَادَ وَلَمْ يَجْنِ
وَلَوْلا مُعَانَاةُ الشَّدَائِدِ مَا بَدَتْ ... مَزَايَا الْوَرَى بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمُدْنِ مَا شِئْتَ مِنْ قِرًى ... فَأَصْحِرْ فَإِنَّ الْبِيدَ خَيْرٌ مِنَ الْمُدْنِ
صَحَارٍ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِيهَا بِسَيْفِهِ ... شَدِيدَ الْحُمَيَّا غَيْرَ مُغْضٍ عَلَى دِمْنِ
وَأَيُّ حَيَاةٍ لامْرِئٍ بَيْنَ بَلْدَةٍ ... يَظَلُّ بِهَا بَيْنَ الْعَوَاثِنِ وَالدَّخْنِ
لَعَمْرِي لَكُوخٌ مِنْ ثُمَامٍ بِتَلْعَةٍ ... أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْبَيْتِ ذِي الْكِنِّ
وَأَطْرَبُ مِنْ دِيكٍ يَصِيحُ بِكُوَّةٍ ... أَرَاكِيَّةٌ تَدْعُو هَدِيلًا عَلَى غُصْنِ
وَأَحْسَنُ مِنْ دَارٍ وَخِيمٍ هُوَاؤُهَا ... مَبِيتُكَ مِنْ بُحْبُوحَةِ الْقَاعِ فِي صَحْنِ
تَرَى كُلَّ شَيْءٍ نُصْبَ عَيْنَيْكَ مَاثِلًا ... كَأَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي جَنَّتَيْ عَدْنِ
تَدُورُ جِيَادُ الْخَيْلِ حَوْلَكَ شُزَّبًا ... تُجَاذِبُ أَطْرَافَ الأَعِنَّةِ كَالْجِنِّ
إِذَا سَمِعْتَ صَوتَ الصَّرِيخِ تَنَصَّبَتْ ... فَتُدْرِكُ مَا لا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِالأُذْنِ
فَتِلْكَ لَعَمْرِي عِيشَةٌ بَدَوِيَّةٌ ... مُوَطَّأَةُ الأَكْنَافِ رَاسِخَةُ الرُّكْنِ
وَمَا قُلْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ أَجَدَّ لِي ... يَقِينًا نَفَى عَنِّي مُرَاجَعَةَ الظَّنِّ
فَقَدْ ذُقْتُ طَعْمَ الدَّهْرِ حَتَّى لَفَظْتُهُ ... وَعَاشَرْتُ حَتَّى قلْتُ لابْنِ أَبِي دَعْنِي
وَلَوْلا أَخٌ أَحْمَدْتُ فِي الْوُدِّ عَهْدَهُ ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهرِ مَا كُنْتُ أَسْتَثْنِي

وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ يُصْفِيكَ وُدَّهُ — وَمُقْتَرِبٍ يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تَجْنِ
وَمَا الوُدُّ فِي الْقُرْبَى وَإِنْ هِيَ أَوْجَبَتْ — وَلَكِنَّهُ فِي الطَّبْعِ وَالشَّكْلِ وَالْوَزْنِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوَدِيدَيْنِ خُلَّةٌ — فَلا أَدَبٌ يُجْدِي وَلا نَسَبٌ يُدْنِي
فَذَاكَ أَخٌ لَوْلاهُ أَنْكَرْتُ كُلَّ مَا — سَمِعْتُ بِهِ عَنْ أَحْنَفِ الْحِلْمِ أَوْ مَعْنِ
فَإِنْ لَمْ أُصَرِّحْ بِاسْمِهِ خَوْفَ حَاسِدٍ — يَنُمُّ عليْهِ فَهْوَ يَعْلَمُ مَنْ أَعْنِي
عَلَى أَنَّ ذِكْرَاهُ وَإِنْ كَانَ نَائِيًا — سَمِيرُ فُؤَادِي فِي الإِقَامَةِ وَالظَّعْنِ
أَنُوحُ لِبُعْدِي عَنْهُ حُزْنًا وَلَوْعَةً — كَمَا نَاحَ مِنْ شَوْقٍ جَمِيلٌ عَلَى بُثْنِ
فَمَنْ لِي بِه خِلًّا كَرِيمًا نِجَارُهُ — فَقَدْ سَئِمَتْ نَفْسِي مُعَاشَرَةَ الْهُجْنِ
تُجَاذِبُنِي نَفْسِي إِلَيْهِ وَدُونَنَا — أَهَاوِيلُ مُلْتَجِّ الْغَوَارِبِ مُسْتَنِّ
لَعَلَّ يَدَ الأَيَّامِ تَسْخُو بِلُقْيَةٍ — أَرَاهُ بِهَا بَعْدَ الْكَزَازَةِ وَالضَّنِّ
وَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الْمِطَالُ لَوَاثِقٌ — بِرَحْمَةِ رَبِّي فَهْوَ ذُو الطَّوْلِ وَالْمَنِّ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ: (من البسيط)

أَعَائِدٌ بِكِ يَا رَيْحَانَةُ الزَّمَنُ؟ — فَيَلْتَقِي الْجَفْنُ بَعْدَ الْبَيْنِ وَالْوَسَنُ
أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاظِمَةٍ — وَمَا بِيَ الدَّارُ لَوْلا الأَهْلُ وَالسَّكَنُ
فَهَلْ تَرُدُّ اللَّيَالِي بَعْضَ مَا سَلَبَتْ — أَمْ هَلْ تَعُودُ إِلَى أَوْطَانِهَا الظُّعُنُ
أَهَنْتُ لِلْحُبِّ نفْسِي بَعْدَ عِزَّتِهَا — وَأَيُّ ذِي عِزَّةٍ لِلْحُبِّ لا يَهِنُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّ لَمَا ظَهَرَتْ — بِوَحْيِ قُدْرَتِهِ فِي الْعَالَمِ الْفِتَنُ
فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقَتْ — بِيَ الصَّبَابَةُ حَتَّى شَفَّنِي الْوَهَنُ
لَوْلا جَرِيرَةُ عَيْنِي مَا سَمَحْتُ بِهَا — لِلدَّمْعِ تَسْفَحُهُ الأَطْلالُ وَالدِّمَنُ
دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي فَاسْتَبَدَّ بِهِ — شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ وَالشَّجَنُ
وَدُونَ مَا تَبْغِيهِ النَّفْسُ مِنْ أَرَبٍ — بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصُنُ
وَفِي الأَكِلَّةِ آرَامٌ تُطِيفُ بِهَا — أُسْدٌ بَرَاثِنُهَا الْخَطِّيَّةُ اللُّدُنُ
مِنْ كُلِّ حَوْرَاءَ مِثْلِ الظَّبْيِ لَوْ نَظَرَتْ — لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهْوُ وَالدَّدَنُ
فِي نَشْوَةِ الرَّاحِ مِنْ أَلْحَاظِهَا أَثَرٌ — وَفِي الْجَآذِرِ مِنْ أَلْفَاظِهَا غُنَنُ
دَقَّتْ وَجَلَّتْ وَلانَتْ وَهْيَ قَاسِيَةٌ — كَذَاكَ حَدُّ الْمَوَاضِي لَيِّنٌ خَشِنُ
طَوَتْ بِهِنَّ النَّوَى عَنِّي بُدُورَ دُجًى — لا يَسْتَبِينُ لِعَيْنِي بَعْدَهَا سَنَنُ

أَتْبَعْتُهُمْ نَظَرَاتٍ كُلَّمَا بَلَغَتْ ... أُخْرَى الْحُمُولِ ثَنَاهَا مَدْمَعٌ هُتُنُ

يَا رَاحِلِينَ وَفِي أَحْدَاجِهِمْ قَمَرٌ ... يَكَادُ يَعْبُدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الْوَثَنُ

مُنُّوا عَلَيَّ بِوَصْلٍ أَسْتَعِيدُ بِهِ ... مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ

أَوْ فَاسْمَحُوا لِي بِوَعْدٍ إِنْ وَنَتْ صِلَةٌ ... فَالْوَعْدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرِنُ

لَمْ أَلْقَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَوْمًا أُسَرُّ بِهِ ... كَأَنَّ كُلَّ سُرُورٍ بَعْدَكُمْ حَزَنُ

يَا جِيرَةَ الْحَيِّ مَا لِي لا أَنَالُ بِكُمْ ... مَعُونَةً وَبِكُمْ فِي النَّاسِ يُعْتَوَنُ

مَاذَا عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَادِرَةٍ ... إِذَا تَرَنَّمَ فِيكُمْ شَاعِرٌ فَطِنُ

أَفِي السَّوِيَّةِ أَنْ يَبْكِي الْحَمَامُ وَلا ... يَبْكِي عَلَى إِلْفِهِ ذُو لَوْعَةٍ ضَمِنُ

يَا حَبَّذَا مِصْرُ لَوْ دَامَتْ مَوَدَّتُهَا ... وَهَلْ يَدُومُ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى سَكَنُ

تَاللهِ مَا فَارَقَتْهَا النَّفْسُ عَنْ مَلَلٍ ... وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ لَهَا إِحَنُ

فَلا يَسُرَّ عُدَاتِي مَا بُلِيتُ بِهِ ... فَسَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرِيَ الْحَسَنُ

ظَنُّوا ابْتِعَادِيَ إِغْفَالًا لِمَنْقَبَتِي ... وَذَاكَ عِزٌّ لَهَا لَوْ أَنَّهُمْ فَطَنُوا

فَإِنْ أَكُنْ سِرْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي ... فَالنَّاسُ أَهْلِي وَكُلُّ الأَرْضِ لِي وَطَنُ

لا يَطْمِسُ الْجَهْلُ مَا أَثْقَبْتُ مِنْ شَرَفٍ ... وَكَيْفَ يَحْجُبُ نُورَ الْجَوْنَةِ الدَّخَنُ

قَدْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامًا وَإِنْ تَرِبُوا ... وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَامًا وَإِنْ خَزَنُوا

فَرُبَّ مَيْتٍ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَمٌ ... وَرُبَّ حَيٍّ لَهُ مِنْ جَهْلِهِ كَفَنُ

فَلا تَغُرَّنْكَ أَشْبَاهٌ تَمُرُّ بِهَا ... هَيْهَاتَ مَا كُلُّ طِرْفٍ سابِقٌ أَرِنُ

فَلا مَلامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ ... فَكُلُّنَا بِيَدِ الأَقْدَارِ مُرْتَهَنُ

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ ... لَعَاشَ حُرًّا وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْمِحَنُ

وَأَيُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ ... يَبْقَى وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يُمْتَهَنُ

كُلُّ امْرِئٍ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ ... بِأَسْهُمٍ لا تَقِي أَمْثَالَهَا الْجُنَنُ

فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ ... فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى مَا فَاتَ أَحْتَزِنُ

غَنِيتُ عَمَّا يُهِينُ النَّفْسَ مِنْ عَرَضٍ ... فَمَا عَلَيَّ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى مِنَنُ

لَكِنَّنِي بَيْنَ قَوْمٍ لا خَلاقَ لَهُمْ ... إِنْ عَاقَدُوا غَدَرُوا أَوْ عَاشَرُوا دَهَنُوا

يُخْفُونَ مِنْ حَسَدٍ مَا فِي نُفُوسِهِمُ ... وَيُظْهِرُونَ خِدَاعًا غَيْرَ مَا بَطَنُوا

يَا لَلْحُمَاةِ أَمَا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ ... وَارِي الضَّمِيرِ لَهُ عَقْلٌ بِهِ يَزِنُ

أَكُلَّ خِلٍّ أَرَاهُ لا وَفَاءَ لَهُ ... وَكُلَّ قَلْبٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُضْطَغِنُ

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَعْهَدُهُ ... فَالْيَوْمَ لا أَدَبٌ يُغْنِي وَلا فِطَنُ
فَالْخَيْرُ مُنْقَبِضٌ وَالشَّرُّ مُنْبَسِطٌ ... وَالْجَهْلُ مُنْتَشِرٌ وَالْعِلْمُ مُنْدَفِنُ
لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ سَلِيمًا فِي مَوَدَّتِهِ ... كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ دَخَنُ
طَوَاهُمُ الْغِلُّ طَيَّ الْقِدِّ وَانْتَشَرَتْ ... بِالْغَدْرِ بَيْنَهُمُ الأَحْقَادُ وَالدِّمَنُ
فَلا صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ ... وَلا رَفِيقَ عَلَى الأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ
بَلَوْتُهُمْ فَسَئِمْتُ الْعَيْشَ وَانْصَرَفَتْ ... نَفْسِي عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي شَجَنُ
فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنْتُ أَمْلِكُهُ ... فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمَنُ
كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سِلْمًا نَجَوْتُ بِهِ ... وَرُبَّ مَخْشِيَّةٍ فِي طَيِّهَا أَمَنُ
لَعَلَّ مُزْنَةَ خَيْرٍ تَسْتَهِلُّ عَلَى ... رَوْضِ الأَمَانِي فَيَحْيَا الأَصْلُ وَالْفَنَنُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ بَدْءٌ وَعَاقِبَةٌ ... وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ الزَّمَنُ

وَقَالَ يَذْكُرُ سَفَرَهُ مَعَ الْجُنْدِ الْمِصْرِيِّ إِلَى جَزِيرَةِ «أَقْرِيطِش» سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ هِجْرِيَّة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) حِينَ خَرَجَ سُكانُهَا عَن الطَّاعَةِ: (من الكامل)

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ ... وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الْفُرْسَانِ
وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبٌ ... فَوْقَ الْمَتَالِعِ وَالرُّبَا بِجِرَانِ
لا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ ... إِلَّا اشْتِعَالَ أَسِنَّةِ الْمُرَّانِ
نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ
فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... تَهْدَارُ سَامِرَةٍ وَعَزْفُ قِيَانِ
تَسْتَنُّ عَادِيَةٌ وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ ... وَتَصِيحُ أَحْرَاسٌ وَيَهْتِفُ عَانِي
قَوْمٌ أَبَى الشَّيْطَانُ إِلَّا نَزْعَهُمْ ... فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
مَلأُوا الْفَضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرٍ ... غَيْرُ الْتِمَاعِ الْبِيضِ وَالْخُرْصَانِ
فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ ... وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِي
وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا ... لِطِرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ
وَضَعُوا السِّلاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا ... يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسُنِ النِّيرانِ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ وَارْتَمَتْ ... عَيْنَايَ بَيْنَ رُبًى وَبَيْنَ مَحَانِي
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسِنَّةٌ وَإِذَا الْوِهَا ... دُ أَعِنَّةٌ وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتَهَابَ فَامْتَنَعَتْ عَلَى الأَرْسَانِ

فَزِعَتْ فَرَجَّعَتِ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا ... تَحْنَانُهَا شَجَنٌ مِنَ الأشْجَانِ
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ ... مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ
وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ وَإِنْ هِيَ صَادَفَتْ ... خَلَفًا بِأَوَّلِ صَاحِبٍ وَمَكَانِ
فَسَقَى السِّمَاكُ مَحَلَّةً وَمَقَامَةً ... فِي مِصْرَ كُلَّ رَوِيَّةٍ مِرْنَانِ
حَتَّى تَعُودَ الأرْضُ بَعْدَ مُحُولِهَا ... شَتَّى النَّمَاءِ كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ
بَلَدٌ خَلَعْتُ بِهَا عِذَارَ شَبِيبَتِي ... وَطَرَحْتُ فِي يُمْنَى الْغَرَامِ عِنَانِي
فَصَعِيدُهَا أَحْوَى النَّبَاتِ وَسَرْحُهَا ... أَلْمَى الظِّلالِ وَزَهْرُهَا مُتَدَانِي
فَارَقْتُهَا طَلَبًا لِمَا هُوَ كَائِنٌ ... وَالْمَرْءُ طَوْعُ تَقَلُّبِ الأَزْمَانِ
حَمَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَجْنِهِ ... إِنَّ الأَمَاثِلَ عُرْضَةُ الْحِدْثَانِ
نَقَمُوا عَلَيَّ وَقَدْ فَتَكْتُ شَجَاعَتِي ... إِنَّ الشَّجَاعَةَ حِلْيَةُ الْفِتْيَانِ
فَلْيَهْنَإِ الدَّهْرُ الْغَيُورُ بِرِحْلَتِي ... عَنْ مِصْرَ وَلْتَهْدَأْ صُرُوفُ زَمَانِي
فَلَئِنْ رَجَعْتُ وَسَوْفَ أَرْجِعُ وَاثِقًا ... بِاللهِ أَعْلَمْتُ الزَّمَانَ مَكَانِي
صَادَفْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ حَتَّى خَانَنِي ... وَحَفِظْتُ مِنْهُ مَغِيبَهُ فَرَمَانِي
زَعَمَ النَّصِيحَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ بِهِ ... غِشًّا وَجَازَى الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ
فَلْيَجْرِ بَعْدُ كَمَا أَرَادَ بِنَفْسِهِ ... إِنَّ الشَّقِيَّ مَطِيَّةُ الشَّيْطَانِ
وَكَذَا اللَّئِيمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً ... عَادَى الصَّدِيقَ وَمَالَ بِالإِخْوَانِ
كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي عَلَى أَعْرَاقِهِ ... وَالطَّبْعُ لَيْسَ يَحُولُ فِي الإِنْسَانِ
فَعَلامَ يَلْتَمِسُ الْعَدُوُّ مَسَاءَتِي ... مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفَ الْخَلائِقُ شَانِي
أَنَا لا أَذِلُّ وَإِنَّمَا يَزَعُ الْفَتَى ... فَقْدُ الرَّجَاءِ وَقِلَّةُ الأَعْوَانِ
فَلْيَعْلَمَنَّ أَخُو الْجَهَالَةِ قَصْرَهُ ... عَنِّي وَإِنْ سَبَقَتْ بِهِ قَدَمَانِ
فَلَرُبَّمَا رَجَحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْحَصَى ... بِالدُّرِّ عِنْدَ تَمَاثُلِ الْمِيزَانِ
شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَأَخْطَأَ حَاسِدٌ ... مَسْعَاتَهُ فَهَذَى بِهِ وَقَلانِي

وَقَالَ فِي صِباه: (من الوافر)

صَبَوْتُ إِلَى الْمُدَامَةِ وَالْغَوَانِي ... وَحَكَّمْتُ الْغَوَايَةَ فِي عِنَانِي
وقُلْتُ لِعِفَّتِي بَعْدَ امْتِنَاعٍ ... إِلَيْكِ فَقَدْ عَنَانِي مَا عَنَانِي
فَمَا لِي عَنْ هَوَى الْحَسْنَاءِ صَبْرٌ ... يُوَقِّرُ عِنْدَ سَوْرَتِهِ جَنَانِي

وَكَيْفَ يَضِيقُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ ... كُئُوسُ هَوًى مِنَ الْحَدْقِ الْحِسَانِ

أَعَاذِلُ خَلِّنِي وَشُئُونَ قَلْبِي ... وَخُذْ مَا شِئْتَهُ فِي أَيِّ شَانِ

فَقَدْ شَبَّ الْهَوَى مَنْ رَامَ نُصْحِي ... وَأَغْرَى فِي الْمَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي

رَضِيتُ مِنَ الْهَوَى بِنُحُولِ جِسْمِي ... وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالأَمَانِي

وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلًّا ... يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي

بَلَوْتُ النَّاسَ وَاسْتَخْبَرْتُ عَنْهُم ... صُرُوفَ الدَّهْرِ آنًا بَعْدَ آنِ

فَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ أَخِي كِذَابٍ ... خَلُوبِ الْوُدِّ مَصْنُوعِ الْحَنانِ

يُصَرِّحُ بِالْعَدَاوَةِ وَهْوَ نَاءٍ ... وَيَمْذُقُ فِي الْمَحَبَّةِ وَهْوَ دَانِي

لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ لِسَانٌ ... يَدُورُ بِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ

فَلا تَأْمَنْ عَلَى نَجْوَاكَ صَدْرًا ... فَرُبَّ خَدِيعَةٍ تَحْتَ الأَمَانِ

وَلا يَغْرُرْكَ قَوْلٌ دُونَ فِعْلٍ ... فَإِنَّ الْحُسْنَ قُبْحٌ فِي الْجَبَانِ

وَمَا أَنَا وَالطِّبَاعُ لَهَا انْخِدَاعٌ ... بِذِي تَرَفٍ يُرَوَّعُ بِالشِّنَانِ

رَغِبْتُ بِشِيمَتِي وَعَرَفْتُ نَفْسِي ... وَلَمْ أَدْخُلْ لَعَمْرُكَ فِي قِرَانِ

وَمَا شُرْبِي الْمُدَامَ هَوًى وَلَكِنْ ... عَقَدْتُ بِحَدِّ سَوْرَتِهَا لِسَانِي

مَخَافَةَ أَنْ تَهِيجَ بَنَاتِ صَدْرِي ... فَيَظْهَرَ بَعْضُ سِرِّي لِلْعَيانِ

وَفِيمَ وَقَدْ بَلَوْتُ الدَّهْرَ أَبْغِي ... صَدِيقًا أَوْ أَحِنُّ إِلَى مَكَانِ

وَلَسْتُ أَرَى سِوَى صُبْحٍ وَجُنْحٍ ... إِلَيْنَا بِالرَّدَى يَتَسَابَقَانِ

فَيَا مَنْ ظَنَّ بِالأَيَّامِ خَيْرًا ... رُوَيْدَكَ فَهْيَ أَقْرَبُ لِلْحِرَانِ

أَتَرْغَبُ فِي السَّلامَةِ وَهْيَ دَاءٌ ... وَتَجْمَعُ لِلْبَقَاءِ وَأَنْتَ فَانِي

دَعِ الدُّنْيَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْهَا ... إِذَا اعْتَكَرَتْ بِصَافِيَةِ الدِّنَانِ

فَإِنَّ الرَّاحَ رَاحَةُ كُلِّ نَفْسٍ ... إِذَا دَارَتْ عَلَى نَغَمِ الْقِيَانِ

مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا ... أَفَانِينٌ مِنَ الْعُصُرِ الْفَوَانِي

تَخَالُ وَمِيضَهَا فِي الْكَأْسِ نَارًا ... فَتَلْمِسُهَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ

فَخُذْهَا غَيْرَ مُدَّخِرٍ نَفِيسًا ... فَلَيْسَ الْعُمْرُ يَدْخُلُ فِي ضَمَانِ

وَخَلِّ النَّاسَ عَنْكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ ... سَلِيمُ الْقَلْبِ عِندَ الامْتِحَانِ

تَمَاثِيلٌ تَدُورُ بِلا عُقُولٍ ... وَأَلْفَاظٌ تَمُرُّ بِلا مَعَانِي

تَشَابَهَتِ الأَسَافِلُ بِالأَعَالِي ... فَمَا يُدْرَى الْهَجِينُ مِنَ الهِجَانِ

تَرَى كُلَّ ابْنِ أُنْثَى لا يُبَالِي ... بِمَا جَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَانِ
يُدِلُّ بِنَفْسِهِ إِنْ غِبْتُ عَنْهُ ... وَيَشْرَقُ بِالزُّلالِ إِذَا رَآنِي
فَمَنْ لِي وَالأَمَانِي كَاذِبَاتٌ ... بِيَوْمٍ فِي الْكَرِيهَةِ أَرْوَنَانِ
أُلاعِبُ فِيهِ أَطْرَافَ الْعَوالِي ... وَأُطْلِقُ بَيْنَ هَبْوَتِهِ حِصَانِي
تَرَانِي فِيهِ أَوَّلَ كُلِّ دَاعٍ ... وَيَرْتَفِعُ الْغُبَارُ فَلا تَرَانِي
إِلَى أَنْ تَنْجَلِي الْغَمَرَاتُ عَنْهُ ... وَيَعْرِفَنِي بِفَتْكِي مَنْ بَلانِي
أَنَا ابْنُ اللَّيْلِ والْخَيْلِ الْمَذَاكِي ... وَبِيضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ
إِذَا عَيْنٌ أَجَدَّ بِهَا طِمَاحٌ ... جَعَلْتُ مَكَانَ حَبَّتِهَا سِنَانِي

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الوَطَنِ وَيَذكُرُ صَدِيقًا لَهُ: (من المنسرح)

وَا طُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ ... وَإِنْ عَرَتْنِي بِحُبِّكَ الْمِحَنُ!
أَنْتَ الْمُنَى وَالْحَدِيثُ إِنْ أَقْبَلَ الصـ ... ـصُبْحُ وَهَمِّي إِنْ رَنَّقَ الْوَسَنُ
فَكَيْفَ أَنْسَاكَ بِالْمَغِيبِ وَلِي ... فِيكَ فُؤَادٌ بِالْحُبِّ مُرْتَهَنُ
لَسْتُ أُبَالِي وَقَدْ سَلِمْتَ عَلَى الدَ ... هْرِ إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزَنُ
لَيْتَ بَرِيدَ الْحَمَامِ يُخْبِرُنِي ... عَنْ أَهْلِ وُدِّي فَلِي بِهِمْ شَجَنُ
أَهُمْ عَلَى الْوُدِّ أَمْ أَطَافَ بِهِمْ ... وَاشٍ أَرَاهُمْ خِلافَ مَا يَقِنُوا
فَإِنْ نَسُونِي فَذُكْرَتِي لَهُمُ ... وَكَيْفَ يَنْسَى حَيَاتَهُ الْبَدَنُ
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَضْيَعَةٍ ... تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ والإِحَنُ
بَيْنَ أُنَاسٍ إِذَا وَزَنْتَهُمُ ... بِالذَّرِّ عِنْدَ الْبَلاءِ مَا وَزَنُوا
لا فِي مَوَدَّاتِهِمْ إِذَا صَدَقُوا ... رِبْحٌ وَلا فِي فِرَاقِهِمْ غَبَنُ
مِنْ كُلِّ فَظٍّ يَلُوكُ فِي فَمِهِ ... مُضْغَةَ سُوءٍ مِزَاجُهَا عَفِنُ
يَنْضَحُ شِدْقَاهُ بِالرُّؤَالِ كَمَا ... عُلَّ بِنَضْحِ الْعَتِيرَةِ الْوَثَنُ
شُعْثٌ عُرَاةٌ كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا ... مِنْ نَفَقِ الأَرْضِ بَعْدَ مَا دُفِنُوا
لا يُحْسِنُونَ الْمَقَالَ إِنْ نَطَقُوا ... جَهْلًا وَلا يَفْقَهُونَ إِنْ أَذِنُوا
أَرَى بِهِمْ وَحْشَةً إِذَا حَضَرُوا ... وَطِيبَ أُنْسٍ إِذَا هُمُ ظَعَنُوا
وَكَيْفَ لِي بِالْمُقَامِ فِي بَلَدٍ ... مَا لِي بِهَا صَاحِبٌ وَلا سَكَنُ
كُلُّ خَلِيلٍ لِخِلِّهِ وَزَرٌ ... وَكُلُّ دَارٍ لأَهْلِهَا أَمَنُ

فَـهَـلْ إِلَـى عَـوْدَةٍ أَلُـمُّ بِـهَـا   شَـمْـلِـي وَأَلْـقَـى مُـحَـمَّـدًا سَـنَـنُ
ذَاكَ الـصَّـدِيـقُ الَّـذِي وَثِـقْـتُ بِـهِ   فَـهْـوَ بِـشُـكْـرِي وَمِـدْحَـتِـي قَـمِـنُ
عَـاشَـرْتُـهُ حِـقْـبَـةً فَـأَنْـجَـدَنِـي   مِـنْـهُ الْـحِـجَـا وَالْـبَـيَـانُ وَاللَّـسَـنُ
وَهْـوَ إِلَـى الْـيَـوْمِ بَـعْـدَ مَـا عَـلِـقَـتْ   بِـيَ الـرَّزَايَـا مُـخَـيِّـلٌ هُـتُـنُ
يَـنْـصُـرُنِـي حَـيْـثُ لا يَـكَـادُ حَـمٌ   يَـمْـنَـحُـنِـي وُدَّهُ وَلا خَـتَـنُ
قَـدْ كَـانَ ظَـنِّـي يُـسِـيءُ بِـالـنَّـاسِ لَـوْ   لاهُ وَفَـرْدٌ يَـحْـيَـا بِـهِ الـزَّمَـنُ
فَـهْـوَ لَـدَى الْـمُـعْـضِـلاتِ مُـسْـتَـنَـدٌ   وَعِـنْـدَ فَـقْـدِ الـرَّجَـاءِ مُـؤْتَـمَـنُ
نَـمَّـتْ عَـلَـى فَـضْـلِـهِ شَـمَـائِـلُـهُ   وَنَـفْـحَـةُ الْـوَرْدِ سِـرُّهَـا عَـلَـنُ
لَـوْ كَـانَ يَـعْـلُـو الـسَّـمَـاءَ ذُو شَـرَفٍ   لَـكَـانَ بِـالـنَّـيِّـرَاتِ يَـقْـتَـرِنُ
فَـلْـيَـحْـيَ حُـرًّا مُـمَـتَّـعًـا بِـجَـمِـيـ   ـلِ الـذِّكْـرِ فَـالـذِّكْـرُ مَـفْـخَـرٌ حَـسَـنُ

وَقَالَ أَيْضًا فِي صِبَاهُ: (من البسيط)

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِزْلانِ الْحِمَى رَسَنِي   وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْلِ الْهَوَى وَسَنِي
وَأَعْجَبَتْنِي عَلَى ذَمِّ الْعَذُولِ لَهَا   صَبَابَةٌ نَقَلَتْ سِرِّي إِلَى الْعَلَنِ
فَلْيَبْلُغِ الْعَذْلُ مِنِّي مَا أَرَادَ فَقَدْ   أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بَدَنِي
تِلْكَ الْحَمَائِمُ لَوْ تَدْرِي بِمَا لَقِيَتْ   أَهْلُ الْمَحَبَّةِ لَمْ تَسْجَعْ عَلَى فَنَنِ
يَا رَبَّةَ الْخِدْرِ قُومِي فَانْظُرِي عَجَبًا   إِلَى غَرَائِبَ لَمْ تُقْدَرْ وَلَمْ تَكُنِ
هَذِي يَدِي جَسَّهَا الآسِي وَخَامَرَهُ   يَأْسٌ فَغَادَرَهَا صَرْعَى مِنَ الْوَهَنِ
وَقَالَ لا تَكْتُمَنْ أَمْرًا عَلَيَّ فَقَدْ   عَلِمْتُ مَا بِكَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنِ
فَلَمْ أُجِبْ غَيْرَ أَنَّ الدَّمْعَ نَمَّ عَلَى   وَجْدِي وَدَلَّتْهُ أَنْفَاسِي عَلَى شَجَنِي
عَطْفًا عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكِ سِوَى   أَنْ أُمْتِعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِكِ الْحَسَنِ
مَا لِلْعَذُولِ رَأَى وَجْدِي فَأَحْفَظَهُ   حَتَّى أَتَاكُمْ بِقَوْلٍ مِنْ هَنٍ وَهَنِ
لا تَقْبَلِي الْعَذْلَ فِي مِثْلِي فَكُلُّ فَتًى   حُرِّ الشَّمَائِلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْلِ الْفَضْلِ مُذْ خُلِقُوا   مِنْ عَهْدِ آدَمَ سَبَّاقُونَ فِي الإِحَنِ
فَلا صَدِيقَ عَلَى وُدٍّ بِمُتَّفِقٍ   وَلا خَلِيلَ عَلَى سِرٍّ بِمُؤْتَمَنِ
فَلَيْتَ لِي وَدَوَاعِي النَّفْسِ كَاذِبَةٌ   خِلًّا يَكُونُ سُرُورَ الْعَيْنِ وَالأُذُنِ
أُصْفِيهِ وُدِّي وَأُمْلِيهِ الْهَوَى وَأَرَى   مِنْهُ الصَّوَابَ وَأَرْجُوهُ عَلَى الزَّمَنِ

هَيْهَاتَ أَطْلُبُ أَمْرًا لَيْسَ يَبْلُغُهُ ... حَيٌّ وَلَوْ سَارَ مِنْ هِنْدٍ إِلَى يَمَنِ

مَهْلًا أَخَا الجَهْلِ لا يُغْوِيكَ مَا نَظَرَتْ ... عَيْنَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

هَذِي الْبَرِيَّةُ فَانْظُرْ إِنْ وَجَدْتَ بِهَا ... غَيْرَ الَّذِي قُلْتُ فَاهْجُرْنِي وَلا تَرَنِي

أَنَا الَّذِي عَرَفَ الأَيَّامَ وَانْكَشَفَتْ ... لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُخْتَزَنِ

طُفْتُ الْبِلادَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ ... أَرْكَنْ لِخِلٍّ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى سَكَنِ

خُلِقْتُ حُرًّا فَلا قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ ... عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلا عِرْضِي بِمُمْتَهَنِ

لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى ... دَهْرِي فَقَدَّمَ مَنْ دُونِي وَأَخَّرَنِي

وَهَذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ ... أَنِّي أَرَى مِحْنَتِي فِيهَا وَتُعْجِبُنِي

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ ... يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمْضِي مِنَ الْحَزَنِ

فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِنًا ... وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ

وَلا تَفُهْ بِحَدِيثِ النَّفْسِ إِنَّ بِهِ ... شَرَّ الْحَيَاةِ وَسَعْيَ الْحَاسِدِ الأَفِنِ

وَلا تَسَلْ أَحَدًا عَوْنًا عَلَى أَمَلٍ ... حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشُّكْرِ وَالْمِنَنِ

خَيْرُ الْمَعِيشَةِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً ... هَوْنًا وَثَوْبُكَ مَعْصُومٌ مِنَ الدَّرَنِ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى فَإِنْ عَرَضَتْ ... إِسَاءَةٌ فَتَغَمَّدْهَا عَلَى الظِّنَنِ

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِهِ ... فَضْلٌ يَطِيرُ بِهِ شُكْرٌ بِلا ثَمَنِ

وَقَالَ يَفْتَخِرُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ: (من الكامل)

أَحْبِبْ بِهِنَّ مَعَاهِدًا وَمَغَانَا ... كَانَتْ مَنَازِلُنَا بِهَا أَحْيَانَا

دِمَنٌ عَفَتْ بَعْدَ الأَنِيسِ فَأَصْبَحَتْ ... لِلْجَازِئَاتِ مِنَ الظِّبَاءِ مَكَانَا

وَلَقَدْ نَرَى فِيهَا مَلاعِبَ لَمْ تَزَلْ ... تُشْجِي الْفُؤَادَ وَلا نَرَى إِنْسَانَا

عَرَفَتْ بِهَا الْجُرْدُ الْعِتَاقُ مَجَالَهَا ... فَغَدَتْ تُحَمْحِمُ رِقَّةً وَحَنَانَا

بِتْنَا بِهَا مُتَسَانِدِينَ عَلَى الثَّرَى ... نَصِفُ الْكَلالَ وَنَذْكُرُ الإِخْوَانَا

أَيَّامَ لا يَرِدُ الْجِمَامَ لِعِزِّهَا ... أَحَدٌ وَلا يَرْعَى الْجَمِيمَ سِوَانَا

فِي مَعْشَرٍ رَسَخَتْ حَصَاةُ حُلُومِهِمْ ... أَدَبًا وَخَفُّوا لِلْوَغَى فُرْسَانَا

قَرَنُوا الشَّجَاعَةَ بِالسَّمَاحَةِ فَاغْتَدُوا ... قَيْدَ الْمَحَامِدِ شِدَّةً وَلِيَانَا

طَلَعُوا عَلَى الزَّمَنِ الْبَهِيمِ فَأَثْقَبُوا ... نَارَ الْفَضَائِلِ حُجَّةً وَبَيَانَا

مِنْ كُلِّ مَشْبُوبٍ تَخَالُ لِسَانَهُ ... عِنْدَ التَّخَاصُمِ فِي النَّدِيِّ سِنَانَا

إِنْ قَـالَ بَـرَّ وَإِنْ أَتَـاهُ مُـطَـرَّدٌ آوَى وَإِنْ سُـئِلَ الْـكَـرَامَـةَ لانَـا
أَنَا مِـنْـهُـمُ وَالْـعُـودُ يَـتْـبَـعُ أَصْـلَـهُ وَابْنُ الْهَجِينَةِ لا يَكُونُ هِجَانَا
فَاكُوِ الْحَسُودَ بِنَاظِرَيْهِ وَقُلْ لَهُ إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُنَا فَكَيْفَ تَرَانَا
إِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُهَا نَحْمِي النَّزِيلَ وَنَمْنَعُ الْجِيرَانَا
وَنَرُدُّ عَادِيَةَ الْخَمِيسِ بِأَنْفُسٍ عَلِمَتْ بِأَنَّ مِنَ الْحَيَاةِ هَوَانَا
فَتَرَى عِتَاقَ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا قُبَّ الْبُطُونِ تُنَازِعُ الأَرْسَانَا
مَشَقَ الطِّرَادُ لُحُومَهُنَّ فَلَمْ يَدَعْ إِلَّا خَـوَاصِـرَ كَـالْـقِـسِـيِّ مِـتَـانَـا
مِنْ كُلِّ مُنْتَصِبٍ عَلَى أَقْيَادِهِ مُـتَـطَـلِّـعٍ يَـتَـنَـظَّـرُ الْـحَـدَثَـانَـا
بَـذَخَـتْ قَـوَائِـمُـهُ وَأَقْـبَـلَ مَـتْـنُـهُ وَانْـضَـمَّ كَـلْـكَـلُـهُ وَطَـالَ عِـنَـانَـا
فَـإِذَا عَـلا حَـزْنًـا أَطَـارَ شَـرَارَهُ وَإِذَا أَتَـى سَـهْـلًا أَطَـارَ دُخَـانَـا
وَالْخَيْلُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ يَومَ الْوَغَى وَالـسِّـلْـمِ تَـبْـعَـثُ غَـارَةً وَرِهَـانَـا
فَعَلَى بُطُونِ خِيَارِهَا أَرْزَاقُنَا وَعَلَى ظُهُورِ جِيَادِهَا مُغْدَانَا
هَذَا الْفَخَارُ فَدُرْ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُمَا دارَ الزَّمَانُ فَلَنْ تَرَى نُقْصَانَا

وَقَالَ: (من المديد)

يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْوَسَنِ مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ شَجَنِي
كَيْفَ لا تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ شَـفَّـهُ بَـرْحٌ مِـنَ الْـحَـزَنِ
هَبْكَ لَمْ تَسْمَعْ شَكَاةَ فَمِي أَوَ لَمْ تُبْصِرْ ضَنَى بَدَنِي
يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ لِفَتًى بِـيَـدِ الأَشْـوَاقِ مُـرْتَـهَـنِ
رَعَتِ الأَشْوَاقُ مُهْجَتَهُ وَبَرَاهُ الْوَجْدُ فَهْوَ ضَنِي
آهِ مِنْ ظَبْيٍ خَلَعْتُ بِهِ فِي مَيَادِينِ الْهَوَى رَسَنِي
سَاحِرُ الْعَيْنَيْنِ مَا بَرِحَتْ لَحْظَتَاهُ مَصْدَرَ الْفِتَنِ
سَلَكَتْ بَعْضُ الْوَشَاةِ بِهِ مِنْ نَمِيمِ الْغَيِّ فِي سَنَنِ
صَرَفُوهُ عَنْ طَبِيعَتِهِ وَعِنَانُ الْقَلْبِ فِي الأُذُنِ
وَقَرِينُ السُّوءِ مَجْلَبَةٌ لِدَوَاعِي الْهَمِّ وَالْمِحَنِ
فَاتْرُكِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى صَاحِبًا إِلَّا عَلَى دَخَنِ
مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظِّنَنِ

وَقَالَ: (من الوافر)

أَطَعْتُ الْغَيَّ فِي حُبِّ الْغَوَانِي ... وَلَمْ أَحْفِلْ مَقَالَةَ مَنْ نَهَانِي
وَمَا لِي لا أَهِيمُ وَكُلُّ شَهْمٍ ... بِحُبِّ الْغِيدِ مَشْغُوفُ الْجَنَانِ
وَلِي فِي الأَرْبَعِينَ مَجَالُ لَهْوٍ ... تَنَالُ يَدِي بِهِ عَقْدَ الرِّهَانِ
فَكَيْفَ أَذُودُ عَنْ نَفْسِي غَرَامًا ... تَضَيَّفَ مُهْجَتِي بِاسْمِ الحِسَانِ
أَبَحْتُ لَهُ الْفُؤَادَ فَعَاثَ فِيهِ ... وَحَقُّ الضَّيْفِ إِعْزَازُ الْمَكَانِ
فَدَعْنِي مِنْ مَلامِكَ إِنَّ قَلْبِي ... أَبِيٌّ لا يَقُرُّ عَلَى الْهَوَانِ
فَمَا بِالْحُبِّ عَارٌ أَتَّقِيهِ ... وَإِنْ أَخْنَى عَلَى دَمْعِي زَمَانِي
رَضِيتُ مِنَ الْهَوَى بِنُحُولِ جِسْمِي ... وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالأَمَانِي
وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلًّا ... يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي
فَإِنْ يَكُنِ الْهَوَى قَدْ رَاضَ نَفْسِي ... فَلَسْتُ لِغَيْرِهِ سَلِسَ الْعِنَانِ
أَشَدُّ مِنَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَلْبِي ... وَأَرْهَفُ مِنْ شَبَا سَيْفِي لِسَانِي
وَلَوْ كَانَ الْغَرَامُ يَخَافُ بَأْسًا ... أَمَلْتُ إِلَيْهِ كَفِّي بِالسِّنَانِ
فَكَمْ بَطَلٍ خَضَبْتُ الأَرْضَ مِنْهُ ... بِأَحْمَرَ مِنْ دَمِ التَّأْمُورِ قَانِي
وَمَا أَنَا بِالذَّلِيلِ أَرَدْتُ خَتْلًا ... وَلَكِنِّي أَزِفُّ إِلَى الطِّعَانِ
وَلِي فِي «سَرْنَسُوفَ» مَقَامُ صِدْقٍ ... أَقَرَّ بِهِ إِلَيَّ الْخَافِقَانِ
وَمَا أَبْقَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ مِنِّي ... سِوَى رَمَقٍ تَجُولُ بِهِ الأَمَانِي
وَيَسْلُبُ أَنْفُسَ الأَبْطَالِ سَيْفِي ... وَتَسْلُبُ مُهْجَتِي حَدَقُ الْحِسَانِ
فَلَوْ بَرَزَ الْحِمَامُ إِلَيَّ شَخْصًا ... دَلَفْتُ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي

وَقَالَ يَرْثِي المرحومَ عَلِيَّ رِفَاعَةَ بَاشَا: (من الطويل)

نَعَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ... فَقَدْ أَقْصَدَتْهُ أَسْهُمُ الْحَدَثَانِ
مَضَى وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ فِي مَأْتَمٍ ... عَلَى الْفَضْلِ نَبْكِيهِ بِأَحْمَرَ قَانِي
فَلا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ بِالدَّمْعِ ثَرَّةٌ ... وَلا قَلْبَ إِلَّا وَهْوَ ذُو خَفَقَانِ
حِفَاظًا وَإِشْفَاقًا عَلَى مُتَرَحِّلٍ ... خَلَتْ أَرْبُعٌ مِنْ شَخْصِهِ وَمَغَانِي
فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ الظِّمَاءِ شَرَابَهُمْ ... بِدَيْمُومَةٍ وَالْوِرْدُ لَيْسَ بِدَانِي

فَيَا لِلْعُلَا كَيْفَ اسْتُبِيحَ ذِمَارُهَا   وَلِلْفَضْلِ إِذْ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوانِ؟!
لَعَمْرِي لَقَدْ هَاجَ الأَسَى بَعْدَ فَقْدِهِ   بِنَا لَوْعَةً لا تَنْثَنِي بِعِنَانِ
ضَمَانٌ عَلَى قَلْبِي صِيَانَةُ عَهْدِهِ   وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لا يَفِي بِضَمَانِ
تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْقَى مَآثِرًا   يُقِرُّ لَهَا بِالْفَضْلِ كُلُّ لِسَانِ
فَإِنْ يَكُ أَوْدَى فَهْوَ حَيٌّ بِفَضْلِهِ   وَمَنْ كَانَ مَذْكُورًا فَلَيْسَ بِفَانِي
وَأَيُّ امْرِئٍ يَبْقَى وَدُونَ بَقَائِهِ   نَهَارٌ وَلَيْلٌ بِالرَّدَى يَفِدَانِ
أَلا قَاتَلَ اللهُ الْحَيَاةَ فَإِنَّهَا   إِلَى الْمَوْتِ أَدْنَى مِنْ فَمٍ لِبَنَانِ
إِذَا مَا بَنَانَا الدَّهْرُ ظَلَّتْ صُرُوفُهُ   تُهَدِّمُنَا وَالدَّهْرُ أَغْدَرُ بَانِي
تُخَادِعُنَا الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَلَمْ نَخَلْ   بِأَنَّ الرَّدَى حَتْمٌ عَلَى الْحَيَوَانِ
إِذَا مَا الأَبُ الأَعْلَى مَضَى لِسَبِيلِهِ   فَمَا لِبَنِيهِ بِالْبَقَاءِ يَدَانِ
لَقَدْ فَجَعَتْنَا أُمُّ دَفْرٍ وَمَا دَرَتْ   بِأَرْوَعَ مِنْ نَسْلِ النَّبِيِّ هِجَانِ
سَلِيمُ نَوَاحِي الصَّدْرِ لا يَسْتَفِزُّهُ   نِزَاعٌ إِلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ
يُعَاشِرُ بِالْحُسْنَى فَإِنْ رِيبَ لَمْ يَفُهْ   بِسُوءٍ وَلَمْ تَرْمِزْ لَهُ شَفَتَانِ
لَقَدْ كَانَ خِلًّا لا يُشَانُ بِغَدْرَةٍ   وَصَاحِبَ غَيْبٍ طَاهِرٍ وَعِيَانِ
إِذَا قَالَ كَانَ الْقَوْلُ عُنْوَانَ فِعْلِهِ   وَيَا رُبَّ قَوْلٍ نَافِذٍ كَسِنَانِ
خِلالٌ يَفُوحُ الْمِسْكُ عَنْهَا مُحَدِّثًا   وَيُثْنِي عَلَى آثَارِهَا الْمَلَوَانِ
فَلا غَرْوَ أَنْ تَدْمَى الْعُيُونُ أَسَافَةً   عَلَيْكَ وَيَرْعَى الْحُزْنُ كُلَّ جَنَانِ
فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَحْيَا الْبِلادَ بِعِلْمِهِ   وَأَبْقَى لَهُ ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانِ
أَفَادَ بَنِي الأَوْطَانِ فَضْلًا سَمَوْا بِهِ   إِلَى هَضَبَاتٍ فِي الْعُلا وَقِنَانِ
وَأَنْتَ ابْنُهُ وَالْفَرْعُ يَتْبَعُ أَصْلَهُ   وَمَا مِنْكُمَا إِلَّا جَوَادُ رِهَانِ
هُوَ الأَوَّلُ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ   وَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ثَانِي
فَيَا رَحْمَةَ اللَّهِ اسْتَهِلِّي عَلَيْهِمَا   بِسَجْلَيْنِ لِلرِّضْوَانِ يَنْهَمِلانِ
وَعُمِّي قُبُورَ الْعَالَمِينَ كَرَامَةً   لِقَبْرَيْنِ بِالْبَطْحَاءِ يَلْتَقِيَانِ
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةٌ   يُوَافِيكَ فِي خُلْدٍ بِهَا الْمَلَكَانِ

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من الخفيف)

أَيُّ شَيْءٍ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ؟ ... وَالْمَنَايَا خَصِيمَةُ الْحَيَوَانِ

قَدْ بَلَوْنَا كَيْدَ الزَّمَانِ وَلَكِنْ ... شَغَلَتْنَا عَنْهُ ضُرُوبُ الأَمَانِي

فَلَكٌ لا يَزَالُ يَجْرِي عَلَى النَّا ... سِ بِضِدَّيْنِ مِنْ عُلًا وَهَوَانِ

فَهْوَ طَوْرًا يَكُونُ كَالْوَالِدِ الْبَـ ... ـرِ وَطَوْرًا كَالنَّاقِمِ الْغَضْبَانِ

لَيْسَ يُبْقِي عَلَى وَلِيدٍ وَلا كَهْـ ... ـلٍ وَلا سُوقَةٍ وَلا سُلْطَانِ

كَيْفَ يَرْجُو الإِنْسَانُ فِيهِ خُلُودًا ... بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى أَبُو الإِنْسَانِ

أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مُنْذُ دَارَتْ ... كُرَةُ الأَرْضِ وَهْيَ ذَاتُ دُخَانِ

أُمَمٌ أَخْلَدَتْ إِلَى الدَّهْرِ حِينًا ... ثُمَّ ضَاعَتْ فِي لُجَّةِ النِّسْيَانِ

حَصَدَتْهَا يَدُ الْمَنُونِ فَصَارَتْ ... خَبَرًا فِي الوُجُودِ بَعْدَ عِيَانِ

فَتَرَسَّمْ مَعَالِمَ الأَرْضِ وَاسْأَلْ ... فَعَسَى أَنْ يُجِيبَكَ الْهَرَمَانِ

أَثَرٌ دَلَّ صُنْعُهُ أَنَّ «هُرْمِيـ ... ـسَ» بَنَاهُ مِنْ أَبْدَعِ الْبُنْيَانِ

خَافَ ضَيْعَ الْعُلُومِ حِينَ أَتَتْهُ ... بَيِّنَاتٌ دَلَّتْ عَلَى الطُّوفَانِ

فَبَنَاهُ مِنَ الصُّخُورِ اللَّوَاتِي ... جَلَبَتْهَا الْقُيُونُ مِنْ أُسْوَانِ

طَبَقَاتٌ فِي جَوْفِهَا حُجُرَاتٌ ... ضُمِّنَتْ كُلَّ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

بَقِيَتْ بَعْدَ صَانِعِيهَا فَكَانَتْ ... أَثَرًا نَاطِقًا بِغَيْرِ لِسَانِ

سَوْفَ تَبْلَى مِنْ بَعْدِ حِينٍ وَيُمْحَى ... ذِكْرُ هُرْمِيسَ مِنْ سِجِلِّ الزَّمَانِ

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ ... تَنْقَضِي بِالشَّقَاءِ وَالْحِرْمَانِ

لَيْسَ فِيهَا سِوَى خَيَالاتِ وَهْمٍ ... تَمْتَرِيهَا قَرَائِحُ الأَذْهَانِ

خَطَرَاتٌ قَدْ ضَمَّنُوهَا كَلامًا ... فَلْسَفِيًّا لَمْ يَقْتَرِنْ بِمَعَانِي

كُلُّ حَيٍّ يَظُنُّ أَمْرًا وَلَكِنْ ... أَيْنَ مِنْهُ مَحَجَّةُ الْبُرْهَانِ

قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنَّا قَرِيبًا ... وَجَهِلْنَا مَا لا تَرَى الْعَيْنَانِ

فَدَعِ الْقَوْلَ فِي التَّفَلْسُفِ وَاخْضَعْ ... لِجَلالِ الْمُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

أَنَا يَا دَهْرُ عَالِمٌ بِمَصِيرِي ... فِيكَ لَكِنَّنِي جَمُوحُ الْعِنَانِ

قَدْ تَمَادَيْتُ فِي الْغَوَايَةِ حَتَّى ... كَبَحَ الدَّهْرُ شِرَّتِي وَثَنَانِي

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ: (من الخفيف)

لاعَبَ السُّكْرُ قَدَّهُ فَتَثَنَّى	وَدَعَاهُ فَرْطُ السُّرُورِ فَغَنَّى
رَشَأٌ تَعْبُدُ النَّوَاظِرُ مِنْهُ	وَاحِدًا فِي الْجَمَالِ لَيْسَ يُثَنَّى
أَنْبَتَ الْحُسْنُ فَوْقَ خَدَّيْهِ وَرْدًا	لَيْسَ إِلَّا بِغَمْزَةِ اللَّحْظِ يُجْنَى
لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السُّلافَةَ حَتَّى	غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا
فَأَنَمْنَاهُ فَوْقَ مَهْدٍ وَثِيرٍ	بُرْهَةً كَيْ يُفِيقَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا
فَلَبِثْنَا هُنَيْهَةً ثُمَّ لَمَّا	خَفَّ مِنْ سُكْرِهِ وَأَقْبَلَ قُمْنَا
وَأَدَرْنَا الْكُئُوسَ حَتَّى تَوَلَّتْ	أَنْجُمُ اللَّيْلِ مِنْ أُحَادَ وَمَثْنَى
يَا لَهَا لَيْلَةٌ أَبَحْنَا بِهَا اللَّهـ	ـوَ إِلَى وَرْدَةِ الْغَدَاةِ وَتُبْنَا

وَقَالَ فِي مُدَارَاةِ الصَّدِيقِ: (من البسيط)

دَارِ الصَّدِيقَ وَلا تَأْمَنْ بَوَادِرَهُ	فَرُبَّمَا عَادَ بَعْدَ الصِّدْقِ خَوَّانَا
يُفْضِي بِسِرِّكَ أَوْ يَسْعَى بِأَمْرِكَ أَوْ	يَقُولُ عَنْكَ حَدِيثَ السُّوءِ بُهْتَانَا
فَإِنْ تَنَصَّلْتَ قَالُوا فِيكَ مَعْرِفَةٌ	تَنْفِي الْمِرَاءَ مَعَ الْوُدِّ الَّذِي كَانَا
وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ مَطْبُوعٌ عَلَى ظِنَنٍ	تَقْضِي عَلَيْهِ بِلَبْسِ الْحَقِّ أَحْيَانَا
وَقَلَّ فِي النَّاسِ مَنْ جَرَّبْتُهُ فَرَأَى	بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْبُهْتَانِ فُرْقَانَا

وَقالَ فِي لُزُومِ الاحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ: (من الرجز)

لا تَخْشَ بُؤْسًا مِنْ عَدُوٍّ ظَاهِرٍ	وَاخْشَ الْمَكِيدَةَ مِنْ عَدُوٍّ بَاطِنِ
كَمْ بَيْنَ شَرٍّ ظَاهِرٍ مُسْتَدْرَكٍ	مِنْهُ الْخَلاصُ وَبَيْنَ شَرٍّ بَاطِنِ

وَقَالَ يُعَاتِبُ: (من البسيط)

قَدْ عَاقَنِي الشَّكُّ فِي أَمْرٍ أَضَعْتُ لَهُ	عَزِيمَةَ الرَّأْيِ حَتَّى ضَاقَ كِتْمَانِي
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ وُدًّا قَبْلَ مَعْرِفَةٍ	ثُمَّ انْثَنَيْتَ بِصَدٍّ قَبْلَ إِعْلانِ
فَسَرَّنِي مِنْكَ مَا قَدَّمْتَ مُبْتَدَأً	وَسَاءَنِي مِنْكَ مَا أَخَّرْتَ فِي الثَّانِي

فَإِنْ يَكُنْ سُوءُ رَأْيٍ أَوْ مَلالُ هَوًى فَإِنَّ كِلْتَيْهِمَا فِي الْقُبْحِ سِيَّانِ
فاكْشِفْ لَنَا عَنْ قِنَاعِ الشَّكِّ نَحْيَ بِهِ إِمَّا وِصَالًا وَإِمَّا مَحْضَ هِجْرَانِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

أَوَّلُ النَّفْسِ نُطْفَةٌ أَخْلَصَتْهَا شَهْوَةٌ صَاغَهَا مِزَاجٌ دَفِينُ
قَذَفَتْهَا إِلَى الْبُطُونِ ظُهُورٌ وَحَوَتْهَا بَعْدَ الظُّهُورِ بُطُونُ
ثُمَّ أَرْسَى بِهَا هُبُوطٌ يَلِيهِ حَرَكَاتٌ مِنْ بَعْدِهِنَّ سُكُونُ
فَهْيَ طَوْرًا تَكُونُ فِي عَالَمِ الْغَيـ ـبِ وَطَوْرًا فِي مِثْلِ ذَاكَ تَكُونُ
مُبْتَدَاهَا وَمُنْتَهَاهَا سَوَاءٌ وَهْيَ مَا بَيْنَ ذَاكَ حَيٌّ مَهِينُ
فَعَلامَ الْبُكَاءُ فِي إِثْرِ دَارٍ بِالرَّزَايَا فَنَاؤُهَا مَشْحُونُ؟
تَتَفَانَى الرِّجَالُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَهْوَ حِرْصٌ أَدَّى إِلَيْهِ الْجُنُونُ
حَارَ فِيهَا «أَرِسْطَالِيسُ» قِدْمًا وَنَعَاهَا الْحَكِيمُ «أَفْلاطُونُ»

وَقَالَ: (من الوافر)

وَمَلْمَسِ عِفَّةٍ قَدْ نِلْتُ مِنْهُ بِأَيْدِي اللَّهْوِ مَا شَاءَ التَّمَنِّي
مَلَكْتُ بِهِ عِنَانَ الشَّوْقِ حَتَّى قَضَيْتُ لُبَانَتِي وَأَرَحْتُ ظَنِّي
فَلا تَسْأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَلا تَسْأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي
فَلَوْلا أَنَّ جُنْدَ الصُّبْحِ وَافَتْ طَلائِعُهُ وَزَالَ اللَّيْلُ عَنِّي
لَدُمْتُ عَلَى مُعَاقَرَةِ الأَمَانِي وَلَكِنْ رُبَّمَا عَاوَدْتُ فَنِّي

وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إلى إِلْفٍ لَهُ: (من البسيط)

يَا رَاحِلًا غَابَ صَبْرِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ وَأَصْبَحَتْ أَسْهُمُ الأَشْوَاقِ تُصْمِينِي
إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ فِي الْحُبِّ مُذْ غِبْتَ عَنِّي فَهْوَ يُرْضِينِي
لَمْ أَلْقَ بَعْدَكَ يَوْمًا أَسْتَبِينُ بِهِ وَجْهَ الْمَسَرَّةِ إِلَّا ظَلَّ يُبْكِينِي
قَدْ كُنْتُ لا أَكْتَفِي بِالشَّمْلِ مُجْتَمِعًا فَالْيَوْمَ نَظْرَةُ عَيْنٍ مِنْكَ تَكْفِينِي

وَقَالَ: (من الخفيف)

إِنَّ لِـي صَـاحِـبًـا وَلا بُـدَّ مِـنْـهُ قَلَّ صَبْرِي بِهِ وَزَادَتْ شُجُونِي
أَحْـمَـقٌ لا يَـكَـادُ يَـفْـقَـهُ قَـوْلًا مِنْ حَدِيثٍ وَالْحُمْقُ نِصْفُ الْجُنُونِ

وَقَالَ: (من البسيط)

إِذَا أَتَـاكَ خَـلِـيـلٌ بَـعْـدَ مَـنْـدَمَـةٍ مِنْهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَلَّةٍ فَهُنِ
وَإِنْ صَفَحْتَ فَلا تَعْرِضْ بِمَعْتَبَةٍ فَالْعَتْبُ يُفْسِدُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنِ

وَقَالَ: (من مجزوء البسيط)

أَحْبِبْ وَأَبْغِضْ وَقُلْ بِحَقٍّ وَلا تُـسَـاهِـلْ وَلا تُـخَـاشِـنْ
فَالْحُبُّ يُعْمِي عَنِ الْمَسَاوِي وَالْبُغْضُ يُعْمِي عَنِ الْمَحَاسِنْ

وَقَالَ: (من الكامل)

لا تَعْكُفَنَّ عَلَى الْمُدَامِ بِغَيْرِ مَا صَوْتٍ يَهِيجُ بِلَحْنِهِ النَّدْمَانَا
إِنَّ الْغِنَاءَ سَرِيرَةٌ فِي النَّفْسِ قَدْ ضَاقَتْ بِهَا فَتَفَجَّرَتْ أَلْحَانَا

وَقَالَ: (من البسيط)

خَفِّضْ عَلَيْكَ وَلا تَجْزَعْ لِنَائِبَةٍ فَالدَّهْرُ يَعْتَرُّ بِالإِنْسَانِ أَحْيَانَا
فَكُلُّ نَاءٍ قَرِيبٌ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ وَكُلُّ صَعْبٍ إِذَا قَاوَمْتَهُ هَانَا

وَقَالَ فِي النَّمَّامِ: (من البسيط)

لا تَـرْكَـنَـنَّ إِلَـى الـنَّـمَّـامِ إِنَّ لَـهُ خَدْعًا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ قِصَّةُ النَّمَّامِ كَاذِبَةً مَا كَانَ يَسْتُرُهَا عَنْ مَعْرِضِ الْعَلَنِ

وَقَالَ: (من الوافر)

وَذِي وَجْهَيْنِ تَلْقَاهُ طَلِيقًا ... مُحَيَّاهُ وَبَاطِنُهُ حَزِينُ
يُعَاطِيكَ الْمُنَى بِلَحَاظِ رِيمٍ ... وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ ضَبٌّ كَمِينُ

وَقَالَ يَهْجُو: (من الطويل)

حَوَيْتَ مِنَ السَّوْءَاتِ مَا لَوْ طَرَحْتَهُ ... عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ بِكُلِّ مَكَانِ
وَمَا تَرَكَ الهَاجُونَ فِيكَ بَقِيَّةً ... يَدُورُ عَلَيْهَا فِي الْهِجَاءِ لِسَانِي

وَقَالَ: (من الوافر)

إِذَا مَا الْمَرْءُ أَعْقَبَ ثُمَّ أَوْدَى ... تَعَادَلَ فَهْوَ مَوْجُودٌ وَفَانِي
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى أَخْذٍ وَرَدٍّ ... وَهَدْمٍ نَابَ عَنْه بِنَاءُ بَانِي

وَقَالَ: (من الوافر)

كَتَمْتُ هَوَاكِ حَتَّى لَيْسَ يَدْرِي ... لِسَانِي مَا تَضَمَّنَهُ جَنَانِي
وَلِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكِ سِرٌّ ... خَفِيٌّ لا يَعِيهِ الْكَاتِبَانِ
وَكَيْفَ يَخُطُّهُ الْمَلَكَانِ عَنِّي ... وَلَمْ يَنْطِقْ بِغَامِضِهِ لِسَانِي

وَهُوَ يَنْقُضُ بِهَا قَوْلَ الصَّابِئ: (من الطويل)

يَمُوتُ مَعِي سِرُّ الصَّدِيق وَلَحْدُهُ ... ضَمِيرٌ لَهُ الْجَنْبَانِ مَكْتَنِفَانِ
وَأُسْأَلُ يَوْمَ الْبَعْثِ عَنْ كُلِّ مَا وَعَى ... سَمَاعٌ وَمَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَانِ
فَأُنْكِرُهُ مِنْ بَيْنِ مَا فِي صَحِيفَتِي ... وَأَجْحَدُهُ إِذْ يَشْهَدُ الْمَلَكَانِ
وَذَنْبِيَ فِي ذَا الْجَحْدِ أَيْسَرُ مَحْمَلًا ... مِنَ الذَّنْبِ فِي إِفْشَائِهِ بِلِسَانِي

وَقَالَ: (من الكامل)

عَرَفَ الْهَوَى في نَظْرَتِي فَنَهَانِي ... خِلٌّ رَعَيْتُ وِدَادَهُ فَرَعَانِي
أَخْفَيْتُ عَنْهُ سَرِيرَتِي فَوَشَى بِهَا ... دَمْعٌ أَبَاحَ لَهُ حِمَى كِتْمَانِي
فَبِأَيِّ مَعْذِرَةٍ أُكَذِّبُ لَوْعَةً ... شَهِدَتْ بِهَا الْعَبَرَاتُ مِنْ أَجْفَانِي
يَا صَاحِ لا أَبْصَرْتَ مَا صَنَعَ الْهَوَى ... بِأَخِيكَ يَوْمَ تَفَرُّقِ الأَظْعَانِ
يَوْمٌ فَقَدْتُ الْحِلْمَ فيهِ وَشَفَّنِي ... وَلَهٌ أَصَابَ جَوَانِحِي فَرَمَانِي
فَعَلَيْكَ مِنْ قَلْبِي السَّلامُ فَإِنَّهُ ... تَبِعَ الْهَوَى فَمَضَى بِغَيْرِ عِنَانِ
هَيْهَاتَ يَرْجِعُ بَعْدَ مَا عَلِقَتْ بِهِ ... لَحَظَاتُ ذَاكَ الشَّادِنِ الْفَتَّانِ
وَعَلَى الرَّحَائِلِ نِسْوَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... يَخْدَعْنَ لُبَّ الْحَازِمِ الْيَقْظَانِ
أَغْوَيْنَنِي فَتَبِعْتُ شَيْطَانَ الْهَوَى ... إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ بَادِرَةِ النَّوَى ... أَنَّ الأُسُودَ فَرَائِسُ الْغِزْلانِ
رَحَلُوا فَأَيَّةُ عَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ ... وَيَدٍ تَضُمُّ حَشًا مِنَ الْخَفَقَانِ
وَلَقَدْ حَنَنْتُ لِبَارِقٍ شَخَصَتْ لَهُ ... مِنَّا الْعُيُونُ بِأَبْرَقِ الْحَنَّانِ
يَسْتَنُّ فِي عُرْضِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ ... لَهَبٌ تَرَدَّدَ فِي سَمَاءِ دُخَانِ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَسْتَبِينُ رِكَابَهُ ... طَوْعَ الرِّيَاحِ يُصِيبُ أَيَّ مَكَانِ
فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَلْتَقِي ... هُدْبُ الْخُدُورِ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا ... قَبْلَ الْمَشِيبِ فَكُلُّ شَيْءٍ فَانِي

وَقَالَ: (من الرمل)

سَلْ حَمَامَ الأَيْكِ عَنِّي ... إِنَّهُ أَدْرَى بِحُزْنِي
نَحْنُ فِي الْحُبِّ سَوَاءٌ ... كُلُّنَا يَبْكِي لِغُصْنِ
غَيْرَ أَنَّ الْوَجْدَ مِنْهُ ... لَيْسَ مِثْلَ الْوَجْدِ مِنِّي
أَنَا أَبْكِي مِنْ غَرَامِي ... وَهْوَ فِي الْغُصْنِ يُغَنِّي
وَهْوَ بِالدَّمْعِ بَخِيلٌ ... وَدُموعِي مِلْءُ عَيْنِي
لَسْتَ فِي الصَّبْوَةِ مِثْلِي ... فَانْصَرِفْ يَا طَيْرُ عَنِّي

وَقَالَ: (من الكامل)

ذَكَرَ الصِّبَا فَبَكَى وَلاتَ أَوَانِ ... مِنْ بَعْدِ مَا وَلَّى بِهِ الْمَلَوَانِ
هَيْهَاتَ يَرْجِعُ فَائِتٌ لَعِبَتْ بِهِ ... عُصُرٌ أَوَائِلُ أُرْدِفَتْ بِثَوَانِي
هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ ... وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِزَّةٍ وَهَوَانِ
وَاحْذَرْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... بِالْبِشْرِ فَهْيَ كَثِيرَةُ الأَلْوَانِ
وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَالِ فَمَنْ يَعِشْ ... فِي غِبْطَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ
لا تَأْمُلَنَّ بِكُلِّ عَامٍ مُقْبِلٍ ... خَيْرًا فَكُلُّ الدَّهْرِ عَامُ جِوَانِ
وَالدَّهْرُ أَيَّامٌ تُبِيدُ صُرُوفُهَا ... وَتُشِيدُ فَهْيَ هَوَادِمٌ وَبَوَانِي
أَنَّى يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ شَرَكِ الرَّدَى ... وَالْمَوْتُ مَقْدُورٌ عَلَى الْحَيَوَانِ

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ: (من البسيط)

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْلا أَنَّهُ فَانِي ... تَبْلَى النُّفُوسُ وَلا يَبْلَى الْجَدِيدَانِ
قَدْ كُنْتُ فِي غِرَّةٍ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ ... أَبْقَتْ تَبَارِيحَ لا تَنْفَكُّ تَغْشَانِي
وَشَيْبَةً كَلِسَانِ الْفَجْرِ نَاطِقَةً ... بِمَا طَوَاهُ عَنِ الإِفْشَاءِ كِتْمَانِي
أَضْحَتْ قَذًى لِعُيُونِ الْغَانِيَاتِ وَقَدْ ... كَانَتْ حِبَالَةَ أَبْصَارٍ وَأَذْهَانِ
كَأَنَّنِي لَمْ أَقُدْ شَعْوَاءَ جَافِلَةً ... وَلَمْ أَبِتْ بَيْنَ دَارَاتٍ وَنِدْمَانِ
وَلَمْ أَقُمْ فِي مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... شَتَّى الْهَوَى غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلا وَانِي
فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لا سَيْفِي بِمُنْصَلِتٍ ... عَلَى الْعَدُوِّ وَلا قَوْسِي بِمِرْنَانِ
لا أَذْكُرُ اللَّهْوَ إِلَّا أَنْ تُذَكِّرَنِي ... وَرْقَاءُ تَدْعُو هَدِيلًا بَيْنَ أَغْصَانِ
إِنَّ الثَّلاثِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي عَرَضَتْ ... ثَنَتْ قُوَايَ وَفَلَّتْ غَرْبَ أَشْجَانِي
وَخَلَّفَتْنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ طَرَبٍ ... بَادِي الأَسَافَةِ فِي قَوْمِي وَجِيرَانِي
وَكَانَ يَحْزُنُنِي شَيْبِي فَصِرْتُ أَرَى ... أَنَّ الَّذِي بَعْدَهُ أَوْلَى بِإِحْزَانِي
وَهَوَّنَ الأَمْرَ عِنْدِي أَنَّ كُلَّ فَتَى ... وَإِنْ تَمَلَّأَ مِنْ مَاءِ الصِّبَا فَانِي
يَا نَفْسُ لا تَذْهَبِي يَأْسًا بِمَا كَسَبَتْ ... يداكِ فَاللهُ ذُو مَنٍّ وَغُفْرَانِ
يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ حَتَّى يَسْتَوِي كَرَمًا ... لَدَيْهِ ذُو الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ وَالْجَانِي
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الأَفْلاكَ دَائِرَةً ... وَصَوَّرَ الْخَلْقَ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ

وَقَدَّرَ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا وَالنَّجْمَ وَالْقَمَرَ السَّارِي بِحُسْبَانِ
وَأَرْسَلَ الْغَيْثَ أَرْسَالًا بِرَحْمَتِهِ وَأَنْبَتَ الأَرْضَ مِنْ حَبٍّ وَرَيْحَانِ
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ وَصْفٍ يُحِيطُ بِهِ وَكَيْفَ يُدْرِكُ وَصْفَ الدَّائِمِ الْفَانِي
لَقَدْ تَفَرَّدَ فِي لاهُوتِ قُدْرَتِهِ فَمَا لَهُ أَبَدًا فِي مُلْكِهِ ثَانِي
وإِنَّمَا نَحْنُ نُطْرِيهِ كَمَا سَبَقَتْ بِهِ الإِرَادَةُ مِنْ وَصْفٍ وَتِبْيَانِ
كُلٌّ يَقُولُ عَلَى مِقْدَارِ فِطْنَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْقَاصِي وَبِالدَّانِي
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قِيلَ وابْتُدِعَتْ فِي ذَاتِهِ مِنْ أَضَالِيلٍ وَبُهْتَانِ
قَدْ لَفَّقُوهَا أَسَاطِيرًا مُحَبَّرَةً بِحِكْمَةٍ ذَاتِ أَشْكَالٍ وَأَلْوَانِ
كَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا طُرْفَةً عَجَبًا أَوْ جَاءَهُمْ نَبَأٌ صِدْقٌ بِبُرْهَانِ
وَلَوْ تَكَشَّفَ هَذَا الأَمْرُ لارْتَدَعَت مَعَاشِرٌ خَلَطُوا كُفْرًا بِإِيمَانِ
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّ وَمَغْفِرَةٍ فَاسْتُرْ بِعَفْوِكَ زَلَّاتِي وَعِصْيَانِي
وَلا تَكِلْنِي إِلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلِي فَإِنَّهُ سَبَبٌ يُفْضِي لِحِرْمَانِي

وَقَالَ: (من مجزوء الرمل)

أُتْرُكِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى صَاحِبًا فِي الْوُدِّ لَمْ يَخُنِ
وَاجْتَنِبْ مَنْ لا تُشَاكِلُهُ تَنْجُ مِنْ غَدْرٍ وَمِنْ غَبَنِ
مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى الظِّنَنِ

وَقَالَ: (من الخفيف)

كُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ رَشَادٍ وَغَيٍّ كُلُّ حَيٍّ بِمَا جَنَاهُ رَهِينُ
كُلُّنَا لِلْفَنَاءِ أَوْ تَصْعَقَ الأَرْ ضُ وَتَأْتِي بَعْدَ الشُّئُونِ شُئُونُ
يَسْتَفِزُّ الْحَلِيمَ رَوْنَقُهَا الْبَا هِرُ حَتَّى يَخِفَّ وَهْوَ رَكِينُ
ذَهَبَا غَيْرَ ذُكْرَةٍ سَوْفَ تَفْنَى بَعْدَ ضَنٍّ وَكُلُّ شَيْءٍ يَحِينُ
فَاحْتَقِبْ سِيرَةَ الْمَحَامِدِ فَالذِّكْـ ـرُ حَيَاةٌ لِمَنْ طَوَتْهُ الْمَنُونُ

وَقَالَ: (من مجزوء الرجز)

يـا ذُكْـرَةً أَبْـصَـرْتُ فِـي مِـرْآتِـهَـا صُـوَرَ الـتَّـمَـنِّـي
خَـطَـرَتْ عَـلَـيَّ فَـنَـفَّـرَتْ طَيْرَ الْكَرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي
عَـلِـقَـتْ حِـبَـالَـةُ خَـاطِـرِي مِـنْـهَـا بِـمَـكْـحُـولٍ أَغَـنِّ
كَـانَـتْ مِـثَـالًا خَـطَّـهُ بِمَخِيلَتِي نَقَّاشُ ذِهْنِي
هِـيَ لُـقْـيَـةٌ وَهْـمِـيَّـةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

وَقَالَ: (من الكامل)

أَتُرَى الصِّبَا خَطَرَتْ بِوَادِي الْمُنْحَنَى فَجَنَتْ عَبِيرَ الْمِسْكِ مِنْ ذَاكَ الْجَنَى
مَرَّتْ بِنَا طَفَلَ الْعَشِيِّ فَمَا دَرَى أَحَـدٌ بِـسِـرِّ ضَـمِـيـرِهَـا إِلَّا أَنَـا
وَتَـحَـمَّـلَـتْ سِـرَّ الْـهَـوَى فَـتَـرَدَّدَتْ بِـرَسَـائِـلِ الأَشْـوَاقِ فِـيـمَـا بَـيْـنَـنَـا
عَـبِـقَـتْ غَـلائِـلُـهَـا بِـنَـشْـرِ عَـرَارَةٍ بَـدَوِيَّـةٍ بِـسِـوَى الأَنَـامِـلِ تُـجْـتَـنَـى
تَـحْـمِـي مَـنَـابِـتَـهَـا قَـسَـاوِرُ غَـارَةٍ يَجِدُونَ صَعْبَ الْمَوْتِ خَطْبًا هَيِّنَا
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِشُعْلَةِ صَارِمٍ أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ الْوَحِيِّ إِذَا دَنَا
وَبِمَسْقَطِ الْعَلَمَيْنِ جُؤْذُرُ كِلَّةٍ يُصْمِي بِنَظْرَتِهِ الأُسُودَ إِذَا رَنَا
صَنَعَ الْوُشَاةُ لَهُ حَدِيثًا كَاذِبًا فَقَسَا عَلَيَّ وَكَانَ سَهْلًا لَيِّنَا
مَـاذَا عَـلَـيْـهِ وَلا أُرِيـدُ مَـلامَـةً لَوْ جَادَ مَعْهَا بِالتَّحِيَّةِ أَوْ كَنَى
إِنِّـي لأَقْـنَـعُ مِـنْ هَـوَاهُ بِـنَـظْـرَةٍ تُرْوِي الْغَلِيلَ مِنَ الصَّدَى لَوْ أَمْكَنَا
أَخْنَى عَلَيَّ مَعَ الزَّمَانِ وَلَيْتَهُ لَمَّا أَسَاءَ الدَّهْرُ صُنْعًا أَحْسَنَا
وَرَأَى الْمَشِيبَ تَلَوَّنَتْ أَلْوَانُهُ فِي عَارِضَيَّ مِنَ الأَسَى فَتَلَوَّنَا
وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا رَهِينُ حَوَادِثٍ تُودِي بِجِدَّتِهِ وَتُلْبِسُهُ الضَّنَى
لَيْتَ الْمَشِيبَ تَأَخَّرَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفُوزَ مِنَ الشَّبِيبَةِ بِالْمُنَى

قافية الهاء

وَقَالَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أُنْسٍ بِحُلْوَانَ: (من البسيط)

مَا لِي ولِلدَّارِ منِ لَيْلَى أُحَيِّيهَا   وَقَدْ خَلَتْ مِنْ غَوَانِيهَا مَغَانِيهَا؟

دَعِ الدِّيَارَ لِقَوْمٍ يكْلَفُونَ بِهَا   وَاعْكُفْ عَلَى حَانَةٍ كَالْبَدْرِ سَاقِيهَا

كَمْ بَيْنَ دَائِرَةٍ أَقْوَتْ مَعَالِمُهَا   وَبَيْنَ عَامِرَةٍ تَزْهُو بِمَنْ فِيهَا؟

هَيْهَاتَ مَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِسَاحَتِهَا   وَإِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِينِي بِأَهْلِيهَا

فَخَلِّ هَذَا وَخُذْ فِي وَصْفِ غَانِيَةٍ   سَرَتْ بِحُلْوَانَ فِي قَلْبِي سَوَارِيهَا

رَيَّانَةُ الْقَدِّ لَوْ أَنَّ الضَّجِيعَ لَهَا   خَافَ الْعُيُونَ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا

فِي نَشْوَةِ الْخَمْرِ سِرٌّ مِنْ مَرَاشِفِهَا   وَفِي الأَرَاكَةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَادِيهَا

يَا لَيْلَةً بِتُّ أُسْقَى مِنْ بَنَانَتِهَا   وَمِنْ لَوَاحِظِهَا خَمْرًا وَمِنْ فِيهَا

أَحْيَيْتُهَا وَأَمَتُّ النَّوْمَ مُعْتَصِمًا   بِلَذَّةٍ لا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا

حَتَّى إِذَا رَفَّ خَيْطُ الْفَجْرِ وَابْتَدَرَتْ   حَمَائِمُ الأَيْكِ تَشْدُو فِي أَغَانِيهَا

قَامَتْ تَمَايَلُ سَكْرَى فِي مَآزِرِهَا   وَالرَّوْعُ يَبْعَثُهَا طَوْرًا وَيَثْنِيهَا

تَخْشَى الضِّيَاءَ وَفِي أَزْرَارِهَا قَمَرٌ   يَسْتَوقِفُ الْعَيْنَ حَيْرَى فِي مَجَارِيهَا

ثُمَّ انْثَنَتْ وَيَدِي قَيْدٌ لِخَاصِرَةٍ   كَالْخَيْزُرَانَةِ رَيًّا فِي تَثَنِّيهَا

فِي بُلْجَةٍ لا تَكَادُ الْعَيْنُ تُنْكِرُهَا   وَسُمْرَةٍ رُبَّمَا شَفَّتْ نَوَاحِيهَا

حَتَّى تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا عَلَى شَرَفٍ   يَكَادُ يَمْنَعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيهَا

وَحَرَّكَتْ حَلَقَاتِ الْبَابِ فَانْفَتَحَتْ   عَنْ سَاحَةٍ سَكَنَتْ فِيهَا تَرَاقِيهَا

فَعُدْتُ وَالْعَيْنُ غَرْقَى فِي مَدَامِعِهَا   وَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ تَنْزُو نَوَازِيهَا

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِوُصْلَتِهَا   تَارِيخَ لَهْوٍ يَهِيجُ النَّفْسَ رَاوِيهَا

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ «بَرَدِينْيَا» فِي جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ» وَهِيَ إِحْدَى جِنَانِ الدُّنْيَا: (من البسيط)

وَمَسْرَحٍ لِسِوَامِ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ فِي عَالَمِ الظَّنِّ تَقْدِيرٌ وَلا شَبَهُ
بَاكَرْتُهُ سُحْرَةً وَالشَّمْسُ نَاعِسَةٌ فِي خِدْرِهَا وَحَمَامُ الأَيْكِ مُنْتَبِهُ
وَلِلْغَمَائِمِ بَيْنَ الأُفْقِ مُنْسَحَبٌ وَلِلنَّسَائِمِ نَحْوَ الرَّوْضِ مُتَّجَهُ
وَالْجَوُّ فِي حُلَّةٍ دَكْنَاءَ مَازَجَهَا خَيْطٌ مِنَ الْفَجْرِ يَبْدُو ثُمَّ يَشْتَبِهُ
فَالنُّورُ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطٌ وَالطَّيْرُ مُنْشَرِحٌ وَالْجَوُّ مُدَّلِهُ
مَنَاظِرٌ لَوْ رَأَى بَهْزَادُ صُورَتَهَا لَاعْتَادَهُ مِنْ تَمَادِي الْحَيْرَةِ الْبَلَهُ
كَأَنَّمَا الدَّوْحُ قَصْرٌ وَالْحَمَامُ بِهِ سِرْبٌ مِنَ الْغِيدِ بِالأَلْحَانِ تَبْتَدِهُ
طَوْرًا تُغَنِّي وَأَحْيَانًا تَنُوحُ فَمَا ذَاكَ الْغِنَا وَهَذَا النَّوْحُ وَالْوَلَهُ
كَأَنَّمَا الأَوْرَقُ الْغِرِّيدُ حِينَ شَدَا فِي سُرْبَةِ الإِنْسِ مِنْهَا شَارِبٌ فَكِهُ
شَارَفْتُ سَاحَتَهَا فِي فِتْيَةٍ أَلِفُوا صِدْقَ الْوِدَادِ فَلَمْ تَعْرِضْ لَهُمْ شُبَهُ
مُوَقَّرُونَ كِرَامٌ لا يَخِفُّ بِهِمْ طَيْشٌ وَلَمْ يَجْرِ فِي أَخْلاقِهِمْ سَفَهُ
مِنْ كُلِّ مَاضِي الشَّبَا وَالرَّوْعُ مُحْتَدِمٌ وَمُسْتَنِيرِ الحِجَا وَالأَمْرُ مُشْتَبِهُ
إِنْ حَدَّثُوا مَلَئُوا الأَسْمَاعَ مِنْ أَدَبٍ هُمْ أَهْلُهُ وإِذَا مَا أَنْصَتُوا فَقِهُوا
شَرَابُنَا صَفْوُ مَاءٍ لا يُمَازِجُهُ إِلَّا حَدِيثٌ كَنُوَّارِ الرُّبَا نَزِهُ
فَإِنْ يَكُنْ فِي عَفَافِ النَّفْسِ مَحْمَدَةٌ لَهَا فَفِي مِثْلِ هَذَا يَحْسُنُ الشَّرَهُ

وَقَالَ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عَلِيًّا» كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: (من الرجز)

أَحْبَبْتُ مَنْ وَالَى عَلِيًّا رَغْبَةً فِي فَضْلِهِ وَكَرِهْتُ مَنْ عَادَاهُ
هُوَ ذَلِكَ الْحَبْرُ الَّذِي مَنْ أَمَّهُ نَالَ الرِّضَا وَأُجِيبَ مَنْ نَادَاهُ
وَكَفَى بِسِبْطَيْهِ إِمَامَا رَحْمَةٍ نَالا مِنَ الرِّضْوَانِ مَا قَصَدَاهُ
قَدْ عَزَّ مَنْ وَالاهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلَّ مَنْ بَادَاهُ
فَاقْصِدْ لَهُ وَاعْرِفْهُ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ تَلْقَ الْهُدَى وَكَفَى الْمُرِيدَ هُدَاهُ
وَإِذَا عَرَتْكَ مُلِمَّةٌ فَاهْتِفْ بِهِ تَسْمَعْ بِقَلْبِكَ حَيْثُ كُنْتَ صَدَاهُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ: (من البسيط)

سَلْ مَالِكَ الْمُلْكِ فَهْوَ الآمِرُ النَّاهِي ... وَلا تَخَفْ عَادِيًا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
هُوَ الَّذِي يَنْعشُ الْمَظْلُومَ إِنْ عَلِقَتْ ... بِهِ الرَّزَايَا وَيَجْزِي كُلَّ تَيَّاهِ
فَاسْجُدْ لَهُ واقْتَرِبْ تَبْلُغْ بِطَاعَتِهِ ... مَا شِئْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ جَاهِ
يَا رَبُّ قَدْ طَالَ بِي شَوْقِي إِلَى وَطَنِي ... فَاحْلُلْ وَثَاقِي وأَلْحِقْنِي بِأَشْبَاهِي
وَامْنُنْ عَلَيَّ بِفَضْلٍ مِنْكَ يَعْصِمُنِي ... مِنْ كُلِّ سُوءٍ فَإِنِّي عَاجِزٌ وَاهِي
هَذَا دُعَائِي وَحَسْبِي أَنْتَ مِنْ حَكَمٍ ... يَعْنُو لَهُ كُلُّ شَاهٍ أَوْ شَهِنْشَاهِ

وَقَالَ أَيْضًا: (من الكامل)

دِينِي الْحَنِيفُ وَرَبِّيَ اللهُ ... وَشَهَادَتِي أَنْ لَيْسَ إِلَّا هُو
لا جَاهَ لِي إِلَّا بِطَاعَتِهِ ... وَلَنِعْمَ عُقْبَى الطَّاعَةِ الْجَاهُ
أَنَا خَاشِعٌ لِجَلالِ قُدْرَتِهِ ... مُتَقَلِّبُ الْجَنْبَيْنِ أَوَّاهُ
فَأَضَالِعِي لِلْوَجْدِ نَارُ غَضًى ... وَمَحَاجِري بِالدَّمْعِ أَمْوَاهُ
زَهَتِ الْقُلُوبُ بِنُورِ حِكْمَتِهِ ... وَتَعَطَّرَتْ بِالذِّكْرِ أَفْوَاهُ
أَنَا أُمَّةٌ وَحْدِي عَلَى سَرَفٍ ... فِي حُبِّهِ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ
إِنْ تَاهَ غَيْرِي بِالزَّمَانِ فَلِي ... قَلْبٌ بِذِكْرِ اللهِ تَيَّاهُ

وَقَالَ: (من البسيط)

جُدْ بِالنَّوَالِ فَرِزْقُ اللَّهِ مُتَّصِلٌ ... وَلا تَكُنْ عَنْ صَنِيعِ الْخَيرِ بِاللاهِي
فَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ فِي الإِنْسَانِ مَنْقَصَةٌ ... لَمْ يَجْنِهَا غَيْرُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ

وَقالَ: (من البسيط)

لِمُصْطَفَى صَادِقٍ فِي الشِّعْرِ مَنْزِلَةٌ ... أَمْسَى يُعَادِيهِ فِيهَا مَنْ يُصَافِيهِ
صَاغَ الْقَرِيضَ بِإِتْقَانٍ فَلَوْ تُلِيَتْ ... صُدُورُهُ عُلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ
مُهَذَّبُ الطَّبْعِ مَأْمُونُ الضَّمِيرِ إِذَا ... بَلَوْتَهُ كَانَ بَادِيهِ كَخَافِيهِ
حازَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَحْتَجْ لِمَنْقَبَةٍ ... فَلَسْتَ تَنْعَتُهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ

وَقَالَ فِي أَهْلِ «سَرَنْدِيبَ»: (من السريع)

إِنَّ سَرَنْدِيبَ عَلَى حُسْنِهَا	يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قِبَاحُ الْوُجُوهْ
مِنْ كُلِّ فَدْمٍ لائِكٍ مُضْغَةً	يَمُجُّهَا كَالدَّمِ فِي الأَرْضِ فُوهْ
تَحْسَبُهُ مِنْ نَضْحِ أَشْدَاقِهِ	رَكِيَّةً تَجْرِي دَمًا أَوْ تَمُوهْ
لا يُشْبِهُ الْوَالِدُ مَوْلُودَهُ	مِنْهُمْ وَلا الْمَوْلُودَ مِنْهُمْ أَبُوهْ
يَغْلُظُ طَبْعٌ مِنْهُمُ فَاقِدٌ	مَزِيَّةَ الْعِلْمِ وَوَجْهٌ يَشُوهْ
مِنْ أَيْنَ يَدْرِي الْفَضْلَ مَعْدُومُهُ	لا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا ذَوُوهْ
لا تَلْبَثُ الحِكْمَةُ مَا بَيْنَهُمْ	وَلا يَرِيثُ الْفَضْلُ حَتَّى يَتُوهْ
تَظُنُّ بَعْضَ الْقَوْمِ عَلَّامَةً	وَهْوَ إِذَا يَنْطِقُ هَامٌ يَنُوهْ
لا تَعْرِفُ الْمَرْءَ بِأَخْلاقِهِ	فِي غَمْرَةِ الْعَالَمِ حَتَّى يَفُوهْ

وَقَالَ فِي أَهْلِ «رَجُل» اسمُهُ زُنْبُورٌ: (من الهزج)

لَقَدْ أَسْمَوْكَ زُنْبُورًا	فَلَمْ يُخْطِئْكَ مَعْنَاهُ
وَقَدْ قَالُوا: لِكُلِّ اسْمٍ	نَصِيبٌ مِنْ مُسَمَّاهُ

قافية الواو

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُوَازِنَ قَصِيدَةَ الْبُحْتُرِي التِي أَوَّلُهَا: (من الطويل)

لَـنَـا أَبَـدًا بَـثٌّ نُـعَـانِـيـهِ فِـي «أَرْوَى» وَ«حُزْوَى» وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِن لَوْعَةٍ «حُزْوَى»

فقال: (من الطويل)

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ لا يَقْوَى
كَفَى بِالْهَوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلًا فَأَلْوِي عِنَانَهُ وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى
هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى لَئِيمًا يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرٍ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى
سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لَحُوقٌ إِذَا هَوَى غَلُوبٌ إِذَا بَادَى فَتُولٌ إِذَا أَهْوَى
لَهُ سورَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلٍ وَرَضْوَى لَهَدَّتْ يَذْبُلًا وَمَحَتْ رَضْوَى
فَحَتَّامَ يَلْحَانِي الْعَذُولُ عَلَى الْهَوَى أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبَ الشَّكْوَى
لَقَدْ سَامَنِي طَيَّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى بِأَنَّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى
وَبِي بَلْ بِقَوْمِي الأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى
مِنَ الْغِيدِ كَحْلاءُ الْمَحَاجِرِ لَوْ رَنَتْ إِلَى القَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى
تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَثْوَى
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لَحْظَةٍ فَمَا عَادَ إِلا وَهْوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا فَلَمْ أَنَلْ سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ أَوْ عِدَةٍ تُلْوَى

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ وَقَلَّمَا يَعُودُ رَشِيدًا صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى
خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى
وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلا الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ وَبَادِرَتِي تُرْوَى
لِسَانِي خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي رَسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى
وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا عَزِيمَةُ لَيْثٍ مَا تَهِرُّ وَمَا تُعْوَى
وَحِلْمُ كَرِيمٍ يَمْلأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ فَيَكْظِمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَعِفَّةُ نَفْسٍ لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تَرْوَى
وَلِي هِمَّةٌ لَوْلا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ يَدُ الْمَجْدِ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى
بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى
فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنَّنِي بِهِمْ وَبِفَضْلِي رِشْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى
وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى
إِذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضٍ وَتِيرَةٌ رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعُدَ الْمَهْوَى
فَإِنْ كَانَ سَوَّى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَّى
بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِهِ قُلُوبُهُمُ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى
نَصَحْتُ وَغَشُّوا وَاسْتَقَمْتُ وَرَاوَغُوا وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى
وَإِنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمْقَرَ طَعْمُهُ نَبَذْتُ بِهِ رَأْيًا أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى
أَصَبْتُ كُلَى الأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْوَى
وَصُغْتُ مِنَ السِّحْرِ الْحَلالِ قَصَائِدًا تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى
فَمَا قَيَّدَتْنِي لَفْظَةٌ دُونَ حِكْمَةٍ وَلا غَرَّنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى
وَيَا طَالَمَا رُمْتُ الْقَوَافِي فَأَقْبَلَتْ سِرَاعًا فَلا أَرْوَى ذَكَرْتُ وَلا حُزْوَى
فَلا يَحْذُوَنَّ النَّاسُ حَذْوَ بَلاغَتِي فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوِهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى

وَقَالَ فِي الغَزَلِ: (من مجزوء الرجز)

وَيْلاهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى وَآهِ مِنْ طُولِ الْجَوَى
أَرْسَلْتُ طَرْفِي رَائِدًا فَمَا عَلا حَتَّى هَوَى
وَسَارَ قَلْبِي خَلْفَهُ فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى اكْتَوَى

قَـدْ طَـالَـمَـا زَجَـرْتُـهُ   يـا لَـيْـتَـهُ كَـانَ ارْعَـوَى
لِـكُـلِّ شَـيءٍ آفَـةٌ   وَآفَـةُ الْـقَـلْـبِ الْـهَـوَى
أَمَـا كَفَـى هَذَا الْجَـفَا   حَـتَّـى أَعَـانَـتْـهُ الـنَّـوَى
أَيْـنَ الـلِّـوَى وَعَـهْـدُهُ   أَيْـهَـاتَ عَـهْـدٌ بِـاللِّـوَى
وَظَـبْـيِ أُنْـسٍ سُـمْـتُـهُ   إِنْـجَـازَ وَعْـدِي فـلَـوَى
طَـلَـبْـتُ مِـنْـهُ قُـبْـلَـةً   فَـازْوَرَّ عَـنِّـي وَالْـتَـوَى
وَسُـمْـتُـهُ وَعْـدَ الْـمُـنَـى   فَـانْـحَـازَ عَـنِّـي وَانْـزَوَى
يَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي   دَعْنِي فَصَبْرِي قَدْ ذَوَى
وَكَـانَ قَـلْـبِـي رَاشِـدًا   لَـكِـنَّـهُ الْـيَـوْمَ غَـوَى
أُوقِـعَ فِـي أَشْـرَاكِـهِ   لِـكُـلِّ حَـيٍّ مَـا نَـوَى
فَكَيْفَ أَمْضِي فِي الْهَوَى   وَالْجِسْمُ مَحْلُولُ الْقُوَى
وَأَيْـنَ أَبْـغِـي نَـاصِـرًا   هَيْهَاتَ وَالْخَيرُ انْطَوَى
أَصْبَحْتُ فِي تَيْهُورَةٍ   يَسْأَمُ فِيهَا مَنْ ثَوى
لا صَـاحِـبٌ وَافَـى وَلا   خِـلٌّ إِلَـى حَـالِـي أَوَى
فَـيَـا إِلَـهِـي رَاعِـنِـي   وَادْفَعْ عَنِ النَّفْسِ التَّوَى
وَلا تَـكِـلْـنِـي لِـلَّـتِـي   لَوْ صَادَفَتْ نَجْمًا خَوَى

وَقَالَ يَفْتَخِرُ وَيُعَرِّضُ: (من الطويل)

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَادَنِي شَجْوِي   وَأَصْبَحْتُ قَدْ بَدَّلْتُ نُسْكِيَ بِاللَّهْوِ
فَقُمْ عاطِنِيها قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ النُّهَى   عَلَيَّ وَيَسْتَهْوِي الزَّمَانُ عَلَى زَهْوِي
فَـمَـا الـدَّهْـرُ إِلَّا نَـابِـلٌ ذُو مـكِـيـدَةٍ   إِذَا نَزَعَتْ كَفَّاهُ فِي الْقَوْسِ لَمْ يُشْوِ
فَخُذْ مَا صَفَا مِنْ وُدِّهِ قَبْلَ فَوْتِهِ   فَلَيْسَ بِبَاقٍ فِي الْوِدَادِ عَلَى الصَّفْوِ
أَلَا إِنَّـمَـا الأَيَّـامُ دُولابُ خُـدْعَـةٍ   تَدُورُ عَلَى أَنْ لَيْسَ مِنْ ظَمإٍ تُرْوِي
فَبَيْنَا تُرَى تَعْلُو عَلَى النَّجْمِ رِفْعَةً   بِمَنْ كَانَ يَهْوَاهَا إِذِ انْقَلَبَتْ تَهْوِي
فَرَاقِبْ بِجِدٍّ سَهْوَةَ الدَّهْرِ وَالْتَمِسْ   مُنَاكَ فَمَا يُعْطِيكَ إِلَّا عَلَى السَّهْوِ
وَلا يَـزَعَـنْـكَ الـصَّـبْـرُ عَـنْ نَـيْـلِ لَـذَّةٍ   فَعَمَّا قَلِيلٍ يَسْلُبُ الشَّيْبُ مَا تَحْوِي
أَلا رُبَّ لَـيْـلٍ قَـصَّـرَ الـلَّـهْـوُ طُـولَـهُ   بِهَيْفَاءَ مِثْلِ الْغُصْنِ بَيِّنَةِ السَّرْوِ

فَتَـاةٌ تُـرِيكَ الْبَدْرَ تَحْتَ قِنَـاعِهَـا   إِذَا سَفَرَتْ وَالْغُصْنَ فِي مَلْعَبِ الْحَقْوِ
إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَأْسِ خِلْتَ بَنَانَهَا   يُصَرِّفُ نَجْمًا زَلَّ عَنْ دَارَةِ الْجَوِّ
وَإِنْ خَطَرَتْ بَيْنَ النَّدَامَى تَأَوَّدَتْ   كَأَنْ لَيْسَ عُضْوٌ فِي الْقَوَامِ عَلَى عُضْوِ
وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا   مَهُولًا مِنَ الأَخْطَارِ بَاءُوا عَلَى بَأْوِ
أُنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الأَمْرَ أَصْبَحُوا   وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصَّحْوِ
إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الأُمُورَ لأَصْلِهَا   كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الأَرْضَ بِالْغَزْوِ
وَإِنْ حَارَتِ الأَبْصَارُ فِي مُدْلَهِمَّةٍ   مِنَ الأَمْرِ جَاءُوا بِالإِنَارَةِ وَالضَّحْوِ
شَدَدْتُ بِهِمْ أَزْرِي وَحَكَّمْتُ شِرَّتِي   وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي
وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنَّنِي   سَعَرْتُ لَظًى بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ
فَيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطَّتِي   وَمَا شَأْوُهُمْ شَأْوِي وَلا عَدْوُهُمْ عَدْوِي
إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا أَوْحَدُوا لَهُمْ   شَكَاةً فَلا زَالُوا عَلَى ذَلِكَ الشَّكْوِ
يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا   مَرَاقِ تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي
وَلا وَأَبِي مَا النَّصْلُ فِي الْفِعْلِ كَالْعَصَا   وَلا الْقَوْسُ مَلآنَ الْحَقِيبَةِ كَالْخِلْوِ
لَقُلْتُ وَقَالُوا فَاعْتَلَوْتُ وَخَفَّضُوا   وَلَيْسَ أَخُو صِدْقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللَّغْوِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي بِتُّ سَاهِرًا   وَنَامُوا وَمَا عُقْبَى التَّيَقُّظِ كَالْغَفْوِ
فَأَصْبَحْتُ مَشْبُوبَ الزَّئِيرِ وَأَصْبَحَتْ   لَوَاطِئَ فِيمَا بَيْنَ دَارَاتِهَا تَعْوِي

وَقَالَ: (من الطويل)

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَادَنِي زَهْوِي   وَأَبْدَلْتُ مَأْثُورَ النَّزَاهَةِ بِاللَّهْوِ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَعُودَ غَوَايَتِي   إِلَيَّ وَلَكِنْ نَظْرَةٌ حَرَّكَتْ شَجْوِي
عَلَى أَنَّنِي غَالَبْتُ شَوْقِي فَعَزَّنِي   وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَعُودَ فَلَمْ يَلْوِ
وَمَاذَا عَلَى مَنْ خَامَرَ الْحُبُّ قَلْبَهُ   إِذَا مَالَ مَعْهُ لِلْخَلاعَةِ وَالصَّبْوِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُعْطِ الْحَيَاةَ نَصِيبَهَا   مِنَ اللَّهْوِ قَادَتْهُ الْهُمُومُ إِلَى الشَّكْوِ
وَهَلْ فِي الصِّبَا وَاللَّهْوِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى   إِذَا الْعِرْضُ لَمْ يَدْنَسْ بِإِثْمٍ وَلا بَغْوِ
لَعَمْرُكَ مَا قَارَفْتُ فِي الْحُبِّ زَلَّةً   وَلا قَادَنِي مَعَهَا إِلَى سَوْءَةٍ خَطْوِي
وَلَكِنَّنِي أَهْوَى الْخَلاعَةَ وَالصِّبَا   وَأَتْبَعُ آثَارَ الْفَضِيلَةِ وَالسَّرْوِ
سَجِيَّةُ نَفْسٍ أَدْرَكَتْ مَا تُرِيدُهُ   مِنَ الدَّهْرِ فَاعْتَاضَتْ عَنِ السُّكْرِ بِالصَّحْوِ

وَإِنِّـي مِـنَ الْـقَـوْمِ الَّـذِيـنَ إِذَا انْـتَـوَوا　　مَـهُـولًا مِـنَ الأَخْـطَـارِ بَـاءُوا عَـلَـى بَـأْوِ
أُنَـاسٌ إِذَا مَـا أَجْـمَـعُـوا الأَمْـرَ أَصْـبَـحُـوا　　وَمَـا هُـمْ بِـنَـظَّـارِيـنَ لِـلْـغَـيْـمِ وَالـصَّـحْـوِ
إِذَا غَـضِـبُـوا رَدُّوا الأُمُـورَ لأَصْـلِـهَـا　　كَمَا بَدَأَتْ واسْتَفْتَحُوا الأَرْضَ بالْغَزْوِ
وَإِنْ حَـارَتِ الأَبْـصَـارُ فِـي مُـدْلَـهِـمَّـةٍ　　مِـنَ الأَمْـرِ جَـاءُوا بِـالإِنَـارَةِ وَالـضَّـحْـوِ
شَـدَدْتُ بِـهِـمْ أَزْرِي وَأَحْـكَـمْـتُ مِـرَّتِـي　　وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي
وَأَصْـبَـحْـتُ مَـرْهُـوبَ الـلِّـسَـانِ كَـأَنَّـنِـي　　سَـعَـرْتُ لَـظًّـى بَـيْـنَ الْـحَـضَـارَةِ وَالْـبَـدْوِ
فَـيَـا عَـجَـبًـا لِـلْـقَـوْمِ يَـبْـغُـونَ خُـطَّـتِـي　　وَمَا خَطْوُهُمْ خَطْوِي وَلَا عَدْوُهُمْ عَدْوِي
يَـرُومُـونَ مَـسْـعَـاتِـي وَدُونَ مَـنَـالِـهَـا　　مَـرَاقٍ تَـظَـلُّ الـطَّـيْـرُ مِـنْ بُـعْـدِهَـا تَـهْـوِي
فَـإِنْ تَـكُ سِـنِّـي مَـا تَـطَـاوَلَ بَـاعُـهَـا　　فَـإِنِّـي جَـدِيـرٌ بِـالإِصَـابَـةِ فِـي الأَتْـوِ
وَشَـتَّـانَ مَـا بَـيْـنَ امْـرِئِ الْـقَـوْمِ الَّـذِي　　إِذَا رَامَ أَمْـرًا لَـمْ يَـجُـزْ سَـاحَـةَ الْـبَـهْـوِ
لَـقُـلْـتُ وَقَـالُـوا فَـاعْـتَـلَـوْتُ وَخَـفَّـضُـوا　　وَلَـيْـسَ أَخُـو صِـدْقٍ كَـمَـنْ جَـاءَ بِـالـلَّـغْـوِ
وَمَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّـنِـي بِـتُّ سَـاهِـرًا　　وَنَـامُـوا وَمَـا عُـقْـبَـى الـتَّـيَـقُّـظِ كَـالْـعَـفْـوِ
فَـأَصْـبَـحْـتُ مَـشْـبُـوبَ الـزَّئِـيـرِ وَأَصْـبَـحَـتْ　　كَـأَكْـلُـبِ حَـيٍّ بَـيْـنَ دَارَاتِـهِ تَـلْـوِي

قافية الياء

قَالَ فِي ذِكْرِ الشَّوْق: (من الطويل)

كَفَى بِالضَّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْعَذْلِ نَاهِيَا فَأَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ يُرْضِي الأَعَادِيَا
بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى بَلِيتُ وَطَالَ بِي مَرِيرُ النَّوَى حَتَّى نَسِيتُ التَّلاقِيَا
وَمَا كُنْتُ ذَا غَيٍّ وَلَكِنْ إِذَا الْهَوَى أَصَابَ حَلِيمَ الْقَوْمِ أَصْبَحَ غَاوِيَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَظْرَةً مَا تَجَاوَزَتْ حِمَى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدَتْنِي الْمَهَاوِيَا
رَمَيْتُ بِهَا عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَلَمْ تَعُدْ عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِالَّذِي كَانَ قَاضِيَا
هَجَرْتُ لَهَا أَهْلِي وَفَارَقْتُ جِيرَتِي وَغَاضَبْتُ فِي الْخُلَّانِ مَنْ كَانَ رَاضِيَا
وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْجَنَانِ كَأَنَّنِي شَرِبْتُ بِكَأْسٍ تَتْرُكُ الْعَقْلَ سَاهِيَا
أَدُورُ وَلا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ حَازِمًا يَمِينِيَ أَدْنَى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا
صَرِيعُ هَوًى لا أَذْكُرُ الْيَومَ بِاسْمِهِ وَلا أَعْرِفُ الأَشْخَاصَ إِلَّا تَمَادِيَا
فَيَا عَيْنُ لا زَالَتْ يَدُ السُّهْدِ تَمْتَرِي أَسَاكِيبَ دَمْعٍ مِنْكِ تُرْوِي الْمَآقِيَا
فَأَنْتِ الَّتِي أَوْرَدْتِ قَلْبِي مِنَ الْهَوَى مَوَارِدَ لَمْ تَتْرُكْ مِنَ الصَّبْرِ بَاقِيَا
أَطَعْتُكِ فَاسْتَسْلَمْتُ بَعْدَ شَكِيمَةٍ أَعَضَّتْ بِأَطْرَافِ الشَّكِيمِ الْمَذَاكِيَا
فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهَوَى بَعْدَ هَذِهِ فَلَسْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ إِنْ عُدْتُ ثَانِيَا
يَلُومُونَ أَشْوَاقِي كَأَنِّي ابْتَدَعْتُهَا وَلَوْ عَلِمُوا لامُوا الظِّبَاءَ الْجَوَارِيَا
وَمَا لِيَ ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الأَغَانِيَا
وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهْوَ شَاعِرٌ وَيَثْنِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَافِيَا
فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ مَا لَكِ كُلَّمَا تَنَسَّمْتِ أَضْرَمْتِ الْهَوَى فِي فُؤَادِيَا

وَيَا سَجَعَاتِ الأَيْكِ رِفْقًا بِمُهْجَةٍ ... ...
وَيَا لَمَحَاتِ الْبَرْقِ بِاللهِ خَبِّرِي أَخِلايَ بِالْمِقْيَاسِ عَنِّي سَلامِيَا
وَيَا عَذَبَاتِ الْبَانِ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَمِيلُ مَعِي شَوْقًا فَلُقِّيتَ دَاوِيَا
عَوَائِدُ شَوْقٍ أَلْهَبَتْ لاعِجَ الأَسَى وَرَدَّتْ أَمَانِيَّ الضَّمِيرِ هَوَافِيَا
لَعمْرُكَ مَا فَارَقْتُ رَبْعِيَ عَنْ قِلًى وَلا أَنَا وَدَّعْتُ الأَحِبَّةَ سَالِيَا
وَلَكِنْ عَدَتْنِي عَنْ بِلادِي وَجِيرَتِي عَوَادٍ أَبَتْ فِي الْبُعْدِ إِلَّا تَمَادِيَا
زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ تَسُوقُ إِلَى الْمَرْءِ الْحَلِيمِ التَّصَابِيَا
فَيَا رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ جَادَكِ سَلْسَلٌ منَ النِّيلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَاقِيَا
وَلا بَرِحَتْ تَغْشَاكِ لِلْفَجْرِ نَسْمَةٌ تَرُدُّ جَبِينَ النَّوْرِ أَزْهَرَ ضَاحِيَا
بِلادٌ صَحِبْتُ الْعَيْشَ فِيهَا مُنَعَّمًا وَأَجْرَيْتُ أَفْرَاسَ الْبَطَالَةِ لاهِيَا
فَكَمْ لَذَّةٍ أَدْرَكْتُ فِيهَا وَنِعْمَةٍ أَصَبْتُ وَآدَابٍ تَرَكْتُ وَرَائِيَا
هِيَ الْوَطَنُ الْمَأْلُوفُ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِمَنْزِلِهَا الأَدْنَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
فَلا حَبَّذَا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ وَإِنْ أَقْبَلَتْ يوْمًا فَيَا حَبَّذَا هِيَا
نَشَدْتُ الْمُنَى عَوْدًا وَقدْ كُنْتُ بَدْأَةً مَطَافَ أُنَاسٍ يَنْشُدُونَ الأَمَانِيَا
فَإِنْ لَمْ أَنَلْ مِنْهَا نَصِيبًا فَإِنَّنِي أَرَى الْيَأْسَ عَنْ بَعْضِ الْمَطَالِبِ كَافِيَا
وَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيَّ فَضَائِلِي إِذَا كُنَّ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَسَاوِيَا
فَلا اخْضَرَ سَاقُ الْبَقْلِ إِنْ بِتُّ طَاوِيًا وَلا انْهَلَّ مَاءُ الْمُزْنِ إِنْ مِتُّ صَادِيَا

وَقَالَ يُعَاتِبُ صَدِيقًا: (من الوافر)

أَتَانِي أَنَّ عَبْدَ اللهِ أَصْغَى إِلَى وَاشٍ فَغَيَّرَهُ عَلَيَّا
وَمَا عَهْدِي بِهِ غِرًّا وَلَكِنْ تَوَلَّتْ أَمْرَ فِطْنَتِهِ الْحُمَيَّا
فَقُلْتُ لَهُ تَثَبَّتْ تَلْقَ رُشْدًا فَكَمْ مِنْ سُرْعَةٍ وَهَبَتْكَ غَيَّا
فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ وِدَادَ قَلْبِي إِلَيْكَ لَجِئْتَ مُعْتَذِرًا إِلَيَّا